

لتقي الدين عبد الملك بن أبي المنى البابي الحلبي

نزهة الناظرين
في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين

للعلامة
الشيخ تقي الدين عبد الملك بن أبي المنى البابي الحلبي
الشهير بعبيد الضرير
(المتوفي سنة 839هـ)

تحقيق
ناصر محمدي محمد جاد

الجزء الأول

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد الأمين، وعلى كل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن عنوان هذا الكتاب يوحى - بادي الرأي - أن الكتاب يقتصر فحسب على مجموعة من الآثار والأخبار الواردة عن الأنبياء والصالحين، لكن هذا - من خلال معاشتي لهذا الكتاب - ظُلم للكتاب من قِبَل مؤلفه؛ إذ إنه بالإضافة إلى أنه يتناول الأخبار والآثار التي وردت عن الأنبياء والصالحين، إلا أنه قد تناول بجانب شرائع الإسلام لا سيما في علاقة المرء بربه سبحانه تعالى، فهو نموذج تطبيقي لما ينبغي أن يكون عليه المسلم في جانب العبادات والمعاملات والأخلاق. لقد ظلمت دهرًا أحلم بكتاب مختصر يجمع كل ما يمكن أن يحتاجه العبد في عبادته لربه بعيدا عن التفاريع التي لا تهم القارئ المبتدئ، حتى عثرت على هذا الكتاب القيم الذي صادف في قلبي ميلا شديدا لإخراجه وانتفاع المسلمين به، فهو - بحق - هاديا ومرشدا للمسلم في حياته اليومية إذا أراد أن يتقرب إلى الله عز وجل.

لقد أودع المؤلف هذا الكتاب مجموعة كبيرة من النصوص القرآنية والنبوية، والتي ركز في انتقائها على أن تكون أحاديث مبشرة بثواب أو محذرة من عقاب ليستقيم له نموذجا مدعوما بأروع الحكايات وأدلها على المطلوب مما كابده الأنبياء والصالحون في مسالكهم إلى الله تعالى.

لقد كان مؤلف الكتاب غاية في الذكاء حين حشد كمًّا هائلا من القصص الداعم لما يُلقيه على القارئ من مواعظ وأخلاق، ليقطع ما عسى

أن يشعر به من ملل ، فوفق أيما توفيق .

ودون إطالة في الحديث عن موضوع الكتاب ، فهو موجه تربوي ومرشد أمين لمن يريد أن يحسّن علاقته بالله عن طريق العبادات المختلفة التي شرعها الإسلام ، لكن مع ذلك يأخذ المطالع حيظته لما ورد من أحاديث ضعيفة ، حتى لا يعنت نفسه بفرض ما لم يفرض عليها ، وقد ساعدنا القارئ بالنص على ذلك في تضاعيف الكتاب وحواشيه .

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر لمؤلفه ، وأن يسدد ويبارك ويوفق كل من أراد الرجوع إلى الله إنه هو العفو الغفور .

والله ولي التوفيق

الحقق

ترجمة المؤلف

هو : عبد الملك بن علي بن المنى البايي الحلبي ، من فضلاء الشافعية .
يعرف بعبيد (بالتصغير)⁽¹⁾ .
ويقال له المكفوف ؛ لانه كان ضريرا .
ولد بقرية الباب في القرن الثامن الهجري سنة (766هـ) الموافق (1365م) ، ثم
رحل صغيرا إلى حلب ، وصار شيخ الإقراء فيها .
وصنف مختصرا في «الفقه» و«نزهة الناظرين في الأخلاق والمواعظ» ،
و«دلائل المنهاج» ، وتوفي بحلب سنة (839هـ) الموافق (1436م) .
ولم تمدنا المصادر بشيء آخر عن حياته ، فرحمه الله رحمة واسعة .



(1) إعلام النبلاء 5/ 200 ، والأعلام للزركلي 4/ 161 ، ومعجم المؤلفين 6/ 187 ، وإيضاح المكنون 2/ 643 .

منهج التحقيق

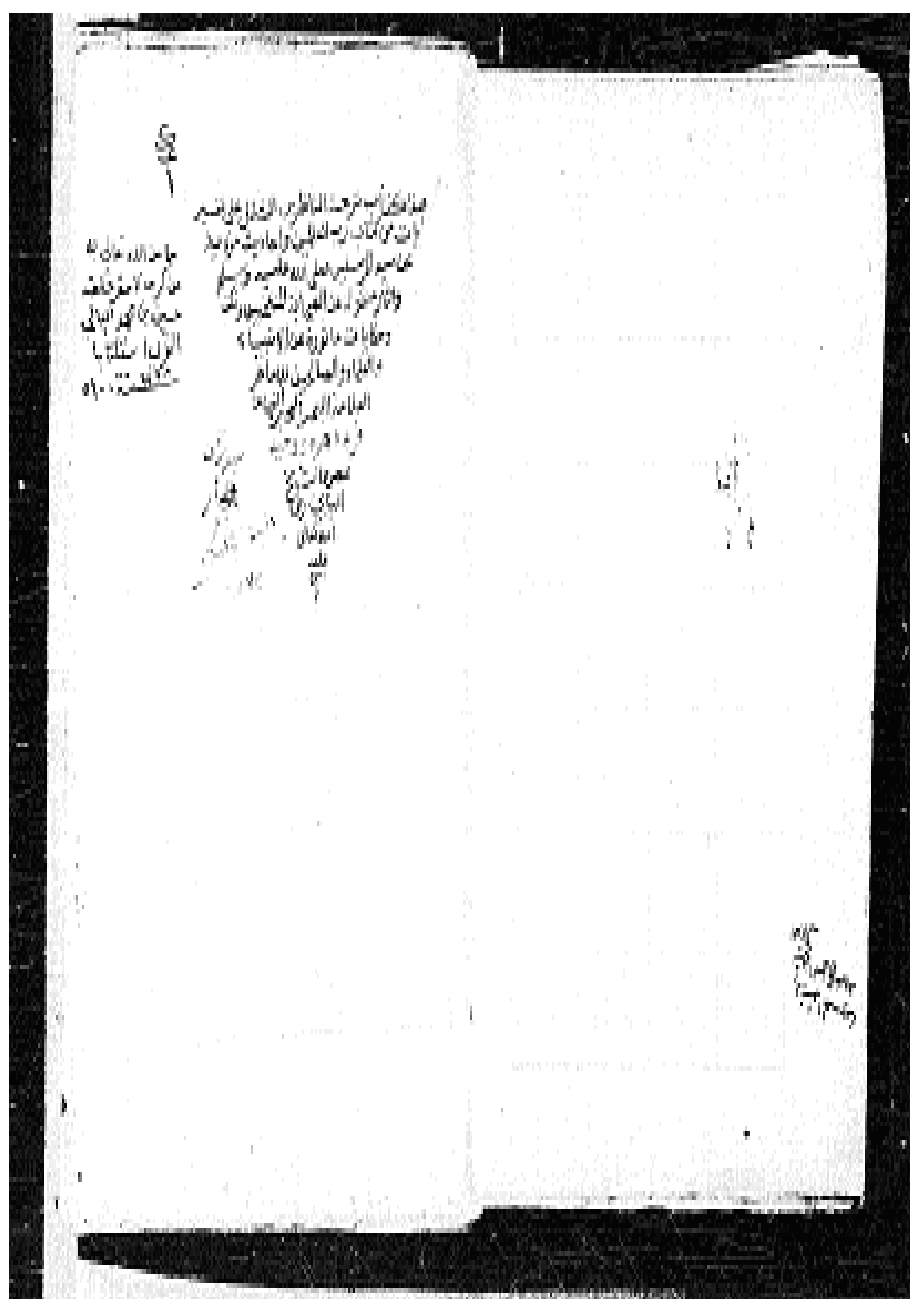
يتحدد هذا المنهج بداية في :

- 1 - ضبط المتن ويشتمل على ضبط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وسائر الكلام بنية وإعرابًا .
- 2 - عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها في المصحف الشريف .
- 3 - تخريج الأحاديث والآثار والأشعار .
- 4 - عزو الآراء والأقوال إلى مصادرها قدر الاستطاعة .
- 5 - التعريف بالمصطلحات الواردة في الكتاب والتي تحتاج لتعريف لأهميتها .
- 6 - ترجمة الأعلام والشخصيات غير المشهورة ، أو ما يحتاج السياق لترجمتها .
- 7 - التعريف بالفرق الكلامية .
- 8 - اعتمدت خط الإملاء الحديث وعلامات الترقيم دون الإشارة إلى ذلك .
- 9 - إثبات الفروق المهمة

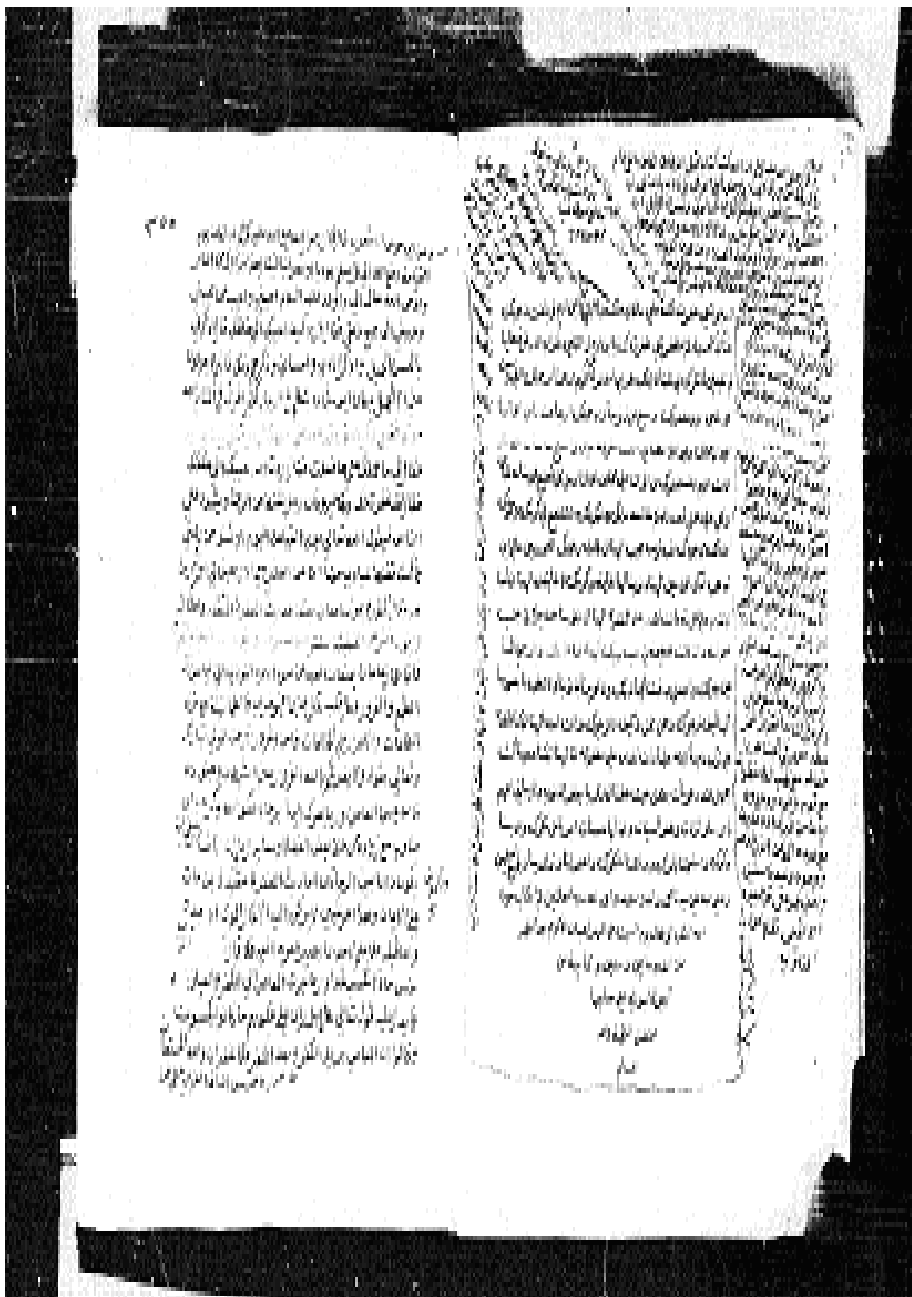
النسخة المعتمدة في التحقيق :

اعتمد في إخراج هذا الكتاب على نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت تصوف طلعت ، ومكونة من 355 لوحة .

نماذج من المخطوط المعتمد في التحقيق



لوحة الغلاف



النص المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحيا قلوب العارفين باتساع رحمته ، وألهمهم من التوسل إليه ما يدفعون به عظيم أخذه وعقوبته ، وهب لهم من مطايا الحزن والبكاء ما يتوصلون به إلى منازل جنّته ، الملك الذي خضع كل جبار لعزّته ، وغرقت الآمال في بحار فضله ونعمته ، وتخيّرت الأبواب في عجائب صنّعه وحكمته ، وتفاصرت الألفاظ عن وصف جلاله وعظمته .

أحمده إذ شرفنا بِلِوَاءِ الإسلام والتوحيد ، وأرسل إلينا خير الخلق والعبيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ننجو بها يوم القيامة من الهول الشديد ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين ، وإماماً للمتقين ، وحسرة على الكافرين ، وحجة على العباد أجمعين ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمره⁽¹⁾ ، وأقسم بحياته في كتابه المبين⁽²⁾ ، وقرن اسمه باسمه فلا يُذكر إلا ذكر معه ، كما في التشهد والخطب والتأذين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين صلاة مستمرة إلى يوم الدين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

(1) مقتبس من قوله ﷺ : «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري...» . أخرجه أحمد (50/2) ، رقم 5114 ، والحكيم (375/1) ، والبيهقي في شعب الإيمان (75/2) ، رقم 1199 ، والطبراني في الشاميين (135/1) ، رقم 216 ، وعبد بن حميد (ص 267 ، رقم 848) ، وابن أبي شيبة (471/6) ، رقم 33016 .

(2) يشير إلى قوله تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ . سورة الحجر ، الآية : 72 .

أَمَّا بَعْدُ :

فهذا كتابٌ مشتملٌ على تفسيرِ آياتٍ من كتابِ ربِّ العالمين ، وأحاديثٍ مرويةٍ عن سيدِ المرسلين ﷺ وعلى سائرِ النبيين ، وآثارٍ منقولةٍ عن الصحابةِ المُتَّخِذين ، ونُكِّتِ وحكياتٍ مأثورةٍ عن الأنبياءِ والعلماءِ والصالحين ، رضوانُ الله عليهم أجمعين ، جمعته من كتبِ الأئمةِ المحققين ؛ منها :

* كِتَابُ مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ للإمامِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ بْنِ مَسْعُودٍ الْبَغَوِيِّ⁽¹⁾، رَحِمَهُ اللَّهُ .

* كِتَابُ الْمَصَابِيحِ لَهُ أَيْضًا .

* وَكِتَابُ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ للإمامِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ⁽²⁾ .

(1) البغوي (436 - 510 هـ / 1044 - 1117 م) هو : الحسين بن مسعود بن محمد ، الفراء ، أو ابن الفراء ، أبو محمد ، ويلقب بمحبي السنة ، البغوي فقيه محدث ، مفسر . نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان ، بين هراة ومرو . له (التهذيب) في فقه الشافعية ، و(شرح السنة) في الحديث ، و(لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير ، و(مصايح السنة) و(الجمع بين الصحيحين) وغير ذلك . توفي بمرور الروذ . ترجمته في : وفيات الأعيان 136/2 - 137 ، والمختصر في أخبار البشر 240/2 ، ودول الإسلام 43/2 ، والعبر : 37/4 ، وتذكرة الحفاظ 1257/4 - 1259 ، وسير أعلام النبلاء 439/19 ، والوافي بالوفيات 26/13 ، وطبقات السبكي 75/7 - 80 ، والأعلام 259/2 .

(2) محمد بن محمد الطوسي الشافعي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، برع في علوم كثيرة ودرّس في المدرسة النظامية ببغداد وكان سنه وقتذاك أربعاً وثلاثين سنة ، ومال في آخر عمره إلى سماع الحديث ومذهب السلف وهو إمام في الفقه والأصول والكلام ، وله جهود عظيمة في الرد على الفلاسفة ولاسيما في كتابه تهافت الفلاسفة ، ودرس مذاهب العلماء في عصره ، ثم انتهى به الأمر إلى التصوف ، تحدث عن تجربته النفسية والروحية في كتابه «المنقذ من الضلال» ، ومن تصانيفه «إحياء علوم الدين» ، و«فصل التفرقة» ، كانت وفاته يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ، ودفن بطوس . ترجمته عند ابن خلكان : وفيات الأعيان 216/4 ، وابن الجوزي : المنتظم 124/17 ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى 191/16 .

- * وَكِتَابُ نَصْحَةِ الْمُلُوكِ لَهُ أَيْضًا .
- * وَكِتَابُ الشِّفَاءِ لِلْقَاضِي عِيَاض ⁽¹⁾ .
- * وَكُتُبُ الْإِمَامِ أَبِي زَكْرِيَا النَّوَوِيِّ ⁽²⁾ الْأَرْبَعَةُ شَرْحَ مُسْلِمَ ، وَرِيَاضُ الصَّالِحِينَ ، وَالْأَذْكَارَ ، وَالتَّبَيَّنَ فِي آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ .
- * وَكِتَابُ تَنْبِيهِ الْغَافِلِينَ لِلْفَقِيهِ أَبِي اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيِّ ⁽³⁾ .
- * وَكِتَابُ بَسْتَانَ الْعَارِفِينَ لَهُ أَيْضًا .

(1) القاضي عياض (476 - 544هـ/1083 - 1149م) هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» و«الغنية» في ذكر مشيخته، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك» و«شرح صحيح مسلم» و«مشارك الأنوار» في الحديث، و«الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» في مصطلح الحديث وكتاب في «التاريخ». وجمع المقري سيرته وأخباره في كتاب «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض». ترجمته في: قلائد العقيان 222، الصلة 2/453، 454، وبغية الملتبس (1269)، إنباه الرواة 2/363، 364، وتهذيب الأسماء واللغات 2/43، 44، ووفيات الأعيان 3/483 - 485، وسير أعلام النبلاء 20/212، والأعلام 5/99.

(2) النووي (631 - 676هـ/1233 - 1277م) هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليه نسبته. تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا. من كتبه: «تهذيب الأسماء واللغات» و«منهاج الطالبين» و«الدقائق» و«تصحيح التنبيه» في فقه الشافعية، و«المنهاج في شرح صحيح مسلم» وغيرها. ترجمته في: الأعلام 8/149.

(3) أبو الليث السمرقندي (373هـ/983م) هو: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى، علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة، منها «تفسير القرآن» و«عمدة العقائد» و«بستان العارفين»، و«تنبيه الغافلين». ترجمته في: الأعلام 27/8.

- * وَكِتَابُ أَسْرَارِ التَّزْيِيلِ وَلَطَائِفِ التَّأْوِيلِ لِلإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ (1).
- * وَكِتَابُ رَوْضَةِ الْمُشْتَقِ إِلَى الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ ، لِأَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوَازِيِّ (2).
- * وَكِتَابُ التَّذَكُّرَةِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيِّ (3).
- * وَكِتَابُ طَهَارَةِ الْقُلُوبِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدِّيرِينِيِّ (4).

(1) الفخر الرازي (544 - 606هـ/1150 - 1210م) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر، أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له: (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب)، و(لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و(معالم أصول الدين) و(محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين). ترجمته في: الأعلام 6/313.

(2) ابن الجوزي (508 - 597هـ/1114 - 1201م) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشركة الجوز) من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف، منها (تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والاختبار)، و(الأذكياء وأخبارهم) و(مناقب عمر بن عبد العزيز) و(روح الأرواح) و(شذور العقود في تاريخ العهود) و(المدھش) في المواعظ وغرائب الأخبار، و(زاد المسير في علم التفسير). ترجمته في: الأعلام 3/316.

(3) القرطبي (671هـ/1273م) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه «الجامع لأحكام القرآن» يعرف بتفسير القرطبي، و«قمع الحرص بالزهد والقناعة» و«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» و«التذكار في أفضل الأذكار» و«التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة». ترجمته في: الأعلام 5/322.

(4) الديريني (612 - 694هـ/1215 - 1295م) هو: عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديميري المعروف بالديريني، فقيه شافعي من الزهاد. نسبته إلى «ديرين» في غربية مصر. وقبره بها. من كتبه «التيسير في علم التفسير»، و«الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة» و«طهارة القلوب، والخضوع لعلام الغيوب»، و«إرشاد الحيارى». ترجمته في: الأعلام 4/13.

- * وِكَتَابُ تَوْثِيقِ عَرَى الْإِيمَانِ لِلْقَاضِي شَرْفِ الدِّينِ الْبَارِزِيِّ⁽¹⁾.
- * وِكَتَابُ الْمُنْتَقَى فِي الْأَحْكَامِ لِلشَّيْخِ مَجْدِ الدِّينِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةٍ⁽²⁾.
- * وِكَتَابُ حَدَائِقِ الْأَوْلِيَاءِ وَرِيَاضِ السَّادَةِ الْأَصْفِيَاءِ لِلشَّيْخِ سِرَاجِ الدِّينِ ابْنِ الْمُلْقَنِ⁽³⁾.

* وِكَتَابُ غَايَةِ السُّوْلِ فِي خِصَائِصِ الرُّسُولِ .

(1) ابن البارزي (645 - 738هـ/1248 - 1338م) هو: هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن البارزي الجهني الحموي، قاضي حافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية. من أهل حماة. ولي قضاءها مدة طويلة بلا أجر، وعين مرات لقضاء مصر فاستعفى. وذهب بصره في كبره. ولما مات أغلقت حماة لمشهده. له بضعة وتسعون كتابا، منها «تجريد جامع الأصول في أحاديث الرسول» و«إظهار الفتاوي من أسرار الحاوي»، و«تيسير الفتاوي في تحرير الحاوي»، و«الشرعة في القراءات السبعة»، و«الفريدة البارزية، في شرح الشاطبية» و«البستان في تفسير القرآن» و«توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن» و«روضات جنات المحبين»، و«الناسخ والمنسوخ» و«ضبط غريب الحديث»، و«بديع القرآن» و«رموز الكنوز» منظومة في الفقه. ترجمته في: الأعلام 73/8.

(2) ابن تيمية (590 - 652هـ/1194 - 1254م) هو: عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين: فقيه حنبلي، محدث مفسر. ولد بحران وحدث بالحجاز والعراق والشام، ثم ببلده حران وتوفي بها. وكان فرد زمانه في معرفة المذهب الحنبلي. من كتبه «تفسير القرآن العظيم» و«المنتقى في أحاديث الأحكام» و«المحرر». وهو جد الإمام ابن تيمية. ترجمته في: الأعلام 6/4.

(3) ابن الملقن (723 - 804هـ/1323 - 1401م) هو: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادي آش (بالأندلس) ومولده ووفاته في القاهرة. له نحو ثلاثمائة مصنف، منها «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال» تراجم، و«التذكرة في علوم الحديث» رسالة، و«الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» و«إيضاح الارتباب في معرفة ما يشتهه ويتصفح من الأسماء والأنساب»، و«غريب كتاب الله العزيز»، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» و«خلاصة الفتاوي في تسهيل أسرار الحاوي». ترجمته في: الأعلام 57/5.

- * وِكَتَابُ تحفة المحتاج ، وِكَتَابُ شرح المنهاج له أيضا .
- * وِكَتَابُ منهاج القاصدين في تفضيل الخلفاء الراشدين للشيخ الإمام موفق الدين بن قدامة الحنبلي (1) .
- * وِكَتَابُ الكبائر للشيخ الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (2) .
- * وِكَتَابُ سيرة النبي ﷺ لأبي الفتح اليَعْمَرِيّ الشهير بابن سيد الناس (3) .
- * وِكَتَابُ روض الرياحين للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي (4) ، رَحِمَهُ اللهُ .

(1) ابن قدامة (541 - 620هـ/1146 - 1223م) هو : عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ، أبو محمد ، موفق الدين ، فقيه من أكابر الحنابلة ، له تصانيف ، منها «المغني» و«روضة الناظر» في أصول الفقه ، و«المقنع» مجلدان ، و«ذم ما عليه مدعو التصوف» رسالة ، و«ذم التأويل» و«ذم الموسوسين» . ترجمته في : الأعلام 67/4 .

(2) الذهبي (673 - 748 هـ = 1274 - 1348م) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله حافظ ، مؤرخ ، علامة محقق ، تركماني الأصل ، من أهل ميفارقين ، مولده ووفاته في دمشق . رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان ، وكف بصره سنة 741 هـ . تصانيفه كثيرة كثيرة تقارب المائة ، منها «دول الإسلام» ، «المشتبه في الأسماء والأنساب» ، والكنى والالقب ، ترجمته في : الأعلام 326/5 .

(3) ابن سيد الناس البعمرى (671 - 734هـ/1273 - 1334م) هو : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، ابن سيد الناس ، البعمرى الربيعي ، أبو الفتح ، فتح الدين ، مؤرخ ، عالم بالأدب ، من حفاظ الحديث ، له شعر رقيق . أصله من إشبيلية ، مولده ووفاته في القاهرة . من تصانيفه (عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير) . ترجمته في : الأعلام 34/7 .

(4) اليافعي (698 - 768هـ/1298 - 1367م) هو : عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي ، غفيف الدين ، مؤرخ باحث متصوف ، من شافعية اليمن ، نسبته إلى يافع من حمير . ومولده ومنشأه في عدن . حج سنة 712 هـ ، وعاد إلى اليمن . ثم رجع إلى مكة سنة 718 فأقام ، وتوفي بها . من كتبه «مرآة الجنان وعبرة البقطان» ، في معرفة حوادث الزمان ، و«نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية» و«الدر النظيم في خواص القرآن العظيم» ، و«مرهم العلل المعضلة» =

* وكتاب كفاية المعتقد في الرد على المنتقد له أيضا .

فأكثر نقلي من هذه الكتب - رحمة الله ورضوانه على مصنفيهما - وقد نقلت من غيرها شيئا يسيرا ، وقد جعلت هذا الكتاب أربعة أرباع :

الربع الأول : في العبادات .

والربع الثاني في العادات .

والربع الثالث : في المهلكات .

والربع الرابع : في المنجيات .

وسميته «نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين» .
وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ، وَمَنْ نَظَرَ فِيهِ وَدَعَا لِي
بِخَيْرٍ ، وَأَنْ يُوقِّعَنَا لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ ، وَأَلَّا يَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا
طَرَفَةً عَيْنٍ ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ؛ فَإِنَّهُ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

اللهم إني قد جمعتُ هذا الكتابَ مع تقصيري عن العملِ بما فيه وعن القليلِ
منه ، ولكني أرجو منك التوفيقَ والهدايةَ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَيَأْسُ مِنْ رَحْمَتِكَ ، إِلَهِي كَمْ
مِنْ عَبْدٍ لَكَ كَانَ ضَالًّا فَهَدَيْتَهُ ، فَاجْعَلْنِي مِنْ جُمْلَتِهِمْ ، يَا اللَّهُ ، يَا رَحِمَنُ يَا
رَحِيمُ ، يَا لَطِيفُ يَا حَلِيمُ ، يَا غَفُورُ يَا شَكُورُ ، يَا عَفُوُّ يَا رُؤُفُ ، يَا عَظِيمَ الْجُودِ ،
يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ ، أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى أَلَّا تُخَيِّبَ رَجَائِي ، وَأَلَّا تَجْعَلَنِي مِمَّنْ
يُخَالِفُ قَوْلَهُ فَعَلَهُ ، وَأَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

=«روض الرياحين في مناقب الصالحين» و«أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر» . ترجمته
في : الأعلام 4 / 72 .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيبُ

كِتَابُ الْعِلْمِ

وفيه ثمانية أبواب :

الباب الأول

في فضل العلم وتعليمه وتعلمه

قال الله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (1). وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (2). وقال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (3). وقال تعالى : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (4).

قال ابن عباس : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام (5).

وفي صحيح البخاري ومسلم عن معاوية (6) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (7).

(1) سورة آل عمران ، الآية : 18.

(2) سورة آل فاطر ، الآية : 28.

(3) سورة الزمر ، الآية : 9.

(4) سورة المجادلة ، الآية : 11.

(5) إحياء علوم الدين 5/1.

(6) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، أبو عبد الرحمن القرشي الأموي المكي ، أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء ، وبقي يخاف للحاق بالنبي ﷺ من أبيه وما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح ، وكان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ ، وعمل واليا لعمر بن الخطاب على الشام وأقره عثمان ، تولى خلافة المسلمين عشرين سنة وكان محببا إلى رعيته . وله فضائل كثيرة ، مات رضى الله عنه في رجب سنة ستين وعاش سبعين سنة .

(7) أخرجه البخاري (1/39 ، رقم 71) ، ومسلم (2/718 ، رقم 1037) ، وأخرجه أيضا ابن حبان (1/291 ، رقم 89) ، والدارمي (1/85 ، رقم 224) ، وأحمد (4/96 ، رقم 16924) .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ⁽¹⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ ؛ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ ، وَالْآخَرُ عَالِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَضَلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ» . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جَحْرِهَا وَحَتَّى الْحَوْتِ لِيَصْلُونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ» . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ⁽²⁾ .

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَالٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ»⁽³⁾ . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : فِي مَعْنَى وَضَعَهَا أَجْنَحَتَهَا ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٌ : أَحَدُهَا : أَنَّهُ بَسَطَ الْأَجْنَحَةَ ، الثَّانِي : أَنَّهُ بِمَعْنَى التَّوَضَّعِ تَعْظِيمًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ ، الثَّالِثُ : أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ النُّزُولَ عِنْدَ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَتَرْكُ الطَّيْرَانِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»⁽⁴⁾ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ⁽⁵⁾ .

وَقَالَ لِمُعَاذٍ⁽⁶⁾ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : «وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ

(1) هو : صدي بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمامة : صحابي . كان مع علي في (صفيين) وسكن الشام ، فتوفي في أرض حمص . وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . ترجمته في : طبقات ابن سعد 7/ 411 ، طبقات خليفة (297 ، 2839) ، الاستيعاب 2/ 736 ، أسد الغابة 3/ 16 ، و 6/ 16 ، مرآة الجنان 1/ 177 ، سير أعلام النبلاء 3/ 359 .

(2) أخرجه الترمذي (5/ 50 ، رقم 2685) وقال : غريب . والطبراني (8/ 233 ، رقم 7911) .

(3) أخرجه الطيالسي (ص 160 ، رقم 1165) ، وأحمد (4/ 239 ، رقم 18114) ، والدارمي (1/ 113 ، رقم 357) ، والترمذي (5/ 545 ، رقم 3535) وقال : حسن صحيح . والبيهقي (1/ 276 ، رقم 1225) ، والطبراني (8/ 63 ، رقم 7373) .

(4) حمر النعم : الإبل الحمراء ، وهي أفضل وأحسن الأموال عند العرب .

(5) البخاري (3/ 1077 ، رقم 2783) ، ومسلم (4/ 1872 ، رقم 2406) .

(6) هو : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الرحمن : صحابي جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام . وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ . أسلم وهو =

لك من الدنيا وما فيها». رواه أحمد (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». رواه مسلم (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». رواه مسلم (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد». رواه

=فتى، وأخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب. وشهد العقبة مع الأنصار السبعين. وشهد بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبعثه رسول الله، بعد غزوة تبوك، قاضياً ومرشداً لأهل اليمن، وأرسل معه كتاباً إليهم يقول فيه: (إني بعثت لكم خير أهلي) فبقى في اليمن إلى أن توفي النبي ﷺ وولي أبو بكر، فعاد إلى المدينة. ثم كان مع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام. ولما أصيب أبو عبيدة (في طاعون عمواس) استخلف معاذاً. وأقره عمر، فمات في ذلك العام. وكان من أحسن الناس وجهاً ومن أسمحهم كفاً. توفي عقيماً بناحية الأردن، ودفن بالقصير المعيني (بالغور) ومن كلام عمر: (لولا معاذ لهلك عمر) ينوه بعلمه.

ترجمته في: طبقات ابن سعد 2/3/120، طبقات خليفة (103، 303)، التاريخ الكبير 359/7 - 360، التاريخ الصغير: 41/1، 47، 49، 52، 53، المعارف 254، حلية الأولياء 228/1 - 244، طبقات الشيرازي 45، أسد الغابة 5/194، تهذيب الأسماء واللغات 2/98 - 100، العبر 1/22، تذكرة الحفاظ: 1/19، طبقات القراء 2/301، الإصابة 9/219.

(1) حديث معاذ في المسند (2103) وليس فيه هذه اللفظة.

(2) مسلم (4/2060، رقم 2674)، وأخرجه أحمد (2/397، رقم 9149)، وأبو داود (4/201، رقم 4609)، والترمذي (5/43، رقم 2674) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (1/75، رقم 206). وأبو يعلى (11/373، رقم 6489)، وابن حبان (1/318، رقم 112)، والدارمي (1/141، رقم 513).

(3) مسلم (3/1255، رقم 1631)، وأخرجه أحمد (2/372، رقم 8831)، والبخاري في الأدب المفرد (1/28، رقم 38)، وأبو داود (3/117، رقم 2880)، والترمذي (3/660، رقم 1376) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (1/88، رقم 242)، والنسائي (6/251، رقم 3651).

الترمذي (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه، وما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في الدين». رواه الدارقطني (2).

وقال: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما ولاه، وعالما ومتعلما». رواه الترمذي (3).

وقال: «من سلك طريقا يتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضح أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب، وإن العالم ليستغفر له من السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفُضِّل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر». رواه الترمذي (4).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا ويعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته» (5). رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به.

(1) الترمذي (48/5 رقم 2681) وقال: غريب، وأخرجه البخاري في التاريخ (308/3)، وابن ماجه (1/81 رقم 222)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/267، رقم 1715). والطبراني في الكبير (11/78، رقم 11099)، وفي الشاميين (2/161، رقم 1109) والديلمي (3/148، رقم 4398)، وابن حبان في الضعفاء (1/300)، ترجمة 346 روح بن جناح) وقال: منكر الحديث جدًا. وابن عدي (3/145، ترجمة 666 روح بن جناح شامي) وقال: هو ممن يكتب حديثه.

(2) سنن الدارقطني (294).

(3) الترمذي (4/561 رقم 2322) وقال: حسن غريب. وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (2/1377 رقم 4112).

(4) الترمذي (5/48، رقم 2682) وقال: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل. ثم أورد له إسنادًا وقال هذا أصح، وأخرجه أيضًا أحمد (5/196، رقم 21763)، وأبو داود (3/317، رقم 3641)، وابن ماجه (1/81، رقم 223)، وابن حبان (1/289، رقم 88)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/262، رقم 1696).

(5) الطبراني (8/94، رقم 7473) قال الهيثمي (1/123): رجاله موثقون كلهم. وأخرجه أيضًا الحاكم =

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يسير الفقه خير من كثير العبادات»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فقيه واحد أفضل عند الله من ألف عابد»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أفضل العبادات الفقه»⁽⁴⁾.

وعن النبي ﷺ أنه دخل المسجد فرأى مجلسين ؛ أحد المجلسين يذكر الله تعالى ويُرغَّبون إليه ، والآخر يتعلمون الفقه ، فقال عليه الصلاة والسلام : «كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من الآخر ؛ أما هؤلاء فيدعون الله تعالى ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الجهال وإنما بعثت معلما فهؤلاء أفضل» . ثم جلس معهم⁽⁵⁾.

وقيل في قوله تعالى : ﴿يَنْبَغِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تَكْمُ﴾ . يعني : العلم ﴿وَرِدْشًا﴾ . يعني : اليقين ﴿وَلِبَاسٌ أَلْتَقْوَى﴾ . أي : الحياء⁽⁶⁾.
وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «الإيمان عريان ولباسه التقوى ، وزينه الحياء ،

= (169/1 ، رقم 311) وقال : احتج البخاري بثور بن يزيد وخرجه مسلم في الشواهد ، وأبو نعيم في الحلية (97/6) ، وابن عساكر (456/16) .

(1) أخرجه الديلمي (176/5 ، رقم 7879) .

(2) أخرجه الطبراني (135/1 ، رقم 286) قال الهيثمي (120/1) : فيه خارقة بن مصعب وهو ضعيف جدا . وأخرجه أيضًا الديلمي (488/5 ، رقم 8847) .

(3) تقدم نحوه .

(4) أخرجه الطبراني في الأوسط (107/9 ، رقم 9264) ، وفي الصغير (251/2 ، رقم 1114) ، والديلمي (354/1 ، رقم 1422) .

(5) أخرجه الطيالسي (ص 298 ، رقم 2251) ، والبزار (428/6 ، رقم 2458) ، والحاثر (185/1 ، رقم 40) .

(6) انظر تفسير الطبري 366/12 ، وتفسير القرطبي 184/7 أ والدر المنثور 210/4 .

وثمرته العلم والعمل والجهاد ؛ أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ،
وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يَقْرُبُنِي إِلَى اللَّهِ فَلَا
بُورِكَ فِي طُلُوعِ شَمْسٍ ذَلِكَ الْيَوْمُ»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَبْعَثُ اللَّهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يُمَيِّزُ الْعُلَمَاءَ فَيَقُولُ :
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ ، إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ لِأَعَذِبَكُمْ أَذْهَبُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»⁽³⁾.
رواه الطبراني في الكبير .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ فَقَهَاؤُهُ ، قَلِيلٍ
خَطْبَاؤُهُ ، كَثِيرٍ مَعْطَوْهُ ، قَلِيلٍ سَأَلُوهُ ، الْعَمَلُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعِلْمِ ، وَسَيَأْتِي عَلَى
النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فَقَهَاؤُهُ ، كَثِيرٌ خَطْبَاؤُهُ ، قَلِيلٌ مَعْطَوْهُ ، كَثِيرٌ سَأَلُوهُ ، الْعِلْمُ فِيهِ
خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ»⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَأَنْ تَغْدُو فَتَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَصَلِيَ مِائَةَ

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (7/ 191 ، رقم 35235) . قال العجلوني (1/ 22) : هو موضوع كما قال الصغاني
وعزاه النجم لرواية ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه من قوله . أخرجه الديلمي (1/ 112 ،
رقم 380) عن ابن مسعود مرفوعا .

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (6/ 367 ، رقم 6636) قال الهيثمي (1/ 136) : فيه الحكم بن عبد الله ، قال
أبو حاتم : كذاب . وأبو نعيم في الحلية (8/ 188) وابن عدى (2/ 79) ترجمة 302 بقية بن الوليد
وقال : حديث منكر المتن . والخطيب (6/ 100) وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (1/ 381) رقم
460) وأخرجه أيضًا : إسحاق بن راهويه (2/ 553 ، رقم 1128)

(3) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (1/ 126) قال الهيثمي : فيه موسى بن عبيدة الرزدي وهو
ضعيف جدًا . وأخرجه أيضًا : الرويان (1/ 353 ، رقم 542) ، والطبراني في المعجم الأوسط (4/ 302 ،
رقم 4264) .

(4) أخرجه مالك (1/ 173 ، رقم 417) ، والطبراني (9/ 108 ، رقم 8566) ، والبحاري في الأدب المفرد
(1/ 275 ، رقم 789) ، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 258 ، رقم 5000) . وابن عساكر (33/ 225) .

ركعة»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «العلم خزان ومفاتيحها السؤال فاسألوا؛ فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل والعالم والمستمع والخب لهم»⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه»⁽⁵⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من جاءه ملك الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة»⁽⁶⁾.

(1) أخرجه ابن ماجه (79/1، رقم 219) بلفظ: «يا أبا ذر لا لأن تغدو فتعلم أية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة تطوعاً».

(2) أخرجه ابن عدي (1/202، ترجمة 48 أحمد بن هارون بن موسى) وقال: له نسخ موضوعة مناكير ليس عند أحد منها شيء كنا نتهمه بوضعها. وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (7/1)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/254، رقم 1665)، وابن عساكر (341/52). وأبو يعلى (5/223، رقم 2837)، والطبراني في الأوسط (7/1، رقم 9)، وفي الصغير (1/36، رقم 22)، وأبو نعيم في الحلية (8/323)، والإسماعيلي في معجم الشيوخ (3/775)، والقضاعي (1/136، رقم 175).

(3) أخرجه العقيلي (2/230، ترجمة 777)، وابن عدي (4/118، ترجمة 963) كلاهما في ترجمة طريف بن سلمان.

(4) أخرجه أبو نعيم في الحلية (3/192) وقال: غريب من هذا الوجه لم نكتبه إلا بهذا الإسناد. والرافعي (4/4). وأخرجه أيضاً: الديلمي (3/68، رقم 4192) قال المناوي (4/389) قال الحافظ العراقي: ضعيف. قال العجلوني (2/85): رواه أبو نعيم والعسكري بسند ضعيف.

(5) أخرجه الطبراني في الأوسط (5/298، رقم 5365). قال الهيثمي (7/165): فيه محمد بن أبي حميد وقد أجمعوا على ضعفه. وأخرجه أيضاً: الديلمي (5/139، رقم 7748).

(6) أخرجه ابن النجار عن أنس كما في الجامع الكبير (45215).

وَقَالَ عَلِيٌّ - كرم الله وجهه - : كَفَى بِالْعِلْمِ شَرَفًا أَنْ يَدَّعِيَهُ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ وَيَفْرَحَ بِهِ إِذَا نَسِبَ إِلَيْهِ ، وَكَفَى بِالْجَهْلِ ذِمًّا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَنْ هُوَ فِيهِ ⁽¹⁾ .

وقال علي رضي الله عنه ⁽²⁾ : [من البسيط]

مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لَمِنْ إِسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَقَدَّرَ كُلُّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
وقال معاذ بن جبل - رضي الله عنه - : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ؛ فَإِنَّ تَعَلَّمَهُ لِلَّهِ
خَشْيَةٌ ⁽³⁾ ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ ، وَمُدَارَسَتُهُ تَسْيِخٌ ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا
يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ ، وَهُوَ الْآنَسُ فِي الْوَحْدَةِ وَالصَّاحِبُ فِي
الْخَلْوَةِ ⁽⁴⁾ .

وقال ابن مسعود ⁽⁵⁾ - رضي الله عنه - ⁽⁶⁾ : منهومان لا يشبعان طالب العلم
وطالب الدنيا ، وهما لا يستويان ؛ أما طالب العلم فيزداد في رضا الرحمن ، وأما
طالب الدنيا فيزداد في الطغيان ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

(1) الحاسن والمساوي 2/ 121 ، ومعجم الأدباء 1/ 67 ، والظرائف واللطائف والبقايت في بعض المواقيت
للثعالبي ، ص 98 ، والمستطرف 1/ 21 .

(2) ديوانه ، ص 12 ، ونسباً في أسرار البلاغة لبعده القاهر الجرجاني ، ص 96 مع أبيات آخر لحمد بن
الربيع الموصلي .

(3) في م : « حسنة » .

(4) أخرجه الديلمي (2/ 41 ، رقم 2237) .

(5) الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن مخزوم ، الإمام الحبر فقيه الأمة أبو عبد
الرحمن البدرى ، من السابقين الأولين والنجباء العالمين ، شهد بدرًا وهاجر الهجرتين ومناقبه كثيرة ،
وروى علماً كثيراً ، مات رضى الله عنه بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين . وقيل : سنة ثلاث
وثلاثين من الهجرة . ترجمته عند ابن عبد البر : الاستيعاب 3/ 987 ، ابن الأثير : أسد الغابة 3/ 384 ،
ابن حجر : الإصابة 4/ 233 .

(6) بحر العلوم للسمرقندي 4/ 423 .

﴿الْعَلَمُ﴾ (1). ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا﴾ (2). ﴿الْعَلَمُ﴾ (3).

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : العلم أفضل من المال ؛ لأن العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الفراعنة ، ولأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، ولأن العلم لا يعطيه الله إلا لمن يُحبه والمال يعطيه من يحب ومن لا يحب ، ولأن العلم لا ينقص بالبذل والإنفاق والمال ينقص بهما ، ولأن صاحب المال إذا مات انقطع ذكره والعالم إذا مات فذكره باق ، ولأن صاحب المال يسأل عن كل درهم من أين اكتسبه وأين أنفق؟ وصاحب العلم له بكل حديث درجة في الجنة (3).

وجاء رجل إلى أبي ذر (4) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فقال : إني أريد أن أتعلم وأخاف أن أضيعه ولا أعمل به؟! فقال : إنك إن توسد العلم خير من أن توسد الجهل . ثم ذهب إلى أبي الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فقال له مثل ذلك ، فقال أبو الدرداء : إن الناس يبعثون من قبورهم على ما ماتوا عليه ؛ يبعث العالم عالما ، ويبعث الجاهل جاهلا ، ثم ذهب إلى أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فقال له مثل ذلك ، فقال أبو

(1) سورة فاطر ، الآية : 28.

(2) سورة العلق ، الآيتان : 6 ، 7.

(3) تنبيه الغافلين ، ص 161 ، والأثر في تفسير الرازي 462/1 لعلبي بن أبي طالب .

(4) أبو ذر الغفاري (32هـ/652م) هو : جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد ، من بني غفار ، من كنانة بن خزيمة ، أبو ذر ، صحابي ، من كبارهم . قديم الإسلام ، يقال : أسلم بعد أربعة وكان خامسا . يضرب به المثل في الصدق . وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام . هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام ، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان ، فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم ، فاضطرب هؤلاء ، فشكاه معاوية (وكان والي الشام) إلى عثمان (الخليفة) فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، فقدمها واستأنف نشر رأيه في تقييح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء ، فعلت الشكوى منه ، فأمره عثمان بالرحلة إلى الريزة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات . وكان كريما لا يخزن من المال قليلا ولا كثيرا ، ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به . الأعلام 2 / 140.

هريرة : ما أنت بواجد شيئا أضيع له من تركه (1).

وحكي عن ابن المبارك (2) - رَحِمَهُ اللهُ - أنه كان في حال الموت ورجل عنده يكتب له العلم ، فقيل له : في مثل هذه الحالة تتعلم؟! فقال : لعل الكلمة التي تنفعني لم تبلغني بعد (3).

وحكى أنه قيل له : لو أن الله تعالى أوحى إليك أنك ميت العشية ، ما أنت صانع اليوم؟ قال : أطلب فيه العلم (4).

ويقال : إن العلماء سُرج الأزمنة ؛ فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره (5).

وروي عن سالم بن أبي الجعد (6) - رَحِمَهُ اللهُ - أنه قال : اشترايت مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني ، فقلت : في أي الحِرَفِ أُحَرِّفُ؟ فاخترتُ العلمَ على كل الحِرَفِ ، فلم تَمُضْ لي مدة حتى أتاني الخليفة زائرا ، فلم أذن له (7).

(1) تاريخ دمشق 367/67، والمجالسة وجواهر العلم، ص 368.

(2) ابن المبارك (118 - 181هـ/736 - 797م) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الاسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفا من غزو الروم. له كتاب في «الجهاد» وهو أول من صنف فيه، و«الرقائق». ترجمته في: الأعلام 4/115.

(3) الكشكول 62/1.

(4) الإبانة لابن بطة 45/1، وإحياء علوم الدين 25/1.

(5) المستطرف 99/1.

(6) سالم بن أبي الجعد الأشجعي الغطفاني مولاهم الكوفي الفقيه أحد الثقات. روى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وجابر، وابن عباس، والنعمان بن بشير، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، وأنس بن مالك. طبقات ابن سعد 291/6، سير أعلام النبلاء 108/5، شذرات الذهب 11/1.

(7) تنبيه الغافلين 169.

وقال أبو مسلم الخولاني⁽¹⁾ - رَحِمَهُ اللهُ - مَثَلُ الْعُلَمَاءِ كَالنَّجُومِ فِي السَّمَاءِ ؛
إِذَا بَدَتْ لِلنَّاسِ اهْتَدَوْا ، وَإِذَا خَفِيَ عَنْهُمْ تَحَيَّرُوا⁽²⁾ .
وقال إمامنا الشافعي⁽³⁾ - رحمه الله - طلب العلم أفضل من صلاة النافلة⁽⁴⁾ .
وقال : ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم⁽⁵⁾ .
وقال : من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم⁽⁶⁾ .
وقال : مَنْ لَا يَحِبُّ الْعِلْمَ فَلَا خَيْرَ فِيهِ ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ وَلَا

(1) عبد الله بن ثوب (بضم ففتح) الخولاني : تابعي ، فقيه عابد زاهد ، نعتة الذهبي بريحانة الشام . أصله من اليمن . أدرك الجاهلية ، وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره ، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر ، وهاجر إلى الشام ، وفي أكثر المصادر : وفاته بدمشق ، وقبره بداريا . وكان يقال : أبو مسلم حكيم هذه الأمة .

ترجمته في : طبقات ابن سعد 448/7 ، وطبقات خليفة (2888) ، والحلية 22/2 ، والاستيعاب (1479) ، وأسد الغابة 129/3 ، وتذكرة الحفاظ 466/1 ، والإصابة (6302) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 13 .

(2) المجموع للنووي 19/1 .

(3) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي . صاحب المذهب ، ولد بغزة ، وقيل : بعسقلان ، وقيل : باليمن سنة خمسين ومائة ، له من المصنفات «الأم» ، و«الرسالة» وغيرهما ، وتوفي بمصر يوم الخميس ، وقيل : يوم الجمعة في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة .

ترجمته في : تاريخ بغداد 56/2 ، طبقات الفقهاء ص 71 ، وفيات الأعيان 163/4 ، ومن الكتب المصنفة خصيصًا لترجمته : آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ، مناقب الشافعي للبيهقي وللرازي ، وتوالت التأسيس لمعالي محمد بن إدريس لابن حجر ، وانظر الجزء الأول من كتاب طبقات الشافعية للسبكي .

(4) مسند الشافعي بترتيب السندي ، ص 30 ، وحلية الأولياء 119/4 ، وصفة الصفوة 35/2 .

(5) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (372) ، وأخرجه الدارمي في سننه (326) وأبو نعيم في الحلية منسوبًا لسفيان الثوري .

(6) المجموع 20/1 ، تهذيب الأسماء واللغات 68/1 ، ومغني المحتاج 31/1 .

صدقة⁽¹⁾.

وقال: العلم مروءة من لا مروءة له⁽²⁾.

وقال: إن لم يكن الفقهاء - وفي رواية العالمون - أولياء فليس لله ولي⁽³⁾.

وقال: ما أحد أروع لخالقه من الفقهاء⁽⁴⁾.

وقال: مَنْ تعلم القرآن عظمت قيمته، وَمَنْ نَظَرَ في الفقه نبيل قدره، وَمَنْ نظر في اللغة رَقَّ طبعه، وَمَنْ نظر في الحساب جزل رأيه، وَمَنْ نظر كتب الحديث قويت حجته، وَمَنْ لم يصنْ نفسه لم ينفعه علمه⁽⁵⁾.

وسئل ابن المبارك: مَنْ الناس؟ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال:

الزهاد. قيل: فمن السُّفلة؟ قال: الذي يأكل بدينه⁽⁶⁾؟

قال الإمام أبو حامد الغزالي⁽⁷⁾ - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - فلم يجعل غير العالم من

(1) تاريخ دمشق 408/51، المجموع 20/1، ومغني المحتاج 31/1.

(2) حلية الأولياء 110/4، والمجموع 20/1.

(3) التبيان في آداب حملة القرآن 29، المجموع 20/1، 42، نظم الدرر للبقاعي 78/4.

(4) أخرجه البيهقي في المدخل (125)، المجموع 20/1.

(5) حلية الأولياء 102/4، صفة الصفوة 1/235، المجموع 20/1.

(6) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (6680).

(7) محمد بن محمد الطوسي الشافعي، ولد سنة خمسين وأربعمائة، برع في علوم كثيرة ودرّس في المدرسة النظامية ببغداد وكان سنه وقتذاك أربعاً وثلاثين سنة، ومال في آخر عمره إلى سماع الحديث ومذهب السلف وهو إمام في الفقه والأصول والكلام، وله جهود عظيمة في الرد على الفلاسفة ولا سيما في كتابه تهافت الفلاسفة، ودرس مذاهب العلماء في عصره، ثم انتهى به الأمر إلى التصوف، تحدث عن تجربته النفسية والروحية في كتابه «المنقذ من الضلال»، ومن تصانيفه «إحياء علوم الدين»، و«فيصل التفرقة»، كانت وفاته يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، ودفن بطوس. ترجمته عند ابن خلكان: وفیات الأعيان 4/216، وابن الجوزي: المنتظم 124/17، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى 16/191.

الناس ؛ لأن الخاصية التي تميّز الإنسان بها على سائر البهائم هو العلم ، والإنسان إنسان بما هو شريف لأجله ، وليس ذلك لقوته ؛ فإن الجمل أقوى منه ، ولا لعظمه فإن الفيل أعظم منه ، ولا لشجاعته فإن السبع أشجع منه ، ولا لأكله فإن الجمل أوسع بطناً منه ، ولا لجماعه فإن أحسن العصافير أقوى على السّفادِ منه ، بل لم يتميز إلا بالعلم .



الباب الثاني

في إكرام أهل العلم والنهي عن إيدائهم

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾⁽¹⁾.
وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾⁽²⁾.

روى أبو داود عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ، والجانبي عنه وإكرام ذي السلطان»⁽³⁾.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن تنزل الناس منازلهم . رواه أبو داود⁽⁴⁾.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل قال : من آذي لي وليا فقد آذنته بالحرب»⁽⁵⁾.

قال الإمامان أبو حنيفة⁽⁶⁾ والشافعي - رحمهما الله تعالى - : إن لم يكن

(1) سورة الحج ، الآية : 30.

(2) سورة الحج ، الآية : 32.

(3) أخرجه هناد (2/423 ، رقم 828) والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص 27 ، رقم 4) والبيهقي في شعب الإيمان (7/426 ، رقم 10840) ، وأبو نعيم في الحلية (5/29) .

(4) أبو داود (4844) ، وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (7/462 ، رقم 10999)

(5) أخرجه البخاري (5/2384 ، رقم 6137) ، وابن حبان (2/58 ، رقم 347) ، والبيهقي (10/219 ، رقم 20769) ، وأبو نعيم في الحلية (1/4) .

(6) هو الإمام النعمان بن ثابت الكوفي شيخ المذهب الحنفي ، ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة ، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة . توفي سنة خمسين ومائة ببغداد وله سبعون سنة . =

العلماء أولياء الله تعالى فليس لله ولي (1).

وعن الحسن البصري (2) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - أن النبي ﷺ كان جالسا ومعه أصحابه فجاء علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ولم يكن له مجلس ، فرآه أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فتزحزح له عن مكانه ، ثم قال له : ههنا يا أبا الحسن . فَسَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بما صنع أبو بكر ، وقال : أهل الفضل أولى بأهل الفضل ، ولا يعرف أهل الفضل إلا أهل الفضل .

وقال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر (3) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته ، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (4).



=ترجمته مفصلة عند القرشي : الجواهر المضية فى تراجم الحنفية 73/1 ، الداري : الطبقات السنية فى تراجم الحنفية 26/1 .

(1) التبيان فى آداب حملة القرآن 11.

(2) الحسن بن أبي الحسن ، واسمه يسار أبو سعيد البصري ، من العباد الزهاد ، وفاته سنة 111هـ . ترجمته فى طبقات ابن سعد 7/156 ، وطبقات خليفة 1/502 ، وأخبار القضاة 2/3 ، وطبقات الفقهاء 1/147 ، وحلية الأولياء 2/131 .

(3) ابن عساكر (499 - 571هـ/1105 - 1176م) هو : علي بن الحسن بن هبة الله ، أبو القاسم ، ثقة الدين ابن عساكر بالدمشقي : المؤرخ الحافظ الرحالة . كان محدث الديار الشامية ، ورفيق السمعاني (صاحب الأنساب) فى رحلاته . مولده ووفاته فى دمشق . له «تاريخ دمشق الكبير» . ترجمته فى الأعلام 4/273 .

(4) تبين كذب المفترى 29.

الباب الثالث

فيما جاء في موت العلماء

قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (1).

وقال عطاء وجماعة : نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالَمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جَهَالًا ، فَسَأَلُوا فَأُفْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (3).

وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار (4).

وقال ابن مسعود أيضا : عليكم بالعلم قبل أن يقبض ، وقبضه ذهاب أهله (5).

وقال عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : موت ألف عابد صائم النهار وقائم الليل ، أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه (6).

(1) سورة الرعد ، الآية : 41.

(2) تفسير الطبري 497/16 ، وتفسير البغوي 4/327 ، والدر المنثور 4/965.

(3) أخرجه أحمد (2/162 ، رقم 6511) ، وابن أبي شيبة (7/505 ، رقم 37590) والبخاري (1/50 ، رقم 100) ، ومسلم (4/2058 ، رقم 2673) ، والترمذي (5/31 ، رقم 2652) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (1/20 ، رقم 52) ، والدارمي (1/89 ، رقم 239) ، وابن حبان (10/432 ، رقم 4571) .

(4) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 240 ، وانظر تفسير البغوي 4/327.

(5) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه 10/252 ، والطبراني في الكبير 9/189 ، وانظر تفسير البغوي 4/327.

(6) إحياء علوم الدين 1/20 ، وقوت القلوب 198.

وقال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه (1).

وقال : إنما مثل الفقهاء كمثل الأكف إذا قطعت كف لم تعد (2).

وقال سلمان (3): لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يُعْلَم الآخر، فإذا هلك الأول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس (4).

وقيل لسعيد بن جبير (5): ما علامة هلاك الناس؟ قال : هلاك علمائهم (6).

وقال علي بن موسى : أعظم الرزايا موت العلماء .



(1) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الرعاة وآداب السامع 1/ 199.

(2) الفقيه والمتفقه (145)، وتفسير البغوي 4/ 327.

(3) هو سلمان الفارسي صاحب رسول الله ﷺ، أبو عبدالله، سابق الفرس إلى الإسلام ومناقبه كثيرة، توفي سنة 36 هـ بالمداين. ترجمته في طبقات ابن سعد 4/ 54، وسير أعلام النبلاء 1/ 505.

(4) أخرجه ابن بطة في الإبانة (43).

(5) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، من أكابر أصحاب ابن عباس وأئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم، وكثرة العمل الصالح، وقد قال ابن عباس حين أتاه أهل الكوفة يسألونه: أليس فيكم سعيد بن جبير؟! كان مقتله على يد الحجاج بن يوسف سنة أربع وتسعين، وقيل سنة خمس وتسعين، واختلفوا في عمره يوم قتل، فقيل: كان عمره وقتذاك تسعا وأربعين، وقيل سبعا وخمسين. ترجمته عند ابن سعد: الطبقات الكبرى 6/ 256، وأبي نعيم: حلية الأولياء 4/ 272، والمزى: تهذيب الكمال 10/ 358.

(6) تفسير البغوي 4/ 327.

الباب الرابع

ينبغي للعالم ألا يقصد بعلمه توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ الآية (1)، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا دَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ الآية (2).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «من تعلم علما ينتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من أغراض الدنيا لم يجد عرف الجنة» (3) يوم القيامة. رواه أبو داود بأسانيد صحيحة (4).

وعن كعب بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يكابر به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار». رواه الترمذي (5).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في جهنم فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحى، فيقال: بم لقيتم ذلك وإنما اهتدينا بك!»

(1) سورة الشورى، الآية: 20.

(2) سورة الإسراء، الآية: 18.

(3) عرف الجنة: ربحها.

(4) أبو داود (3/323، رقم 3664)، وأخرجه أيضا أحمد (2/338، رقم 8438)، وابن ماجه (1/92، رقم 252)، والحاكم (1/60، رقم 288) وقال: صحيح سنده ثقات رواه على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان (2/282، رقم 1770)، وابن أبي شيبة (5/285، رقم 26127)، والخطيب (5/346).

(5) أخرجه الترمذي (5/32، رقم 2654)، وابن ماجه (1/96، رقم 260).

فيقول : كنت أحالفكم إلى ما أنهاكم عنه»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا»⁽²⁾.

وقال : «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه»⁽³⁾.

وقال : «مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهي عن الشر ونأتيه»⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه»⁽⁵⁾.

وقال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : يا حملة القرآن ، اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف علمهم عملهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقا يباهي بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا

(1) البخارى (3/ 1191 ، رقم 3094) ، ومسلم (4/ 2290 ، رقم 2989) ، وأحمد (5/ 207 ، رقم 21848) .

(2) أخرجه الديلمي .

(3) أخرجه ابن عساكر (307/56) . وأخرجه أيضًا : ابن عدى (5/ 155 ، ترجمة 1319 عثمان بن مقسم

أبو سلمة البرى) قال النسائي : متروك الحديث . والطبراني فى الصغير (1/ 305 ، رقم 507) ،

والبيهقى فى شعب الإيمان (2/ 284 ، رقم 1778) ، والقضاعى (2/ 171 ، رقم 1122) .

(4) أخرجه الطيالسى (1/ 274 ، رقم 2060) ، وأحمد (3/ 120 ، رقم 12232) ، وعبد بن حميد (1/ 367 ،

رقم 122) وأبو يعلى (7/ 72 ، رقم 3996) ، قال الهيثمى (7/ 276) : أحد أسانيد أبى يعلى رجاله

رجال الصحيح . والطبراني فى الأوسط (8/ 144 ، رقم 8223) ، وأبو نعيم فى الحلية (2/ 386) ،

والضياء (7/ 207 ، رقم 2646) وقال : إسناده صحيح . وأخرجه أيضًا : ابن أبى شيبه (7/ 335 ، رقم

36576) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (4/ 250 ، رقم 4967) .

(5) أخرجه ابن قانع فى معجمه (1/ 321) ، والطبراني (2/ 165 ، رقم 1681) ، والديلمي (4/ 134 ، رقم

6419) .

تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله (1).

وقال إمامنا الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم ، يعني : علمه وكتبه على ألا ينسب إلي حرف منه (2).

وحكى أبو الفرج بن الجوزي في كتابه روضة المشتاق إلى الملك الخلاق عن بعض السادة أنه قال أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة رجل ملك عبدا فعلمه شرائع الإسلام فأطاع وأحسن وعصى السيد وأساء فإذا كان يوم القيامة أمر بالعبد إلى الجنة وأمر بسيده على النار فيقول عند ذلك واحسرتاه واغبناه أما هذا عبدي أما كنت مالكا لمهجتته وماله وقادرا على جميع ماله فماله سعد ومالي شقيت فيناديه الملك الموكل به لأنه تأدب وما تأدبت وأحسن وأساءت ورجل كسب مالا فعصى الله سبحانه في جمعه ومنعه ولم يقدمه بين يديه حتى صار المال إلى وارثه فأحسن في إنفاقه وأطاع الله سبحانه في جمعه ومنعه ولم يقدمه بين يديه حتى صار المال إلى وارثه فأحسن في إنفاقه وأطاع الله سبحانه في إخراجهم وقدمه بين يديه فإذا كان يوم القيامة أمر بالوارث إلى الجنة وبصاحب المال إلى النار فيقول واحسرتاه واغبناه أما هذا مالي فمالي ما حسنت به أحوالي فيناديه الملك الموكل به لأنه أطاع الله تعالى فيه وما أطعت وأنفق لوجهه وما أنفقت فسعد وشقيت ورجل علم قوما ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة وأمر به إلى النار فيقول واحسرتاه واغبناه أما هذا علمي فمالهم فازوا به وما فزت وسلموا به وما سلمت فيناديه الملك الموكل به لأنهم عملوا بما قلت وما عملت فسعدوا وشقيت (3).

(1) تاريخ دمشق 42/ 509.

(2) التبيين في آداب حملة القرآن 36، وتهذيب الأسماء واللغات 1/ 67.

(3) أورده القرطبي في التذكرة في أمور الموتى وأحوال الآخرة 482.

الباب الخامس

في تحذير العلماء من الدخول على الأمراء

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ الآية (1).

قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : معناه لا تميلوا ، والركون هو المحبة والميل بالقلب (2). وقال أبو العالية : لا ترضوا بأعمالهم (3). وقال السدي : لا تداهنوهم (4).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ بَدَأَ جَفَاً ، وَمَنْ تَبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتَنَّ ، وَمَا أَزْدَادُ عَبْدٍ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا أَزْدَادٌ مِنَ اللَّهِ بَعْدًا» رواه أحمد بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح (5).

وعن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَرْضَى سُلْطَانًا بِمَا يَسْخَطُ رَبَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ اللَّهِ» . رواه الحاكم (6).

وروى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : «سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أُمَرَاءُ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِ فُلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ بَوَارِدٌ عَلَيَّ الْخَوْضُ ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَعْنَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يَصْدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ

(1) سورة هود ، الآية : 113 .

(2) تفسير البغوي 500 / 15 .

(3) تفسير البغوي 204 / 4 .

(4) تفسير البغوي 204 / 4 .

(5) أحمد (2 / 371 ، رقم 8823) ، (4 / 297 ، رقم 18642) .

(6) المستدرک 214 / 4 .

فهو مني وأنا منه وهو وراد على الحوض»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان ، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شرار العلماء الذين يأتون الأمراء ، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء» .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم يمارقها أمراءها» .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق»⁽³⁾.

وقال سفيان: في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك .

وقال حذيفة: إياكم ومواقف الفتن . قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء؛ يدخل أحدهم على الأمير فيصدقه بالكذب ، ويقول ما ليس فيه⁽⁴⁾.

وقيل للأعمش: لقد كثر من يأخذ عنك . فقال: لا تعجلوا؛ ثلث يموتون قبل الإدراك ، وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق ، والثلث الباقي لا يُفلح منهم إلا القليل⁽⁵⁾.

وكذلك قال سعيد بن المسيب⁽⁶⁾: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه

(1) أخرجه الترمذي (525/4)، رقم (2259)، وأخرجه أيضا النسائي (7/160، رقم (4208)، وابن حبان (1/512، رقم (279) .

(2) أخرجه الديلمي (3/75، رقم (4210)، والرافعي (2/445) . وابن أبي حاتم في العلل (2/137)

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/230، رقم (4885) قال العجلوني (2/325): سنده ضعيف .

(4) أخرجه عبد الرزاق في المصنف 11/317، والبيهقي في الشعب 5/404، وأبو نعيم في الحلية 1/277.

(5) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 1/101، وانظره في الإحياء 1/132.

(6) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي، أبو محمد المدني الخزومي، سيد التابعين على الإطلاق، وفاته سنة 94 هـ. ترجمته في طبقات ابن سعد 5/119، وحلية الأولياء 2/161،=

فإنه لص (1).

وقال الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملاً (2).

وقال مكحول الدمشقي (3): من تعلّم القرآن، وتفقه في الدين، ثم صحب السلطان تملّقا إليه وطمعا فيما لديه، خاض في نار جهنم بعدد خطاه (4).

وقال سحنون (5): ما أسمح العالم أن يؤتّى مجلسه فلا يوجد، فيقال: هو عند الأمير (6).

وقال أبو ذرّ لسلمة: يا سلمة، لا تغش أبواب السلطان؛ فإنك لن تُصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه (7).

=طبقات الفقهاء ص 57 وسير أعلام النبلاء 4/ 217.

(1) الآداب الشرعية لابن مفلح 4/ 174، والإحياء 1/ 118.

(2) تفسير الألوسي 8/ 393، والكشاف 1/ 565.

(3) هو: مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله الهذلي بالولاء: فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث. أصله من فارس، ومولده بكايل. ترعرع بها وسبي، وصار مولى لامرأة بمصر، من هذيل، فنسب إليها. وأعتق وتفقه، ورحل في طلب الحديث إلى العراق، فالمدينة، وطاف كثيرا من البلدان، واستقر في دمشق. وتوفي بها. قال الزهري: لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا. وكان في لسانه عجمة: يجعل القاف كافا، والحاء هاء.

ترجمته في طبقات ابن سعد 7/ 453، طبقات خليفة (310)، التاريخ الكبير 8/ 21، التاريخ الصغير 2/ 272، الجرح والتعديل 8/ 407، حلية الأولياء 5/ 177، طبقات الشيرازي 75، وفيات الأعيان 5/ 280، تذكرة الحفاظ 1/ 107، العبر 1/ 140، طبقات الحفاظ: 42.

(4) بريقة محمودية 6/ 38.

(5) في المطبوع والإحياء: «سمنون».

(6) إحياء علوم الدين 1/ 133، وورد في تاريخ الإسلام 4/ 310، وترتيب المدارك 1/ 232 عن سحنون.

(7) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 8/ 698.

وقال : من كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ⁽¹⁾.

وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه ، فيخرج ولا دين له . قيل له : لِمَ؟ قال : لأنه يُرْضِيهِ بِسَخَطِ اللَّهِ تعالى ⁽²⁾.
وقال الفضيل ⁽³⁾: ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا إلا ازداد من الله تعالى بعدا ⁽⁴⁾.

وكان ابن المسيب يَتَجَرَّ في الزَّيْتِ ويقول : إن في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين ⁽⁵⁾.

وقال ابن سيرين : لا تحمل للسلطان كتابًا حتى تعلم ما فيه ⁽⁶⁾.
وامتنع سفيان من مناولة الخليفة دواة بين يديه ، وقال : حتى أعلم ما تكتبه منه ⁽⁷⁾.

وروى عن عثمان بن أبي زائدة أنه سأله واحد من الأجناد فقال : أين الطريق؟ فسكت وأظهر أن به صَمَمًا وخاف أن يكون متوجهًا إلى ظالم ، فيكون هو بإرشاده إلى الطريق مُعِينًا .

وقال رجل لابن المبارك : أنا أخيط ثياب السلاطين ، فهل يخاف علي أن أكون من أعوان الظلمة؟ قال : لا ؛ إنما أعوان الظَّلَمَةِ مَنْ يَبِيعُ مِنْكَ الْخِيطَ وَالْإِبْرَةَ ،

(1) أخرجه الديلمي في مسنده 529/3 (5621) عن ابن مسعود .

(2) أخرجه ابن بطة في الإبانة 293/2 (780) ، وانظره في إحياء علوم الدين 2/499.

(3) الفضيل بن عياض بن بشر ، الإمام القدوة أبو علي التميمي ، أحد العباد الزهاد ، توفي سنة 187 هـ .

ترجمته في حلية الأولياء 8/84 ، وتهذيب الكمال 23/281 ، وسير أعلام النبلاء 8/372.

(4) إحياء علوم الدين 2/500.

(5) إحياء علوم الدين 2/500.

(6) إحياء علوم الدين 3/15.

(7) إحياء علوم الدين 3/15.

أَمَّا أَنْتَ فَمِنَ الظَّالِمَةِ (1).

وروى عن سفيان الثوري (2) - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّهُ قَالَ : نَعْمَتَانِ إِنْ رَزَقَكَ اللَّهُ تَعَالَى إِيَاهُمَا فَاحْمَدَهُ عَلَيْهِمَا وَاشْكُرْهُ ؛ اجْتَنَابُكَ بَابَ السُّلْطَانِ وَاجْتَنَابُكَ بَابَ الطَّبِيبِ .

وقال معاوية بن أبي سفيان : العافية أربعة أشياء ؛ بيت يأويه ، وعيش يكفيه ، وزوجة تُرضيه ، ونحن لا نعرفه فنؤذيه . يعني لا يعرفه السلطان .



(1) إحياء علوم الدين 15/3.

(2) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أحد أئمة الإسلام الكبار وعباده المقتدى بهم ، لُقِبَ بأمير المؤمنين في الحديث ، توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، وكان عمره يوم مات أربعاً وستين سنة . ترجمته عند ابن سعد : الطبقات الكبرى 6/371 ، الشيرازي : طبقات الفقهاء ص 84 ، الذهبي : سير أعلام النبلاء 7/229.

الباب السادس

ينبغي للمعلم أن يرفق بالمتعلم ويبذل له النصيحة

قال الله تعالى : ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾.

وعن أبي هارون العبدى قال : كنا نأتي أبا سعيد الخدري فيقول : مرحبا بوصية رسول الله ﷺ ؛ إن النبي ﷺ قال : «إن الناس لكم تبع ، وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا» . رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»⁽³⁾.

(1) سورة الحجر ، الآية : 88.

(2) الترمذي (30/5)، رقم (2650)، وابن ماجه (91/1)، رقم (249)، وأخرجه أيضًا الطبراني في الشاميين (226/1)، رقم (405)، والبيهقي في الدلائل 8/8، والشعب 4/264.

(3) الحديث مخرج عن أكثر من صحابي على النحو التالي :

حديث أبي هريرة : أخرجه أحمد (344/2)، رقم (8514)، وأبو داود (321/3)، رقم (3658)، والترمذي (29/5)، رقم (2649) وقال : حسن . وابن ماجه (98/1)، رقم (266)، والحاكم (182/1)، رقم (345)، والبيهقي في شعب الإيمان (275/2)، رقم (1743) .

حديث أنس : أخرجه ابن ماجه (97/1)، رقم (264) . قال البوصيري : هذا إسناد ضعيف .
حديث قيس بن طلق عن أبيه : أخرجه الطبراني (334/8)، رقم (8251)، وابن عدى (353/1)، ترجمة أيوب بن عتبة) وقال : الحديث بهذا الإسناد غريب . والخطيب (155/8) .

حديث ابن مسعود : أخرجه الطبراني (10/128)، رقم (10197) قال الهيثمي (163/1) : فيه سوار بن مصعب وهو متروك .

حديث ابن عمر : أخرجه ابن عدى (2/371)، رقم (500) حسان بن سياه)، والطبراني في الأوسط =

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»⁽¹⁾.

وعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : أكرم الناس عليّ جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إليّ ، لو استطعتُ ألاَّ يَقَعَ الذبابُ على وجهه لفعلت⁽²⁾. وفي رواية: إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني⁽³⁾.

وجاء عن النبي ﷺ : «لِئَلَّا تَعْلَمُونَ وَلِمَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ»⁽⁴⁾.

وعن أيوب السخيتاني: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعا لله عز وجل⁽⁵⁾.



=(4/183، رقم 3921) قال الهيثمي (163/1): فيه حسان بن سياه. ضعفه ابن عدى وابن حبان والدارقطني.

حديث ابن عمرو: أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (163/1) قال الهيثمي: رجاله موثقون. (1) البخاري (14/1، رقم 13)، ومسلم (67/1، رقم 45)، وأخرجه ابن المبارك (1/236، رقم 677)، والطيالسي (ص 268، رقم 2004)، وأحمد (3/272، رقم 13901)، وعبد بن حميد (ص 354، رقم 1174)، والترمذي (4/667، رقم 2515) وقال: صحيح. والنسائي (8/115، رقم 5016)، وابن ماجه (1/26، رقم 66)، والدارمي (2/397، رقم 2740).

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد 1/391، وانظره في التبيان في آداب حملة القرآن، ص 40.

(3) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه 2/499.

(4) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (1/350، رقم 809) بلفظ: «تواضعوا لمن تَعْلَمُونَ مِنْهُ وتواضعوا لمن تُعْلَمُونَ».

(5) أخرجه ابن أبي شيبة 8/317، وانظره في التبيان، ص 40، وأخرجه الخطيب في الجامع 2/428 عن حماد.

الباب السابع

في آداب المتعلم

من آدابه : أن يُطَهَّرَ قلبه من الأدناس ليُصْلَحَ لقبول العلم ؛ فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب»⁽¹⁾.

وقال بعضهم : يطيب القلب للعلم كما تطيب الأرض للزراعة⁽²⁾.

ومنها : أن يتواضع لمعلمه وإن كان أصغر منه ، قالوا⁽³⁾ : [من الرجز]

فَالْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالِي كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي
قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : ذللت طالبا فعززت مطلوباً⁽⁴⁾.

وقال علي - رضي الله عنه - : من حق المعلم عليك أن تُسلمَ على الناس عامةً ، وتَحْصُهُ من دونهم بالتحية ، وأن تجلس أمامه ، ولا تُشيرن عنده بيدك ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تغمزن بعينيك ، ولا تقولن : قال فلان خلافاً لقوله ، ولا تُسارَّ في مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تُعرض أن تشبع

(1) أخرجه أحمد (4/270 ، رقم 18398) ، والبخاري (1/28 ، رقم 52) ، ومسلم (3/1219 ، رقم 1599) ، وأبو داود (3/243 ، رقم 3329 ، رقم 3330) ، والترمذي (3/511 ، رقم 1205) وقال : حسن صحيح . والنسائي (7/241 ، رقم 4453) ، وابن ماجه (2/1318 ، رقم 3984) ، والدارمي (2/319 ، رقم 2531) ، والبيهقي (5/264 ، رقم 10180) .

(2) التبيان ، ص 46.

(3) التبيان ، ص 46 ، والإحياء 1/98 ، وميزان العمل ، ص 47.

(4) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 2/79 ، وانظره في التبيان ، ص 50 ، والإحياء 20/1.

من طول صحبته⁽¹⁾.

وقال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : تفقهوا قبل أن تسودوا⁽²⁾.

وقال الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - تفقه قبل أن ترأس ، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه⁽³⁾.

وقال عمر بن الخطاب وابنه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِلْمُهُ⁽⁴⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : معناه من استحيا في طلب العلم كان علمه رقيقا ، أي : قليلا .

قال مجاهد - رَحِمَهُ اللَّهُ - لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر⁽⁵⁾.

وقالت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء عن أن يتفقهن في الدين⁽⁶⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : ولا تتعلم إلا من كملت أَهْلِيَّتُهُ ، وظهرت ديانته ، وتحققت معرفته ، واشتهرت صيانتة⁽⁷⁾، فقد قال محمد بن سيرين ومالك بن أنس وغيرهما من السلف : هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم⁽⁸⁾.

(1) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 1/199، وانظره في التبيان ، ص 48.

(2) البخاري 1/140، وأخرجه البيهقي في الشعب 4/180، وانظره في التبيان ، ص 50.

(3) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه 2/366، وانظره في التبيان 51.

(4) أخرجه الدارمي 1/147 (550) ، والخطيب الفقيه والمتفقه 3/120.

(5) البخاري 1/232، والخطيب الفقيه والمتفقه 3/121.

(6) أخرجه عبد الرزاق (1/314، رقم 1208) .

(7) التبيان ، ص 47.

(8) أخرجه مسلم 1/33 (26) ، والدارمي 1/471 (432) .

الباب الثامن

في التحذير من المسارعة إلى الفتيا

وجميع هذا الباب منقول من شرح المذهب للشيخ محي الدين النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ⁽¹⁾ قال : أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا ، حتى ترجع إلى الأول ⁽²⁾ . وفي رواية : ما منهم مَنْ يُحدِّث بحديث إلا ودَّ أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتي عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا ⁽³⁾ .

وعن ابن مسعود وابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - : مَنْ أفتى في كلِّ ما يُسأل فهو مجنون ⁽⁴⁾ .

وعن الشعبي ⁽⁵⁾ ، والحسن ، وأبي حصين ، والتابعين قالوا : إن أحدكم يُفتي

(1) عبد الرحمن بن أبي ليلى الامام العلامة الحافظ ، أبو عيسى الأنصاري الكوفي ، الفقيه ، ويقال : أبو محمد ، من أبناء الأنصار ، ولد في خلافة الصديق أو قبل ذلك . وقيل : ولد في وسط خلافة عمر ورآه يتوضا ويمسح على الخفين . قتل ابن أبي ليلى بوقعة الجمام ، يعني سنة اثنتين وثمانين ، وقيل : سنة ثلاث . ترجمته في طبقات ابن سعد 6/109 ، وسير أعلام النبلاء 4/263 .

(2) أخرجه البيهقي في المدخل 2/175 ، والبغداد في تاريخ بغداد 13/412 ، وابن عساكر في تاريخ دمشق 36/87 .

(3) تاريخ دمشق 36/87 .

(4) أخرجه ابن بطة في الإبانة 1/305 (347) ، والطبراني 8/106 ، والبغداد في الفقيه والمتفقه 3/319 .

(5) هو : عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار ، الشعبي الحميري ، أبو عمرو : رواية ، من التابعين ، يضرب المثل بحفظه . ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة . اتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم . وكان ضئيلا نحيفا ، ولد لسبعة أشهر . وسئل عما بلغ إليه حفظه ، =

في المسألة ولو وَرَدَتْ على عمر بن الخطاب لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرِ⁽¹⁾.
وعن عطاء بن السائب التابعي قال : أدركت أقواما يُسأل أحدهم عن الشيء
فيتكلم وهو يَرْعَد⁽²⁾.
وعن ابن عباس ، ومحمد بن عجلان : إذا أغفل العالم (لا أدري) أُصِيبَتْ
مَقَالَتُهُ⁽³⁾.
وعن سفيان بن عُيَيْنَةَ⁽⁴⁾ وسُحْنُون : أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما⁽⁵⁾.
وعن الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - وقد سأل عن مسألة فلم يجب ، فقليل له ،

= فقال : ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا حدثني رجل بحدث إلا حفظته . وهو من رجال الحديث
الثقات ، استقصاه عمر بن عبد العزيز . وكان فقيها ، ونسبته إلى شعب وهو بطن من همدان .
ترجمته في طبقات ابن سعد 6/246 ، وطبقات خليفة (1144) ، وتاريخ البخاري 6/450 ، وتاريخ
البخاري الصغير 1/243 ، 253 ، 254 ، والمعارف 449 ، والمعرفة والتاريخ 2/592 ، وأخبار القضاة
413/2 ، والحلية 4/310 ، وطبقات الشافعية للعبادي 58 ، وتاريخ بغداد 12/227 ، وطبقات الفقهاء
للشيرازي 81 ، ووفيات الأعيان 3/12 ، وتذكرة الحفاظ 1/74 ، والعبر 1/127 ، وطبقات الحفاظ
للسيوطي ص 32.

(1) أخرجه ابن بطة في إبطال الحيل 1/74 (73) ، والبيهقي في المدخل 2/177 ، وابن عساكر في تاريخ
دمشق 38/411.

(2) آداب الفتوى والمستفتي للنووي ، ص 35.

(3) ثقات ابن حبان 7/388 ، وقوت القلوب 1/194 ، وترتيب المدارك 1/42.

(4) هو : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ، أبو محمد : محدث الحرم المكي . من الموالى . ولد
بالكوفة ، وسكن مكة وتوفي بها . كان حافظا ثقة ، واسع العلم كبير القدر .

ترجمته في : طبقات ابن سعد 5/497 ، التاريخ الكبير 4/94 ، التاريخ الصغير 2/283 ، المرح
والتعديل 1/32 ، 54 و4/225 ، حلية الأولياء 7/270 ، الفهرست لابن النديم 1/226 ، تاريخ بغداد
174/9 ، صفوة الصفوة 2/130 ، وفيات الأعيان : 2/391 - 393.

(5) أخرجه الخطيب في جامع بيان العلم وفضله 3/27 عن أيوب وفي 3/28 عن سفيان وابن المبارك في
الزهد 125 عن أيوب ، وانظره في آداب الفتوى 14 عن سفيان وسُحْنُون .

فقال : حتى أدري أن الفضل في السكوت أو في الجواب ⁽¹⁾.
وعن الأثرم قال : سمعت أحمد بن حنبل يكثر أن يقول : لا أدري . وذلك
فيما عرف الأقاويل فيه ⁽²⁾.
وعن الهيثم بن حميد : شهدت مالكا سأل عن ثمان وأربعين مسألة ، فقال
في ست وثلاثين منها : لا أدري ⁽³⁾.
وعن مالك أيضا أنه ربما كان يُسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة
منها ⁽⁴⁾.
وكان يقول : مَنْ أجاب في مسألة ، فَيَبْغِي قبل الجواب أن يَعْرِضَ نفسه على
الجنة والنارِ وكيف خَلَاصُهُ ، ثم يجيب ⁽⁵⁾.
وسئل عن مسألة فقال : لا أدري فقل : هي مسألة خفيفة سهلة فغضب
وقال : ليس في العلم شيء خفيف ⁽⁶⁾.
وقال الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ - : ما رأيتُ أحداً جَمَعَ اللهُ تعالى فيه مِنْ آلَةِ الفتيا
ما جمع في ابنِ عُيينة أسكت منه [عن] ⁽⁷⁾ الفتيا ⁽⁸⁾.
وقال أبو حنيفة - رَحِمَهُ اللهُ - : لولا الفَرْقُ ⁽⁹⁾ من الله تعالى أن يَضِيعَ العلمُ ما

(1) آداب الفتوى 53.

(2) آداب الفتوى 53.

(3) آداب الفتوى 53.

(4) آداب الفتوى 53.

(5) آداب الفتوى 53.

(6) آداب الفتوى 53.

(7) في م : «على» ، والمثبت من مصدر التخريج

(8) آداب الفتوى 53.

(9) أي : الخوف . الوسيط (ف ر ق) .

أفتيت ؛ يَكُونُ لَهُمُ الْمَهْنَةُ وَعَلَيَّ الْوِزْرُ⁽¹⁾.

وعن مالك - رَحِمَهُ اللَّهُ - قال : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أَهْلٌ
لذلك ، وفي رواية : ما أفتيت حتى سألت مَنْ هو أعلم مني : هل يراني موضعاً
لذلك⁽²⁾؟

قال مالك : ولا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل مَنْ هو
أعلم منه⁽³⁾.



(1) آداب الفتوى 53.

(2) الموطأ برواية محمد بن الحسن 28، وحلية الأولياء 316/6، والفقيه والمتفقه 156/3.

(3) حلية الأولياء 317/6، والفقيه والمتفقه 157/3، وآداب الفتوى 36.

كتاب الإيمان

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ الآية (1).

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحدٌ حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان». ثم انطلق، فلبث ملياً ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» (2).

(1) سورة النساء، الآية: 136.

(2) أخرجه أحمد (1/51، رقم 367)، ومسلم (1/36، رقم 8)، وأبو داود (4/223، رقم 4695)، والترمذي (5/6، رقم 2610)، والنسائي (8/97، رقم 4990)، وابن ماجه (1/24، رقم 63).

وفي الصحيحين عن ابن عمر⁽¹⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ :
«قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ،
ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا
بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى»⁽²⁾.

وعن سفيان بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قلت : يا رسول الله ، قل
لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك . قال : «قل آمنت بالله ثم استقم .
رواه مسلم»⁽³⁾.

وروى الترمذي عن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «لا
يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع ؛ يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله بعثني بالحق ،
ويؤمن بالموت ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر»⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا

(1) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي المكي ثم المدني ، ولد قبل هجرة الرسول ﷺ بعشر سنوات ، أسلم صغيراً وهاجر قبل أن يحتلم مع أبيه وكان من الذين بايعوا تحت الشجرة وقد أراد أن يشترك في القتال يوم أحد فاستصغر وكان أول قتال له يوم الخندق ، وكان رضى الله عنه جريئاً في الحق يجهر به ، وكف بصره في آخر حياته وكانت وفاته بمكة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة . ترجمته عند ابن سعد الطبقات الكبرى 373/2 ، 142/4 ، ابن الأثير : أسد الغابة 340/3 .

(2) أخرجه أحمد (2/502 ، رقم 10525) ، والبخاري (2/507 ، رقم 1335) ، ومسلم (1/52 ، رقم 21) ، وأبو داود (3/44 ، رقم 2640) ، والترمذي (5/3 ، رقم 2606) وقال : حسن صحيح . والنسائي (7/77 ، رقم 3971) ، وابن ماجه (2/1295 ، رقم 3927) من حديث أبي هريرة .

(3) أخرجه مسلم 47/1 (38) .

(4) أخرجه الترمذي (4/452 ، رقم 2145) ، وأحمد (1/97 ، رقم 758) ، وابن ماجه (1/32 ، رقم 81) ، والحاكم (1/87 ، رقم 92) . وأخرجه الطيالسي (ص 17 ، رقم 106) ، وأبو يعلى (1/438 ، رقم 583) .

الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان»⁽¹⁾.
وقال : «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»⁽²⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ثلاثة من أصل الإيمان ؛ الكف عمن قال لا إله إلا الله . لا تكفره بذنوب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل ، والجهاد ماض مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والإيمان بالأقدار»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه ، إلا حرمه الله على النار»⁽⁴⁾. يعني : حرم عليه الخلود فيها .
قال الشيخ محي الدين النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل ، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الشرك ولو عمل من أعمال البر ما عمل⁽⁵⁾.

(1) أخرجه أحمد (2/414، رقم 9350) ، ومسلم (1/63، رقم 35) ، وأبو داود (4/219، رقم 4676) ، والنسائي (8/110، رقم 5005) ، وابن ماجه (1/22، رقم 57) ، وابن حبان (1/384، رقم 166) من حديث أبي هريرة .

(2) أخرجه أحمد (5/313، رقم 22727) ، والبخاري (3/1267، رقم 3252) ، ومسلم (1/57، رقم 28) ، وابن حبان (1/431، رقم 202) ، والنسائي (6/331، رقم 11132) .

(3) أخرجه أبو داود (3/18، رقم 2532) ، والبيهقي (9/156، رقم 18261) ، وسعيد بن منصور (2/176، رقم 2367) . وأبو يعلى (7/287، رقم 4311) ، والديلمي (2/86، رقم 2465) .

(4) أخرجه أحمد (4/16، رقم 16263) ، وابن حبان (1/444، رقم 212) ، والطبراني (5/49، رقم 4556) ، والطيالسي (ص 182، رقم 1291) ، والبزار كما في كشف الأستار (4/206، رقم 3534) .

(5) شرح صحيح مسلم 4/1.

باب الإيمان بالقدر

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤٩). وقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦). وقال تعالى : ﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلا هَادِيَ لَكُمْ ﴾ (٣). وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (٤).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء » (٥).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » (٦).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم » (٧).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال وما أكتب فقال القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد » (٨).

عن أبي خزيمة عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، أرأيت رقي نسترقها

(1) سورة القمر ، الآية : 49.

(2) سورة الصافات ، الآية : 96.

(3) سورة الأعراف ، الآية : 186.

(4) سورة الإنسان ، الآية : 30.

(5) أخرجه مسلم (4/2044 ، رقم 2653) ، والخطيب (2/252 ، رقم 721) .

(6) أخرجه أحمد (2/110 ، رقم 5893) ، ومسلم (4/2045 ، رقم 2655) .

(7) أخرجه أحمد (5/335 ، رقم 22886) ، والبخاري (6/2436 ، رقم 6233) ، وابن حبان (14/50 ، رقم

6175) والطبراني (6/143 ، رقم 5784) .

(8) أخرجه الطيالسي (ص 79 ، رقم 577) ، والترمذي (4/457 ، رقم 2155) وقال : غريب ، والضياء (8/

351 ، رقم 429) .

ودواء ننداوي به وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال : «هي من قدر الله» (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأبيض والأحمر والأسود والأصفر ، وبين ذلك السهل والحزن» (2) والخبيث والطيب» (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب ؛ الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت ليعزَّ مَنْ أذلَّ الله ، ويُذلَّ مَنْ أعزَّ الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والتارك لسنتي» (4).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن الله - جل ثناؤه - يقول : أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير وقدرته ، فطوبى لمن خلقته للخير وخلقت الخير له ، وأجريت الخير على يديه ، أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدرته ، فويل لمن خلقت الشر له وخلقته للشر ، وأجريت الشر على يديه» (5).

وعن عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : اللهم

(1) أخرجه ابن حبان (465/13)، رقم 6100 .

(2) السهل : الذى فيه رفق ولين . والحزن : الذى فيه عنف وغلظة .

(3) أخرجه أحمد (406/4)، رقم 19659 ، وأبو داود (222/4)، رقم 4693 ، والترمذي (204/5)، رقم 2955 وقال : حسن صحيح . والحاكم (288/2)، رقم 3037 وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (3/9)، رقم 17486 ، وابن سعد (26/1)، وعبد بن حميد (ص 193، رقم 549)، والبرار (42/8)، رقم 3026 ، والرويانى (356/1 رقم 547)، وابن حبان (29/14)، رقم 6160 ، وأبو الشيخ (5/1544، رقم 10021) .

(4) أخرجه الطبراني (43/17)، رقم 89 .

(5) أخرجه البيهقي فى الاعتقاد (145/1)، والرافعى (89/4) .

متعني بزوجي رسول الله ﷺ ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية . فقال لها النبي ﷺ : «قد دعوت الله بآجال معلومة ، وأرزاق مقسومة ، وآثار مبلوغة ، لا يعجل شيء منها قبل حلها ، ولا يؤخر شيء منها بعد حلها ، فلو دعوت الله أن يعافيك ، أو سألت الله أن يعيدك أو يعافيك من عذاب في النار أو عذاب في القبر ، لكان خيرا ، أو لكان أفضل»⁽¹⁾.

وروى البيهقي عن الربيع أنه قال : سئل الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ - عن القدر ، فأنشأ يقول⁽²⁾ : [من المتقارب]

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ	وَمَا شِئْتَ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ	فَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسْنُ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ	وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ	وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ



(1) أخرجه الحاكم في المستدرک 3/234.

(2) السنن الكبرى 2/104 ، وطبقات السبكي 1/210.

باب الاعتصام بالكتاب والسنة

قال الله تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽¹⁾. قال ابن عباس : معناه تمسكوا بدين الله⁽²⁾. وقال قتادة والسدي : حبل الله القرآن⁽³⁾. وروي عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ ، وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، وَعَصَمَةُ مَنْ تَمَسَكَ بِهِ وَنَجَاةٌ مِنْ تَبَعِهِ»⁽⁴⁾.

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾⁽⁵⁾. قال الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : سمعتُ بعضَ من أَرْضِي من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله ﷺ⁽⁶⁾.

وقال تعالى : ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَزُدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾⁽⁷⁾. قال الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - : يعني إن اختلفتم في شيء فردوه إلى الله والرسول . يعني - والله أعلم - إلى ما قال الله والرسول⁽⁸⁾.

(1) سورة آل عمران ، الآية : 103.

(2) تفسير البغوي 87/2 ، وزاد المسير 402/4.

(3) تفسير الطبري 72/7 ، وتفسير ابن كثير 89//2 ، والدر المنثور 284/2.

(4) أخرجه ابن أبي شيبة 6/125.

(5) سورة آل عمران ، الآية : 164.

(6) أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار 4/1 ، والبغداد في الفقيه والمتفقه 284/1.

(7) سورة النساء ، الآية : 59.

(8) أخرجه البيهقي في الاعتقاد 230.

وقال البيهقي⁽¹⁾: وروينا عن ميمون بن مهران أنه قال في هذه الآية : الرد إلى الله الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول إذا قبض ما ليس منه فهو رد . رواه البخاري ومسلم . وفي رواية لمسلم : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»⁽²⁾ . وعن العرباض بن سارية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» . رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح⁽³⁾ .

قوله : «عضوا عليها بالنواجذ» . أي : اجتهدوا على السنة والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتَفَلُّثِهِ ، والنواجذ - بالنون والجيم والذال المعجمة - هي الأنياب وقيل الأضراس .

وعن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قال : «أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة»⁽⁴⁾ .

(1) الاعتقاد 230.

(2) مسلم (3/1343 ، رقم 1718) .

(4) أخرجه أحمد (4/126 ، رقم 17184) ، وأبو داود (4/200 ، رقم 4607) ، والترمذي (5/44 ، رقم 2676) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (1/15 ، رقم 42) ، والحاكم (1/174 ، رقم 329) وقال : صحيح ليس له علة . والبيهقي (10/114 ، رقم 20125) ، وابن حبان (1/178 ، رقم 5) ، والدارمي (1/57 ، رقم 95) .

(3) أخرجه أحمد (3/310 ، رقم 14373) ، ومسلم (2/592 ، رقم 867) ، والنسائي (3/188 ، رقم=

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « من أحيا سنة قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الإثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا » (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تزال أمة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تجتمع هذه الأمة - أو قال : أمة محمد ﷺ - على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ في النار » (4).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد » (5).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « من أكل طيبا ، وعمل في سنة ، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » فقال رجل : يا رسول الله ، إن هذا اليوم في الناس لكثير ! قال : « وسيكون في قرون بعدي » (6).

= (1578) ، وابن ماجه (1/ 17) ، رقم (45) .

(1) أخرجه الخطيب (4/ 368) ، وابن أبي عاصم (1/ 12) ، رقم (15) .

(2) أخرجه الترمذي (5/ 45) ، رقم (2677) وقال : حسن . وابن ماجه (1/ 76) ، رقم (209) .

(3) أخرجه أحمد (4/ 101) ، رقم (16974) ، وأبو يعلى (13/ 375) ، رقم (7383) ، وابن عساكر (1/ 261) .

(4) أخرجه الحاكم (1/ 202) ، رقم (398) .

(5) أخرجه الطبراني في الأوسط (5/ 315) ، رقم (5414) ، وأبو نعيم في الحلية (8/ 200) .

(6) أخرجه الترمذي (4/ 669) ، رقم (2520) وقال : غريب . والحاكم (4/ 117) ، رقم (7073) وقال : صحيح

الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 54) ، رقم (5752) ، وهناد (2/ 548) ، رقم (1136) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من أمة ابتدعت بعد نبيا في دينها بدعة إلا أضاعت مثلها من السنة»⁽¹⁾.

وقال : «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»⁽²⁾.

وقال : «من رغب عن سنتي فليس مني»⁽³⁾.

وقال : «إن الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي» . رواه الترمذي⁽⁴⁾.

وقال : «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»⁽⁵⁾. قال ابن المديني : وهم أصحاب الحديث⁽⁶⁾. رواه الترمذي .

(1) أخرجه الطبراني (99/18 ، رقم 178) .

(2) أخرجه ابن ماجه (19/1 ، رقم 50) .

(3) أخرجه البخاري (5/1949 ، رقم 4776) ، وابن حبان (2/20 ، رقم 317) ، والبيهقي (7/77 ، رقم 13226) .

(4) الترمذي (5/18 ، رقم 2629) وقال : حسن صحيح غريب . أخرجه أيضا مسلم (1/130 ، رقم 145) ، وابن ماجه (2/1319 ، رقم 3986) ، وأبو يعلى (11/52 ، رقم 6190) .

(5) أخرجه ابن أبي شيبة (6/409 ، رقم 32460) وأحمد (3/436 ، رقم 15635) ، والترمذي (4/485 ، رقم 2192) وقال : حسن صحيح ، والطبراني (19/27 ، رقم 55 ، 56) ، وابن حبان (16/292 ، رقم 7302) . والطيالسي (ص 145 ، رقم 1076) والرواني (2/128 ، رقم 946) .

(6) أصحاب الحديث هم المتمسكون بالكتاب وآثار النبي ﷺ نصا لا تأويلا ، وقد سمو أصحاب الحديث لأن عنايتهم متجهة إلى تحصيل الأحاديث ونقل الأخبار النبوية وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبرا أو أثرا ، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين وكان أولى الناس بهذا الاسم وأحقهم بهذا الوسم «أصحاب الحديث» كما يقول اللالكائي فهؤلاء يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله وشهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقله العدول الثقات ؛ فلا يعتقدون تشبيهها لصفاته بصفات خلقه ، ولا يكيّفونها تكييف المشبه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه (نسأل الله أن يجعلنا منهم =

وقال : « ما أحدث قوم بدعة إلا رفع الله مثلها من السنة » . رواه أحمد ⁽¹⁾ .
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نزل القرآن على خمسة أوجه ؛ حلال وحرام ومحكم
 ومتشابه وأمثال ، فأحلّوا الحلال ، وحزّموا الحرام ، واعمّلوا بالمحكم ، وآمنوا بالمتشابه
 واعتبروا بالأمثال » ⁽²⁾ .

وعن الحسن عن النبي ﷺ : « عمل قليل في سُنَّةٍ خير من عمل كثير في
 بدعة » ⁽³⁾ .

وقال الحسن - رَحِمَهُ اللَّهُ - : لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا
 حجة ولا عمرة حتى يدعها ⁽⁴⁾ .

وقال محمد بن مسلم : من وقّر صا حبّ بدعةٍ فقد أعان على هدم
 الإسلام ⁽⁵⁾ .

وقال ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس
 حَسَنَةً ⁽⁶⁾ .

وقال الفضيل بن عياض - رَحِمَهُ اللَّهُ - : اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة
 السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة السالكين ⁽⁷⁾ .

=بمنه وكرمه . اللالكائي (هبة الله ابن الحسن بن منصور) : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة
 41/1 ، 42 ، ابن تيمية : مجموع الفتاوى 5/4 .

- (1) أحمد (105/4 رقم 17011) .
- (2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/427 ، رقم 2293) .
- (3) أخرجه الرافعي (257/1) .
- (4) أخرجه ابن ماجه (1/19 ، رقم 49) عن حذيفة مرفوعا .
- (5) أخرجه الطبراني في الأوسط 41/15 مرفوعا .
- (6) أخرجه ابن بطة في الإبانة 1/219 ، والبيهقي في المدخل 1/141 .
- (7) التبيان في آداب حملة القرآن 116 .

وقال أبو يزيد البسطامي⁽¹⁾ - رحمه الله - : لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات حتى تَرَبَّعَ في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة⁽²⁾.

وقال الجنيد⁽³⁾ - رَحِمَهُ اللهُ - : الطرقُ كُلُّها مسدودةٌ إلا على من اقتفى أثر الرسول⁽⁴⁾.

وقال : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر ؛ لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة⁽⁵⁾.

(1) أبو يزيد البسطامي (188 - 261هـ/804 - 875م) هو : طيفور بن عيسى البسطامي ، أبو يزيد ، ويقال بابزيد ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة . كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر . نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها ، ووفاته فيها . قال المناوي : وقد أفردت ترجمته بتصانيف حافلة . وفي المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود ، وأنه ربما كان أول قائل بمذهب الفناء Nirvana ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية . ترجمته في : الأعلام 235/3.

(2) أخرجه البيهقي في الشعب 4/376.

(3) الجنيد البغدادي (297هـ/910م) هو : الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، أبو القاسم : صوفي ، من العلماء بالدين . مولده ومنشؤه ووفاته ببغداد . أصل أبيه من نهاوند ، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير . وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز . قال أحد معاصريه : ما رأيت عينا مثله ، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه . وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد . وقال ابن الأثير في وصفه : إمام الدنيا في زمانه . وعده العلماء شيخ مذهب التصوف ، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة ، محمي الأساس من شبه الغلاة ، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع . من كلامه : طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به .

ترجمته في : الأعلام 141/2

(4) أخرجه أبو نعيم في الحلية 10/257 ، والبغدادي في الفقيه والمتفقه 1/451.

(5) الحلية 10/255 ، وروح المعاني 11/375.

وقال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : كُلُّ باطنٍ يُخالفه ظاهرٌ فهو باطلٌ⁽¹⁾.
وقال الجنيد - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - : علمنا هذا مشتبكٌ بحديث رسول الله ﷺ⁽²⁾.
وقال بعضهم : مَنْ أَمَرَ السُّنَّةَ على نفسه قولاً وفعلاً نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ ، وَمَنْ أَمَرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ⁽³⁾.



(1) القول في أغلب كتب التصوف منسوب لأبي سعيد الجزار، انظر الرسالة القشيرية 22، وطبقات الأولياء، ص 7.

(2) الرسالة القشيرية 23.

(3) الحلية 10/244، والجامع لأخلاق الراوي 1/209.

فصل فيما جاء في النهي عن البدع غير ما تقدم من الأحاديث

قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾⁽¹⁾. قال مجاهد: يعني البدع والشبهات ﴿فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾: عن طريقه ودينه الذي ارتضاه⁽²⁾. وقال تعالى : ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾⁽³⁾. أي : فلا واسطة بينهما ، فمن أخطأ الحق وقع في الضلال .

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «ما من نبي بعثه الله - عز وجل - في أمة قبل إلا كان من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم لعله أنه يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك حبة من خردل»⁽⁴⁾.

وعن أبي واقد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حُتَيْنَ ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار

(1) سورة الأنعام ، الآية : 153 .

(2) تفسير البغوي 4/ 124 .

(3) سورة يونس ، الآية : 32 .

(4) مسلم (1/ 69 ، رقم 50) . وأخرجه أيضا أحمد (1/ 458 ، رقم 4379) ، والبيهقي (10/ 90 ، رقم 19965) ، وابن منده (1/ 345 ، رقم 183) .

ذات أنواط ، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدره يعكفون حولها ، فقال النبي ﷺ : «الله أكبر ؛ هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾⁽¹⁾ . إنكم تركبون سنن من قبلكم»⁽²⁾ .

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي - رَحِمَهُ اللهُ - : انظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدره أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها .

وروي ابن وضاح عن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه أمر بقطع الشجرة التي ببيع تحتها النبي ﷺ فقطعها ؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة⁽³⁾ .



(1) سورة الأعراف ، الآية : 138 .

(2) أخرجه أحمد (5/218 ، رقم 21950) ، والطبراني (3/244 ، رقم 3292) ، والحميدي (2/375 ، رقم 848) ، وابن حبان (15/94 ، رقم 6702) .

(3) البدع لابن وضاح 108 .

فصل في أقسام البدعة

البدعة: فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله ﷺ، وهي خمسة أقسام: واجبة، ومندوبة، ومحرمة، ومكروهة، ومباحة. فمن الواجبة: نصب أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وتعلم النحو الذي يفهم منه كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ؛ لأن حفظ الشريعة واجب ولا يأتي حفظها إلا بمعرفة ذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ومن المندوبة: تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وصلاة التراويح، وكل إحسان لم يعهد في الصدر الأول. ومن المباحة: التبسط في ألوان الأطعمة ولبس الطيالة وتوسيع الأكمام. ومن المكروهة: زخرفة المساجد وتزويق المصاحف. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: أما تلحين القرآن بحيث يتغير عن الوضع العربي فالأصح أنه من البدع المحرمة. ومن المحرمة: مذهب القدرية⁽¹⁾، والحرورية⁽²⁾، والمرجئة، والمجسمة. قال الشيخ عز الدين - رَحِمَهُ اللَّهُ -: والرد على هؤلاء من البدع الواجبة. قال الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: البدع بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة⁽³⁾.

(1) القدرية مصطلح يطلقه الأشاعرة على المعتزلة لإنكارهم القول بالقدر، وأن أفعال الإنسان واقعة منه بقدرته واستطاعته المستقلة عن قدرة الله تعالى، وهم يقولون: لا قدر والأمر أنف. والمعتزلة يهتمون الأشاعرة بأنهم أولى بأن يسموا بالقدرية لقولهم: إن الإنسان ليس خالقاً فعله، وإنما تقع أفعاله بقدرته الله تعالى، والعبد ليس خالقاً لها، وأول من قال بنقي القدر هو معبد الجهني على الأرجح، وتبعه على هذا القول غيلان الدمشقي المقتول في عهد عبد الملك بن مروان، وأشار أبو الحسن الأشعري في المقالات إلى أن بعض الرافضة تابعوا المعتزلة في القول بالقدر. انظر عنهم مقالات الإسلاميين 1/ 105، والفرق بين الفرق ص 170، وشرح النووي على صحيح مسلم 1/ 150.

(2) يسمون الحرورية لنزولهم بحرواء (قرية) في أول أمرهم سماهم بذلك أمير المؤمنين ويسمون الشراة على زعمهم أنهم باعوا الدنيا بالآخرة.

(3) الحلية 9/ 113، وجامع العلوم والحكم 1/ 267.

صلى الله
عليه
وسلم

كتاب فضل النبي
وما خصه الله به من الكرامات
وبيان وجوب محبته وتعظيمه
وذكر معجزاته وأخلاقه
وفضل الصلاة عليه

وفيه ستة أبواب :

الباب الأول

في فضله وبيان ما خصه الله من الكرامات

قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾⁽¹⁾. فقلوله تعالى : ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي تعرفون حسبته ونسبه .

قال السدي : من العرب من بني إسماعيل⁽²⁾.

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : ليس من العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ ، وله فيهم نسب⁽³⁾.

قال جعفر بن محمد الصادق⁽⁴⁾ : لم يصبه شيء من سفاح الجاهلية من زمان آدم عليه السلام ، وكان رسول الله ﷺ يقول : «خرجت من نكاح لم أخرج من سفاح»⁽⁵⁾.

وعن ابن عباس والزهري وابن محيصة (من أَنْفُسِكُمْ) بفتح الفاء ، أي : من أشرفكم وأفضلكم⁽⁶⁾.

(1) سورة التوبة ، الآية : 128 .

(1) تفسير البغوي 4 / 115 .

(2) تفسير البغوي 4 / 115 .

(3) جعفر بن محمد بن علي ، ولد سنة ثمانين ورأى بعض الصحابة ، وكان غابداً مؤثراً للعلزة ولُقِّبَ بالصادق لصدقه ، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة . ترجمته عند ابن خلكان : وفيات الأعيان 1 / 327 ، والذهبي : ميزان الاعتدال 1 / 414 .

(4) أخرجه ابن سعد (60/1) .

(5) تفسير البغوي 4 / 115 ، وتفسير القرطبي 8 / 301 .

وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ . أي: ما أضرب بكم في دنياكم وأخرتكم. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ . أي: على هدايتكم، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾: أعطاه الله اسمين من أسمائه لفضله عنده.

ومن فضائله: أن الله قرن اسمه مع اسمه، ورفع ذكره في التأذين مع ذكره؛ قال الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (١). ووضع به الأغلال والآصار التي كانت على العباد، فقال ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (٢). وخاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة، فقال ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ﴾، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾. وقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٣). أقسم تعالى بمدة حياته، وأصله بضم العين من العمر، ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال، ومعناه: وبقائك يا محمد.

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : ما خلق الله تعالى، ولا ذراً، ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحد غيره، وقال الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤). أي: لجميع الخلق للمؤمنين بالهداية، وللمنافقين بالأمان من القتل، وللكافرين بتأخير العذاب، ولأنهم عرفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة (٥).

وحكي أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «هل أصابك من هذه الرحمة شيء». قال: نعم، كنت أخشى العاقبة، فأمنت لثناء الله - عز وجل - عليّ

(1) سورة الشرح، الآية: 4.

(2) سورة الأعراف، الآية: 157.

(3) سورة الحجر، الآية: 72.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(5) مختصر تاريخ دمشق 1/ 157، وأحكام القرآن 5/ 130، والإتقان 1/ 389.

بقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ (1).

وروى الترمذي عن أبي موسى (2) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ أَمَانِينَ لِأُمَّتِي ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (3) فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار» (4).

وقال ثابت البناني (5) - رَحِمَهُ اللَّهُ - : كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يلبس ويتزين ، فلما مات النبي ﷺ اجتهد الشاب وشمر في العبادة ، فقليل له : لو فعلت هذا في حياة رسول الله ﷺ لقرت عيناه بك . فقال : كان لي أمانان فمضى أحدهما ، فلم يبق إلا الآخر ؛ قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ . وقد مات رسول الله ﷺ ، فلم يبق إلا الاستغفار والاجتهاد (6).

(1) كشف الخفاء 2/ 332.

(2) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب التميمي المقرئ ، صاحب رسول الله ﷺ أسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ ، كما أقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين ، جاهد مع النبي ﷺ فكان أول مشاهده خير وحمل علما كثيرا ، وولي إمرة الكوفة والبصرة لعمر بن الخطاب ، مات رضى الله عنه سنة اثنتين وأربعين . ترجمته عند ابن سعد : الطبقات الكبرى 2/ 344 ، الذهبي : سير أعلام النبلاء 21/ 380.

(3) سورة الأنفال ، الآية : 33.

(4) أخرجه الترمذي (5/ 270 ، رقم 3082) .

(5) هو : الامام القدوة شيخ الإسلام أبو محمد البناني ، مولاهم البصري ، وبنانة هم بنو سعد بن لؤي بن غالب ، ويقال : هم بنو سعد بن ضبيعة بن نزار . ولد في خلافة معاوية . ترجمته في : طبقات ابن سعد 7/ 232 ، طبقات خليفة (214) ، والتاريخ الكبير 2/ 159 ، 160 ، والتاريخ الصغير 1/ 318 ، 319 ، وحلية الأولياء 3/ 180 ، وطبقات الحفاظ 49 ، وشذرات الذهب 1/ 149.

(6) تفسير القرطبي 7/ 399.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أنا أمان لأصحابي»⁽¹⁾. قيل : من البدع ، وقيل : من الاختلاف والفتن ، وقال بعضهم : الرسول ﷺ هو الأمان الأعظم ما عاش ، وما دامت سنته باقية فهو باق ، فإذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن .

وقال الله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾⁽²⁾ . قدم صدق هو محمد ﷺ يشفع لهم عند ربهم ، وقيل : هي شفاعة نبيهم ، وهو شفيع صدق عند ربهم ، وقال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ الآية⁽³⁾ .

قال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لم يبعث الله نبياً - من آدم فمن بعده - إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ : لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه ، وبأخذ بذلك العهد على قومه⁽⁴⁾ .

وقيل : إن حروف ﴿كَهَيْعَصَ﴾^(١) من كفاية الله تعالى لنبيه ﷺ وهدايته وتأييده وعصمته وصلاته ؛ قال الله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾⁽⁵⁾ . ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾⁽⁶⁾ ، و﴿أَيَّدَكَ بِنُصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁷⁾ ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾⁽⁸⁾ .

(1) أخرجه الحاكم (2/486 ، رقم 3676) .

(2) سورة يونس ، الآية : 2 .

(3) سورة آل عمران ، الآية : 81 .

(4) تفسير الطبري 6/555 ، والدر المنثور 2/371 .

(5) سورة الزمر ، الآية : 36 .

(6) سورة الفتح ، الآية : 2 .

(7) سورة الأنفال ، الآية : 62 .

(8) سورة المائدة ، الآية : 67 .

الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١﴾. وقال الله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (2). قال ابن عباس : هادي أهل السموات والأرض ، فهم بنوره إلى الحق يهتدون ، وبهده من حيرة الضلال ينجون ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ . أي : نور الله عز وجل في قلب المؤمن (3). وقال سعيد بن جبير والضحاك : هو محمد ﷺ (4).

روى أن ابن عباس قال لكعب الأحبار : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ . قال كعب : هذا مثل ضربه الله لنبيه محمد ﷺ ؛ فالمشكاة صدره ، والزجاجة قلبه ، والمصباح فيه النبوة . ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ . هي شجرة النبوة . ﴿يَكَادُ﴾ نور محمد ﷺ وأمره يتبين للناس ، ولو لم يتكلم أنه نبي ، كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسه نار (5).

وروى سالم عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - في هذه الآية قال : المشكاة جوف محمد ﷺ ، والزجاجة قلبه ، والمصباح النور الذي جعله الله فيه ﴿لَا شَرْفِيَّةَ وَلَا عَرَبِيَّةَ﴾ لا يهودي ولا نصراني ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ إبراهيم ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد عليهما الصلاة والسلام (6).

وقال محمد بن كعب القرظي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : المشكاة إبراهيم ، والزجاجة إسماعيل ، والمصباح محمد ﷺ ، سماه الله مصباحا ، كما سماه سراجا ،

(1) سورة الأحزاب ، الآية : 56.

(2) سورة النور ، الآية : 35.

(3) تفسير الطبري 19/ 177 ، وتفسير البغوي 6/ 45.

(4) الدر المنثور 8/ 254.

(8) تفسير القرطبي 12/ 260 ، وتفسير البغوي 6/ 48.

(5) تفسير القرطبي 12/ 263 ، وتفسير البغوي 6/ 48 ، والدر المنثور 7/ 301.

فقال: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾⁽¹⁾. ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ وهي إبراهيم عليه السلام، وسماه مباركا؛ لأن أكثر الأنبياء من صلبه ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ ولا غربية يعني: إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما؛ لأن اليهود تصلي قِبَلَ المغرب، والنصارى قِبَلَ المشرق ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ تكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن يوحى إليه ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نبي من نبي نور محمد على نور إبراهيم عليهما السلام. وقال الله عز وجل ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾⁽²⁾. أي: شاهد للرسول بالتبليغ، ومبشرا لمن آمن بالجنة، ونذيرا لمن كذب بالنار، وداعيا إلى الله؛ إلى توحيده وطاعته بإذنه بأمره، وسراجا منيرا؛ لأنه يهتدي به كالسراج يستضاء به في الظلمة⁽³⁾.

وقيل: معناه شاهدا بواحدانيتنا، ومبشرا برحمتنا، ونذيرا بنقمتنا، وداعيا إلى عبادتنا، وسراجا حجة ظاهرة لحضرتنا، وقيل: شاهدا لنا فلا يرى إلا إيانا، ومبشرا للمحسنين برضانا، ونذيرا للعصاة بعقابنا، وداعيا الخلق إلى بابنا، وسراجا هاديا لهم إلى أنوار الأنس منيرا عليهم ظلمات النفس.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾⁽⁴⁾ لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. قيل: المتقدم ما كان قبل النبوة، والمتأخر عصمتك بعدها، وقيل: المراد به ذنوب أمته ﷺ.

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وعلى هذا يكون المراد الغفران لبعضهم أو

(1) سورة الأحزاب، الآية: 46.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 45.

(3) تفسير القرطبي 12/263، وتفسير البغوي 6/48.

(4) سورة الفتح، الآيتان: 1، 2.

سلامتهم من الخلود في النار . وقيل : المراد ما وقع منه ﷺ عن سهو وتأويل .
وقيل : ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك . وقيل : المراد أنه مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب لو كان . وقيل : هو تنزيه له من الذنوب (1).

وقال بعضهم : من خصائص نبيا ﷺ ، أن الله تعالى أخبره أنه غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولم يُنقل أنه أخبر أحدًا من الأنبياء عليهم السلام بمثل
ذلك ، بل الظاهر أنه لم يخبرهم ؛ لأن كل واحد منهم إذا طلب منه الشفاعة في
الموقف ذكر خطيئته التي قد أصاب وقال : نفسي نفسي . ولو علم كل واحد
منهم بغفران خطيئته لم يوجل منها في ذلك المقام ، فإذا استشفعت الخلائق بالنبي
ﷺ في ذلك المقام قال : أنا لها . قال المفسرون : سألت اليهود رسول الله ﷺ
عن ذي القرنين ، وأصحاب الكهف ، وعن الروح ، فقال : سأخبركم غدا . ولم
يقبل : إن شاء الله . فاحتبس عنه الوحي ، قيل : خمسة عشر يوما ، وقيل :
أربعين . فقال المشركون : ودعه ربه وقلاه ، فأنزل الله : ﴿ وَالْضُّحَى ﴾ . أقسم
بالضحى وأراد النهار كله ؛ لأنه قابله بالليل ، وقيل : أراد وقت ارتفاع الشمس
﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ . قيل : أقبل بظلامه ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ أي :
ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك ﴿ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ .
قال عليه الصلاة والسلام : «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا» (2).
﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ . قيل : الشفاعة في أمته حتى يرضى . روى
عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : «اللهم
أمتي أمتي» وبكى ، فقال الله يا : جبريل ، اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك
في أمتك ولا نسوؤك (3).

(1) شرح صحيح مسلم 1/ 388.

(2) أخرجه ابن ماجه (2/ 1366 ، رقم 4082) ، والحاكم (4/ 511 ، رقم 8434) .

(3) أخرجه الطبراني في الكبير 20/ 136.

وقال أبو جعفر محمد بن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إنكم معشر أهل العراق تقولون: أرجى آية في القرآن: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾. وإنا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾⁽²⁾. ثم ذكر الله تعالى حاله قبل الوحي وذكره نعمته عليه فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾⁽³⁾. أي: صغيراً فقيراً حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى، فجعل لك مأوى تأوي إليه، وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عما أنت عليه اليوم فهداك لتوحيده ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾⁽⁴⁾. أي: فقيراً فأغناك بمال خديجة، ثم بالغنائم وقيل: فرضاك بما أعطاك من الرزق، وهو المختار إذا ذاك حقيقة الغنى، قال عليه الصلاة والسلام: «ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس»⁽⁵⁾. ثم أوصاه باليتامى والفقراء فقال فأما اليتيم فلا تقهر⁽⁶⁾.

قال مجاهد: لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيماً⁽⁷⁾.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾⁽⁸⁾. قالوا: يريد السائل على الباب بقول لا تزجره إذا سألَكَ، فقد كنت فقيراً، فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردّاً لنا. قال إبراهيم بن أدهم - رَحِمَهُ اللَّهُ - نعم القوم السُّؤالُ يحملون زادنا إلى الآخرة⁽⁹⁾.

(1) سورة الزمر، الآية: 53.

(2) سورة الضحى، الآية: 5.

(3) أخرجه أحمد (2/243، رقم 7314)، وهناد في الزهد (1/339)، والبخاري (5/2368، رقم 6081)، ومسلم (2/726، رقم 1051)، والترمذي (4/586، رقم 2373) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه

(2/1386، رقم 4137).

(4) تفسير البغوي 6/455، والإحياء 3/249، وقوت القلوب 299.

(5) تفسير البغوي 8/457.

(6) تفسير القرطبي 20/101، وتفسير البغوي 8/458، والحلية 8/32.

وقيل: السائل طالب العلم ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١). قيل: يعني النبوة، أي: بلغ ما أرسلت به وحدّث بالنبوة التي أتاك الله تعالى، وقيل: القرآن؛ أمره أن يقرأه، وقيل: فاشكر، والتحدث بنعمة الله تعالى شكر؛ قال رسول الله عليه وسلم: «التحدث بنعمة الله تعالى شكر وتركه كفر» (١). وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٢). أي: نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (٣). قيل: معناه حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، وقيل: الخطأ والسهو، وقيل: ذنوب أمتك، فأضافها إليه لاشتغال قلبه بها ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ثَقْلَكَ﴾ (٤) وأوهنه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٥). روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية قال: «قال الله عز وجل إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي» (٢).

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يريد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر، ولو أن عبداً عبد الله تعالى وصدّقه في كل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافراً (٣). وقال: قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا مُتَشَهِّد ولا صاحب صلاة إلا ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله (٤).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في فضيلة الشكر (١/ 62، رقم 82)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ 102، رقم 4419).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (1349).

(٣) تفسير البغوي 8/ 464.

(٤) تفسير الطبري 24/ 494، وتفسير البغوي 8/ 464، ودلائل النبوة 8/ 112.

ويقال : معناه جعلتُ تمامَ الإيمانِ بذكرِكَ معي ، ويقال : جعلتُكَ ذِكْرًا من ذكري ، فمن ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي ، ومن أثبتَكَ أثبتَنِي ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَمَا عَرَفَنِي .

ثم وعده اليسر بعد العسر ، وذلك أنه كان بمكة في شدة ، فقال : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ . أي : مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء ، بأن نُظهِرَكَ عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ . كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ ٧ قيل : معناه فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب إليه في المسألة يعطك .

وفي الصحيحين عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ؛ نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ ، وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وَبَعَثَ إِلَى النَّاسِ عَامَةً» (1) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كَنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قَرِيشًا مِنْ كَنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قَرِيشَ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» (2) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَنَا سَيِّدُ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَبِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمئِذٍ - آدَمَ فَمِنْ سِوَاهُ - إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ

(1) البخاري (1/128 ، رقم 328) ، ومسلم (1/370 ، رقم 521) ، والنسائي (1/209 ، رقم 432) ، وأبو عوانة (1/330 ، رقم 1173) ، وابن حبان (14/308 ، رقم 6398) .

(2) أخرجه مسلم (4/1782 ، رقم 2276) ، والترمذي (5/583 ، رقم 3606) وقال : حسن صحيح غريب ، وأحمد (4/107 ، رقم 17027) ، وأبو يعلى (13/469 ، رقم 7485) ، والخطيب (13/64) .

تنشق عنه الأرض ولا فخر»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر أنا وأول شافع وأول مشفع»⁽²⁾.

سؤال: إن قيل: ما معنى قوله: «يوم القيامة». مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة؟ قيل: سبب التقييد أنه في يوم القيامة يظهر سُودُّهُ لكل أحد، ولا يبقى منازع بخلاف الدنيا، فقد نازعه ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا قريب من معنى قوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾⁽³⁾.

قال العلماء: ولم يقل هذا فخرا، بل صرح بنفي الفخر في حديث آخر، وإنما قاله لوجهين: أحدهما: امتثال قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾⁽⁴⁾. الثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه.

وأما الحديث لآخر: «لا تفضلوا بين الأنبياء»⁽⁴⁾. فجوابه: من خمسة أوجه: أحدها: أنه قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به. الثاني: قاله أدبا وتواضعا.

الثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى نقض المفضل.

الرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة، كما هو مشهور في

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (6/317، رقم 31728)، ومسلم (4/1782، رقم 2278)، وأبو داود (4/218، رقم 4673)، وأحمد (2/540، رقم 10985).

(2) أخرجه الطبراني (13/161، رقم 399)، وأبو يعلى (13/480، رقم 7493).

(3) سورة غافر، الآية: 16.

(4) أخرجه أحمد (3/40، رقم 11383)، والبخاري (2/850، رقم 2281)، ومسلم (4/1845، رقم 2374)، وابن حبان (14/130، رقم 6237).

سبب الحديث .

الخامس: أن النهي يختص بالفضل في نفس النبوة ولا تفاضل فيها ، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ، فلا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبيننا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي»⁽¹⁾ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «نحن الآخرون ، ونحن السابقون يوم القيامة ، وإنني قائل قولاً غير فخر : إبراهيم خليل الله ، وموسى صفى الله ، وأنا حبيب الله ومعى لواء الحمد يوم القيامة ، وإن الله - عز وجل - وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث ؛ لا يعمهم بسنة ، ولا يستأصلهم عدو ، ولا يجمعهم على ضلالة»⁽²⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أنا قائد المرسلين ولا فخر ، وأنا خاتم النبيين ، ولا فخر ، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر»⁽³⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ، ولواء الحمد حينئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ، يطوف علي ألف خادم كأنهن بيض مكنون أو لؤلؤ منشور»⁽⁴⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لي خمسة أسماء ؛ أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا

(1) أخرجه البخارى (3/1087 ، رقم 2815) ، ومسلم (1/371 ، رقم 523) ، والنسائى (6/3 ، رقم 3087) . وأخرجه أيضاً : أحمد (2/264 ، رقم 7575) ، وابن حبان (14/277 ، رقم 6363) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (1/161 ، رقم 139) .

(2) أخرجه الدارمى (1/42 ، رقم 54) .

(3) أخرجه الدارمى (1/40 ، رقم 49) ، والطبرانى فى الأوسط (1/61 ، رقم 170) .

(4) أخرجه الدارمى (1/39 ، رقم 48) ، والترمذى (5/585 ، رقم 3610) .

الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب»⁽¹⁾ . وهو الذي ليس بعده نبي .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الْخَلْقَ قَسَمَيْنِ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قَسَمًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ ، فَأَنَا مِنَ الْيَمِينِ ، وَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَسَمَيْنِ أَثْلَاثًا ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا ثَلَاثًا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ : أَصْحَابُ الْمِئْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشَاةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، فَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ وَأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ ، ثُمَّ جَعَلَ الْأَثْلَاثَ قِبَالًا ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا قَبِيلَةً ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ . فَأَنَا أَتْقَى وَلَدَ آدَمَ وَأَكْرَمَكُمْ عَلَى اللَّهِ وَلَا فَخْرَ ، ثُمَّ جَعَلَ الْقِبَالَ بِيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا بَيْتًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»⁽²⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طَيْبَتِهِ وَدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ وَبَشَارَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»⁽³⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِذْ عَلَى الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ أَيْدَتُهُ بَعْلِي»⁽⁴⁾ .

وقيل : إن آدم عليه السلام قال عند معصيته : اللهم بحق محمد اغفر لي ذنبي . فقال الله تعالى : من أين عرفت محمدًا؟ قال : رأيت في كل موضع من

(1) أخرجه الطبراني (123/2 ، رقم 1532) .

(2) أخرجه الطبراني (56/3 ، رقم 2674) ، والبيهقي في الدلائل (170/1) .

(3) أخرجه أحمد (128/4 ، رقم 17203) ، وابن سعد (149/1) ، والطبراني (253/18 ، رقم 631) ،

والحاكم (656/2 رقم 4175)

(4) أخرجه ابن عساكر (456/16) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (237/1 ، رقم 378) وقال : هذا

حديث لا يصح ، وأبو نعيم في الحلية (27/3) ، والديلمي (255/2 ، رقم 3187) .

الجنة مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب عليه وغفر له .

وروي أن الله تعالى لما خلق العرش كتب عليه بالنور : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فلما أخرج آدم من الجنة رأى على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة مكتوبا اسم محمد مقرونا باسم الله تعالى ، فقال : يا رب هذا محمد من هو؟ قال الله تعالى : هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك . فقال : يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد . فنودي : يا آدم لو استشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض لشفعناك فيهم⁽¹⁾.

وذكر السمنطاوي أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على أحد جنبه مكتوب : لا إله إلا الله ، وعلى الآخر : محمد رسول الله ، وحكى أن بيلاد الهند ورد أحمر مكتوب عليه بالأبيض : لا إله إلا الله محمد رسول الله⁽²⁾.

وروي عن شريح بن يونس أنه قال : إن لله ملائكة سياحين ، عبادتهم زيارة كل دار فيها أحمد أو محمد إكراما منهم لمحمد ﷺ .

وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد ، ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة . لكرامة اسمه ﷺ⁽³⁾.

وعن مالك - رَحِمَهُ اللهُ - أنه قال سمعت أهل مكة يقولون : ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا خيرا⁽⁴⁾.

وعن النبي ﷺ أنه : «قال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد أو محمدان

(1) حاشية البجيرمي 125/1.

(2) المواهب اللدنية 186/1.

(3) الخصائص لابن سبيع - كما في سبل السلام 335/6.

(4) المنتقى للباقي 421/4.

وثلاثة»⁽¹⁾.

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إن الله تعالى نظر إلى قلوب العباد فاختر منها قلب محمد ﷺ ، فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته .

ومن فضائله : ما ذكره ابن سبع أن كان نورا ، فكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل ، ويشهد له أنه ﷺ سأل الله أن يجعل في جميع أعضائه وجهاته نورا ، و ختم ذلك بقوله : «واجعلني نورا»⁽²⁾.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنه ﷺ كان يرى في الظلمة كما يرى في النور⁽³⁾.

ومن فضائله : ما روى عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : يا رسول الله ، إني أراك تدخل الخلاء ، ثم يجيء الذي يدخل بعدك فلا يرى لما يخرج منك أثرا؟! فقال : «يا عائشة أما علمت أن الله أمر الأرض أن تبتلع ما خرج من الأنبياء»⁽⁴⁾.

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قال : «من كرامتي أني ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي»⁽⁵⁾.

(1) طبقات ابن سعد 5/ 54.

(2) مسلم (1830) .

(3) فوائد التمام (1246) ، والعلل المتناهية 1/ 173.

(4) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية من طريق الدارقطني (1/ 187 ، رقم 289) ، وقال : قال الدارقطني : تفرد به محمد بن حسان قال أبو حاتم الرازي : كان كذابا . وأخرجه أيضًا : الديلمي (5/ 427 ، رقم 8632) .

(5) أخرجه الطبراني في الأوسط (6/ 188 ، رقم 6148) ، والخطيب (1/ 329) ، وابن عساكر (3/ 412) . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الصغير (2/ 145 ، رقم 936) ، قال الهيثمي (8/ 224) : فيه سفيان بن الفزاري وهو متهم به . وأبو نعيم في الحلية (3/ 24) وقال : غريب . والضياء (5/ 233 ، رقم 1864) ، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (1/ 171 ، رقم 264) .

ومن خصائصه : ما ذكره البخاري في تاريخه الكبير مرسلًا أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يتشاءب . قال مسلمة بن عبد الملك⁽¹⁾ ما تتشاءب نبي قط⁽²⁾ . وإنها من علامات النبوة . وقيل : كان لا يتمطي أيضا ؛ لأنه من عمل الشيطان . ذكره ابن سبع في شفاء الصدور ، وذكر فيه أيضا أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط ، ولم يكن القمل يؤذيه تعظيما له وتكريما وأن كل دابة ركب عليها بقيت على القدر الذي كان يركب عليها فما تهرم لبركته ﷺ .

ومن فضائله ﷺ : إيثاره أمته على نفسه بدعوته ؛ إذ جعل الله لكل نبي دعوة مستجابة ، وكل منهم عجل دعوته في الدنيا واختبا هو ﷺ دعوته شفاعة لأُمته .

ومن فضائله ﷺ : ما ذكره الإمام أبو حامد في الإحياء قال - رَجَمَهُ اللهُ - : يروى أن عمر بن الخطاب سُمع بعد موت رسول الله ﷺ يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد كان لك جذع تخطب الناس إليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن ، فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب ، فقال عز وجل : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾⁽³⁾ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضلك عنده أن بعثك في آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل :

(1) هو : مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : أمير قائد ، من أبطال عصره . من بني أمية في دمشق ، يلقب بالجرادة الصفراء . له فتوحات مشهورة .

ترجمته في الأعلام 224/7 .

(2) التاريخ الكبير 295/8 .

(3) سورة التوبة ، الآية : 43 .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ الآية (1)، بأبي أنت وأمي يا رسل الله ، لقد بلغ من فضلك عنده أن أهل النار يودّون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون : ﴿يَلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (2). بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجراً يتفجر منه الأنهار ، فما ذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله سبحانه إحياء الموتى فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت : لا تأكلني فإني مسمومة . بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (3)، ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا ، فقد وُطئ ظهرُك وأدُمي وجهُك ، وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيراً ، فقلت : «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (4). بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد اتبعك في قلة سنين وقصر عمرك ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنين وطول عمره ، ولقد آمن معك الكثير وما آمن معه إلا القليل ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لو لم تجالس إلا كفؤاً لك ما جالستنا ، ولو لم تنكح إلا كفؤك ما نكحت إلينا ، ولو لم تؤاكل إلا كفؤك ما واكلتنا ، فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا ، وواكلتنا ، ولبست الصوف ، وركبت الحمار ، وأردفت خلفك ، ووضعت طعامك بالأرض ، ولعقت أصابعك تواضعا منك ﷺ (5).

(1) سورة الأحزاب ، الآية : 7.

(2) سورة الأحزاب ، الآية : 66.

(3) سورة نوح ، الآية : 26.

(4) أخرجه ابن حبان (3/254 ، رقم 973) ، والطبراني (6/120 ، رقم 5694) ، والبيهقي في شعب الإيمان

(2/164 ، رقم 1448) ، والديلمي (1/500 ، رقم 2042) .

(5) إحياء علوم الدين 266.

ومن فضائله ﷺ ما روى أن الأرض افتخرت على السماء بفضلها ، قيل إن السماء كانت تفتخر على الأرض قبل مولده ﷺ ، فكانت تقول : إن العرش في الملائكة والشمس والقمر والنجوم ، وأنت خالية عن هذا كله ، فكانت السماء لها الفخر على الأرض إلى أن ولد نبينا صلى الله علي وسلم فافتخرت الأرض على السماء فقالت : إن كان الشمس والقمر والنجوم والملائكة فيك ، فقد ولد على ظهري نبي مبارك ، نور العرش من نوره ، وعلى ظهري مبعثه ودعوته ، على ظهري تستعمل شريعته . فسمع الله مفاخرتها على السماء بنبيه محمد ﷺ فقال : لا جرم حيث افتخرت بحبيبي محمد ﷺ جعلت تراب شرقك وغربك طهورا له ولأمته وشرقك وغربك مساجد لهم ومصلى ، فلذلك قال صلوات الله وسلامه عليه «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»⁽¹⁾.

ومن فضائله ﷺ : أنه أعطى عليًا فصًا من ياقوت وأمره لينقش عليه : لا إله إلا الله . ففعل وجاء بالفص إلى رسول الله ﷺ ، فإذا هو عليه منقوش : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فقال له النبي ﷺ : «ألم آمرك أن تنقش عليه لا إله إلا الله فلم زدت فيه محمد رسول الله؟» فقال : والذي بعثك نبيا يا رسول الله ، ما فعلت إلا ما أمرتني به . فهبط جبريل وقال : يا محمد ، إن الله يقرئك السلام ويقول لك : أحبيتنا فكتبت اسمنا ، ونحن أحبيناك فكتبنا اسمك⁽²⁾.

ومن فضائله ﷺ : أن رجلا عصى الله مائتي سنة كلها يتمرد ويجترئ عليه ، فلما مات أخذ بنو إسرائيل برجله وألقوه على مزبلة ، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن غَسِّلْهُ وَكَفِّنْهُ وَصَلِّ عَلَيْهِ في جمع بني إسرائيل ، ففعل ما أمره الله تعالى ، فتعجبت بنو إسرائيل من ذلك ، فاخبروه أنه لم يكن في بني

(1) أحمد (5/ 147 ، رقم 21352) .

(2) تحفة المحتاج شرح المنهاج 2/ 28 ، ومغني المحتاج 1/ 29 .

إسرائيل أعطى منه ولا أكثر معاص منه ، فقال : قد علمت ولكن الله أمرني بذلك ، فقالوا : فاسأل ربك . فسأل موسى ربه - عز وجل - فقال : يا رب قد علمت ما قالوا فأوحى الله إليه أن صدقوا ، إنه قد عصاني مائتي سنة إلا أنه يوما من الأيام فتح التوراة فنظر إلى اسم محمد ﷺ مكتوبا فقبله ووضع بين عينيه ، فشكرت له ذلك فغفرت له ذنوب مائتي سنة (3).

ومن فضائله ﷺ : أنه كان يستأذن رب العزة كل يوم سبعون ألف ملك ينظرون إليه في الأرض لما يعلمون من كرامته على الله عز وجل .

ومن فضائله ﷺ : ما رواه أنس بن مالك (4) عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه - عز وجل - قال : إني قد مننت عليك بسبعة أشياء ؛ أولها : أني لم أخلق في السموات والأرض أكرم علي منك ، والثاني : أن مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي كلهم مشتاقون إليك وإلى أمتك . والثالث : لم أعط أمتك مالا كثيرا حتى لا يطول عليهم الحساب . والرابع : لم أطول أعمارهم حتى لا يجتمع عليهم الذنوب الكثيرة . والخامس : لما أعطتهم من القوة كما أعطيت من قبلهم حتى لا يدعوا الربوبية كما ادعت الأمم السابقة . والسادس : أخرجهم في آخر الزمان حتى لا يطول مكثهم تحت التراب . والسابع : لا أعاقب أمتك

(1) قوت القلوب 494.

(2) هو : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري ، أبو ثمامة أو أبو حمزة : صاحب رسول الله ﷺ وخادمه . روى عنه رجال الحديث 2286 حديثا . مولده بالمدينة وأسلم صغيرا وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض . ثم رحل إلى دمشق ، ومنها إلى البصرة ، فمات فيها . وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة .

ترجمته في : طبقات ابن سعد 17/7 ، طبقات خليفة (575 ، 1455) ، المحبر 301 ، 344 ، 379 ، التاريخ الكبير 27/2 ، التاريخ الصغير 209/1 ، الاستيعاب 108/1 ، أسد الغابة 151/1 ، سير أعلام النبلاء 396/3 .

كما عاقبت بني إسرائيل إذا أصابهم دم الحيض في ثيابهم أمرت بقطعه ، ولا يجوز الغسل منه ، وإذا أذنبوا ذنبا وجدوه مكتوبا على أبوابهم⁽¹⁾.

ومن فضائله ﷺ : ما ذكره الثعلبي عن ابن عباس قال : أوحى الله - عز وجل - إلى عيسى آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولاه ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فسكن⁽²⁾.

ولما خلق الله آدم لم يكن له من يأنس به ، فألقى الله تعالى عليه النوم فنام ، فأخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر القصوى ، فخلق منه حواء ولم يحس آدم بذلك ولم يجد له ألما ، ولو ألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة قط ، ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها عند رأسه ، فلما انتبه آدم من نومه ورآها مد يده إليها ، فقالت الملائكة مه . فقال : ما لكم وقد خلقها الله تعالى لي . فقالوا : حتى تمهرها ! قال : وما مهرها؟ قالوا : أن تصلي على محمد ﷺ ثلاث مرات . فقال : ومن محمد؟ قالوا : أحسن الأنبياء من ولدك ، ولولا محمد لما خلقت .

قيل : لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض : أني خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني ، فمن أطاعني أدخلته الجنة ، ومن عصاني أدخلته النار ، ثم بعث الله إليها جبريل ليأتيه بقبضة من ترابها ، فلما أتاها قالت له : أعوذ بعزة الله أن تأخذ مني اليوم شيئا يكون فيه غدا للنار نصيب . فرجع إلى ربه ولم يأخذ شيئا ، وقال : يا رب استعاذت بك . فأمر ميكائيل فأتاها فاستعاذت منه فرجع إلى ربه ولم يأخذ شيئا ، فبعث ملك الموت فاستعاذت منه

(1) الفتاوى الحديثية لابن حجر 457.

(2) المستدرک 31/4 ، طبقات المحدثين بأصبهان 144/3 ، والسنة للخلال (324) .

فقال : وأنا أعوذ بعزته أن أعصي له أمراً فقبض قبضة من سبخها وطيبها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها ، فذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقيح ، واختلفت صورهم وألوانهم⁽¹⁾.

ثم صعد بها ملك الموت إلى الله - عز وجل - فأمره أن يجعلها طينا بالماء المر والمالح والعذب ، حتى جعلها طينا وخمرها ، فذلك اختلفت أخلاقهم ، ثم أمر جبريل أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمداً ﷺ ، فهبط جبريل في ملائكة الفردوس المقربين الكرويين وملائكة الرفيق الأعلى ، فقبض من موضع قبر رسول الله ﷺ ، ثم عجنها بطينة آدم عليه السلام ، ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا صلصا لا كالفخار ، وهو الطين اليابس الذي إذا ضربته صلصل ، ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التي تصعد وتهبط فيه أربعين سنة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾⁽²⁾. قال ابن عباس : الإنسان آدم والحين أربعون سنة⁽³⁾.

وسأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ : كيف خلق الله تعالى آدم؟ قال : خلق رأسه وجهته من تربة الكعبة ، وظهره من بيت المقدس ، وفخذه من أرض اليمن ، وساقيه من أرض مصر ، وقدميه من أرض الحجاز ، ويده اليمنى من المشرق ، ويده اليسرى من أرض المغرب ، ثم ألقاه على باب الجنة كلما مر به ملاء من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ، ولم يكونوا قبل ذلك رأوا شيئا يشبهه من الصور⁽⁴⁾.

(1) الدر المنثور 1/68.

(2) سورة الإنسان ، الآية : 1.

(3) تفسير الطبري 7/22.

(4) الديلمي (2933) .

الباب الثاني

في وجوب محبة النبي ﷺ

قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ الآية (1). فكفى بهذا دلالة على وجوب محبته ؛ إذ فزع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى : ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ وفسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» وفي رواية «من ولده ووالده والناس أجمعين» (2).

قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما : المحبة ثلاثة أقسام ؛ محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد ، ومحبة شفقة كمحبة الولد ، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس ، فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته (3).

قال ابن بطال : ومعنى الحديث : أن من استكمل الإيمان عِلِمَ أن حقَّ النبي ﷺ أكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين ؛ لأن به استتقذنا من النار وهُدِينَا من الضلال (4).

(1) سورة التوبة ، الآية : 24.

(2) أخرجه أحمد (3/ 177 ، رقم 12837) ، وعبد بن حميد (ص 355 ، رقم 1175) ، والبخاري (1/ 14) ، رقم 15) ، ومسلم (1/ 67 ، رقم 44) ، والنسائي (8/ 115 ، رقم 5014) ، وابن ماجه (1/ 26) ، رقم 67) ، والدارمي (2/ 397 ، رقم 2741) ، وابن حبان (1/ 405 ، رقم 179) .

(3) شرح النووي عي صحيح مسلم 1/ 67 ، وعمد القاري 1/ 834 .

(4) شرح النووي عي صحيح مسلم 1/ 67 ، وعمد القاري 1/ 834 .

قال القاضي : ومن محبته نصر سنته ، والذب عن شريعته ، وتمني حضور حياته ، فيبذل ماله ونفسه دونه . قال : وإذا تبين ما ذكرنا تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك ، فلا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على كل والد ولد ومحسن ومفضل ، ومن لم يعتقد ذلك واعتقد ما سواه فليس بمؤمن⁽¹⁾ .
روى البخاري أن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي . قال : «والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» . قال عمر : فإنه الآن ، والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال : «الآن يا عمر»⁽²⁾ .

وعن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : «ما أعددت لها» . قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكنني أحب الله ورسوله . قال : «أنت مع من أحببت»⁽³⁾ .
وعنه قال لي رسول الله ﷺ : «يا بني ، إن قدرت أن تصبح أو تمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل» . ثم قال : «يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة»⁽⁴⁾ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله»⁽⁵⁾ .

(1) شرح النووي عي صحيح مسلم 1/ 67 ، وعمد القاري 1/ 834 .

(2) والحاكم 3/ 516 ، رقم 5921 ، والبيهقي 8/ 383 ، رقم 3458 .

(3) أخرجه الطبراني 3/ 183 ، رقم 3061 .

(4) أخرجه الترمذی 5/ 46 ، رقم 2678 .

(5) أخرجه مسلم 4/ 2178 ، رقم 2832 ، وأحمد 2/ 417 ، رقم 9388 ، وابن حبان 16/ 214 ، رقم

(7231) .

ومن علامة محبته : الاقتداء به واستعمال سنته ، وإتباع أقواله وأفعاله ، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه .

ومنها : كثرة ذكره له ؛ فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره .

ومنها : كثرة شوقه إلى لقاءه ، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه ، روي أن ثوبان مولى النبي ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ ، قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما غير لونك؟ » فقال : يا رسول الله ، ما بي مرض ولا وجع غير أنني إذا لم أراك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة ، فأخاف ألا أراك ؛ لأنك ترفع مع النبيين ، وأنا إن أدخلت الجنة كنت أدنى منزلة من منزلتك ، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩) ﴿١﴾ .



(1) سورة النساء ، الآية : 69 ، وانظر مصنف ابن أبي شيبة 440 / 7 .

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب توقيره

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾⁽¹⁾. وقال العلماء : تعزروه تجلوه وتبالغوا في تعظيمه . قال عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ، وما كدت أن أطيق أن أُملاً عيني منه إجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما قدرت ؛ لأنني لم أكن أُملاً عيني منه⁽²⁾.

وفي حديث أسامة بن شريك : أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤسهم الطير⁽³⁾ من إجلاله وتعظيمه ، إنه لا يجوز لأحد رفع صوته فوق صوته ؛ قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾⁽⁴⁾ ولا أن ينادى باسمه ، قيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ ﴾ الآية . أي : لا تخاطبوه : يا أحمد ، يا محمد ، ولكن قولوا : يا نبي الله . يا رسول الله ؛ توقيرا له .

وقال مجاهد وقتادة في قوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾⁽⁵⁾ . أي : لا تدعوه باسمه كما يدعوا بعضكم بعضا : يا

(1) سورة الفتح ، الآيتان : 8 ، 9 .

(2) مستخرج أبي عوانة 173 / 1 .

(3) الأحاد والمثاني 285 / 4 ، والفقهاء والمتفقه 40 / 3 .

(4) سورة الحجرات ، الآية : 2 .

(5) سورة النور ، الآية : 63 .

محمد بن عبد الله . لكن فحّموه وشرّفوه ، فقولوا : يا نبي الله ، يا رسول الله .
في لين وتواضع (1).

وحكي أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور ناظر الإمام مالكا في مسجد رسول الله ﷺ ، وكان بين يدي الخليفة في ذلك اليوم خمسمائة سيف ، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ؛ فإن الله عز وجل أدّب قوماً فقال ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ الآية ، ومدح قوماً فقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (2) وذم قوماً فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ (3). وإن حرمة رسول الله ﷺ ميتا كحرمة حيا . قال : فاستكان له الخليفة وقال : يا أبا عبد الله ، أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ، بل استقبله واستشفع به ؛ قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (4).



(1) تفسير البغوي 6/ 67.

(2) سورة الحجرات ، الآية : 3.

(3) سورة الحجرات ، الآية : 4.

(4) ترتيب المدارك 1/ 67.

الباب الرابع

في معجزات نبينا محمد ﷺ

وهي كثيرة وأعلاها قدرا وأوضحها ذكرا هذا القرآن العزيز الذي عجزت الفصحاء عن معارضته ويئست العقلاء عن الإتيان بشيء من مثله .

فمن إعجازه : حسن تأليفه والتثام كلمه وفصاحته وإيجازه وبلاغته .

ومن إعجازه : حسن نظمه وأسلوبه الذي لا يشبهه نظم ولا نثر .

ومن إعجازه : ما أخبر به من المغيبات المستقبلية ، فوقع كما أخبر .

ومن إعجازه : ذكر قصص الماضين مع كون النبي ﷺ أميًا لم يقرأ الكتب ولم يخالط علماء أهل الكتاب ، وكذلك ما فيه من ذكر الملكوت الأعلى والملائكة وذكر القيامة وما فيها ، وذكر الجنة والنار ، ونحو ذلك .

ومن إعجازه : انقطاع الأطماع عن معارضته ، وعجز العقول عن مقابلته مع فصاحة أهل زمانه وشدة عداوتهم ، وما ذاقوا في القتال من أهوال النزال ، ولم تخطر المعارضة لهم ببال .

قال القاضي عياض - رَحِمَهُ اللهُ - لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية⁽¹⁾ . قال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفلهُ لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر⁽²⁾ .

(1) سورة النحل ، الآية : 90 .

(2) تفسير الطبري 24/25 ، ودلائل النبوة 2/75 .

وقال عتبة بن ربيعة⁽¹⁾ حين سمع القرآن : يا قوم ، قد علمتم أنني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته ، والله لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة⁽²⁾ . وقال النضر بن الحارث مثله .

ومن معجزاته ﷺ : أنه أسري به في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً البراق ، وجمعت له الأنبياء كلهم فصلى بهم إماماً ، ثم عُرج به من بيت المقدس إلى السماء ففتحت له كل سماء وسلم عليه من فيها من الملائكة حتى جاوز السموات السبع ووصل إلى سدره المنهى ، ثم جاوزها إلى أن وصل إلى مقام يسمع فيه صرير الأفلام ، فوقف موقف الكرامة والزلفى ، وأقيم في مقام النجوى ، وكان في قرب الأكرام كقاب قوسين أو أدنى ، فسمع خطاب العلي الأعلى ، ورأى من آيات ربه الكبرى ، وفرضت عليه الصلوات الخمس ، ثم رجع من ليلته إلى مكة ، ورَدَ بذلك القرآن وانتشرت بفضيلته الأخبار ، واستمرت على ذلك الآثار .

روي أنه ﷺ رأى في السماء الدنيا آدم ، وفي الثانية عيسى ويحيى ، وفي الثالثة يوسف ، وفي الرابعة إدريس ، وفي الخامسة هارون ، وفي السادسة موسى ،

(1) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أبو الوليد : كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية . كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل ، خطيباً ، نافذ القول . نشأ بتيمة في حجر حرب بن أمية . وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار (بين هوازن وكنانة) وقد رضي الفريقان بحكمه ، وانتهت الحرب على يده . وكان يقال : لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب ، فانهما سادا بغير مال . أدرك الإسلام ، وطغى فشده بدرًا مع المشركين . وكان ضخماً الجثة ، عظيم الهامة ، طلب خوذته يلبسها يوم «بدر» فلم يجد ما يسع هامته ، فاعتجر على رأسه بثوب له ، وقاتل قتالاً شديداً ، فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث ، فقتلوه .

ترجمته في الروض الأنف 121/1 ونسب قريش ، ص 152 ، 153 وبلوغ الأرب 241/1 ورغبة الأمل 2 : 205 ، 3 : 237 ، والأعلام 4 / 200 .

(2) تفسير الطبري 24 / 25 ، ودلائل النبوة 75 / 2 .

وفي السابعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

قال السهيلي - رَحِمَهُ اللهُ - فإن قيل : ما الحكمة في كون عيسى في السماء الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وعيسى أفضل منهم فإنه من أولي العزم ، وما الحكمة في عدم ذكر نوح مع كونه من أولي العزم ، وذكر من هو دونه في الفضل .

قال : فالجواب أن إراءته من ذكر على هذا الوجه المذكور إشارة إلى التأسي والافتداء والتسلي ، فأري آدم في الأولى إشارة إلى أن أول أحواله كحال آدم ؛ أخرجه العدو من وطنه مكة إلى المدينة ، كما أخرج آدم عدوه من الجنة إلى الأرض ، وأري عيسى في الثانية إشارة إلى أن ثاني أحواله كحال عيسى ؛ إذ آذاه اليهود وقصدوا قتله وسموه ، كما آذوا عيسى وزعموا أنهم قتلوه وما قتلوه وما صلبوه ، وأري يوسف في الثالثة إشارة إلى أن ثالث أحواله كحال يوسف ؛ إذ جاءه أهله واجتمع بهم كما اجتمع شمل يوسف بأهله ، وأري في الرابعة إدريس إشارة إلى أن رابع أحواله كحال إدريس في كتابة الكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وإدريس أول من كتب ، وأري في الخامسة هارون إشارة إلى أن خامس أحواله كحال هارون في محبة الناس له كما كانت بنو إسرائيل تحب هارون ، وأري في السادسة موسى إشارة إلى أن سادس أحواله كحال موسى في عوده إلى مكة وطنه الأول ، كما عاد موسى إلى مصر بعد خروجه منها خائفاً يترقب ، وأري إبراهيم في السابعة إشارة إلى أن سابع أحواله من أداء مناسك الحج وإحياء سنة أبيه إبراهيم الخليل .

وقال الشيخ محي الدين النووي - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - : كان الإسراء سنة خمس أو ست من النبوة ، وقيل : سنة اثني عشر منها ، وقيل : بعد سنة وثلاثة شهور ، وقيل غير ذلك ، وكان ليلة السابع والعشرين من رجب الفرد ، قال :

وكان الإسراء به صلى الله علي وسلم مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة .
ومن معجزاته انشقاق القمر : روى البخاري عن أبي معمر عن ابن مسعود
قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين ؛ فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه
فقال رسول الله ﷺ : «اشهدوا» (1).

ورواه مسروق (1) عنه أنه كان بمكة ، وزاد : فقال كفار قريش : سحركم ابن
أبي كبشة . فقال رجل منهم : إن محمدا إن كان قد سحر القمر فإنه لا يبلغ من
سحره أن يسحر الأرض كلها ، فاسألوا من يأتاكم من بلد آخر ، هل رأوا هذا
فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك (2).
وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه ، وقال : فقال أبو جهل (3) : هذا

(1) البخاري (3636) .

(2) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوداعي ، أبو عائشة : تابعي ثقة ، من أهل اليمن . قدم
المدينة في أيام أبي بكر . وسكن الكوفة . وشهد حروب علي . وكان أعلم بالفتيا من شريح ،
وشريح أبصر منه بالقضاء ، شرق وهو صغير ، فسمي مسروقا . ولقي عمر بن الخطاب ، فقال له ،
ما اسمك ؟ قال : مسروق بن الأجدع ، فقال عمر : إن الأجدع شيطان ، بل أنت ابن عبد
الرحمن ، فكان يعرف بذلك .

ترجمته في : طبقات ابن سعد 76/6 ، طبقات خليفة (1066) ، تاريخ البخاري 35/8 ، المعارف
432 ، الجرح والتعديل القسم الاول من المجلد الرابع 396 ، الحلية 95/2 ، تاريخ بغداد 232/13 ،
طبقات الشيرازي 79 ، تاريخ ابن عساكر 207/16 ب ، أسد الغابة 354/4 ، تهذيب الأسماء
واللغات القسم الاول من الجزء الثاني 88 ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص 14 ، شذرات الذهب
71/1 .

(3) تفسير البغوي 426/7 ، ودلائل النبوة لأبي نعيم 247 .

(4) هو : عمرو بن هشام بن المغيرة الخزومي القرشي ، أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام ،
وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية . قال صاحب عيون الأخبار : سودت قريش أبا
جهل ولم يطر شاربته فأدخلته دار الندوة مع الكهول . أدرك الاسلام ، وكان يقال له «أبو الحكم»
فدعاه المسلمون «أبا جهل» . سأله الأخنس بن شريق الثقفي ، وكانا قد استمعا شيئا من القرآن =

سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أراو ذلك أم لا؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا قالوا - يعني الكفار - : هذا سحر مستمر (1).

ومن معجزاته ﷺ حبس الشمس له : عن أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي عليه السلام ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله ﷺ : «أصليت يا علي؟» . فقال : لا فقال رسول الله ﷺ : «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» . قالت أسماء : فرأيتهما قد غربت ، ثم رأيتهما قد طلعت بعدما غربت ووقفت على الجبال ، وذلك بأصهباء في خيبر (2).

ولما أسري برسول الله ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا : متى تجيء؟ قال : يوم الأربعاء . فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء ، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس .

ومن معجزاته نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته ﷺ : عن أنس - رضي الله عنه - قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس

= ما رأيك يا أبا الحكم فيما سمعت من محمد؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تخاذلنا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه..والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه!. واستمر على عناده ، يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه ، لا يفتقر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم ، حتى كانت وقعة بدر الكبرى ، فشهداها مع المشركين ، فكان من قتلاها .

ترجمته في الاستيعاب 2/ 643 ، 3/ 1082 ، وتهذيب الأسماء واللغات 1/ 339 ، وعيون الأخبار 1/ 230 ، والأعلام 5/ 87 .

(1) تنبيه الغافلين 214 .

(2) طبقات ابن سعد 2/ 263 .

الوضوء فلم يجدوا ماءً ، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضئوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم (1).

وعن جابر - رضي الله عنه - عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها ، وأقبل الناس نحوه وقالوا : ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك ، فوضع رسول الله ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، وفيه فقلت : وكم كنتم قال : لو كنا مائة ألف لكفانا خمس عشرة مائة (2).

قال الشيخ محي الدين النووي - رحمه الله - : في هذا النبع قولان ؛ أحدهما : أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه ، وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر ، ويؤيده أنه جاء في رواية فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه . الثاني : يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه لا من نفسها (3).

ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه : عن جابر - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق (4) شعيراً ، فما زال يأكل منه وامراته وضيغه حتى كاله (5) ، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال له : « لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم » (6).

(1) البخاري (3572) ، ومسلم (6082) .

(2) البخاري (3576) .

(3) شرح مسلم للنووي 475/7 .

(4) الشطر : النصف ، والوسق : مكيال مقداره ستون صاعاً والصاع أربعة أمداد ، والمُدُّ مقدار ما يملأ الكفين

(5) كاله : وزنه وعرف مقداره .

(6) دلائل النبوة 6/275 .

وفي حديث جابر في إطعامه رسول الله ﷺ يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق⁽¹⁾.

وأطعم ﷺ الجيش من مزود أبي هريرة حتى شبعوا كلهم، ثم رد ما بقي في ودعا له، فأكل منه مدة حياة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - فلما قتل عثمان ذهب وحمل منه نحو خمسين وسقا في سبيل الله⁽²⁾.

ومن معجزاته كلام الشجر: عن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدنا منه أعرابي فقال: «يا أعرابي أين تريد». قال إلى أهلي. قال: «هل لك إلى خير؟». قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله». قال: ومن يشهد لك على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة السمرة وهي في شاطئ الوادي فادعها فإنها تجيبك». قال: فدعوته فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدا ثلاثا فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها⁽³⁾.

ومن معجزاته حنين الجذع: قال جابر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كان المسجدُ مسقوفاً على جذوع نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار⁽⁴⁾.

وروي أن النبي ﷺ دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه، وفي رواية أن النبي ﷺ قال له: «إن شئت أراك إلى الحائط الذي كنت فيه ينبت لك عروقتك ويكمل خلقك ويجد ذلك خوص وثمر، وإن

(1) البخاري (4010).

(2) دلائل النبوة للبيهقي 267/6، ودلائل النبوة لأبي نعيم 393

(3) سنن الدارمي 21/1، ودلائل النبوة 138/6.

(3) البخاري (3392).

شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك». ثم أصغى له النبي ﷺ ليسمع ما يقول ، فقال : بل تغرسني في الجنة ، فيأكل مني أولياء الله ، وأكون في مكان لا أبلى فيه . فسمعه من يليه ، فقال النبي ﷺ : «قد فعلت» . ثم قال : «اختار دار البقاء على دار الفناء»⁽¹⁾ . فكان الحسن - رَحِمَهُ اللهُ - إذا حدث بهذا بكى ، وقال : يا عباد الله ، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه .

ومنها كلام الجمادات : قال ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيحه⁽²⁾ .

وقال أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أخذ رسول الله ﷺ كَفًّا من حصى فسبح في يد رسول الله ﷺ حتى سمعت التسبيح ، ثم صَبَّهْن في يد أبي بكر فسبحن ، ثم في أيدينا فما سبحن ، وروى مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان⁽³⁾ .

وقال علي : كنا بمكة مع رسول الله ﷺ ، فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له : السلام عليك يا رسول الله . وقال عليه الصلاة والسلام : «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي»⁽⁴⁾ . قيل : إنه الحجر الأسود . وقال عليه الصلاة والسلام : «لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر

(1) الدارمي 1/39 ، ودلائل النبوة لأبي نعيم 351 .

(2) تفسير القرطبي 10/286 .

(3) تاريخ دمشق 39/119 ، ومسند الشاميين 4/246 .

(4) أخرجه الطيالسي (ص 106 ، رقم 781) ، وأحمد (5/95 ، رقم 20931) ، ومسلم (4/1782) ، رقم 2277) ، والترمذي (5/592 ، رقم 3624) ، والدارمي (1/24 ، رقم 20) ، وابن حبان (14/402 ، رقم 6482) ، والطبراني (2/220 ، رقم 1907) .

ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله»⁽¹⁾.

ومنها كلام أصناف الحيوانات: روي عن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد صُبًّا فقال: مَنْ هذا؟ قالوا: نبي الله. قال: واللوات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن هذا الضب. وطرحه بين يدي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «يا ضب». فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال: «من تعبد؟». قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه. قال: «فمن أنا». قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك. فأسلم الأعرابي⁽²⁾.

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بينا راع يرعى غَنَمًا له عَرَضَ الذئبُ لشاةٍ منها، فأخذها الراعي منه، فأقعى الذئب وقال للراعي: ألا تتقي الله، حلت بيني وبين رزقي. قال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الأنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك! رسول الله بين الحرمين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فأتى الراعي النبي ﷺ فأخبره، فقال النبي ﷺ: «قم فحدثهم». ثم قال: «صدق»⁽³⁾.

وعن عبيد الله بن قرط: قُرْبُ إِلَى النبي ﷺ بدناثُ خمس، أو ست، أو سبع لينحرها يوم عيد، فازدلفن إليه بأيهن يبدأ⁽⁴⁾.

(1) مسند الطيالسي (1632).

(2) الطبراني في الأوسط 251/13، والبيهقي في دلائل النبوة 6/168.

(3) دلائل النبوة 6/175.

(4) أبو داود (1767).

وعن أم سلمة : كان النبي ﷺ في صحراء فنادته ظبية⁽¹⁾ : يا رسول الله ، قال : «ما حاجتك؟» . قالت : صادني هذا الأعرابي ولي خشقان في ذلك الجبل ، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع . قال : «وتفعلين؟» . قالت : نعم فأطلقها ، فذهبت ورجعت فأوثقها ، فانتبه الأعرابي وقال : يا رسول الله ، ألك حاجة؟ قال : «تطلق هذه الظبية» . فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله⁽²⁾ .

وجاء في رواية : أنه عليه الصلاة والسلام قال لها : «وتفعلين؟» قالت : عذبي الله عذاب العشار . تعني : المكاس إن لم أفعل⁽³⁾ .

وروي أنه ﷺ أصاب حمارا بخير ، وقال له : اسمي يزيد بن شهاب ، فسماه النبي ﷺ يعفور⁽⁴⁾ ، وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم ، وأن النبي ﷺ لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات .

وروي أن عنزا أتت النبي ﷺ في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة ، فحلبها رسول الله ﷺ فأروى الجند ، ثم قال لرافع : «أملكها وما أراك» . فربطها فوجدها قد انطلقت ، فقال عليه الصلاة والسلام «إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها»⁽⁵⁾ .

ومرَّ عليه الصلاة والسلام في سفر ببيعرٍ يستقي عليه الماء ، فلما رآه جرجر⁽⁶⁾

(1) الظبية : الغزالة .

(2) دلائل النبوة 6/ 166 .

(3) دلائل النبوة (2284) .

(4) الموضوعات 1/ 494 .

(5) طبقات ابن سعد 1/ 180 ، ومعرفة الصحابة (5814) ، ودلائل أبي نعيم 379 .

(6) الجرجرة : صوت البعير عند الغضب .

ووضع جرائه (1)، فقال : «إنه يشتكي كثرة العمل وقلة العلف» (2).

ومن معجزاته ﷺ إحياء الموتى وكلام الصبيان : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن يهوديةً أهدت للنبي ﷺ بخير شاةً مصليةً سمّتها ، فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم ، وقال : «ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة» . فمات بشر بن البراء ، وقال لليهودية : «ما حملك على ما صنعت؟» . قالت : إن كنت نبيا لم يضرّك الذي صنعت ، وإن كنت ملكا كاذبا أرحّت الناس منك . قال : فأمر بها فقتلت (3) . ورواه أيضا جابر ، وفيه : «فأخبرتني هذه الذراع» . قال : ولم يعاقبها .

وروى أنه عليه الصلاة والسلام أتى بصبي قد شب ولم يتكلم قط ، فقال : «من أنا؟» . فقال : رسول الله (4) .

وروي أنه جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله ، وفيه فقال النبي ﷺ : «صدقت بارك الله فيك» . ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب (5) .

وعن الحسن أتى رجل النبي ﷺ فذكر له أنه طرح بنية له في وادي كذا ، فانطلق معه إلى الوادي فنادها بأسمها : «يا فلانة أجيبني بإذن الله» . فخرجت وهي تقول : لبيتك وسعديك . فقال لها : «إن أبويك قد أسلما ، فإن أحببت أن أردك عليهما» . قالت : لا حاجة لي فيهما ، وجدتُ الله لي خيرا منهما (6) .

وعن أنس أن شابًا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء ، فسجّيناه وعزيناها ،

(1) الجران : باطن العنق .

(2) دلائل النبوة (2272) .

(3) أخرجه الحاكم (3/ 242 ، رقم 4967) وقال : صحيح على شرط مسلم . والطبراني 19/ 2 .

(4) دلائل النبوة 6/ 301 .

(5) تاريخ دمشق 4/ 387 .

(6) الشفا للقاضي عياض 1/ 236 .

فقلت : مات ابني؟! قلنا : نعم . قالت : اللهم إن كنت تعلم أنني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذا المصيبة ، فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا⁽¹⁾.

ومن معجزاته إبراء المرضى وذوى العاهات : روى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال : يا رسول الله ، ادع الله أن يكشف لي عن بصري . فقال له : « فانطلق فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم قل : اللهم أني أسألك وأتوجه إليك بالنبي محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد أني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في » . قال فرجع وقد كشف الله عن بصره⁽²⁾.

وقد ردَّ ﷺ عين قتادة بن النعمان يوم أحد بعد ما وقعت على وجنته ، فكانت أحسن عينيه⁽³⁾ ، وتفل في عين علي - رضي الله عنه - يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئاً⁽⁴⁾ ، وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء ، وجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله ﷺ وألصقها فلصقت .

ومن معجزاته إجابة دعائه ﷺ : عن أنس قال : قالت أُمِّي : يا رسول الله ، خادمك أنس ادع الله له . قال : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما آتيته » . قال أنس : فوالله إن مالي لكثير ، وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة ، وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ، ولقد دفنت بيدي هاتين من ولدي مائة لا أقول سقطا ولا وَلَدَ وَلَدٍ⁽⁵⁾.

(1) دلائل النبوة 6/ 189 .

(2) النسائي في الكبرى 6/ 169 .

(3) دلائل النبوة 3/ 104 .

(4) مصنف ابن أبي شيبة 7/ 500 .

(5) البخاري (6334) ، ومسلم (6531) ، والطبراني (21418) .

ودعا لعبد الرحمن بن عوف⁽¹⁾ بالبركة، قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً⁽²⁾. وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفتوس حتى كَلَّتْ منه الأيدي، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفاً، وكن أربعاً، وقيل: مائة ألف، وقيل: بل صولحت إحداهن؛ لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفاً.

ومن معجزاته انقلاب الأعيان له: أعطى عكاشة جذل حطب حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفاً فقاتل به⁽³⁾.

ودفع لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفاً⁽⁴⁾.

وشكا إليه قوم ملوحة في مائهم فجاء في نفر من أصحابه حتى وقف على بئرهم، فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين⁽⁵⁾.

وأنته امرأة بصبي لها أقرع، فمسح على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه⁽⁶⁾.

(1) عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، أبو محمد الصحابي الجليل أحد العشرة الذين شهد لهم الرسول بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى وأحد السابقين البدرين، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن، وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، ودفن رضى الله عنه بالبقيع. ترجمته عند ابن قانع: معجم الصحابة 2/ 143، ابن الأثير: أسد الغابة 3/ 480، الذهبي: السير 1/ 68.

(2) طبقات ابن سعد 3/ 129، ودلائل النبوة 6/ 439.

(3) دلائل النبوة للبيهقي 3/ 106، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم 5/ 30.

(4) مصنف عبد الرزاق 11/ 279، ودلائل النبوة للبيهقي 3/ 245.

(5) عيون الأثر 2/ 357.

(6) عيون الأثر 2/ 357.

ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك، فمات وهو ابن ثمانين سنة وما شاب (1).

وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب على طيب نسائه؛ لأن رسول الله ﷺ مسح بيده على بطنه وظهره (2).

ومن معجزاته ما أطلعه الله علي من الغيوب: عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وأنه ليكون منه الشيء فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه. قال حذيفة: ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ ما معه ثلاثمائة فصاعدا، إلا وقد ساه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته (3).

وروى ابن إسحاق أن أُبَيَّ بْنَ حَلَفٍ كان يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد، إن عندي اليوم فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها، فيقول عليه السلام: «بل أنا أقتلك إن شاء الله». فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد. قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إن بك من بأس. قال: إنه قد كان قال لي بمكة: «والله أنا أقتلك» فوالله لو بصق علي لقتلني، فمات بسرف، وهم قافلون به إلى مكة (4). وقال ﷺ في الحسن: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتيين

(1) الشفا 245..0/1

(2) الأحاد والمثاني 160/4.

(3) أخرجه مسلم (7445)، وأبو داود (4242).

(4) تاريخ الطبري 200/2.

عظيمتين من المسلمين»⁽¹⁾. فصالح معاوية وحقن دماء الفئتين من المسلمين .
وقال عليه السلام : «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكا»⁽²⁾ . فكانت كذلك
بمدة الحسن بن علي⁽³⁾ رضي الله عنهما .
وقال للعباس وقد أسر بيدر : «افد نفسك» . فقال : ليس لي مال . فقال :
«أين ما دفعت بمكة إلى أم الفضل وقلت إن أصبت فللفضل كذا ولقثم كذا
ولعبد الله كذا» فقال العباس : ما علم بذلك أحد غيري وغيرها ، فأنا أعلم إنك
رسول الله⁽⁴⁾ .

ومن معجزاته عصمة الله له من الناس وكفايته من آذاهم : قال الله تعالى :
﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾⁽⁵⁾ . وروى الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها -
قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحرَس حتى نزلت هذه الآية ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأسه من القبة فقال لهم : «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل»⁽⁶⁾ .

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (477/7 ، رقم 37362) .

(2) أخرجه الطيالسي (ص 151 ، رقم 1107) ، وأحمد (220/5 ، رقم 21969) ، ونعيم بن حماد في الفتن
(104/1 ، رقم 249) ، والبغوي في الجعديات (479/1 ، رقم 3323) ، وابن حبان (392/15) ، رقم
6943 ، والترمذي (503/4 ، رقم 2226) وقال : حسن . والطبراني (83/7 ، رقم 6443) ، والنسائي
في الكبرى (47/5 ، رقم 8155) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (116/1 ، رقم 113) .

(3) هو الحسن بن علي بن أبي طالب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبطه وسيد شباب أهل الجنة ، مولده في
شعبان سنة ثلاث من الهجرة ، وقيل في نصف رمضانها ، كان رضي الله عنه يشبه جده رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخباره ومآثره ومناقبه كثيرة لا تحصى ، سَلِمَ رضي الله عنه الأمر لمعاوية سنة إحدى وأربعين ،
ومات فيما قيل سنة تسع وأربعين ، وقيل : سنة خمسين ، وقيل : إحدى وخمسين .

ترجمته عند الخطيب : تاريخ بغداد 4/157 ، الفاسي : العقد الثمين 4/157 ، الذهبي : سير أعلام
النبلاء 3/245 .

(4) مسند أحمد (3368) .

(5) سورة المائدة ، الآية : 67 .

(6) الترمذي (3320) .

وروي أن النبي ﷺ كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقبل تحتها ، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ، ثم قال : من يمنعك مني؟! فقال : «الله» . فارتعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه ، فنزلت هذه الآية (1).

وقد رويت هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن النبي ﷺ عفا عنه ، ورجع إلى قومه وقال : جئكم من عند خير الناس (2).

وذكر عبد بن حميد قال : كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله ﷺ فكأتما يطاء كثيبا أهيل (3).

وذكر ابن إسحاق أنها لما بلغها نزول ﴿تَبَّتْ يَدَا أُمِّي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر ، وأخذ الله يبصرها عن نبيه ﷺ فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه (4).

وروى ابن إسحاق أن أبا جهل أتاه بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه ، فلزقت بيده ، وييسر يده إلى عنقه ، فأقبل يرجع القهقري إلى خلفه ثم سأله أن يدعو الله له ففعل ، فانطلقت يده ، وكان قد تواعد مع قريش بذلك ، وحلف إن رآه ليدمغنه ، فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض دونه فحل ما

(1) البخاري (2910) ، ومسلم (6090) .

(2) صحيح ابن حبان (2945) .

(3) تفسير الطبري 679 / 24 .

(4) سيرة ابن هشام 355 / 1 .

رأيت مثله قط فهم أن يأكلني ، فقال النبي ﷺ : «ذاك جبريل لو دنا لأخذ»⁽¹⁾.
وروي أن أبا جهل ابتاع من رجل إبلا وماطله ، فأتى نادي قريش مستعينا بهم
فأحالوه على محمد ﷺ استهزاء ، فمضى معه فطرق باب أبي جهل فعرفه ،
فخرج متحوث العقل وقال أهلا بأبي القاسم فقال : «أعط هذا حقه» . فأعطاه من
فوره فعيه قومه فقال : إني رأيت والله على رأسي تنينا فاتحا فاه لو آيت
لالتقمني⁽²⁾.

ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل⁽³⁾ وأربد بن قيس حين وفدا على
النبي ﷺ ، وكان عامر قال له : أنا أشغل عنك وجه محمد ، فاضربه أنت . فلم
يره فعل شيئا ، فلما كلمه في ذلك قال له : والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك
بيني وبينه أفأضربك⁽⁴⁾.

ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وغيره أن قريشا خافوا لما اسلمت الأنصار أن
يعظم أمر رسول الله ﷺ ، فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في

(1) الشفا 1/351.

(2) سير ابن هشام 1/390 ، وعيون الأثر 146.

(3) هو : عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري ، من بني عامر بن صعصعة ، فارس قومه ، وأحد
فناك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية . كنيته أبو علي . ولد ونشأ بنجد . وكان يأمر مناديا
في (عكاظ) ينادي : هل من راجل فنحمله ؟ أو جائع فنطعمه ؟ أو خائف فنؤمنه ؟ . وخاض المعارك
الكثيرة ، وأدرك الاسلام شيخا فوفد على رسول الله ﷺ وهو في المدينة ، بعد فتح مكة ، يريد
الغدربة ، فلم يجزؤ عليه . فدعاه إلى الاسلام ، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة ، وأن يجعله
ولي الأمر من بعده ، فردّه ، فعاد حنقا ، وسمعه أحدهم يقول : لأملانها خيلا جردا ورجالا مردا
ولأربطن بكل نخلة فرسا ! فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه . وكان أعور أصيب عينه في إحدى
وقائعه ، عقيما لا يولد له . وهو ابن عم لبيد الشاعر . أخباره كثيرة متفرقة . ترجمته في رغبة الأمل
2/176 ، 8 : 165 و 243 ، والشعر والشعراء 1/118 والاصابة (6550) .

(4) الشفا 1/354.

أمر رسول الله ﷺ ، فجاءهم إبليس في صورة شيخ فقالوا له : من أنت؟ فقال شيخ من نجد . فلما سمعت باجتماعكم أردت أن أحضركم ، ولن تعدموا مني رأيا ونصحا . قالوا : ادخل . فقال أبو البختری : أما أنا فأرى أن تأخذوا على محمد وتخبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه حتى يهلك فيه . فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال : بنس الرأي هذا ، والله لئن حبستموه يخرج أمره إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم . قالوا : صدق الشيخ النجدي . فقال هشام بن عمرو : وأما أنا فأرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم ، فلا يضركم ما صنع إذا غاب عنكم واسترحتم . فقال إبليس : ما هذا برأي ؛ تعمدون إلى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم ، ألم تروا حلاوة منطقه وطلاقة لسانه ، وأخذ القلوب ما تسمع من حديث ، والله لئن فعلتم ذلك ليذهب ويستميل قلوب قوم ، ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم . قالوا : صدقت أيها الشيخ . فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره ، إنني أرى أن تأخذوا من كل قبيلة من قريش شابا نسيبا ، ثم يعطى كل واحد منهم سيفا صارما ، ثم يضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل كلها ، ولا أظن هذا الحي بني هاشم يطيقون حرب قريش كلها ، وأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته . فقال إبليس : صدق هذا الفتى ، القول ما قال لا أرى غيره . فتفرقوا على قول أبي جهل ، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بذلك وأمره ألا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة ، فأمر رسول الله ﷺ عليا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فنام في مضجعه وقال له : تسج ببردي ؛ فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه ، ثم خرج رسول الله ﷺ فأخذ قبضة من تراب ، فأخذ الله أبصارهم عنه ، فجعل ينثر على رءوسهم التراب وهو

يقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ إلى قوله ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾⁽¹⁾. ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وخلف عليا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي قبَلَه، وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته، فلما أصبح المشركون ساروا إلى علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الغار وكان الله قد أرسل العنكبوت فنسج على بابه، فلما رأوا على بابه نسج العنكبوت قالوا: لو دخله لم يكن نسج العنكبوت. فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة، فجعل كفار قريش في رسل الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله، فبلغ ذلك سراقه بن مالك بن جعشم، قال سراقه: فأخذت رمحي وركبت فرسي وتبعتم، فلما دنوت منهم عثرت بي فرسي، فنزلت عنها فاستخرجت الأزلام من كنانتي واستقسمت بها، أصلهم أم لا؟ فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام، فسرت حت إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، أبو بكر يكثّر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين، فنزلت عنها ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهما أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتكم خبر ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأ في ولم يسألاني إلا أن قالوا أخف عنا، فسألته يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله ﷺ وأنزل الله في مشاورة قريش في أمر النبي ﷺ: ﴿وَإِذْ

(1) سورة يس، الآيتان 8، 9.

يَمَكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴿١﴾ الآية (١). ومن ذلك كفاية الله نبيه المستهزين ؛ قال الله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهَمُّ لَا يَبْصُرُونَ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ فَاصْذَعْ بِمَا تَوَمَّرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَشْرِكِينَ إِنَّا فَاصْذَعْ بِمَا تَوَمَّرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ ﴿٩٥﴾﴾ (٢). يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : فاصْذَعْ بِمَا تَوَمَّرُ وَلَا تَخَفْ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ مِنْ عَادِكَ كَمَا كَفَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ ، وَهُمْ خَمْسَ نَفَرٍ مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ : الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ الْخَزُومِيُّ ، وَكَانَ رَأْسُهُمْ ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ ، وَالْأَسُودُ بْنُ الْمَطْلَبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى ، وَأَبُو زَمْعَةَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ دَعَا عَلَيْهِ فَقَالَ : «اللَّهُمَّ أَعِمَّ بَصْرَهُ وَأَثْكَلْهُ بَوْلَهُ» ، وَالْأَسُودُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ بْنِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ زُهْرَةَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الطَّلَاطِلَةِ ، فَأَتَى جَبْرِيلُ مُحَمَّدًا ﷺ وَالْمُسْتَهْزِءُونَ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ ، فَقَامَ جَبْرِيلُ وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِهِ ، فَمَرَّ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ فَقَالَ جَبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ ، كَيْفَ تَجِدُ هَذَا؟ قَالَ : «بئس عبد الله» قَالَ : قَدْ كَفَيْتَ . وَأَوْمَأَ إِلَى سَاقِ الْوَلِيدِ ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خَزَاعَةَ نَبَالَ يَرِيشُ نَبَالَهُ وَعَلَيْهِ بَرْدٌ يَمَانِي ، وَهُوَ يَجْرُ إِزَارَهُ فَتَعَلَّقَتْ شَطِيبَةٌ مِنْ نَبَلٍ يَازَارُهُ فَمَنْعَهُ الْكَبِيرُ أَنْ يَتَطَامَنَ فَيَنْزِعَهَا ، وَجَعَلَتْ تَضْرِبُ سَاقَهُ فَخَدَشَتْهُ فَمَرَضَ مِنْهُ وَمَاتَ (٣).

ومرَّ به العاصُ بْنُ وَائِلٍ فَقَالَ جَبْرِيلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يَا مُحَمَّدُ قَالَ : «بئس عبد الله» . فَأَشَارَ جَبْرِيلُ إِلَى أَحْمَصِ رِجْلِهِ وَقَالَ : قَدْ كَفَيْتَ ، فَخَرَجَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَمَعَهُ ابْنَانُ لَهُ يَتَنَزَّهُ ، فَنَزَلَ شَعْبًا مِنْ تِلْكَ الشَّعَابِ ، فَوَطِئَ عَلَى شَبْرَقَةٍ فَدَخَلَتْ مِنْهَا

(١) سورة الأنفال ، الآية : 30.

(٢) سورة الحجر ، الآيتان : 94 ، 95.

(٣) سيرة ابن هشام 1/ 480 ، وعيون الأثر 234.

شوكة في أحمص رجليه فقال : لدغت لدغت . فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجليه حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه .

ومر به الأسود بن المطلب فقال جبريل : كيف تجد هذا؟ قال : «بئس عبد سوء» . فأشار بيده إلى عينه وقال قد كفيت فعمي . قال ابن عباس : رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه ، فجعل يضرب بوجهه الجدار حتى هلك . وفي رواية الكلبي : أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له ، فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك ، فاستغاث بغلامه فقال له غلامه : لا أرى أحدا يصنع بك شيئا غير نفسك حتى مات وهو يقول : قتلني رب محمد .

ومر به الأسود بن عبد يغوث ، فقال جبريل : كيف تجد هذا يا محمد؟ قال : «بئس عبد الله إنه خالي» . فقال قد كفيت وأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات جنبا . وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فأصابه السموم فاسود حتى صار حبشيا ، فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب حتى مات وهو يقول : قتلني رب محمد .

ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل : كيف تجد هذا؟ قال : «عبد سوء» . فأومأ إلى رأسه وقال : قد كفيت فامخط قيحا فقتله . وقال ابن عباس : إنه أكل حوتا ملحا وأصابه العطش فلم يزل يشرب من الماء حتى انقذ بطنه فمات .

ذكر هؤلاء الخمسة أبو محمد - رَحِمَهُ اللهُ - في معالم التنزيل⁽¹⁾ هكذا وزاد غيره ثلاثة عقبة بن أبي معيط ، وأبا لهب ، والحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ؛ فأما عقبة فهو عقبة بن أبي معيط قتله عاصم بن ثابت ، وقيل : علي

(1) تفسير البغوي 1/254.

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بعد أن أسره عبد الله بن مسلمة، وأما أبو لهب فهلك بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها، ويرون أنها تعدي أشد العدوى، فلما أصابته تباعد عنه بنوه وبقي بعد موته ثلاثا لا يقرب جنازته ولا يحاول دفنه، فلما خافوا المسبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرة وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه، وأما الحكم فإنه أسلم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ومن معجزاته ﷺ ما روي أنه لما بنى المسجد قال لأبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «أحتاج إلى جذوع». فقال : لي بمكة بيت فيه جذوع تصلح، فدعاها النبي ﷺ فخلق الله تعالى لها أجنحة فطارت إليه .

وأصابه في بعض أسفاره عطش فأتاهم غلام أسود براوية ماء فاستعملوها وهي باقية، فسمح النبي ﷺ وجه الغلام فايض، فرجع إلى مواليه فقالوا : الجمل لنا لا العبد، فأخبرهم بالقصة فأسلموا .

وكان عند أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - منديل إذا اتسخ ألقاه في النار فينظف ويقول : إن النبي ﷺ كان يمسح به وجهه والنار لا تأكل شيئا مرَّ على وجوه الأنبياء .

وأعطى قتادة بن النعمان عرجونا وقال : «استضيء به حتى تأتي بيتك وستجد في زاويته شيطانا فاضربه به». قال قتادة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فأضاء العرجون كالشمعة، ووجدت في الزاوية فنفاذا فأحرقت به (1).

وحكى الشيخ سراج الدين بن الملقن - رحمه الله تعالى - عن بعض الحنفية أنه قال : قيل : ظهر على يد نبينا ﷺ ألف معجزة، وقيل : ثلاثة آلاف، وأنه ذكر أنه من معجزاته إنبات النخلة في سنام البعير، وإدراك ثمرها في الحال، ثم تناولها الحاضرون فمن علم الله أنه يؤمن كانت الثمرة حلوة في فمه، ومن علم أنه لا يؤمن عاد حجرا في فمه .

(1) الطبراني في الكبير (15680) .

الباب الخامس

في جمل من أخلاق نبينا ﷺ

قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾. قالت عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - : كان خلقه القرآن⁽²⁾. تعني : التأدب بآدابه ، والتخلق بمحاسنه ، والالتزام بأوامره وزواجره .

وقد قال ﷺ : «بُعِثْتُ لِأَتُمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»⁽³⁾.

وقال أنس : كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا⁽⁴⁾، وكان عليه السلام أرجح الناس حلما . وقال أيضا : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي : أف قط ، وما قال لشيء صنعته : لم صنعته؟ ولا لشيء تركته : لم تركته⁽⁵⁾؟

وروى أنه لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه وقالوا : لو دعوت عليهم؟ فقال : «إني لم أبعث لعانا ولكني بعث داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»⁽⁶⁾.

وكان ﷺ أعظم الناس عفوا لا ينتقم لنفسه ، ولما تصدى له غورث بن الحارث ليقنتله والسيوف في يده ، وقال لرسول الله : من يمنك مني؟ قال : «الله» .

(1) سورة القلم ، الآية : 4 .

(2) أخرجه ابن عساکر (382/3) ، والبيهقي في الدلائل (244) .

(3) أخرجه الحاكم (670/2) ، رقم (4221) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (10/192) ، رقم

(20572) . وأخرجه أيضًا : الديلمي (2/12) ، رقم (2098) .

(4) أخرجه ابن أبي شيبة 90/6 وابن عساکر 371/3 .

(5) أخرجه عبد الرزاق (9/443) ، رقم (17947) .

(6) أخرجه مسلم (4/2006) ، رقم (2599) .

فسقط السيف من يده فقال عليه الصلاة والسلام وقد أخذ السيف : «من يمنعك مني؟» فقال : كن خير آخذ . فتركه وعفا عنه ، فجاء إلى قومه فقال : جئكم من عند خير الناس (1).

وعفا عليه السلام عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح (2)، ولم يؤخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره (3)، وكان ﷺ أسخى الناس كفا ما سأل شيئاً فقال : لا . وأعطى صفوان بن أمية غنماً ملأت وادياً بين جبلين ، فقال : أرى محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر (4).

وردَّ على هوازن سباياهم وكانت ستة آلاف (5)، وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله ، وحملت إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ، ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها .

وذكر عن معاذ بن عفراء قال : أتيت النبي ﷺ بقناع من رطب يعني طبقا ، وأجر زغب يريد قثاء ، فأعطاني ملء كفه حلياً وذهباً (6).

وكان ﷺ أشجع الناس ، وقال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أَرْضَى من رسول الله ﷺ (7).

(1) تقدم تخريجه .

(2) تقدم تخريجه .

(3) أخرجه أحمد (6/ 63 ، رقم 24393) ، والبخارى (5/ 2252 ، رقم 5716) ، ومسلم (4/ 1719 ، رقم 2189) ، وابن ماجه (2/ 1173 ، رقم 3545) . وأخرجه أيضاً : الشافعي (1/ 382) ، والنسائي في الكبرى (4/ 380 ، رقم 7615) .

(4) البيهقي في الدلائل (307) ، وابن حبان في صحيحه (4580) .

(5) دلائل النبوة (261) .

(6) الترمذي في الشمائل (201) .

(7) أبو نعيم في الحلية 7/ 244 .

وقال علي بن أبي طالب : كنا إذا حمي - أو اشتد - البأس واحمرت الحديق اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً⁽¹⁾.

وقيل : كان الشجاع هو الذي يقرب منه ﷺ لقربه من العدو .
وكان ﷺ أشد الناس حياء ؛ قال أبو سعيد الخدري : كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه⁽²⁾.
وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل : ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون ويقولون كذا ، ينهي عنه ولا يسمي فاعله⁽³⁾.

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه عليه السلام كان لا يواجه أحداً بما يكره ، وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا سخاباً⁽⁴⁾ بالأسواق ، ولا يجزي السيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح⁽⁵⁾.
وعنها : ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط⁽⁶⁾.

وكان أوسع الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (6/426 ، رقم 32614) ، وأحمد (1/156 ، رقم 1346) ، وأبو يعلى (1/258 ، رقم 302) ، والحاكم (2/155 ، رقم 2633) .

(2) الطبراني 110. / 13.

(3) البيهقي في شعب الإيمان (7876) .

(4) السَّخْبُ والصَّخْبُ : الضَّجَّةُ ، واضطرابُ الأصواتِ للخصام .

(5) مصنف ابن أبي شيبة 6/89 ، وشعب الإيمان (8068) .

(6) الترمذي في الشمائل 402.

عشرة هذا من كلام علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في صفته (1).

وعن قيس بن سعد قال: زارنا رسول الله ﷺ، فلما أراد الانصراف قرب سعد له حملاً وطأ عليه بقطيفة، فركب رسول الله ﷺ، ثم قال سعد: يا قيس، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال قيس: فقال لي رسول الله ﷺ: «اركب» فاييت، فقال: «إما أن تركب وإما أن تنصرف». فانصرفت (2)، وفي رواية: «اركب أمامي فصاحب الدابة أحق بمقدمها».

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - في حديث عنه ﷺ أنه ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: «ليك».

وقال جرير: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رأيي إلا تبسم (3). وكان ﷺ يمازج أصحابه ويخالطهم ويحدثهم، ويلعب صبيانهم ويجلسهم في حجره، ويحب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر؛ قال أنس: ما التقم أحد أذن (4) النبي ﷺ فينحي رأسه، وما أخذ بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدماً ركبته بين يدي جلس له (5)، وكان يبدأ من لقيه بالسلام (6)، ويبدأ أصحابه بالمصافحة (7)، ولم ير قط ماداً رجله بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد (8)،

(1) الترمذي في الشمائل (262/8).

(2) أخرجه أبو داود (5187).

(3) شعب الإيمان (7815).

(4) التقم أذنه: اقترب منها بفمه وسأه.

(5) دلائل النبوة (263).

(6) شعب الإيمان (1413).

(7) الديلمي (28/1)، رقم (45).

(8) حلية الأولياء 250/10.

ويكرم من يدخل عليه وربما ييسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ، ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه .

وروى أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته ويسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته .

وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب ؛ قال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحد أكثر تبسما من رسول الله ﷺ (1).

وأما شفقتة ﷺ على خلق الله ورأفته بهم ورحمته لهم : فقد قال الله تعالى فيه : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (2). وقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١١٧) ﴿﴾ (3). قال بعضهم : من فضله عليه السلام أن الله أعطاه اسمين من أسمائه فقال : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ومن ذلك تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم ؛ كقوله : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء» (4). ونهيه عن الوصال (5)، وكراهته دخول الكعبة ليلا لثلاثا يعنت أمتة ، ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة ، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجاوز في صلاته ، ولما كذبه قومه أتاها جبريل عليه السلام فقال : إن الله قد

(1) شمائل الترمذي 225، وشعيب الإيمان (7816).

(2) سورة التوبة ، الآية : 128.

(3) سورة الأنبياء ، الآية : 107.

(4) أخرجه عبد الرزاق (1/555، رقم 2106)، وأحمد (2/250، رقم 7406).

(5) مصنف ابن أبي شيبة 2/495.

سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال : مرني بما شئت فيهم إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . قال النبي ﷺ : «بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً» (1).

وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : إن الله أمر الأرض والسما والجمال أن تطيعك ، فقال : «أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم» . قالت عائشة : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما (2) . وقال ابن مسعود : كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا (3) .

وروي أنه عليه السلام قال : «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإنني أحب أن أخرج إليكم وأنا سلم الصدر» (4) .

وكان صلى الله علي وسلم أوصل الناس للرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد ، وقال عبد الله بن أبي الحمساء بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه ، ثم نسيت ثم ذكرت بعد ثلاث ، فجئته فإذا هو في مكانه فقال : «يا فتى ، لقد شققت علي أنا هنا منذ ثلاثة أنتظرك» (5) .

(1) أخرجه البخاري (3/1180 ، رقم 3059) ، ومسلم (3/1420 ، رقم 1795) .

(2) أخرجه مالك (2/902 ، رقم 1603) ، والبخاري (3/1306 ، رقم 3367) ، ومسلم (4/1813 ، رقم 2327) ، وأبو داود (4/250 ، رقم 4785) .

(3) البخاري (68) ، ومسلم (7305) .

(4) شعب الإيمان (10667) .

(5) أخرجه أبو داود (4/299 ، رقم 4996) ، وابن سعد (59/7) . والضياء (9/260 ، رقم 226) ، والبيهقي (10/198 ، رقم 20624) .

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كان النبي ﷺ إذا أتى بهدية قال : «اذهبوا بها إلى بيت فلانة ؛ فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة»⁽¹⁾.

وعن أبي قتادة : جاء وفد للنجاشي ، فقام النبي صلى الله علي وسلم يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكفيك . فقال : «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإنني أحب أن أكافئهم»⁽²⁾.

ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبي هوزان بسط لها رداءه وخيرها بين المقام عنده والتوجه إلى أهلها ، فاختارت قومها ، فمتعتها .

وكان ﷺ أشد الناس تواضعا على علو منصبه ، فمن ذلك أن الله خيرته بين أن يكون نبيا ملكا أو نبينا عبدا ، فاختار أن يكون نبيا عبدا ، فقال له إسرافيل عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع .

وخرج على قوم من أصحابه فقاموا له ، فقال : «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا»⁽³⁾.

وقال : «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»⁽⁴⁾. وكان يركب الحمار ويردف خلفه ، ويعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس ، وقال لامرأة أخته في حاجة : «اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت

(1) الطبراني في الكبير 319/16.

(2) دلائل النبوة (599) .

(3) أخرجه أحمد (5/253 ، رقم 22235) ، وابن أبي شيبة (5/233 ، رقم 25581) ، والبيهقي في شعب الإيمان (6/469 ، رقم 8937) .

(4) أخرجه ابن عساكر (76/4) ، وهناد (2/411 ، رقم 799) .

أجلس إليك حتى أقضي حاجتك». فجلست وجلس⁽¹⁾.

وكان يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة من السِنخة⁽²⁾ فيجيب⁽³⁾، وحجَّ على رَحْل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم⁽⁴⁾، وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة، وكان يبدأ من لقيه بالسلام، وعن أنس أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم⁽⁵⁾، وكان في بيته في مِهْنَةِ أهله يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويعلف ناضحه، ويَقُِّمُ البيتَ، ويعقل البعير، ويأكل مع الخادم، ويعجن معها، ويحمل بضاعته من السوق⁽⁶⁾.

وعن أنس: أنه كانت الأمة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتطلق به حيث شاءت تقضي حاجتها⁽⁷⁾.

وكان ﷺ يسمى الأمين قبل النبوة لما عرفوا من أمانته وعدله، وعن الربيع بن خثيم قال: كان يتحاكم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام. وقال النضر بن الحارث لقريش: قد كان محمدٌ فيكم غلامًا حَدَثًا⁽⁸⁾ أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه⁽⁹⁾ الشيب،

(1) الطبراني في الأوسط (3250).

(2) الإهالة: ما أذبت من الشحم، وقيل: الشحم والزيت، وقيل: كل دهن أؤتدم به إهالة، والسِنخة: المتَعَيَّرَةُ الرِّيح.

(3) شمائل الترمذي (325).

(4) سنن ابن ماجه (3002).

(5) دلائل النبوة للبيهقي (282).

(6) شمائل الترمذي (337)، وصحيح ابن حبان (5768).

(7) مسند أحمد (13601).

(8) حدثًا: صغيرًا في السن.

(9) الصدغ: ما بين العين إلى سَحْمَةِ الأذن.

وجاءكم بما جاءكم به قلتهم ساحر ، لا والله ما هو ساحر⁽¹⁾ . وكان ﷺ يحب الطيب والرائحة الطيبة الحسنة ، ويستعملها كثيرا ويحض عليها .

وأما زهده في الدنيا : فقد توفي ودرعه⁽²⁾ مرهونة عند يهودي في نفقة عياله⁽³⁾ ، وكان يدعو : «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»⁽⁴⁾ .

قالت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله⁽⁵⁾ . وفي رواية : من خبز شعير يومين متواليين⁽⁶⁾ .

وقالت : ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ، ولا شاة ولا بعيرا⁽⁷⁾ . قالت : ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد⁽⁸⁾ إلا شطر صاع شعير في رف⁽⁹⁾ لي⁽¹⁰⁾ .

وقال : «إني عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذها ، فقلت : لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما ؛ فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك»⁽¹¹⁾ .

(1) دلائل النبوة (507) .

(2) الدُّرْع : الزَّردِيَّة وهي قميص من حلقات من الحديد متشابكة يُلبَس وقايةً من السلاح .

(3) أخرجه : البخاري 49/4 (2916) ، ومسلم 55/5 (1603) .

(4) أخرجه البخاري (5/2372 ، رقم 6095) ، ومسلم (4/2281 ، رقم 1055) .

(5) أخرجه ابن أبي شيبة (7/87 ، رقم 34402) ، وإسحاق بن راهويه 1(3/881 ، رقم 1553) .

(6) شمائل الترمذي (149) .

(7) شمائل الترمذي (398) .

(8) ذو كبد : كل ما له روح .

(9) شطر : المراد نصف وسق ، والرف : شبه الطاق تجعل عليه طرائف البيت أو خشبة عريضة يغرز طرفها في الجدار .

(10) دلائل النبوة للبيهقي (2358) .

(11) شعب الإيمان (10022) ، وحلية الأولياء 5/343 .

وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : كان ﷺ يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا⁽¹⁾ لا يجدون عشاء⁽²⁾.

وكان يقول : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»⁽³⁾.
وفي حديث المغيرة : صلى رسول الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه⁽⁴⁾.
وقال عوف بن مالك : كنت مع رسول الله ﷺ ليلة ، فاستاك ثم توضأ ، فقمتم معه ، فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا آية عذاب إلا وقف فتعوذ ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول : «سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة» . ثم سجد وقال مثل ذلك ، ثم قرأ آل عمران ، ثم سورة سورة ، يفعل مثل ذلك⁽⁵⁾.

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة⁽⁶⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»⁽⁷⁾.

(1) طاويا : خالي البطن جائعا .

(2) الشمائل (145) .

(3) أخرجه مالك (1/186 ، رقم 444) ، وأحمد (6/164 ، رقم 25351) ، والبخارى (1/354 ، رقم 997) ، ومسلم (2/618 ، رقم 901) ، وأبو داود (1/307 ، رقم 1180) . والنسائي (3/132 ، رقم 1474) . وأخرجه أيضًا : ابن ماجه (1/401 ، رقم 1263) ، وابن الجارود (ص 73 ، رقم 249) ، وابن خزيمة (2/319 ، رقم 1387) .

(4) مسلم (7302) .

(5) أخرجه ابن عساكر 25/244 ، والبيهقي في الشعب (2028) .

(6) شمائل الترمذي (269) .

(7) شعب الإيمان (643) .

الباب السادس

في فضل الصلاة على النبي ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾⁽¹⁾. أمر الله تعالى المؤمنين كافة بعد ندائهم بخطابه الشفاهي بما ذكر من الصلاة والتسليم مؤسسا بأن الله وملائكته يفعلون ذلك ، أي : إنه أمركم به ليس لحاجة له إلى ذلك ، بل لقصد تشريفكم لما آمنتكم به بأمر توافقون فيه مالك الملك الأعظم تعالى وخواص خواص عباده الصالحين المكرمين ، مع أن النبي ﷺ الذي هداكم الله به إليه ، وأرشدكم على لسانه إلى كل ما يزلف لديه .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام - رَحِمَهُ اللَّهُ - : ليست الصلاة على رسول الله ﷺ شفاعة منا له ؛ فإن مثلنا لا يشفع لمثله ، ولكن الله سبحانه وتعالى أمرنا بمكافأة مَنْ أنعم علينا وأحسن إلينا ، فإن عَجَزْنَا عن مكافأته دعونا له أن يكافئه عَنَّا ، ولَمَّا عَجَزْنَا عن مكافأة سيد الأولين والآخرين أمرنا رَبُّ العالمين أن نرغب إليه ، وأن نُصَلِّي عليه لتكون صلاتنا عليه مكافأة لإحسانه إلينا وأفضاله علينا ، ولا إحسان أفضل من إحسانه ﷺ⁽²⁾.

قال رسول الله ﷺ : «من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا» . رواه مسلم⁽³⁾.

(1) سورة الأحزاب ، الآية : 56.

(2) حاشية البجيرمي على المنهاج 1/113.

(3) أخرجه مسلم (1/288 ، رقم 384) ، وأحمد (2/168 ، رقم 6568) ، وأبو داود (1/144 ، رقم =

قال القاضي عياض⁽¹⁾ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : قوله ﷺ : «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا» . معناه : رحمته وتضعيف أجره ؛ كقوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾⁽²⁾ قال⁽³⁾ : وقد تكون الصلاة على وجهها وظاهرها تشريفا بين الملائكة ، كما جاء في الحديث : «وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه»⁽⁴⁾ . والله أعلم .

وعن أبي بن كعب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال : قلت : يا رسول الله ، إنني أكثر الصلاة ، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال : «ما شئت» . قلت : الربع؟ قال : «ما شئت ، وإن زدت فهو خير» . قلت : النصف؟ قال : «ما شئت ، وإن زدت فهو خير» . قال : أجعل لك صلاتي كلها؟ قال : «إِذَا تُكْفِيَ هَمَّكَ وَيَغْفِرَ لَكَ ذَنْبَكَ» رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح⁽⁵⁾ .

قال النووي : قوله : أكثر الصلاة ، فكم أجعل لك من صلاتي؟ معناه : أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاةً عليك ؛ قال ﷺ : «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة» حسنه الترمذي⁽⁶⁾ .

= (523) ، والترمذي (586/5) ، رقم (3614) وقال : حسن صحيح . والنسائي (25/2) ، رقم (678) ،

وابن حبان (588/4) ، رقم (1690) .

(1) شرح النووي على صحيح مسلم 144/2 .

(2) سورة الأنعام ، الآية : 160 .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم 144/2 .

(4) أخرجه أحمد (413/2) ، رقم (9340) ، والبخاري (6/2694) ، رقم (6970) ، ومسلم (4/2061) ، رقم

(2675) ، والترمذي (581/5) ، رقم (3603) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/1255) ، رقم

(3822) ، وابن حبان (93/3) ، رقم (811) .

(5) الترمذي (4/636) ، رقم (2457) ، وأخرجه أحمد (5/136) ، رقم (21279) ، وعبد بن حميد (ص 89 ،

رقم 170) ، والحاكم (2/457) ، رقم (3578) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2/187) ، رقم (1499) ،

والضياء (3/389) ، رقم (1185) .

(6) الترمذي (2/354) ، رقم (484) وقال : حسن غريب . وأخرجه أيضا ابن حبان (3/192) ، رقم (911) ، =

وقال ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم». رواه أبو داود بإسناد صحيح⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «ما من أحد يسلم عليّ، إلّا ردّ الله عليّ رُوحِي حتى أرد عليه السلام». رواه أبو داود بإسناد صحيح⁽²⁾.

وقال ﷺ: «إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم علي صلاة»⁽³⁾.

وقال ﷺ: «من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة»⁽⁴⁾.

وقال ﷺ: «من صلى علي في كل يوم ألف مرة لم يميت حتى يرى مقعده من الجنة». قال أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللهُ - : لو لم يكن للصلاة على النبي ﷺ ثواب سوى أنه يرجو بذلك الشفاعة لكان الواجب على العاقل ألا يغفل عنها، فكيف وفيها مغفرة للذنوب، وفيها الصلاة من الله تعالى. قال: وإذا أردت أن تعرف أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل من سائر العبادات تفكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽⁵⁾. فسائر العبادات أمر الله تعالى عباده بها، وأما الصلاة على النبي ﷺ، فقد صلى عليه بنفسه، ثم أمر المؤمنين بأن يصلوا عليه، فثبت

=والطبراني (17/10، رقم 9800)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/212، رقم 1563).

(1) أبو داود (2044)، وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (2/150، رقم 7542)، وأبو يعلى (1/361، رقم 469)، والضياء (2/49، رقم 428).

(2) أخرجه أبو داود (2/218، رقم 2041)، والبيهقي (5/245، رقم 10050).

(3) أخرجه الديلمي (5/277، رقم 8175).

(4) أخرجه ابن ماجه (1/294)، والطبراني (12/180، رقم 12819)، البيهقي في شعب الإيمان (2/215، رقم 1573).

(5) سورة الأحزاب، الآية: 56.

بهذا أن الصلاة على النبي ﷺ من أفضل العبادات (1).

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدها (2).

وحكى الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - في الإحياء عن بعضهم قال : كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي ﷺ فيه ولا أسلم ، فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال ﷺ : أما تتم الصلاة علي في كتابك ، فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت (3).

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - يستحب لقارئ الحديث وغيره ممن في معناه إذا ذكر رسول الله ﷺ أن يرفع صوته بالصلاة عليه والتسليم ، ولا يبالغ في الرفع مبالغة فاحشة . قال : ومن نص على رفع الصوت الإمام الأعظم الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وآخرون ، وقد نص العلماء من أصحابنا وغيرهم على أنه يستحب أن يرفع صوته بالصلاة على رسول الله ﷺ في التلبية .

وحكى ابن الملكن - رحمه الله - أن مشطاً للصوفي - رَحِمَهُ اللهُ - رؤي بعد موته في المنام ، وكان ماجناً فقليل له : ما فعل الله بك؟ قال غفر لي . قيل : بأي شيء؟ قال : استمليت على بعض المحدثين مسنداً فصلى الشيخ على النبي ﷺ فصليت أنا ورفعت صوتي ، فصلى أهل المجلس عليه ، فغفر لنا ذلك اليوم .

وعن أبي بيان الأصفهاني - رَحِمَهُ اللهُ - قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقلت له : هلا نفعت ابن عمك الشافعي بشيء أو خصصته بشيء؟ قال : نعم ، سألت ربي ألا يحاسبه . قلت : بم؟ قال : لأنه كان يصلي علي صلاة لم

(1) تنبيه الغافلين ، ص 121 .

(2) انظر تدريب الراوي شرح تقريب النواوي 2/ 76 .

(3) إحياء علوم الدين 1/ 254 .

يصلّ عليّ بمثلها . قلت : وما هي ؟ قال : كان يقول : اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون⁽¹⁾ .

وعن ابن عبد الحكم قال : رأيت الشافعي في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : نَعَمَنِي وغفر لي وزففت في الجنة ، كما تزف العروس ، ونثر علي كما ينثر على العروس . فقلت : بم بلغت هذا الحال ؟ فقال : بقولي في كتاب الرسالة : وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون ، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون .

فصل في ذكر المواضع التي وردت فيها الصلاة على النبي ﷺ بخصوصها :

الموضع الأول في الصلوات : عن عقبة بن عامر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رجلا قال : يا رسول الله ، أما السلام عليك فقد عَرَفْتَاهُ ، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا ؟ فقال : «إذا صليتم على فقولوا : اللهم صل على محمد النبي الأمي ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد» . رواه الدارقطني⁽²⁾ .

الثاني بعد الأذان : عن عبد الله بن عمر⁽³⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه سمع النبي

(1) الإحياء 1/ 311 ، وصفة الصفوة 1/ 235 ، وتاريخ دمشق 51/ 436 ، وطبقات الشافعية الكبرى 1/ 140 .

(2) الدارقطني (1/ 354) ، وأخرجه أيضا أحمد (4/ 119 ، رقم 17113) ، وابن حبان (5/ 289 ، رقم

1959) ، والبيهقي (2/ 378 ، رقم 3780) ، وقال الدارقطني والبيهقي : هذا إسناد حسن متصل .

وابن أبي شيبة (2/ 247 ، رقم 8635) ، وعبد بن حميد (ص 106 ، رقم 234) ، وابن خزيمة (1/

351 ، رقم 711) ، والحاكم (1/ 401 ، رقم 988) وقال : صحيح على شرط مسلم .

(3) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي المكي ثم المدني ، ولد قبل هجرة الرسول ﷺ بعشر

سنوات ، أسلم صغيرا وهاجر قبل أن يحتلم مع أبيه وكان من الذين بايعوا تحت الشجرة وقد أراد أن يشترك في القتال يوم أحد فاستصغر وكان أول قتال له يوم الخندق ، وكان رضى الله عنه جريئا =

ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ؛ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي» . رواه مسلم⁽¹⁾.

الثالث عند دخول المسجد : قال أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال : «بسم الله ، اللهم صل علي محمد» . وإذا خرج قال : «بسم الله اللهم صل علي محمد» .

الرابع في أول الدعاء وآخره ، وقد أوجبه بعض العلماء : عن فضالة بن عبيد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو الله في صلاته لم يجد الله تعالى ولم يصل علي النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «عجل هذا» ثم دعاه فقال له - أو لغيره - : «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه سبحانه وتعالى والثناء عليه ثم يصلي علي النبي ﷺ ثم يدعو بعده بما شاء» . رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح⁽²⁾.

وروي الترمذي عن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال : الدعاء موقوف بين

=في الحق يجهر به ، وكف بصره في آخر حياته وكانت وفاته بمكة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة .

ترجمته عند : ابن سعد الطبقات الكبرى 2/ 373 ، 4/ 142 ، ابن الأثير : أسد الغابة 3/ 340.

(1) مسلم (1/ 288 ، رقم 384) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/ 168 ، رقم 6568) ، وأبو داود (1/ 144 ، رقم 523) ، والترمذي (5/ 586 ، رقم 3614) وقال : حسن صحيح . والنسائي (2/ 25 ، رقم 678) ، وابن حبان (4/ 588 ، رقم 1690) .

(2) أخرجه أبو داود (2/ 77 ، رقم 1481) ، والترمذي (5/ 517 ، رقم 3477) وقال : حسن صحيح . وابن السني في (ص 53 ، رقم 111) ، وابن حبان (5/ 290 ، رقم 1960) ، والطبراني (18/ 307 ، رقم 791) ، والحاكم (1/ 354 ، رقم 840) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي . والبيهقي (2/ 147 ، رقم 2676) .

السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك محمد ﷺ⁽¹⁾.
الخامس في كل مجلس ، وأوجب ذلك بعض العلماء : عن أبي هريرة -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : « ما جلس قوم مجلسا لم يذكر والله تعالى
فيه ولم يصلوا على نبيه ، إلا كان عليهم ترة ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر
لهم » . رواه الترمذي⁽²⁾.

السادس في يوم الجمعة وليلتها : وعن أوس بن أوس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال :
قال رسول الله ﷺ : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا علي من الصلاة
فيه ؛ فإن صلاتكم معروضة علي » . فقالوا : يا رسول الله ، كيف تُعرض صلاتنا
عليك وقد أرمت - أي : بليت - قال : « إن الله حرم على الأرض أجساد
الأنبياء » . رواه أبو داود والنسائي⁽³⁾.

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا الصلاة علي ليلة الجمعة ويوم
الجمعة ، فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا » . رواه البيهقي⁽⁴⁾.
وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى علي يوم الجمعة ثمانين
مرة غفرت ذنوبه »⁽⁵⁾.

(1) الترمذي (488) .

(2) الترمذي (3708) ، وأخرجه أيضا البيهقي (3/210 ، رقم 5563) ، وابن المبارك (1/342 ، رقم 962) .

(3) أبو داود (1/275 ، رقم 1047) ، والنسائي (3/91 ، رقم 1374) ، وأخرجه أيضا أحمد (4/8 ، رقم

16207) ، وابن أبي شيبه (2/253 ، رقم 8697) ، وابن ماجه (1/524 ، رقم 1636) ، والدارمي (1/

445 ، رقم 1572) ، وابن خزيمة (3/118 ، رقم 1733) ، وابن حبان (3/191 ، رقم 910) ، والحاكم

(1/413 ، رقم 1029) وقال : صحيح على شرط البخاري ، والطبراني (1/216 ، رقم 589) ،

والبيهقي (1/519 ، رقم 1666) .

(4) أخرجه البيهقي (3/249 ، رقم 5790) .

(5) أخرجه الديلمي (2/408 ، رقم 3814) .

السابع كلما ذكر، وأوجبها بعض العلماء: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر أو أحدهما فلم يدخله الجنة» (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من الجفاء أن أذكر عند الرجل ولم يصل عليّ» (2). ويروى عنه ﷺ أنه قال: «ألا أدلكم على خير الناس وشر الناس وأكسل الناس وأبخل الناس وألأم الناس وأسرق الناس؟». قيل: بلى يا رسول الله، قال: «خير الناس من انتفع به، وشر الناس من شقي به أخوه المسلم، وأكسل الناس من أرق في ليلة ولم يذكر الله بلسانه وجوارحه، وألأم الناس من إذا ذكرت عنده فلم يصل عليّ، وأبخل الناس من يخل بالتسليم على الناس، وأسرق الناس من يسرق صلاته». قيل: يا رسول الله، كيف يسرق صلاته؟ قال: «لا يتم سجودها، ولا ركوعها».

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: كنت أخيط شيئاً في السحر، فسقطت الإبرة وطُفئ السراج، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فأضاء البيت من نور وجهه، ووجدت الأبرة، فقلت: «ما أضوأ وجهك يا رسول الله!». فقال: «الويل لمن لم يرني يوم القيامة». قالت: قلت: ومن الذي لم يرك يوم القيامة يا رسول الله؟ قال: «البخيل» قلت: ومن هو البخيل؟ يا رسول الله، قال: «الذي إذا ذكرت عنده لم يصل عليّ».

الثامن عند اللقاء والمصافحة: روى ابن السني عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(1) أخرجه الترمذي (5/550، رقم 3545) وقال: حسن غريب. وابن حبان (3/189، رقم 908)،

والحاكم (1/734، رقم 2016)، وأحمد (2/254، رقم 7444).

(2) أخرجه عبد الرزاق (2/217، رقم 3121).

عن النبي ﷺ : «ما من عبد من عبدين متحابين في الله يستقبل أحدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبي ﷺ إلا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر»⁽¹⁾.
التاسع عند الصباح والمساء : قال ﷺ : «من صلى علي حين يصبح عشرا ،
وحين يمسي عشرا أدرسته شفاعتي يوم القيامة»⁽²⁾.

العاشر عند تعسر الأمور : قال ﷺ : «من تعسر عليه شيء فليكثر من الصلاة
علي ، فإنها تحل العقد وتكشف الكرب» .

وحكى الشيخ سراج الدين بن الملقن - رَحِمَهُ اللهُ - عن الفاكهني أنه روى
عن الشيخ موسى الضرير - رَحِمَهُ اللهُ - أنه ركب مركبا في البحر المالح ، قال :
فثارت علينا ريح تسمى الإقلاية قل من ينجوا منها من الغرق ، قال : فمت
فرايت النبي ﷺ وهو يقول : قل لأهل المركب يقولون ألف مرة : اللهم صلى
على محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات ، وتقتضي بها لنا جميع
الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع السيئات ، وترفع لنا بها عندك أعلى الدرجات ،
وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات . قال :
فاستيقظت وأخبرت أهل المركب بالرؤيا وصلينا على النبي ﷺ نحو ثلاثمائة
مرة ، ففرج الله عنها تلك الشدة .

الحادي عشر عند كتابة اسمه : قال رسول الله ﷺ : «من صلى علي في
كتاب لم تنزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»⁽³⁾.

وحكى ابن الملقن - رَحِمَهُ اللهُ - أن بعض أصحاب النبي ﷺ روى في
المنام ، ف قيل له : ما فعل الله بك؟ قال : غفر لي . ف قيل له : بمذا؟ قال : بصلاتي

(1) أخرجه أيضًا : البخارى فى التاريخ الكبير (252/3) ، وأبو يعلى (334/5) ، رقم (2960) .

(2) أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (120/10) .

(3) الطبراني فى الكبير 181/19 .

في كتبي على النبي ﷺ .

الثاني عشر عند طنين الأذن : روى ابن السني عن أبي رافع - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -
عن النبي ﷺ أنه قال : «إِذَا طَنَّتْ أُذُنُ أَحَدِكُمْ فَلْيَذْكُرْنِي ، وَلْيُصَلِّ عَلَيَّ ، وَلْيَقُلْ :
ذَكَرَ اللَّهُ مَنْ ذَكَرَنِي بِخَيْرٍ» (1).

الثالث عشر عند خدر الرجل : روى عن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أنه
خدرت رجله فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك . فقال : يا محمد ﷺ .
فكأنما نشط من عقال (2).



(1) ابن السني (ص 71 ، رقم 165) ، وأخرجه أيضا الحكيم (175/4) ، والعقيلي في الضعفاء (104/4) ،
ترجمة (1663) وقال : ليس له أصل ، والطبراني في الكبير (1/321 ، رقم 958) ، وفي الأوسط (9/
92 ، رقم 9222) ، وفي الصغير (2/245 ، رقم 1104) ، وابن عدي (6/113) ، وابن عساكر (6/
415) . والبزار (9/328 ، رقم 3884) ، والرويانى (1/473 ، رقم 718) ، والديلمي (1/332 ، رقم
1321) .

(2) البخاري في الأدب المفرد (964) . قال الشيخ الألباني : ضعيف .

فصل

قال في تسهيل المقاصد : للصلاة على النبي ﷺ فضيلة على سائر نوافل الطاعات ، وفي صحيح مسلم ما يقتضي تفضيلها على الصلاة النافلة ، ونقل في الشفا أنها أفضل من العتق ، قيل : والمعنى فيه أنه ﷺ قال : «من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عليه عشر»⁽¹⁾. ومن صلى الله عليه الله ذكره ، ومن ذكره حصل له بذكره الشرف .

واختلفوا في المعنى الذي شرع لنا أن نصلي عليه ، فقال النيسابوري : لأنه ينتفع بدعائنا ، ألا ترى إلى قوله ﷺ : «سلوا لي من الله الوسيلة»⁽²⁾. ليعلم أن الغني في الحقيقة هو الله تعالى .

وقال الحلبي : يجوز أن الله تعالى جعل إعطاء الوسيلة موقوفا على دعائنا ، وكذلك الشفاعة . قال النيسابوري : وقيل : إن لم يكن محتاجا إلى دعائنا فنحن محتاجون إلى شفاعته ، وأمرنا بالصلاة عليه ؛ لأنه تعالى أراد أن يُمْنَّ عليك به وبك عليه ، وإلا حسن أن يقال : إن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هدية منك إليه ، والهدية توجب المكافأة والمحبة والوصلة والقرب ؛ ولهذا قال ﷺ : «أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أكثركم علي صلاة»⁽³⁾. فهو وإن لم يكن محتاجا إلى صلاتنا فنحن محتاجون إلى التودد والتقرب إليه بهذه الهدية والتحية ؛ رغبة في

(1) تقدم تخريجه .

(2) أخرجه أحمد (2/168 ، رقم 6568) ، ومسلم (1/288 ، رقم 384) ، وأبو داود (1/144 ، رقم 523) ، والترمذي (5/586 ، رقم 3614) وقال : حسن صحيح . والنسائي (2/25 ، رقم 678) ، وابن حبان (4/588 ، رقم 1690) .

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/111 ، رقم 3035) ، وابن عساكر (54/301) .

القرب منه وطمعا في المكافأة لشفاعته ﷺ ، ولو لم يكن فيها إلا إظهار المحبة كان ذلك كافيا . قال بعضهم : وإظهار المحبة يوجب النعمة كما أن إظهار العداوة يوجب النقمة ، ألا ترى أن الوزغ⁽¹⁾ حين نفخ النار على إبراهيم ﷺ كان نفخه لا يصل إلى النار ، ولا إلى قريب منها استوجب النعمة لإظهار العداوة والبغضة ، وقد أمر النبي ﷺ بقتله ، وقال : «إنه كان ينفخ على نار إبراهيم»⁽²⁾ . وعلى سائر الأنبياء والمرسلين

مسئلة :

قال القاضي عياض - رَحِمَهُ اللهُ - اِخْتَلَفَ شُيُوخُنَا فِي جَوَازِ الدُّعَاءِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ وَهُوَ إِخْتِيَارُ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ إِلَى أَنَّهُ لَا يُقَالُ ، وَأَجَازُهُ غَيْرُهُ ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ ، وَحُجَّةُ الْأَكْثَرِينَ تَعْلِيمُ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الرَّحْمَةِ ، وَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ لَا يَذْكُرُ الرَّحْمَةَ⁽³⁾ .

حكايات جاءت في الصلاة على النبي ﷺ :

الأولى : قال ابن الملقن - رَحِمَهُ اللهُ - روي أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري فقالت : يا شيخ ، توفيت لي ابنة وأريد أن أراها في المنام . فقال الحسن : صلي أربع ركعات واقري في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وسورة ألهاكم مرة ، وذلك بعد صلاة العشاء الآخرة ، ثم اضطجعي وصلي على النبي ﷺ حتى

(1) الوزغ : جنس من الدويبات له أنواع كالبرص وغيرها ، وتشترك في كونها سامة كلها ، وتختلف في أشكالها وأماكن وجودها .

(2) أخرجه أحمد (6/ 83 ، رقم 24578) ، وابن ماجه (2/ 1076 ، رقم 3231) ، قال البوصيري (3/ 239) : هذا إسناد صحيح . وابن حبان (12/ 447 ، رقم 5631) ، وابن أبي شيبه (4/ 260 ، رقم 19898) ، وأبو يعلى (7/ 317 ، رقم 4357) .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم 2/ 143 .

ترقدي . ففعلت فرأتها في المنام ، وهي في العقوبة وعليها لباس من قطران ويدها مغلولة ورجلها مسلسلة بسلاسل من النار ، فلما انتهت جاءت إلى الحسن البصري وأخبرته بالقصة ، فقال : تصدقي لعل الله أن يعفو عنها . ثم في تلك الليلة رأى الحسن في النوم كأنه في روضة من رياض الجنة ، ورأى سريرا منصوبا عليه جارية حسناء جميلة ، وعلى رأسها تاج من النور ، فقالت له : يا حسن ، أتعرفني؟ فقال : لا . فقالت : أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصدقة . فقال لها الحسن : بغير هذا وصفت لي حالك! فقالت : هو كما قالت . قال : فبماذا بلغت هذه المنزلة؟ فقالت : كنا سبعين ألف نفيس في العقوبة كما وصفت لك والدتي ، فعبّر واحد من الصالحين على قبورنا ، وصلى على النبي ﷺ مرة واحدة وجعل ثوابها لنا ، فأعتقنا الله تعالى من العقوبة ببركته ، وبلغ نصيبي ما قد شاهدته .

الثانية : حكى أبو الليث عن سفيان الثوري أنه قال : كنت أطوف فإذا أنا برجل لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلا ويصلي على النبي ﷺ ، فقلت له : يا هذا ، إنك قد تركت التسبيح والتهليل ، وأقبلت بالصلاة على النبي ﷺ ، فهل عندك من هذا شيء؟ فقال : مَنْ أنت عافاك الله؟ فقلت : أنا سفيان الثوري . فقال : لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ، ثم قال : خرجت أنا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام حتى إذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فقممت لأعالجه ، فبينما أنا ذات ليلة عند رأسه إذ مات واسود وجهه ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات والدي فاسود وجهه ، فجذبت الإزار على وجهه فغلبتني عيناى فنمت ، فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجهها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا ، يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي ، فكشف الإزار عن وجهه فمر بيده على وجهه فعاد وجهه أبيض ، ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه فقلت : يا عبد الله ، مَنْ أنت الذي مَنْ الله على والدي

بك في ديار الغربة؟ فقال : أو ما تعرفني ! أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن ، أما إن والدك كان مسرفاً على نفسه ، ولكن كان يكثر الصلاة علي ، فلما نزل به ما نزل فاستغاث بي وأنا غياث لمن يكثر الصلاة علي . فانتبهت فإذا وجهه أبيض .

الثالثة : حكى القاضي شرف الدين البارزي - رَحِمَهُ اللهُ - في كتاب توثيق عرا الإيمان عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان أنه قال : قفلنا مع الحاج سنة سبع وثلاثين وستمائة ، فعرضت لي حاجة في الطريق ، فنزلت عن راحلتي فغلبني النوم فنمت ، فلم أنتبه إلى آخر النهار ، فلما انتبهت فإذا أنا في بَرِّيَّةٍ قَفْرَاء ، فهالني ما رأيت ، فمشيت في البرية ولا أدري أين أروح؟ ودخل علي الليل وقويت علي الوحشة والخوف ، واشتد علي العطش وأشرفت علي التلف ، وعانيت الهلاك وأيست من الحياة ، فناديت في ظلام الليل : يا محمداه يا محمداه ، أنا مستغيث بك . فلم أتم الكلام حتى سمعت قائلاً يقول : أرشد . فنظرت فإذا أنا بشخص ، فأخذ بيدي فزال عني ما كنت أجده من التعب والعطش وأنست به ، ثم سار بي ساعة ، فبينما أنا كذلك إذ سمعت الحاج والدليل ينادي بالناس ، وقد أوقد لهم ناراً يهتدون بها ، فنظرت فإذا أنا براحتي قدامي واقفة ، فصحت من فرحي بها فقال : لي دونك وراحتك ، ثم رفعني بيده فوضعني على راحلتي وتركني وهو يقول : نحن لا نخيب من طلبنا واستغاث بنا . فعلمتُ عند ذلك أنه النبي ﷺ ، فرأيت أنواره تلوح في ظلام الليل وهو ماض صلوات الله وسلامه عليه ، وقد لحقني من الشدة شيء عظيم ، كيف لم أقبل يديه ورجليه؟⁽¹⁾

الرابعة : حكى عن أبي الخير الأقطع أنه قال : قدمت مدينة الرسول ﷺ

(1) لم نعلق على مثل هذه الحكايات لأنها - كما يرى القارئ الكريم - رؤى منامية لا يعول عليها في شيء من الدين ، كما لا يخفى أن الاستغاثة والاستعانة لا تكون إلا بالله وحده لا شريك له .

فأقمت فيها خمسة أيام ما ذقت شيئاً ، فتقدمت إلى القبر الشريف وسَلَّمْتُ على رسول الله ﷺ وعلى صاحبيه وقلت : يا رسول الله ، أنا ضيفك الليلة ، وتنحيت ونمت خلف القبر ، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعلي بين يديه ، فحركني علي وقال : قم قد جاء رسول الله ﷺ . فقممت إليه وقبلت بين عينيه ، فأعطاني رغيفاً فأكلت نصفه ، وانتبهت وفي يدي نصفه.



فصل في الصلاة على الأنبياء

وآلهم تبعاً لهم صلوات الله وسلامه عليهم

من كتاب الأذكار للشيخ محي الدين النووي - رَحِمَهُ اللهُ - قال ⁽¹⁾: أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ ، كذلك أجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا ، وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلي عليهم ابتداء ، فلا يقال : أبو بكر ﷺ .

واختلف في هذا المنع ، فقال بعض أصحابنا : هو حرام . وقال أكثرهم : مكروه كراهة تنزيه . وذهب كثير منهم إلى أنه خلاف الأولى ، وليس مكروها ، والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه ؛ لأنه شعار أهل البدع ، وقد نهينا عن شعارهم ، والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود .

قال أصحابنا : والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء ، كما أن قولنا : عز وجل . مخصوص بالله سبحانه وتعالى ، وكما لا يقال : محمد عز وجل . وإن كان عزيزاً جليلاً ، لا يقال : أبو بكر أو علي صلى الله عليه . وإن كان معناه صحيحاً ، واتفقوا على جواز جعل غير الأنبياء تبعاً لهم في الصلاة ، فيقال : اللهم صلى الله محمد وعلى آل محمد وأصحابه ، وأزواجه وذريته وأتباعه . للأحاديث الصحيحة في ذلك ، وقد أمرنا به في التشهد ولم يزل السلف عليه خارج الصلاة أيضاً .

وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا : هو في معنى

(1) الأذكار ، ص 118 .

الصلاة ، فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال : علي عليه السلام . وسواء في هذا الأحياء والأموات ، وأما الحاضر فيخاطب به فيقال : سلام عليك ، وسلام عليكم ، والسلام عليكم ، وعليكم . وهذا مجمع عليه .

فصل (1):

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - يستحب الترضي والترحم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الأخيار ، فإن كان المذكور صحابيا ابن صحابي كابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ليشمله وأباه جميعا .

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - (2) فإن قيل : إذا ذكر لقمان ومريم هل يصلي عليهما كالأنبياء ، أم يترضى كالصحابة والأولياء ، أو يقول : عليهما السلام .

فالجواب : أن الجماهير من العلماء على أنهما ليسا بنبيين ، وقد شذ من قال : هما نبيان . ولا التفات إليه ولا يعرج عليه ، فإذا عرفت ذلك فقد قال بعض العلماء كلاما يفهم منه أنه يقول : قال لقمان أو مريم صلى الله على الأنبياء وعليه أو وعليها وسلم ؛ لأنهما يرتفعان عن حال من يقال - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لما في القرآن العزيز فيما يرفعهما .

قال النووي - رحمه الله - والذي أراه أن هذا لا بأس به وأن الأرجح أن يقال - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أو عنها ؛ لأن هذا مرتبة غير الأنبياء ، ولم يثبت كونهما نبيين ، وقد نقل إمام الحرمين إجماع العلماء على أن مريم ليست نبيه . ذكره في الإرشاد ولو قال : عليه السلام ، أو : عليها . فالظاهر أنه لا بأس به ، والله أعلم (3) .

(1) السابق : نفس الموضع .

(2) السابق : نفس الموضع .

(3) الأذكار 119 .

صلى الله
عليه
وسلم

كتاب فضل أمة محمد

وفيه عشرة أبواب :

الباب الأول

في دلائل فضل هذه الأمة

قال الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾⁽¹⁾. أي : عدولا خيارا ؛ قال الله تعالى : ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾⁽²⁾. أي : خيرهم وأعدلهم ، وخير الأشياء أوسطها . ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ . أي : معدلا مزكيا لكم ، وذلك أن الله يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، ثم يقول لكفار الأمم : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾⁽³⁾. فينكرون ويقولون : ما جاءنا من نذير . فيسأل الأنبياء - عليهم السلام - عن ذلك فيقولون : كذبوا قد بلغناهم . فيسألهم البينة - وهو أعلم بهم - إقامة للحجة ، فيؤتي بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا ، فتقول الأمم الماضية : من أين علموا وأنهم أتوا بعدنا ، فيسأل هذه الأمة فيقولون : أرسلت إلينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ، ثم يؤتي بمحمد ﷺ ، فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم .

وفي البخاري عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «يجاء بنوح يوم القيامة ، فيقال : هل بلغت؟ فيقول : نعم يا رب . فيسأل أمته : هل بلغكم؟ فيقولون : لا ما جاءنا من نذير . فيقول : من شهدوك؟ فيقول : محمد وأمته . فقال رسول الله ﷺ : فيجاء بكم فتشهدون» . ثم قرأ رسول الله

(1) سورة البقرة ، الآية : 143 .

(2) سورة القلم ، الآية : 28 .

(3) سورة الملك ، الآية : 8 .

عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ . قال : «عدولا» ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾⁽¹⁾.

وقد سمي الله تعالى هذه الأمة صالحين ، فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾⁽²⁾ . أي : كتبنا في الكتب المنزلة من بعد اللوح المحفوظ ، والمراد بالأرض كل أرض فتحها المسلمون ؛ كالحجاز والعراق وغيرهما . وقيل : يعني أرض الجنة⁽³⁾.

وقال : ﴿وَنَظْمُعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁴⁾ . ووصفها بالفلاح ، فقال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽⁵⁾ . ووصفها بالخير ؛ قال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾⁽⁶⁾ . قيل : معناه أنتم خير أمة . وقيل : معناه كنتم خير أمة في اللوح المحفوظ .

وقال مجاهد وعكرمة : أي كنتم خير الناس للناس⁽⁷⁾ . وقيل : معناه أنتم خير أمة للناس ؛ لأنكم تأمروهم بالمعروف وتنهونهم عن المنكر ، وتردونهم إلى الإسلام ، وتدخلونهم إلى الجنة ، وتمنعونهم دخول النار .

(1) البخارى (3/ 1215 ، رقم 3161) ، وأخرجه أيضا أحمد (3/ 32 ، رقم 11301) ، وعبد بن حميد (ص 286 ، رقم 913) ، والترمذي (5/ 207 رقم 2961) وقال : حسن صحيح . والنسائي فى الكبرى (6/ 292 رقم 11007) وابن ماجه (2/ 1432 ، رقم 4284) ، وابن حبان (14/ 397 ، رقم 6477) ، والبيهقي فى شعب الإيمان (1/ 248 ، رقم 264) .

(2) سورة الأنبياء ، الآية : 105 .

(3) الدر المنثور 8/ 214 .

(4) سورة المائدة ، الآية : 84 .

(5) سورة المؤمنون ، الآية : 1 .

(6) سورة آل عمران ، الآية : 110 .

(7) تفسير الطبري 3/ 254 .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة: «أرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب. فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب». ثم قال: «والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحميراء وكما بين مكة وبصري»⁽¹⁾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «أمتي أمة مرحومة، فإذا كان يوم القيامة يدفع إلى كل رجلٍ رجلٌ من أهل الشرك، فقليل: هذا فداؤك»⁽²⁾. رواه مسلم⁽³⁾. وقال ﷺ: «أمتي أمة توفي سبعين أمة هي خيرها وأكرمها على الله عز وجل»⁽⁴⁾.

وفي الصحيحين عن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟». قال: فكبرنا، ثم قال: «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» قال فكبرنا، ثم قال: «أما ترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك؛ ما المسلمون في الكفار إلا كشجرة بيضاء في ثور أسود، أو شجرة سوداء في ثور أبيض»⁽⁵⁾.

(1) البخارى (4/1745، رقم 4435)، ومسلم (1/184، رقم 194)، وأخرجه أيضا أحمد (2/435، رقم 9621)، والترمذي (4/622، رقم 2434)، والنسائي في الكبرى (6/378، رقم 11286)، وابن أبي شيبة (6/307، رقم 31674).

(2) فداؤك: فكاكك وإنقاذك من النار.

(3) ليس في مسلم وأخرجه الطبراني (17/175، رقم 464).

(4) أخرجه أحمد (3/61، رقم 11604)، والترمذي (5/226، رقم 3001)، وابن ماجه (2/1433، رقم 4288)، والحاكم (4/94، رقم 6987)، والطبراني (19/427، رقم 1038).

(5) أخرجه أحمد (1/386، رقم 3661) والترمذي (4/684، رقم 2547) وقال: حسن صحيح. وابن=

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة»⁽¹⁾.

وقال ﷺ : «أهل الجنة عشرون ومائة صف ؛ ثمانون من هذه الأمة»⁽²⁾.

وقال ﷺ : «إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحُرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي» . رواه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن⁽³⁾.

وذكر الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال : قال رسول الله ﷺ : «قال موسى عليه السلام : يا رب هل خلقت أمة أكرم عليك من أمتي . قال الله تعالى : يا موسى ، إن فضل أمة محمد ﷺ على سائر الخلق كفضلي على جميع خلقي . قال : يا رب ليتني رأيتهم . قال : يا موسى ، إنك لن تراهم ولو أردت أن تسمع كلامهم سمعت . قال : فإني أريد أن أسمع كلامهم . قال الله عز وجل : يا أمة أحمد . فأجبناء كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . قال الله تعالى : يا أمة أحمد ، إن رحمتي سبقت غضبي ، وعفوي عقابي ، وقد أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وقد غفرت لكم قبل أن تعصوني ، من جاءني يوم القيامة يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسولي وعبدي ، جعلت

=ماجه (2/1432 ، رقم 4283) ، والطيالسي (ص 43 ، رقم 324) ، والبخاري (5/2392 ، رقم 6163) ، ومسلم (1/200 ، رقم 221) ، والبزار (5/237 ، رقم 1850) ، وأبو عوانة (1/84 ، رقم 250) ، والبيهقي (3/180 ، رقم 5410) .

(1) البخاري (7036) ، ومسلم (2017) .

(2) أخرجه أحمد (5/347 ، رقم 22990) ، والترمذي (4/683 ، رقم 2546) وقال : حسن . وابن ماجه (2/1434 ، رقم 4289) ، والدارمي (2/434 ، رقم 2835) ، وابن حبان (16/498 ، رقم 7459) ، والحاكم (1/155 ، رقم 273) وقال : صحيح على شرط مسلم .

(3) الطبراني في الأوسط (1/289 ، رقم 942) .

الجنة مأواه وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر»⁽¹⁾.

وروى الثعلبي أيضا عن كعب الأحبار أن موسى عليه السلام نظر في التوراة فقال: إني أجد أمة خير الأمم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال، رب اجعلهم أمتي. قال: هي أمة محمد عليه الصلاة والسلام يا موسى، فقال: يا رب، إني أجد أمة هي الحمادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمرا قالوا: نفعل إن شاء الله، فاجعلهم أمتي. قال: هي أمة محمد. فقال: رب إني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار، وهم المستجيون والمستجاب لهم، الشافعون المشفوع لهم، فاجعلهم أمتي. قال: هي أمة محمد ﷺ. فقال: إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله، وإذا هبط واديا حمد الله، الصعيد لهم طهور، والأرض لهم مسجد، حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غُرٌّ مُحَجَّلُونَ من آثار الوضوء، فاجعلهم أمتي. قال: هي أمة محمد عليه الصلاة والسلام. فقال: يا رب، إني أجد أمة إذا هَمَّ أحدهم بحسنة لم يعملها كتبت له حسنة مثلها، وإن عملها ضَعَفَ له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإذا هَمَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت مثلها فاجعلهم أمتي. قال: هي أمة محمد عليه الصلاة والسلام. فقال: رب إني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفتهم، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، فلا أجد أحدا منهم إلا مرحوما فاجعلهم أمتي. قال: هي أمة محمد ﷺ. فقال: يا رب إني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم، يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة، يصفّون في صلاتهم

(1) تفسير الثعلبي 258/5.

صفوف الملائكة ، أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار أحد منهم أبدا إلا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فاجعلهم أمتي . قال : هي أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه . فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمدا ﷺ وأمته قال : ياليتني كنت من أصحاب محمد صلى الله علي وسلم . فأوحى الله عز وجل إليه ثلاث آيات : يا موسى ﴿ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي ﴾ إلى قوله : ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ⁽¹⁾ ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ⁽²⁾ . قال : رضي موسى كل الرضا ⁽³⁾ .



(1) سورة الأعراف ، الآيتان : 144 ، 145 .

(2) سورة الأعراف ، الآية : 159 .

(3) الكشف والبيان للثعلبي 439/5 ، وتفسير البغوي 82/3 .

الباب الثاني

في أن أفضل الأمة أصحاب رسول الله ﷺ

قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (1). وقال تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الآية (2) والتي بعدها ، وقال في الثالثة : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (3). يعني : التابعين ، وهم يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة . وهم أفضل الأمة يقولون : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (4). شرط في هذه الآية في الذين يجيئون من بعد المهاجرين والأنصار أن يكونوا مستغفرين لمن سبقهم داعين لهم يسمونهم لهم إخوانا ، فكل من كان في قلبه غلٌّ لأحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله تعالى بهذه الآية ؛ لأن الله - عز وجل - رتب المؤمنين على ثلاث منازل : المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر ، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين .

وقال ابن أبي ليلى : الناس على ثلاث منازل ؛ الفقراء المهاجرون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان ، والذين جاءوا من بعدهم ، فاجتهد ألا تكون خارجا من هذه المنازل (5).

(1) سورة الأنفال ، الآية : 74 .

(2) سورة الحشر ، الآية : 8 .

(3) سورة الحشر ، الآية : 10 .

(4) سورة الحشر ، الآية : 10 .

(5) تفسير ابن أبي حاتم (10719) .

قالت عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم ؛ سمعت نبيكم ﷺ يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يعلن آخرها أولها »⁽¹⁾.

وقال مالك بن مغول : قال عامر بن شراحيل الشعبي : يا مالك ، تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة ؛ سئلت اليهود : من خير أهل مِلَّتِكُمْ؟ فقالت : أصحاب موسى . وسئلت النصارى من خير أهل مِلَّتِكُمْ؟ فقالوا : حواري عيسى . وسئلت الرافضة : من شر أهل مِلَّتِكُمْ؟ فقالوا : أصحاب محمد ﷺ ؛ أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم ، فالسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة ، لا تقوم لهم راية ولا تثبت لهم قدم ، ولا تجتمع له كلمة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، تسفك دماءهم ويفرق شملهم ، وتدخص حجتهم ، أعاذانا الله وإياكم من الأهواء المظلمة⁽²⁾.

وقال مالك ابن أنس : من انتقص أحداً من الصحابة ، أو كان في قلبه عليهم غلٌّ فليس له حق في فيء المسلمين ، ثم تلا هذه الآيات : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾⁽³⁾. وفي الصحيحين عن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : «خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم»⁽⁴⁾.

(1) البغوي في معالم التنزيل للبغوي (8/8) ، وابن بطة في الإبانة (15) .

(2) أخرجه البغوي في معالم التنزيل 8/8 ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة 1461/8 - 1462 وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة 23/1 - 26 عن ابن شاهين في كتاب : اللطيف من السنة .

(3) أخرجه البغوي في معالم التنزيل 8/8 .

(4) البخاري (2/938 ، رقم 2509) ، ومسلم (4/1962 ، رقم 2533) ، وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة (6/404 ، رقم 32407) ، وأحمد (1/434 ، رقم 4130) ، والترمذي (5/695 ، رقم 3859) وقال : =

وفي الصحيحين أيضا عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»⁽¹⁾»⁽²⁾.

وقال ﷺ : «من أحب جميع أصحابي وتولاهم واستغفر لهم ، جعله الله يوم القيامة معهم في الجنة»⁽³⁾.

وقال ﷺ : «إن الله اختارني واختار لي أصحابا ، فجعل لي منهم أصهارا وأنصارا ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»⁽⁴⁾.

وقال ﷺ : «إن الله اختارني واختار لي أصحاب فجعلهم أصحابي وأصهارا وأنصاري ، وسيأتي قوم من بعده يسبونهم»⁽⁵⁾.

=حسن صحيح . وابن ماجه (2/ 791 ، رقم 2362) ، والنسائي في الكبرى (3/ 494 ، رقم 6031) ، وأبو يعلى (9/ 40 ، رقم 5103) ، وابن حبان (16/ 205 ، رقم 7222) ، والبيهقي (10/ 45 ، رقم 19696) ، والطبراني (10/ 165 ، رقم 10338) .

(1) مد : أى ربع . نصيفه : أى نصفه .

(2) أخرجه الطيالسي (ص 290 ، رقم 2183) ، وأحمد (3/ 54 ، رقم 11534) ، وابن أبى شيبة (6/ 404 ، رقم 32404) ، وعبد بن حميد (ص 287 ، رقم 918) ، والبخاري (3/ 1343 ، رقم 3470) ، ومسلم (4/ 1967 ، رقم 2541) ، وأبو داود (4/ 214 ، رقم 4658) ، والترمذي (5/ 695 ، رقم 3861) وقال : حسن . وابن حبان (16/ 238 ، رقم 7253) .

(3) ابن عرفة العبدى كما في الجامع الكبير (45313) .

(4) أخرجه الطبراني (17/ 140 ، رقم 349) ، والحاكم (3/ 732 ، رقم 6656) وقال : صحيح الإسناد ، وابن أبى عاصم فى السنة (2/ 483 ، رقم 1000) ، والخلال فى السنة (3/ 515 ، رقم 834) ، وابن قانع (2/ 142) ، وأبو نعيم فى الحلية (2/ 11) ، والرافعى من طريق أبى طاهر الخلف (4/ 14) .

(5) أخرجه الخلال فى السنة (2/ 483 ، رقم 769) وقال : لا يصح . والعقيلي (1/ 126 ، ترجمة 153 أحمد ابن عمران) وقال : قال البخارى : منكر الحديث . والخطيب (13/ 473) والديلمى كما فى الضعيفة للألبانى (7/ 36 رقم 3037) .

وقال أيضا : «يغضونهم فلا تجالسوهم ، ولا تواكلوهم ، ولا تناكحوهم ، ولا تصلوا عليهم ، ولا تصلوا معهم»⁽¹⁾ .
وقال عليه السلام : «من مات من أصحابي بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة»⁽²⁾ .

وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد عليه السلام خير قلوب العباد فاختره لرسالته ، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد بعد قلبه ، فاخترهم لصحبته⁽³⁾ .



(1) أخرجه الخطيب (473/13) ، والعقيلي (126/1) ، ترجمة 153 أحمد بن عمران) .

(2) أخرجه ابن عساكر (412/2) ، والديلمي (506/3) ، رقم 5568 .

(3) أخرجه الطيالسي (33/1) ، وأبو نعيم في الحلية (375/1) .

الباب الثالث

في بيان أن أفضل الصحابة السابقون الأولون

من المهاجرين والأنصار والعشرة الأبرار

قال الله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾ . الآية (1) . قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في شرح مسلم قال أبو منصور البغدادي : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور ، ثم تمام العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ومن له مزية أهل العقبتين من الأنصار ، وكذلك السابقون الأولون ، وهم من صلى إلى القبلتين في قول ابن المسيب ، وطائفة وفي قول الشعبي أهل بيعة الرضوان ، وفي قول عطاء ومحمد بن كعب أهل بدر (2) .

وعن النبي ﷺ أنه قال : «لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها» (3) .

وقال ﷺ لعمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حين قال : دعني أضرب عنقه - يعني حاطبا - : «إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (4) .

(1) سورة التوبة ، الآية : 100 .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم 8/118 .

(3) أخرجه الطبراني في الكبير (21386) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (2933) ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (7392) .

(4) البيهقي في الكبرى 9/146 ، والطبراني في الكبير 10/247 .

وعن سهيل بن مالك قال : لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «إن أبا بكر لم يستني قط فاعرفوا ذلك له ، يا أيها الناس أني راض عن عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، والمهاجرين الأولين ، فاعرفوا ذلك لهم ، يا أيها الناس إن الله قد غفر لأهل بدر والحديبية»⁽¹⁾.

وعن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : «أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعلي في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن في الجنة ، وسعد في الجنة ، وسعيد في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» . رواه النسائي والترمذي⁽²⁾.

وقال تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الآية⁽³⁾. قال الحسن - رَحِمَهُ اللَّهُ - ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أبو بكر ﴿أَشَدَّ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان ﴿تَرَبَّؤُا مِنْهُ رُكُوعًا سَجْدًا﴾ علي ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ بقية العشرة المبشرين بالجنة ﴿كَمِثْلِ زَرْعٍ﴾ الزرع محمد رسول الله ﴿أَخْرَجَ شَطَطَهُ﴾ أبو بكر ﴿فَتَأْزِرُهُ﴾ عمر ﴿فَاسْتَعَاظَ﴾ عثمان يعني استغلط للإسلام ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ علي بن أبي طالب ، استقام الإسلام بسوقه ﴿يُعِجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ قال :

(1) أخرجه ابن قانع (271/1) ، والطبراني (104/6) ، رقم (5640) ، قال الهيثمي (157/9) : فيه جماعة لم أعرفهم . وابن عساكر (81/21) وقال : قال ابن منده : هذا حديث غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه . وأخرجه أيضًا : العقيلي (147/4) ، ترجمة 715 محمد بن يوسف المسمعي ، والدليمي (5/281) ، رقم (8187) .

(2) الترمذي (647/5) ، رقم (3747) ، وأخرجه أيضا ابن أبي شيبه (350/6) ، رقم (31946) ، وأحمد (1/187) ، رقم (1629) ، وابن أبي عاصم (619/2) ، رقم (1428) ، وأبو نعيم في الحلية (95/1) ، والضياء (283/3) ، رقم (1084) .

(3) سورة الفتح ، الآية : 29.

المؤمنون ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ قول عمر لأهل مكة بعدما أسلم: لا نعبد الله سرًّا بعد اليوم⁽¹⁾.

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله - عز وجل - عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأفرضهم زيد، وأقرؤهم أبيّ، وأعلمهم بالحلّال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». رواه معمر عن قتادة مرسلًا، وفيه: «وأقضاهم علي» رضي الله عنه⁽²⁾.



(1) تفسير البغوي 8/325، والدر المنثور 9/237.

(2) أخرجه ابن عساكر (96/39).

الباب الرابع

في بيان أن أفضل السابقين الخلفاء الأربعة

قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا في قلب مؤمن؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة فجعلهم خير أصحابي، وفي كل أصحابي خير؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»⁽²⁾.

وقال ﷺ: «إن الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، كما افترض عليكم الصلاة والصيام والحج، فمن أبغض أحدا منهم أدخله الله النار»⁽³⁾. وعن علي - كرم الله وجهه - عن النبي ﷺ أنه قال: «رحم الله أبا بكر؛ زوّجني ابنته، وأعتق بلالا من ماله، وحملني إلى دار الهجرة، رحم الله عمر؛ يقول الحق وإن كان مرًا تركه الحق وما له من صديق، ورحم الله عثمان تستحيه الملائكة، رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيثما دار»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه عبد بن حميد (ص 426، رقم 1464)، وابن عساكر (125/39).

(2) أخرجه الخطيب (162/3) وقال: غريب. وابن عساكر (207/30). وابن جرير الطبري في صريح السنة (1/23، رقم 23). قال المزني في تهذيب الكمال (104/15)، والحافظ في تهذيب التهذيب (227/5): الحديث بطوله موضوع.

(3) أخرجه ابن عساكر (127/39).

(4) أخرجه الترمذي (5/633، رقم 3714) وقال: غريب. وابن عساكر (71/39)، والحاكم (3/76، رقم 4441) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبخاري (3/51، رقم 806)، وأبو يعلى (1/418، رقم 550).

قال الشيخ موفق الدين ابن قدامة - رَحِمَهُ اللهُ - : وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون الذين وعدهم الله بالاستخلاف ، ورضي رسول الله ﷺ باتباع سنتهم ؛ قال الله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية⁽¹⁾. لا يجوز أن تحمل الآية على استخلاف غيرهم ؛ لأن وعد الله حق لا يجوز الخلف عليه ، وما وجد الاستخلاف بعد النبي ﷺ مع الشروط المذكورة في الأخبار المأثورة في جماعة غيرهم كوجودها فيهم ، سيما وقد بين النبي ﷺ مدة خلافتهم ، وحثّ على سنتهم ووصفهم بصفاتهم وسماهم بأسمائهم .



(1) سورة النور ، الآية : 55.

الباب الخامس

في بيان أن أفضل الأربعة

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما

عن علي - كرم الله وجهه - قال : كنت قاعدا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - فقال : «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين» ثم قال : «لا تخبرهما يا علي» رواه الترمذي (1).
وقال ﷺ : «اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر» (2).

وقال ﷺ : «أنا الأول ، وأبو بكر الثاني ، وعمر الثالث» (3).
وقال علي : إن إمارة أبي بكر وعمر لفي كتاب الله (4) ؛ ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا﴾ (5).

وقال ﷺ : «ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل

(1) الترمذي (611/5 ، رقم 3665) وقال : غريب . وأخرجه أيضا أحمد (80/1 ، رقم 602) ، وابن ماجه (36/1 ، رقم 95) ، وابن أبي شيبة (350/6 ، رقم 31941) ، والبخاري (132/2 ، رقم 490) ، وأبو يعلى (405/1 ، رقم 533) ، والديلمي (437/1 ، رقم 1781) .

(2) أخرجه أحمد (382/5 ، رقم 23293) ، والترمذي (609/5 ، رقم 3662) ، وابن ماجه (37/1 ، رقم 97) ، والبخاري (248/7 ، رقم 2827) ، والطبراني في الأوسط (140/4 ، رقم 3816) ، والحاكم (3/79 ، رقم 4454) ، والبيهقي (212/5 ، رقم 9836) . وابن عساكر (14/5) .

(3) أخرجه الطبراني (118/12 ، رقم 12645) ، وابن عدي (404/1) ، والخطيب (31/7) ، والطبراني في الأوسط (191/1 ، رقم 605) .

(4) أخرجه ابن عدي (435/3 ، ترجمة 851 سيف بن عمر الضبي) ، وابن عساكر (222/30) .

(5) سورة التحريم ، الآية : 3 .

الأرض ؛ فأما وزيراي من أهل السماء فجبرائيل وميكائيل ، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر»⁽¹⁾.

وقال محمد ابن الحنفية : قلت لأبي : يا أبت ، مَنْ خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : يا بُني أو لا تعلم؟! قلت : لا . قال : أبو بكر . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : يا بُني أو لا تعلم؟! قلت : لا . قال : ثم عمر . قال : ثم بدرته قلت : يا أبت ، ثم أنت ؟ قال : يا بني أبوك رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم . رواه البخاري⁽²⁾.

وعن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال : لا أُوتي برجل يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته الحد⁽³⁾.
وقال علي في خطبته : ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر بن الخطاب⁽⁴⁾.



(1) أخرجه الترمذي (616/5 ، رقم 3680) وقال : حسن غريب .

(2) البخاري (3671) .

(3) كنز العمال (36152) .

(4) أخرجه ابن عساكر (196/44) وقال : المحفوظ موقوف .

الباب السادس

في بيان أن أفضل الأربعة

أبو بكر رضي الله عنه

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾⁽¹⁾. قال الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر الصديق، رضي الله عنه⁽²⁾.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «أنت صاحبني في الغار وصاحبني على الحوض»⁽³⁾.

وقال الحسين بن الفضل: من قال: إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر؛ لإنكار نص القرآن، وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا، ولا يكون كافرا⁽⁴⁾.

قال رسول الله ﷺ: «إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر - رضي الله عنه - ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا تبقي في المسجد خوذة إلا خوذة أبي بكر»⁽⁵⁾.

(1) سورة التوبة، الآية: 40.

(2) زاد المسير 3/178، والكشف والبيان للثعلبي 6/146.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره 13/107، وتفسير البغوي 4/49.

(4) تفسير البغوي 4/49.

(5) أخرجه أحمد (3/18، رقم 11150)، والبخاري (1/177، رقم 454)، ومسلم (4/1854، رقم

وعن جبير بن مطعم⁽¹⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : أتت النبي ﷺ امرأة كَلَّمَتْهُ في شيء ، فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : يا رسول الله ، أرايت إن جئت ولم أجدك - كأنها تريد الموت - قال : «إن لم تجدني فأتي أبا بكر»⁽²⁾.

وعن عمرو بن العاص⁽³⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، قال : فأتيته فقلت : أي الناس أحب إليك؟ قال : «عائشة» . قلت : من الرجال؟ قال : «أبوها» . قلت : ثم من؟ قال : «عمر» . فَعَدَّ رجالاً فسكَّتَ مَخَافَةَ أن يجعلني في آخرهم⁽⁴⁾.

وقال ﷺ : «أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم أتى أهل البقيع فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين»⁽⁵⁾.

(1) هو : جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي ، أبو عدي ، صحابي ، كان من علماء قريش وساداتهم . توفي بالمدينة ، وعده الجاحظ من كبار النسابين . وفي الإصابة : كان أنسب قرشي لقريش والعرب قاطبة .

ترجمته في طبقات خليفة (43) ، والمحبر 67 ، 69 ، والتاريخ الكبير 223/2 ، والجرح والتعديل 2/512 ، والاستيعاب 1/230 ، وأسد الغابة 1/323 ، وتاريخ الإسلام 2/274 ، والعيبر 1/59 ، وتذهيب التهذيب 1/102 ، ومروءة الجنان 127/1 و 130 ، والإصابة 1/225 ، وشذرات الذهب 1/64 .

(2) أخرجه البخاري (3659) .

(3) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي أبو عبد الله ، ويقال : أبو محمد ، أحد رؤساء قريش في الجاهلية ، أسلم قبل الفتح بستة أشهر وكان أحد أمراء الإسلام وفتح الله على يديه بلاداً كثيرة ومنها مصر ، توفي رضى الله عنه سنة ثلاث وأربعين ، وقيل : غير ذلك ، وكان معدوداً من دهاة العرب وشجعانهم وذوى آرائهم . ترجمته عند ابن حجر : الإصابة 4/650 ، وابن كثير : البداية والنهاية 11/158 .

(4) أخرجه ابن عساكر (472/25) .

(5) أخرجه الترمذي (5/622 ، رقم 3692) وقال : غريب . والطبراني (12/305 ، رقم 13190) ، والحاكم (3/72 ، رقم 4429) وقال : صحيح الإسناد . وابن عساكر (44/188) ، وابن حبان (15/324 ، رقم

وقال عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر⁽¹⁾. وقال : وددت لو أني شعرة في صدر أبي بكر⁽²⁾.
وقال : لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض⁽³⁾.

وقال : ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير ذلك بعد يومي هذا فهو مفتر عليه وعليه ما على المفتري⁽⁴⁾.

وقال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر⁽⁵⁾.
وعن أبي يحيى قال : سمعت عليا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يحلف لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق ، يعني : قوله تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ الآية⁽⁶⁾.

وقال ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : كنا نقول ورسول الله ﷺ حيّ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره⁽⁷⁾.

وقال أبو الدرداء : رأي النبي ﷺ أمشي أمام أبي بكر ، فقال : «يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة ، ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر الصديق»⁽⁸⁾.

(1) أخرجه ابن عساكر (80/30) .

(2) مسدد - كما في الجامع الكبير (31599) .

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/69 ، رقم 36) .

(4) اللالكائي اللالكائي - كما في الجامع الكبير (29927) .

(5) تقدم تخريجه .

(6) سورة الزمر ، الآية : 33 .

(7) أخرجه أبو داود (4630) .

(8) أخرجه ابن عساكر (208/30) ، وابن أبي عاصم (2/576 ، رقم 1224) .

وقال ﷺ : «حب أبي بكر وشكره واجب على كل أمتي»⁽¹⁾.

واختلفوا في سبب تلقيب أبي بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بعتيق على ثلاثة أقوال :
أحدها : ما روي عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أنها قالت : إني جالسة ذات يوم ورسول الله ﷺ وأصحابه في فناء البيت ، إذ أقبل أبي فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : «من أراد أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر»⁽²⁾.

والثاني : أنه اسمٌ سمته به أمه ؛ قاله موسى بن طلحة .

والثالث : أنه سمي به لجمال وجهه ، ويروى عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال : اجتمع المهاجرون والأنصار عند رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وعيشك يا رسول الله إني لم أسجد لصنم قط ، فغضب عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وقال : يقول : وعيشك يا رسول الله إني لم أسجد لصنم قط ، وقد كنت في الجاهلية كذا وكذا سنة . فقال أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : إن أبا قحافة أخذ بيدي فأنطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام ، فقال لي : هذه آلهتك الشم العلى ، فأسجد لها ، وخلاني وذهب ، فدنوت من الصنم وقلت : إني جائع فأطعمني . فلم يجبني ، وقلت : إني عطشان فأروني . فلم يجبني ، فقلت : إني عاريا فاكسني . فلم يجبني ، فأخذت صخرة وقلت : إني ملق عليك هذه الصخرة ؛ فإن كنت إلها فامنع نفسك منا ، فلم يجبني ، فألقيت الصخرة عليه فخر لوجهه ، وأقبل والدي فقال : ما هذا يا بني ؟ فقلت : هذا الذي ترى .

(1) أخرجه الخطيب (451/5) وقال : تفرد به عمر بن إبراهيم ويعرف بالكردى عن ابن أبي ذئب وعمر ذاهب الحديث . والديلمي (2/142 ، رقم 2724) ، وأورده ابن الجوزى في اللعل المتناهية (189/1) ، رقم 292 وقال : قال الخطيب : تفرد به عمر بن إبراهيم الكردى ، وعمر ذاهب الحديث . وقال الدارقطني : كان كذابا يضع الحديث .

(2) أخرجه الطبراني في الكبير 54/1 (10) ، وأبو نعيم في المعرفة (52) .

فانطلق بي إلى أُمِّي فأخبرها ، فقالت : دعه فهذا الذي ناجاني به الله . فقلت : يا أُمَاه وما ناجاك به الله؟ فقالت : ليلة أصابني المخاض ولم يكن عندي أحد سمعت هاتفًا يقول - أسمع الصوت ولا أرى الشخص - : يا أمة الله على التحقيق ألا أبشري بالولد العتيق ، اسمه في السماء الصديق لمحمد صاحب ورفيق .

قال أبو هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : فلما انتقضى كلام أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نزل جبريل على النبي ﷺ وقال : صدق أبو بكر . فَصَدَّقَهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ .
ومن فضائله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أن الله أعطاه من عنده مثل ما أعطي رسول الله ﷺ في خمسة أشياء :

الأول : أنه سبحانه وتعالى قال لنبيه : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (١). وقال لأبي بكر : ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (٢).

الثاني : أنه قال لنبيه : ﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ (٣). وقال لأبي بكر : ﴿فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (٤).

الثالث : أن جبريل نزل على أبي بكر بالسلام ، كما نزل بالسلام على رسول الله ﷺ ؛ روي عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال : يا محمد ، مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال . فقال : «يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح» . قال : فأقرئه من الله السلام ، وقل له : يقول لك ربك : أراض أنت عني في ففرك هذا أم ساخط ؟ فبكى أبو بكر -

(1) سورة الضحى ، الآية : 5 .

(2) سورة الليل ، الآية : 21 .

(3) سورة الأعلى ، الآية : 8 .

(4) سورة الليل ، الآية : 7 .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وقال : على ربي أسخط ، أنا عن ربي راض ، أنا عن ربي راض ، أنا عن ربي راض (1).

الرابع : أن الله ساوى بينه وبين نبيه في الصحبة في الغار ؛ قال الله تعالى : ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ (2).

الخامس : أن رسول الله ﷺ كان يسمع الوحي فيغشى عليه ، وكان أبو بكر عند النبي ﷺ ، فنزل جبريل على النبي ﷺ بقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (3) فسمعه أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فغشى عليه .

ومن فضائله : - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه أسلم على يده من العشرة المشهود لهم بالجنة خمسة ؛ عثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف .

ومن فضائله : - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه تنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والإسلام ؛ روي عن أبي العالية قال : سئل أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ : هل شربت خمرًا في الجاهلية؟ قال أعوذ بالله! قالوا : ولم؟ قال : كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي ؛ لأنه من شرب كان لعرضه ومروءته مضيعا فبلغ ذلك رسول ﷺ فقال : «صدق أبو بكر» (4).

وقال ربيعة بن كعب : كان إسلام الصديق شبيها بالوحي ، وذلك لأنه كان تاجرا بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرا الراهب ، فقال : من أين أنت؟ قال من مكة . قال : من أيها؟ قال : من قريش . قال : أي شيء أنت؟ قال : تاجر . قال :

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية (105/7) .

(2) سورة التوبة ، الآية : 40 .

(3) سورة القصص ، الآية : 56 .

(4) أخرجه ابن عساكر (333/30) ، وابن جرير في الرياض النضرة (146/2) .

إن صدق الله رؤياك فإنه سيبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته فأسرَّ الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حتى بعث سيد الأولين والآخرين ، فجاءه فقال : ما الدليل على ما تدعي؟ فقال : الرؤيا التي رأيته بالشام . فعانقه وقبل بين عينيه ، وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك نبي الله ورسوله ⁽¹⁾.



(1) سبل الهدى والرشاد 1/ 124.

الباب السابع

قد تبين بما سبق من الأحاديث أن أفضل الأربعة بعد أبي بكر عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ونحن نذكر شيئاً من فضائله زيادة على ما سبق .

قال رسول الله ﷺ : «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحدٌ فإنه عمر»⁽¹⁾. قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : اختلف العلماء في المراد بمحدثون ؛ فقال ابن وهب : ملهمون . وقيل : مصبيون إذا ظنوا . وقيل : تكلمهم الملائكة . وجاء في رواية : مُلَكَّمُونَ . وقال البخاري : يجري الصواب على ألسنتهم⁽²⁾.

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال له : «يا بن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك»⁽³⁾. وقال ﷺ : «بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى أرى الري يخرج من أظفاري ، ثم أتيت فضلي عمر بن الخطاب» . فقالوا : فما أولته يا رسول الله؟ قال : «العلم»⁽⁴⁾. وقال

(1) أخرجه أحمد (55/6 رقم 24330) . ومسلم (4/1864 رقم 2398) ، والترمذي (5/622) ، رقم 3693 وقال : حديث صحيح . والنسائي في الكبرى (5/39 رقم 8119) ، والحميدي (1/123) ، رقم 253) ، وإسحاق بن راهويه (2/479) ، رقم 1058) ، وابن أبي عاصم في السنة (2/583) ، رقم 1261) ، واللالكائي في كرامات الأولياء (1/94) ، رقم 42) والحاكم في معرفة علوم الحديث (ص 220) .

(2) شرح صحيح مسلم 8/138 .

(3) أخرجه البخاري (3/1347) ، رقم 3480) ، ومسلم (4/1863) ، رقم 2396) ، والشاشي (1/174) ، رقم 119) .

(4) أخرجه أحمد (2/130) ، رقم 6142) ، والبخاري (1/43) ، رقم 82) ، ومسلم (4/1859) ، رقم 2391) ، والترمذي (4/539) ، رقم 2284) وقال : حديث صحيح .

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «إن الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه»⁽¹⁾.

وقال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر⁽²⁾.

وقال بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر⁽³⁾. وقال أيضا: إن إسلام عمر كان فتحا وإن هجرته كانت نصرا وإن إمارته كانت رحمة⁽⁴⁾.

وقد نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر، وفي الحجاب، وفي تحريم الخمر، وفي مقام إبراهيم، وفتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر، ودَوَّن الدواوين في العطاء، ورتب الناس فيه على سوابقهم، وهو الذي نَوَّر شهر الصوم بصلاة التراويح فيه، وأرخ التاريخ من الهجرة الذي بأيدي الناس إلى اليوم، وهو أول من سُمي بأمير المؤمنين، وهو أول من اتخذ الدرة، وكان نقش خاتمه: كفى بالمولت واعظا يا عمر.



(1) أخرجه أحمد (53/2)، رقم 5145، وعبد بن حميد (ص 245، رقم 758)، والترمذي (617/5) رقم

3682. وابن حبان (15/318، رقم 6895)، والطبراني في الأوسط (3/338، رقم 3330).

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (5/359، رقم 5549).

(3) أخرجه ابن عساكر (46/44).

(4) أخرجه ابن عساكر (47/44).

الباب الثامن

في بيان فضل عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

روى نافع عن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ : «أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت»⁽¹⁾.

وقال علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين . وعن عبد الرحمن بن سمرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في مكة حين جهز جيش العسرة ، فنثرها في حجره ، فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول : «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» . مرتين⁽²⁾.

وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالت : قال رسول الله ﷺ : «يا عثمان ، إن الله مقمصك قميصا ، فإن أراد المنافقون أن تخلعه لهم فلا تخلعه ولا كرامة» . يقولها مرتين وثلاثا . رواه الترمذي⁽³⁾.

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة قال : «يقتل فيها هذا المقنع مظلوما» . قال : فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان . رواه أحمد والترمذي⁽⁴⁾.

(1) تقدم تخريجه .

(2) أخرجه أحمد (5/ 63 ، رقم 20649) ، والحاكم (3/ 110 ، رقم 4553) وقال : صحيح الإسناد . وأبو نعيم في الحلية (1/ 59) .

(3) الترمذي (5/ 628 ، رقم 3705) وقال : حسن غريب . وأخرجه أيضا أحمد (6/ 86 ، رقم 24610) ، وابن ماجه (1/ 41 ، رقم 112) ، والحاكم (3/ 106 ، رقم 4544) وقال : صحيح على الإسناد .

(4) أحمد (6095) .

وقال صلى الله عليه وسلم : «من يشتري بئر رومة غفر الله له» . فأتى عثمان صاحبها وكان يهوديا فاشترى منه نصفها باثني عشر ألفا ، وقال لصاحبها : اختر إن شئت نصبت لي دلوا ونصبت أنت لك دلوا ، وإن شئت كان لك يوم ولي يوم . فقال اليهودي : بل يكون لي يوم ولك يوم . فكان الناس يستقون في يوم عثمان ليومين ، فقال اليهودي : أفسدت علي نصيبي فاشتر بقيتها مني . فاشتراه منه بثمانية آلاف درهم وسبّلها للمسلمين⁽¹⁾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : «من يتاع مربد بني فلان غفر الله له» . فاشتراه عثمان فجعله في المسجد⁽²⁾ .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من سقى شربة من ماء حيث يوجد الماء كان كمن أعتق رقبة ، ومن سقى شربة حيث لا يوجد الماء كان كمن أحيا نفسا» . فكل من شرب من بئر رومة إلى يوم القيامة فلعثمان بكل شربة عتق رقبة⁽³⁾ .



(1) أخرجه الترمذي (627/5 ، رقم 3703) ، وقال : حسن . والنسائي (235/6 ، رقم 3608) ، وابن خزيمة (4/121 ، رقم 2492) ، والدارقطني (4/196) ، وابن أبي عاصم (2/594 ، رقم 1305) ، والبيهقي (6/168 ، رقم 11716) ، والضياء (1/446 ، رقم 321) .

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (6/359 ، رقم 32023) ، وأحمد (1/70 ، رقم 511) ، والنسائي (3/31 ، رقم 4391) ، وابن خزيمة (4/119 ، رقم 2487) ، وابن حبان (15/362 ، رقم 6920) ، والدارقطني (4/194) ، وابن أبي عاصم في السنة (2/593 ، رقم 1303) ، والضياء (1/475 ، رقم 350) .

(3) أخرجه ابن ماجه (2/826 ، رقم 2474) .

الباب التاسع

في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله ، تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بيدي»⁽¹⁾.

وقال علي - رضي الله عنه - : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي الأمي إلي ألا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق⁽²⁾.

وعن البراء - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال لعلي - رضي الله عنه - : «والله أنت مني وأنا منك»⁽³⁾.

وعن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «من كنت مولاه فعلي مولاه»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الطيالسي (ص 28 ، رقم 205) ، وأحمد (1/179 ، رقم 1547) ، والبخاري (3/1359) رقم 3503 ، ومسلم (4/1870 ، رقم 2404) ، والترمذي (5/641 ، رقم 3731) وقال : حسن . وابن ماجه (1/42 ، رقم 115) .

(2) أخرجه الحميدي (1/31 ، رقم 58) ، وابن أبي شيبة (6/365 ، رقم 32064) ، وأحمد (1/84 ، رقم 642) ، ومسلم (1/86 ، رقم 78) ، والترمذي (5/643 ، رقم 3736) ، وقال : حسن صحيح ، والنسائي في الكبرى (5/47 ، رقم 8153) ، والصغرى (8/115 ، رقم 5018) ، وابن ماجه (1/42 ، رقم 114) ، وابن حبان (15/367 ، رقم 6924) ، وأبو نعيم في الحلية (4/185) ، وقال : صحيح متفق عليه ، وابن أبي عاصم في السنة (2/598 ، رقم 1325) .

(3) أخرجه ابن أبي شيبة (6/381 ، رقم 32201) ، والبيهقي (10/226 ، رقم 20816) .

(4) أخرجه الطبراني (5/166 ، رقم 4969) ، والحاكم (3/118 ، رقم 4576) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا»⁽¹⁾. فكان آخر الثلاثين خلافة علي رضي الله عنه.

وقال محمد ابن الحنفية: كنا مع علي - رضي الله عنه - وعثمان محصور، فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة! فقام علي فأخذت بسوطه تخوفاً عليه، فقال: خل لا أبا لك، فأتى على الدار وقد قتل عثمان، فأتى داره وأغلق بابيه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا، فقالوا: إن عثمان قد قتل ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك. فقال لهم علي: لا تزيدوا؛ فأني أكون لكم وزيراً خيراً من الأمير. قالوا: لا والله لا نعلم أحداً أحق بها منك. قال: فإن أبيت علي، فإن بيعتي لا تكون سرّاً، ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعني يبايعني. قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس⁽²⁾.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما يقاتل على تنزيله». قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا». قال: عمر أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا ولكن خاصف النعل». فابتدروا ننظر من هو فإذا هو علي - رضي الله عنه - يخصف نعل رسول الله ﷺ⁽³⁾.

وقال محمد بن عطية: وقد علم المؤمنون أن علياً - رضي الله عنه - هو الذي قاتل أهل التأويل، وقد كانت خلافة علي - رضي الله عنه - مذكورة في كتب الله المتقدمة؛ فإن كعباً روى عن حبر من أحبار اليهود أنه سأل عقيب وفاة

(1) تقدم تخريجه.

(2) الكامل لابن الأثير 6/214.

(3) أخرجه أحمد (3/82، رقم 11790)، وأبو يعلى (2/341، رقم 1086)، وابن حبان (15/385، رقم 6937)، والحاكم (3/132، رقم 4621) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

رسول الله ﷺ : من يلي بعده الخلافة؟ قال : العدل أبو بكر . قلت : فمن يلي بعده؟ قال : قرن من حديد عمر بن الخطاب . قلت : فمن يلي بعده؟ قال الحبي السستير عثمان . قلت : فمن يلي بعده؟ قال : الهادي المهدي علي بن أبي طالب .



الباب العاشر

في كف اللسان عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد منهم بسوء

قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١). قالت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم ، سمعت نبيكم ﷺ يقول : «لا تذهب هذه الأمة حتى يعلن آخرها أولها» (2).

وقال ﷺ : «سيكون بين أصحابي فتنة يغفرها الله لهم بصحتهم إياي ، ثم يستن بها قوم من بعدهم يدخلون النار بسببها» (3).

وقال ﷺ : «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذا الله يوشك أن يأخذه» (4).

وقال مالك : من شتم أحدا من أصحاب النبي ﷺ ؛ أبا بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو عليا ، أو معاوية ، أو عمرو بن العاص فإن قال : كانوا على ضلال وكفر . قُتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نُكِّل نكالا شديدا .

(1) سورة الحشر ، الآية : 10.

(2) البغوي في معالم التنزيل للبغوي (8/8) ، وابن بطلة في الإبانة (15) .

(3) الطبراني في الأوسط (3347) .

(4) أخرجه أحمد (4/87 ، رقم 16849) ، والبخاري في التاريخ الكبير (5/131) ، والترمذي (5/696 ، رقم 3862) وقال : غريب . وأبو نعيم في الحلية (8/287) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2/191 ، رقم 1511) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (16/244 ، رقم 7256) ، والديلمي (1/146 ، رقم : 525) .

قال سفيان بن عيينة : ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه ؛ لقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (1). فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة . قال الإمام أبو حامد - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الإحياء : روي عن إبراهيم النخعي أنه سئل عن القتال الذي وقع بين الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فقال : تلك دماء قد سلمت منها أيدينا فلا نلطح بها ألسنتنا (2).

وحكى في الإحياء أيضا عن عوف بن عبد الله أنه دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط ، فقال : أني أريد أن أعظك بشيء . فقال : ما ذاك؟ فقال : إياك والكبر ؛ فإنه أول ذنب عصي الله به ، ثم قرأ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ الآية (3). وإياك والحرص ، فإنه أخرج آدم من الجنة ، أمكنه الله من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها ، فأكل منها فأخرجه الله تعالى ، ثم قرأ : ﴿ أَهْبِطَا مِنْهَا ﴾ (4). إلى آخر الآية . وإياك والحسد ، فإنه قتل قاييل أخاه حين حسده ، ثم قرأ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ (5) الآية . وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فاسكت ، وإذا ذكر القدر فاسكت ، وإذا ذكرت النجوم فاسكت (6).

وروى عن عمر بن عبد العزيز (7) أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام

(1) سورة الأعراف ، الآية : 152.

(2) إحياء علوم الدين 1/ 354.

(3) سورة البقرة ، الآية : 34.

(4) سورة طه ، الآية : 123.

(5) سورة المائدة ، الآية : 26.

(6) إحياء علوم الدين 2/ 206.

(7) هو الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بن مروان الزاهد الراشد ، من تابعي أهل المدينة ، ولد سنة =

وأبو بكر وعمر جالسان عنده ، فسلمت عليه وجلست ، فبينما أنا جالس إذا أنا بعلي ومعاوية ، فأدخلا بيتا وأجيف⁽¹⁾ عليهما الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول : قضى لي ورب الكعبة . وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول : غفر لي ورب الكعبة⁽²⁾!

وحكي عن بعض الصالحين أنه قال : حججت إلى بيت الله الحرام فوافيت في الحرم رجلا ذكر لي أنه لا يشرب الماء . قال : فسألته عن ذلك فقال : أنا أخبرك بسبب ذلك ؛ أنا رجل من أهل الحلة من الطائفة المتشعبة نمت ليلة ، فرأيت كأن القيامة قد قامت والناس في كرب شديد وشدة عطش ، فأصابني عطش عظيم ، فأتيت حوض النبي ﷺ ، فوجدت عليه أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وهم يستقون الناس فأتيت علياً - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لأدّل عليه بمحبتي له وتقديمي إياه ليسقيني فأعرض بوجهه عني ، فأتيت أبا بكر فأعرض بوجهه عني ، فأتيت عمر فأعرض بوجهه عني ، فأتيت عثمان فأعرض بوجهه عني - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - والنبي ﷺ واقف في المحشر يذود الناس ، فأتيته فقلت : يا رسول الله ، أصابني عطش عظيم فأتيت علياً ليسقيني فأعرض عني ! فقال رسول الله ﷺ : كيف يسقيك وأنت تبغض أصحابي؟ فقلت : يا رسول الله ، مالي من توبة؟ قال : نعم . أسلم من جديد ، وتب حتى أسقيك شربة لا تظمأ بعدها أبداً . فأسلمت وتبت على يد رسول الله ﷺ ، فناولني كأساً فشربته ،

= ثلاث وستين وكان ثقة مأمونا له فقه وعلم وورع وكان إمام عدل ، توفي رحمه الله سنة إحدى ومائة .

ترجمته عند ابن سعد ، الطبقات الكبرى 5/330 ، أبي نعيم : حلية الأولياء 5/253 ، الذهبي : سير أعلام النبلاء 5/114 .

(1) أي أغلق .

(2) المنامات (126) ، وتاريخ دمشق 59/140 ، وإحياء علوم الدين 4/507 .

فاستيقظت وأنا لم أجد عطشا ، وبقيت على ذلك إن شئت شربت وإن شئت لا أشرب ، فعند ذلك مضيت إلى أهل الحلة وتبرأت منهم إلا من أجاب ورجع ، وأنا إلى الآن ما شربت الماء منذ عشرين سنة .

ويشهد لصحة هذه الحكاية حديث أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لخوضي أربعة أركان ؛ فأول ركن منها في يد أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - والركن الثاني في يد عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - والثالث في يد عثمان والرابع في يد علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ، ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ، ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه علي»⁽¹⁾.

وعن أبي قلابة قال : كنت في رفقة بالشام ، فسمعت رجلا يقول : يا ويلاه النار! فقمتم إليه ، فإذا رجل مقطوع اليدين من المنكبين والرجلين من الحقوين ، أعمى ، منكب لوجهه ، فقلت : يا عبد الله ، مالك؟! قال : كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار ، فلما دنوت منه صرخت امرأته ، فأقبلت عليها فلطمتها ، فنظر إلي عثمان فقال : مالك سلب الله يديك ورجليك ، وأعمى بصرك وأدخلك نار جهنم . فأخذتني رعدة شديدة ، فخرجت هاربا من دعوته ، فلما صرت بموضع هذا البلاء ، أتاني آت فصنع بي ما ترى . فقد استجاب الله له فما بقي من دعائه إلا النار . قال أبو قلابة : فهممت أن أطأه برجلي ، فقلت : بعدا لك وسحقا⁽²⁾.

وحكي أن رجلا مضى إلى الحج فبلغ بغداد ، وكان يطلب من يؤدِّعُه ويدعِّه ، فرأى شيخا على دكان ، فدنا منه وعرض عليه تلك الوديفة ، فامتنع الرجل ، فحرص صاحب الوديفة وقال : قلما يكون مثل هذا الرجل . فقال

(1) تاريخ دمشق 157/30 ، والكشف والبيان للثعلبي 237/14 .

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2397) .

الشيخ : إن كان لا بد أن أقبل وديعتك فَبَلِّغْ مني رسالةً إلى النبي ﷺ وقل له :
لولا عندك هذان الرجلان بجانبك لزررتك كل سنة . فمضى الحاج حتى حج
ورجع إلى قبر النبي ﷺ ، وكان يختلج في صدره تلك الرسالة ، فنعس فرأى
النبي ﷺ في منامه مع أصحابه ، فقال : بَلِّغْ رسالة الرجل . قال : فانتبهت من
هيبه النبي ﷺ وتوضأت وصليت ركعتين ونمت ، فرأيت ثانيا وثالثا مثل الأول ،
فقلت : يا رسول الله ، أنت أعلم بما قال ذلك الملعون . قال : نعم ، ولكن أَدِّ
أمانته عنك . قلت : قال الرجل : لولا هذان الرجلان بجانبك لزررتك كل سنة .
قال : فالتفت النبي ﷺ إلى علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فغاب عليّ ساعة ثم جاء
ومعه الرجل البغدادي آخذاً بزق قميصه ، فقال لي : هل هو هذا؟ قلت : نعم .
فقال النبي ﷺ : لعلي أضرب عنقه . فسل علي سيفه فضرب عنقه فقطر من دمه
قطرة على قميصي ، ففزعت فانتبهت وجئت إلى رحلي ، وكتبت التاريخ لذلك
اليوم وتلك الساعة ، ثم أتيت بغداد وطلبت دار ذلك الشيخ الذي عنده الوديعة ،
فجئت إلى باب داره فرأيت رجلاً فاستخبرت عنه فقال : غاب فطلبناه فوجدناه
في خرابة بغير رأس ، وذلك بتاريخ كذا وكذا . وهو بالتاريخ الذي أثبتته بالمدينة ،
فأخبرته بالقصة فَبَلِّغْ الخبر إلى الخليفة فأمر منادياً ينادي ببغداد وفي سائر البلدان :
لا تسبوا أصحاب النبي ﷺ .

وصية : عباد الله اذكروا نعمة الله عليكم إذ أرسل خير خلقه إليكم فعرفكم
مصالح الأمور ، ونصحكم نصحا تَأْمَنُونَ به من الغرور ، ولا تنسوا فضل الصحابة
الأبرار السادة الأخيار الذين فتحوا لكم البلاد وأوضحوا لكم سبل الرشاد ،
فأكثروا من الاستغفار لهم وأحسنوا الظن بهم ، وتوسلوا إلى ربكم أن يجعلكم من
حزبهم ، وقيدوا - رحمكم الله - ألسنتكم عن سبهم ، وطهروا قلوبكم من
بغضهم والاستنقاص بهم ، فوالله ما يُبْغِضُهُمْ إلا ملحد ، ولا يستنقص بهم إلا مَنْ
عن تحقيق الإيمان قد أبعد ، فيا مبغض الصديق من غير علم ولا استبصار ، أما

سمعت قوله تعالى: ﴿ثَانِفٌ أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾⁽¹⁾. ويا مبغض الفاروق بجهله المبين، أما سمعت قول رب العالمين: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾. ويا أيها الرافضي المجرم، أما سمعت الأحاديث المروية في صحيح البخاري ومسلم في فضل أبي بكر وعمر، أتقدر أن تنكرها يا من غلب عليه الافتراء والشر، أما بلغك قول النبي ﷺ المطهر: «فافتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»⁽³⁾. كم في فضلهما من حديث رواه علي عن سيد البشر، كحديث: «جئت أنا وأبو بكر وعمر»⁽⁴⁾. أما بلغك ما رواه محمد ابن الحنفية عن أبيه أنهما خير الناس بعد رسول الله ﷺ⁽⁵⁾. وهذا من الصحيح الذي لا طعن فيه، كم من مفتح بفضلهما من الصحابة والتابعين، أتستطيع أن تنكر ذلك يا مسكين، كم من مكثر في مدحهما من فصحاء الشعراء، هل عندك في ذلك شك أو مرأى، ويحك أتريد أنت وأصحابك الأغمار إبطال قول السادة الأخيار، ومخالفة المصطفى المختار، ومعارضة الملك الجبار في قوله: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾⁽⁶⁾. يا من رفض الحق واتبع الهوى ودسائس الشيطان، تيقظ من غفلتك وتب إلى الرحمن، وتذلل بين يدي الملك الديان، وقل بقلب خال عن الغش والعدوان، ولسان طاهر من اللغو والبهتان: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.

(1) سورة التوبة، الآية: 40.

(2) سورة التحريم، الآية: 4.

(3) أخرجه أحمد (5/382، رقم 23293)، والترمذي (5/609، رقم 3662)، وابن ماجه (1/37)، رقم

97، والبخاري (7/248، رقم 2827)، والطبراني في الأوسط (4/140، رقم 3816)، والحاكم (3/

79، رقم 4454)، والبيهقي (5/212، رقم 9836). وابن عساكر (5/14).

(4) أخرجه أحمد (1/112، رقم 898).

(5) أخرجه ابن عساكر (44/196) وقال: المحفوظ موقوف.

(6) سورة التوبة، الآية: 100.

كتاب فضل الأولياء وكرامتهم

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول

في فضلهم

قال الله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ . قيل : إن أولياء الله هم المؤمنون لقوله : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ . وقيل : هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان الذي آتاهم ، فتولوا القيام بحقه والرحمة بخلقه . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس» (1) . ثم تلا : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾﴾ . أي : على دنياهم ؛ أي : لا خوف عليهم في ذريتهم ؛ لأن الله يتولاهم ولا هم يحزنون على دنياهم لتعويض الله إياهم في أولادهم ، وأخراهم ؛ لأنه وليهم ومولاهم ، ففي بعض الأخبار أن النبي ﷺ سُئِلَ : مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ قال : «الذين إذا رؤوا ذكر الله» (3) . ويروى عن رسول الله ﷺ ؛ قال الله تعالى : «إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم لهم البشرا في الحياة الدنيا» (4) . أي : عند

(1) سورة يونس ، الآيات 62 - 64 .

(2) تفسير الطبري 8/ 357 .

(3) أخرجه ابن المبارك (1/ 72 ، رقم 218) ، وابن جرير في التفسير (11/ 132) .

(4) أخرجه أحمد (3/ 430 ، رقم 15588) ، وأبو نعيم في الحلية (1/ 6) .

الموت بأن يرى مكانه في الجنة ، وفي الآخرة هي الجنة .

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله تعالى عنه - قال : سألت رسول الله صلى الله علي وسلم عن قوله : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ . قال : «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»⁽¹⁾.

وروي البخاري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقْرَبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتَ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتَهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيزَنَّهُ»⁽²⁾. روي : «استعاذني» و«استعاذ بي» بالنون والباء . وآذنته بالحرب : أعلمته بأنني محارب له .

وروي مسلم عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»⁽³⁾. أي : لو حلف على وقوع شيء لأوقعه الله إكراما له بإجابة سؤاله . وقيل : معنى القسم هنا الدعاء ، وأبره : أجابه ، والله أعلم .

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : «بدلاء أمتي أربعون ؛ اثنان

(1) أخرجه أحمد (1/219، رقم 1900)، وابن أبي شيبة (6/173، رقم 30456)، ومسلم (1/348، رقم 479)، وأبو داود (1/232، رقم 876)، والنسائي (2/189، رقم 1045)، وابن ماجه (2/1283، رقم 3899)، وابن حبان (5/222، رقم 1896)، وابن الجارود (ص 61، رقم 203)، وأبو عوانة (1/490، رقم 1822).

(2) أخرجه البخاري (5/2384، رقم 6137)، وابن حبان (2/58، رقم 347)، والبيهقي (10/219، رقم 20769)، وأبو نعيم في الحلية (1/4).

(3) أخرجه مسلم (4/2024، رقم 2622).

وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر ، فإذا جاء الأمر قبضوا» (1).

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لله تعالى في الأرض ثلاثمائة قلبهم على قلب آدم ، وله أربعون قلبهم على قلب ميكائيل ، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل ، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة ، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة» (2). وذكر بعضهم «عزرائيل» ولم يذكر «موسى» وجعل مكان «إبراهيم» «جبرائيل» ومكان «جبرائيل» «ميكائيل» ومكان «ميكائيل» «إسرافيل» ومكان «إسرافيل» «عزرائيل» صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الشيخ الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي (3) - رَحِمَهُ اللَّهُ - : والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب ، وهو الغوث ، ومكانه من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها ، به يقع صلاح العالم (4).

وقال بعضهم : لم يذكر رسول الله ﷺ قلبه في جملة الأنبياء والملائكة

(1) أخرجه ابن عساكر (291/1) .

(2) أخرجه أبو نعيم في الحلية (8/1) ، وابن عساكر (303/1) .

(3) عبد الله بن أسعد اليافعي توفي سنة (786 هـ) أحد أقطاب صوفية اليمن فقيه مؤرخ صاحب كتاب روض الرياحين في ذكر حكايات الأولياء والصالحين ومرآة الجنان في التاريخ ، انظر : طبقات الخواص ص (162) ، البدر الطالع (378/1) .

(4) روض الرياحين في حكايات الصالحين 16 ، تأليف عبد الله بن أسعد اليافعي ، وبذيله عمدة التحقيق في بشائر الصديق للشيخ إبراهيم العبيدي المالكي ، نسخة مصورة بدون تاريخ .

والأولياء؛ إذ لم يخلق الله تعالى في عالم الخلق والأمر أعز وألطف وأشرف من قلبه عليه الصلاة والسلام، فقلوب الملائكة والأنبياء والأولياء بالإضافة إلى قلبه كإضافة سائر الكواكب إلى كمال نور الشمس.

وقال الشيخ العارف أبو الحسين النوري - رَحِمَهُ اللهُ - : شاهد الحق القلوب فلم ير قلباً أشوق إليه من قلب محمد ﷺ، فأكرمه بالمعراج تعجيلاً للرؤية والمكاملة⁽¹⁾.

وقال الشيخ العارف بحر المعارف ذو النون المصري⁽²⁾ - رَحِمَهُ اللهُ - : ركضت أرواح الأنبياء في ميدان المعرفة، فسبقت روح نبينا ﷺ أرواح سائر الأنبياء إلى رياض الوصال.

وروى عن علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال : البداء في الشام، والنجباء بمصر، والعصائب بالعراق، والنقباء بخرسان، والأوتاد بسائر البلدان، والخضر عليه السلام سيد القوم⁽³⁾.

وروي عن أبي الدرداء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال : إن لله عبادة يقال لهم : الأبدال؛ لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية، ولكن

(1) نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة 1/ 158.

(2) هو : ثوبان بن إبراهيم الأحميمي المصري، أبو الفياض، أو أبو الفيض : أحد الزهاد العباد المشهورين. من أهل مصر. نوبي الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية) فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه. ثم أطلقه، فعاد إلى مصر. وتوفي بجيزتها.

ترجمته في وفيات الأعيان 1/ 101، وميزان الاعتدال 1/ 331 ولسان الميزان 2/ 437 وحلية 9/ 331، 3/ 10 وطبقات الشعراني 1/ 59 وتاريخ بغداد 8/ 393.

(3) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق 1/ 300 عن سليمان الداراني، ونقله الصالح في سبل الهدى والرشاد 10/ 372.

بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين، اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه، وهم أربعون رجلا على مثل قلب إبراهيم عليه السلام، لا يموت الرجل منهم حتى الله يكون قد أنشأ من يخلفه (1).

واعلم أنهم لا يسبون شيئا ولا يلعنونه، ولا يؤذون من يخونهم ولا يحقرونه، ولا يحسدون من فوقهم، أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة، وأسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجرة، ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم، إنما قلوبهم تصد في السقوف العليا ارتياحا إلى الله تعالى في استبقاء الخيرات، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. وهذا بعض كلامه.

قال اليافعي - رَحِمَهُ اللهُ -: وقال أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللهُ -: يقال: أخلاق الأبدال عشرة أشياء: سلامة الصدور، والسخاوة في المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصبر في الشدة، والبكاء في الخلوة، والنصيحة للخلق، والرحمة للمؤمنين، والتفكر في الأشياء والعبرة بالأشياء (2).

وقال الحسن: لولا الأبدال لحسفت الأرض بمن فيها، ولولا الصالحون لفسدت الأرض، ولولا العلماء لصارت الناس مثل البهائم، ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا، ولولا الحمقى لحربت الأرض، ولولا الريح لأتتن ما بين السماء والأرض (3).

وعن أبي عثمان المغربي - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: العراف تضيء له أنوار العلم فينظر بها عجائب الغيب (4).

(1) تفسير حقي 4/334.

(2) تنبيه الغافلين، ص 154، وتفسير حقي 6/219.

(3) إحياء علوم الدين 1/25.

(4) الرسالة القشيرية 143، وفيض القدير 1/186.

وقال إبراهيم بن أدهم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لرجل : أتحب أن تكون لله ولياً؟ قال : نعم . قال : لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة ، وفرغ نفسك لله ، وأقبل عليه بوجهك ليقبل عليك ويواليك (1).

وقال الشيخ أبو نصر السراج - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : الناس في الأدب على ثلاث طبقات ؛ أما أهل الدنيا : فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة ، وحفظ العلوم وأسماء الملوك ، وأشعار العرب . وأما أهل الدين : فأكثر آدابهم في رياضة النفوس ، وتأديب الجوارح بالعهود ، وحفظ الحدود ، وترك الشهوات . وأما أهل الخصوصية : فأكثر آدابهم في طهارة القلب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود ، وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر ، وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ، ومقامات القرب (2).

وكان أحمد بن حنبل عند الشافعي - رضي الله تعالى عنهما - فجاء شيبان الراعي فقال أحمد : أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا على نقصان علمه ليشغل بتحصيل بعض العلوم . فقال له الشافعي : لا تفعل . فلم يقنع فقال لشييان : ما تقول فيمن سها عن صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري أي صلاة نسيها؟ فما الواجب عليه يا شيبان؟ فقال شيبان : يا أحمد هذا قلب غفل عن الله - عز وجل - فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه . فغشي على أحمد ، وفي رواية أخرى : فالواجب أن يؤدب بإعادة الخمس ، فلما أفاق الإمام أحمد قال له الإمام الشافعي : ألم أقل لك : لا تحرك هذا . وفي رواية أخرى : أنه سأل عن الزكاة أيضاً : في كم تجب؟ فقال شيبان : أما على مذهبكم تجب في الإبل في كذا وكذا ، وفي البقر في كذا وكذا ، وفي الغنم في كذا وكذا ، وفي الفضة في

(1) الرسالة القشيرية 118.

(2) الرسالة القشيرية 129 ، ولباب الآداب لابن منقذ 69.

كذا وكذا، وفي الذهب في كذا وكذا، وفي الزرع والثمار في كذا وكذا، وأما على مذهبي فالكل له⁽¹⁾.

وكان فقيه من أكابر الفقهاء حلقتة بجنب حلقة الشبلي⁽²⁾ في جامع المنصور، وكان يقال لذلك الفقيه: أبو عمران. وكان يتعطل عليه وعلى أصحابه حلقتهم بكلام الشبلي، فسأل أصحاب أبي عمران يوماً الشبلي عن مسألة في الحيض وقصدوا إخجاله، فذكر مقالات الناس في تلك المسألة والخلاف فيها، فقام أبو عمران، وقبل رأس الشبلي وقال: يا أبا بكر استفدت في هذه المسألة عشرة مقالات لم أسمعها، وكان عندي من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل⁽³⁾.

وقال بعضهم: حضرت مجلس أبي العباس ابن شريح، فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه، فلما رأى إعجابي قال: أتدري من أين هذا؟ هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد⁽⁴⁾.

وقيل لأبي القاسم الجنيد: ممن استفدت هذه العلوم؟ فقال: من جلوسي بين

(1) الرسالة القشيرية 180.

(2) هو: دلف بن جحدر الشبلي: ناسك. كان في مبدأ أمره واليا في دنباوند (من نواحي رستاق الري) وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح. له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة. أصله من خراسان، ونسبته إلى قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر، ومولده بسر من رأى، ووفاته ببغداد. اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه، ف قيل (دلف بن جعفر) وقيل (جحدر بن دلف) و(دلف ابن جعترة) و(دلف بن جعونة) و(جعفر ابن يونس). ترجمته في: طبقات الصوفية 337 - 348، حلية الأولياء 366/10 - 375، تاريخ بغداد 389/14 - 397، الرسالة القشيرية 25 - 26، وفيات الأعيان 273/2 - 276، ومروءة الجنان 317/2 - 319، والديباج المذهب 116 - 117، طبقات الأولياء: 204 - 213، النجوم الزاهرة 289/3 - 290، شذرات الذهب: 338/2.

(3) الرسالة القشيرية 181.

(4) تاريخ بغداد 243/7، وفيات الأعيان 373/1.

يُدي الله عز وجل ثلاثين سنة ، تحت تلك الدرجة . وأشار إلى درجة في داره ⁽¹⁾ .
وقال - رَحِمَهُ اللهُ - : لو علمت أن لله علما تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا ، لسعيت إليه ولقصدته ⁽²⁾ .
وقال أيضا : ما أخذنا التصوف عن القال والقيل ، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات ⁽³⁾ .
وروي أن الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللهُ - كان مع جلالة قدره يكثر التردد إلى بعض الصوفية العارفين ، فقليل له : أتتردد لرواية عند هذا الشيخ؟! فقال : عنده رأس الأمر تقوى الله - عز وجل - أو قال : معرفة الله عز وجل ⁽⁴⁾ .



(1) الرسالة القشيرية 18 ، وصفة الصفوة 1/ 274 .

(2) الرسالة القشيرية 181 ، وتاريخ بغداد 7/ 243 .

(3) الرسالة القشيرية 18 ، وحلية الأولياء 4/ 386 ، وذم الهوى 51 .

(4) قوت القلوب 217 .

الباب الثاني

في إثبات كرامات الأولياء

قال الشيخ الإمام الزاهد عبد الله بن أسعد اليافعي - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - :
ظهور الكرامات على الأولياء جائز عقلا واقع نقلا ، أما جوازه عقلا ؛ فإنه ليس
بمستحيل في قدرة الله تعالى ، بل هو من قبيل الممكنات ، كظهور معجزات
الأنبياء . هذا مذهب أهل السنة من المشايخ العارفين والنظار الأصوليين والفقهاء
والمحدثين وتصانيفهم ناطقة بذلك ، ثم القول الصحيح المحقق المختار عند جمهور
المحققين من أهل السنة أن كل ما جاز للأنبياء من المعجزات جاز للأولياء مثله من
الكرامات بشرط عدم التحدي ، ولا يرد على ذلك القرآن للزومه التحدي ، ولا
يصح قول من يقول : إن ذلك يؤدي إلى الالتباس بين الكرامات والمعجزات ؛ لأن
المعجزة يجب على النبي أن يتحدى بها ويظهرها ، والكرامة يجب على الولي أن
يخفيها ويسرها ، إلا عند ضرورة ، أو إذن ، أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار
لتقوية يقين بعض المريدين كما فعل بعضهم ؛ عَرَفَ عَسَلًا من الجو ووضعه في في
مريده ، وآخر أرى غيره الكعبة من بلاد بعيدة ، وآخر أرى بعض المنكرين الكعبة
تطوف به (1).

قال اليافعي - رَحِمَهُ اللهُ - : وقد سمعنا سماعا محققا أن جماعة منهم
شوهدت الكعبة تطوف به طوافا محققا حقيقة (2). قال : ورأيت بعض من شاهد
ذلك من الثقات الأتقياء ، بل من السادات العلماء ، وما ذهب إليه الأستاذ أبو

(1) روض الرياحين في حكايات الصالحين 94.

(2) روض الرياحين في حكايات الصالحين 94.

إسحاق الإسفرائيني - رَحِمَهُ اللهُ - من إثبات بعض الكرامات دون بعض ، فهو مخالف لمذهب الجمهور الصحيح المشهور .

وأما وقوع ذلك نقلا ، فقد جاء في القرآن والأخبار والآثار بالإسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد ، فمن ذلك ما أخبر الله عن مريم - رضوان الله عليها - بقوله عز وجل : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الآية (1) . وقوله سبحانه لمريم : ﴿وَهَرَيَّ إِلَيْكَ بِحِجْجِ الْتَخَلَّةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ (2) . وكان في غير أوان الرطب ، كما جاء في التفسير (3) .

وكذلك ما أخبر الله تعالى من العجائب على يد الخضر مع موسى عليه السلام ، وكذلك قصة ذي القرنين ، وتمكين الله سبحانه له ما لم يمكنه لغيره ، وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التي ظهرت عليهم - رضوان الله عليهم - من كلام الكلب معهم ، وغير ذلك ، وكذلك قصة آصف بن برخيا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مع سليمان ﷺ في عرش بلقيس في قوله تعالى : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (4) . وكل هؤلاء المذكورين ليسوا بأنبياء .

ومن ذلك في الحديث المشهور في الصحيحين حديث جريج الراهب الذي كلمه الطفل في المهد حين قال له : يا غلام ، من أبوك؟ قال : فلان الراعي (5) . ومن ذلك حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة ، وهو

(1) سورة آل عمران ، الآية : 37 .

(2) سورة مريم ، الآية : 25 .

(3) يراجع تفسير ابن كثير آية 25 من سورة مريم .

(4) سورة النمل ، الآية : 40 .

(5) البخاري (1206) ، ومسلم (6672) .

حديث صحيح مذكور في الصحيحين⁽¹⁾.

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين في أبي بكر الصديق مع ضيفه الذي قال فيه : وأيم الله ما أكلنا لقمة إلا ربّا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا ، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك⁽²⁾.

ومن ذلك ما في الصحيحين أيضا قال رسول الله ﷺ : «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر»⁽³⁾.

ومن ذلك ما صح عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : يا سارية ، الجبل . في حال خطبته في يوم الجمعة ، فبلغ صوته إلى سارية في ذلك الوقت ، فتحرز من العدو في مكان من الجبل في تلك الساعة⁽⁴⁾ ، فكان في ذلك لعمر كرامتان : إحداهما : ما كشف له عن حال سارية وأصحابه المسلمين وحال العدو .

والثانية : بلوغ صوته إلى سارية في بلاد بعيدة .

ومن ذلك حديث خبيب المشهور وهو في صحيح البخاري⁽⁵⁾.

(1) البخاري (2272) ، ومسلم (7125) .

(2) البخاري (602) ، ومسلم (5486) .

(3) أخرجه أحمد (55/6 رقم 24330) . ومسلم (4/1864 رقم 2398) ، والترمذي (5/622 ، رقم 3693) وقال : حديث صحيح . والنسائي في الكبرى (5/39 رقم 8119) ، والحميدي (1/123 ، رقم 253) ، وإسحاق بن راهويه (2/479 ، رقم 1058) ، وابن أبي عاصم في السنة (2/583 ، رقم 1261) ، واللالكاني في كرامات الأولياء (1/94 ، رقم 42) والحاكم في معرفة علوم الحديث (ص 220) .

(4) أخرجه ابن عساكر (24/20) .

(5) يشير أن أبا هريرة - رضي الله عنه - قال بعث رسول الله ﷺ - عشرة رهط سرية عينا ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فنفروا لهم قريبا من مائتي رجل ، كلهم رام ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب . فاقتصوا=

ومن ذلك حديث البخاري في أسيد بن خضير وعباد بن بشر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - الذي قال فيه : خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله (1).

ومن ذلك ما جاء أن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال للأسد الذي منع

=آثارهم ، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدد ، وأحاط بهم القوم فقالوا لهم انزلوا وأعطونا بأيديكم ، ولكم العهد والميثاق ، ولا نقتل منكم أحدا . قال عاصم بن ثابت أمير السرية أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك . فرمهم بالنبل ، فقتلوا عاصما في سبعة ، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق ، منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر ، فلما استمكنا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر ، والله لا أصحابكم ، إن في هؤلاء لأسوة . يريد القتلى ، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه ، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر ، فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيرا ، فأخبرني عبيد الله بن عباس أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستجد بها فأعارتها ، فأخذ ابنا لي وأنا غافلة حين أتاه قالت فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ، ففزع فرعة عرفها خبيب في وجهي فقال تخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك .

والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب ، والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده ، وإنه لموثق في الحديد ، وما بمكة من ثمر وكانت تقول إنه لرزق من الله رزقه خبيبا ، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل ، قال لهم خبيب ذروني أركع ركعتين . فتركوه ، فركع ركعتين ثم قال لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها اللهم أحصهم عددا . ولست أبالي حين أقتل مسلما على أى شق كان لله مصرعي وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزق فقتله ابن الحارث ، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبورا ، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب ، فأخبر النبي ﷺ - أصحابه خبرهم وما أصيبوا ، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف ، وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر ، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر ، فحمته من رسولهم ، فلم يقدروا على أن يقطع من لحمه شيئا . أطرافه

3989، 4086، 7402 - تحفة 14271 - 4/83

(1) البخاري (465، 3639).

الناس الطريق : تنح فبصبص بذَنِّه وذهب فمشى الناس ، فقال ابن عمر : صدق رسول الله ﷺ : «من خاف من الله خوف الله منه كل شيء»⁽¹⁾.

ومن ذلك ما جاء أن رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في غزاة ، فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر ، فدعا الله باسمه الأعظم ومشى على الماء⁽²⁾.

فإن قيل : ما بال الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لم يشتهر عنهم من الكرامات الكثيرة مثل ما اشتهر عن الأولياء بعدهم .

فالجواب : ما أجاب به أحمد بن حنبل - رَحِمَهُ اللَّهُ - لما قيل له : يا أبا عبد الله ، إن الصحابة لم يُروَ عنهم من الكرامات ما قد روي عن الأولياء والصالحين ، فكيف هذا؟ فقال : أولئك كان إيمانهم قويا فما احتاجوا إلى زيادة شيء يقولون به ، وغيرهم كان إيمانه ضعيفا لم يبلغوا إيمان أولئك فقفوا بإظهار الكرامات لهم⁽³⁾.

وفي هذا المعنى قال بعض الشيوخ في كرامات مريم : كانت في بدايتها يتعرف إليها بخرق العادات بغير سبب تقوية لإيمانها وتكميلا ليقينها ، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، فلما قوي إيمانها وكمل يقينها ردت إلى السبب ، وقيل لها : ﴿وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ الْجَنَّةَ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا﴾⁽⁴⁾.

وقال أبو القاسم القشيري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : وكل نبي ظهرت كرامته على واحد من

(1) حلية الأولياء 69/7.

(2) البيهقي في دلائل النبوة 16/191 ، وابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة (26) .

(3) طبقات السبكي 2/250.

(4) البحر المديد 3/458.

أمته فهي معدودة من جملة معجزاته (1).

قال : ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر ، أو حصول ماء في زمن عطش ، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة ، أو تخليصا من عدو ، أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة انتهى (2).

فإن قيل : تشببه الكرامات بالسحر؟

فالجواب : ما أجاب به العلماء المحققون ، أن السحر يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار ، الذين هم على غير الالتزام بالأحكام الشرعية ومتابعة السنة ، وأما الأولياء فهم الذين بلغوا في متابعة السنة وإحكام الشريعة وآدابها الدرجة العليا فافترقا .

والناس في الكرامات مختلفون : فمنهم من ينكرها مطلقا ، وهؤلاء أهل مذهب معروف وعن التوفيق مصروف ، ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانه ؛ كمعروف وهؤلاء ، كما قال الشاذلي : والله ما هي إلا إسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد ﷺ ؛ لأنهم أدركوا زمانه ، ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات ، ولا يصدق بأحد معين من أهل زمانه ، فهؤلاء محرومون أيضا ؛ لأن من لم يسلم لواحد معين لم ينتفع بأحد ، نسأل الله التوفيق ، ذكر هذا جميعه الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى (3).

وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أن أبا بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله

(1) الرسالة القشيرية 159.

(2) السابق : نفس الموضع .

(3) روض الرياحين في مناقب الصالحين 59.

بالغابة ، فلما حضرته الوفاة قال : والله يا بنية ، ما من الناس أحب إلى غني بعدي منك ، ولا أعز علي فقرا منك ، وإنني كنت نحللتك جداد عشرين وسقا ، فلو كنت جددتها وحزتها كان لك ، وإنما هو اليوم مال وارث ، وإنما هما أخواك أو أختاك فاقسموه على كتاب الله . قالت عائشة : يا أبت ، لو كان كذا وكذا لتركته ، إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ فقال : ذو بطن بنت خارجة ، آراها جارية⁽¹⁾ . وبنت خارجة زوجته ، وكانت حاملا حين توفي ، فولدت بعده أم كلثوم ، فتزوجها طلحة بن عبيد الله .

وعن ابن عمر أن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حين بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية ، قال : فبينما عمر يخطب وهو على المنبر ، جعل يصيح : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل . فلما قدم رسول الجيش فسأله قال : يا أمير المؤمنين ، لقينا عدونا فهزمونا ، وإن الصائح ليصيح : يا سارية الجبل . فأسندنا ظهرنا إلى الجبل ، فهزمهم الله تعالى⁽²⁾ .

وروي أنه لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل بؤنة من شهر العجم ، فقالوا : أيها الأمير ، إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها . فقال لهم : وما ذاك؟ فقالوا : إذا كان اثنتا عشرة ليلة خلون من هذا الشهر عمَدنا إلى جارية بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فيه . فقال عمرو : هذا لا يكون في الإسلام ؛ فإن الإسلام يهدم ما قبله . وكتب إلى عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بذلك فكتب إليه : إنك قد أصبت ؛ فإن الإسلام يهدم ما قبله ، وإنني قد بعثت إليك ببطاقة فألقها في النيل ، فلما وصلت البطاقة إلى عمرو فإذا فيها : من عبد الله أمير المؤمنين عمر ، إلى نيل مصر ، أما

(1) الموطأ (2189) ، ومصنف عبد الرزاق (16507) .

(2) أخرجه ابن عساكر (24/20) .

بعد : فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجري ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأله أن يجريك . فألقاها فيه فأجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم⁽¹⁾.

وقال أبو بكر بن عياش - رَحِمَهُ اللهُ - أتيت زمزم فاستقيت منها عسلاً ، وأتيتها فاستقيت منها لبناً ، وأتيتها فاستقيت منها ماء⁽²⁾.

وعن سعيد بن أبي عروبة ، قال عمر : غُمَّ على الناس هلال شهر رمضان ، قال : فخرج الحسن البصري وقال : اللهم إن كانت ليلته فبينه . قال : فانجلي عنه الغيم حتى نظر إليه الناس⁽³⁾.

وعن عامر بن عبد قيس أنه مرَّ بقافلة قد حبسهم أسد ، فقالوا له : يا أبا عبد الله ، إنا نخاف عليك من الأسد! قال : إنما هو كلب من كلاب الله ، إن شاء الله أن يسلطه سلطه ، وإن شاء أن يكفه كفه ، فمشى إليه حتى أخذ أذنه فنحاه عن الطريق وجازت القافلة . وقال : إني أستحي من ربي عز وجل أن يرى من قلبي أنني أخاف من غيره⁽⁴⁾.

وعن ثابت البناني - رَحِمَهُ اللهُ - قال : كنت مع مصعب بن الزبير⁽⁵⁾ في

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2392) ، والرياض النضرة 1/ 155 ، وتاريخ دمشق 44/ 337.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2484) ، وتاريخ بغداد 6/ 341.

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2488) .

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2490) ، وتعتظيم قدر الصلاة (835) ، وصفة الصفوة 3/ 204 ، وتاريخ

دمشق 67/ 207.

(5) هو : مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي ، أبو عبد الله : أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام . نشأ بين يدي أخيه عبد الله بن الزبير ، فكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق . وولاه عبد الله البصرة (سنة 67هـ) فقصدها ، وضبط أمورها ، وقتل المختار الثقفي . ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة ، وأعادها في أواخر سنة 68 وأضاف إليه الكوفة ، فأحسن سياستها . وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله ، فسير إليه الجيوش ، فكان مصعب يفلها . حتى خرج إليه =

سواد الكوفة ، فدخلت حائطا أصلي ، فافتتحت حم المؤمنون ، حتى بلغت ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾⁽¹⁾ فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمانية فقال : إذا قلت : ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ . فقل : يا غافر الذنب اغفر ذنبي ، وإذا قلت : ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ . فقل : يا قابل التوب اقبل توبتي ، وإذا قلت : ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ فقل : يا شديد العقاب لا تعاقبني . فإذا قلت : ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾ . فقل : يا ذا الطول تطول علي منك برحمتك . فالتفت فلم أر أحدا ، فرجعت إلى الباب فقلت : هل مر بكم رجل عليه مقطعات يمانية؟ قالوا : ما رأينا أحدا . وكانوا يرون أنه إلياس عليه السلام⁽²⁾.

وقيل إن عتبة الغلام دعا ربه أن يهب له ثلاث خصال في دار الدنيا ؛ دعا ربه أن يُمَنَّ عليه بصوت حزين ، ودمع غزير ، وطعام من غير تكلف ، فكان إذا قرأ بكى وأبكى فكانت دموعه جارية دهره ، وكان يأوي إلى منزله فيصيب قوته ولا يدري من أين يأتيه⁽³⁾.

= عبد الملك بنفسه ، فلما دخل العراق خذل مصعبا قواد جيشه وأصحابه فثبت فيمن بقي معه ، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه (محمد بن مروان) فعرض عليه الأمان وولاية العراقين أبدا ما دام حيا ومليونى درهم صلة ، على أن يرجع عن القتال ، فأبى مصعب ، فشد عليه جيش عبد الملك ، في وقعة عند دير الجاثليق (على شاطئ دجيل ، من أرض مسكن) وطعنه زائدة بن قيس السعدى (أو عبيد الله بن زياد بن ظبيان) فقتله . وحمل رأسه إلى عبد الملك . وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام . وكانت في البهنساوية بمصر قبيلة تنتسب إليه تعرف ببني مصعب قال أبو عبيدة (معمر ابن المثنى) : كان مصعب أحب أمراء العراق إلى أهل العراق ، يعطيهم عطاءين عطاء للشقاء وعطاء للصيف ، وكان يشتد في موضع الشدة ويلين في موضع اللين .

ترجمته في : طبقات ابن سعد 5/182 ، طبقات خليفة (2067) ، تاريخ البخاري 7/350 ، الأخبار الموفقيات 525 وما بعدها ، المعارف 224 ، الأغاني 19/122 ، تاريخ بغداد 13/105 .

(1) سورة غافر ، الآية : 3.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2502) ، وتاريخ دمشق 9/217 ، وحلية الأولياء 2/328.

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2521) ، وشعب الإيمان 3/382 ، وحلية الأولياء 6/236 =

وقيل : إن رابعة⁽¹⁾ كانت تطبخ قِدْرًا ، فاشتتهت بَصَلًا ، فجاء طير في منقاره بصلة فألقاها إليها⁽²⁾.

وكان أبو معاوية الأسود قد عمي ، وكان إذا أراد أن يقرأ نشر المصحف رجع بصره إليه ، فإذا أطبقه ذهب بصره⁽³⁾.

وحكى النووي - رَحِمَهُ اللهُ - في كتاب البستان أن امرأة أبي مسلم الخولاني قالت له : ليس لنا دقيق . قال هل : عندك شيء؟ قالت : درهم بعنا به غزلا . قال : أبغنيه وهات الجراب ، فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام وقف عليه سائل ، فقال : يا أبا مسلم تصدق علي . فهرب منه وأتى حانواتا آخر فتبعه السائل ، فقال : يا أبا مسلم ، تصدق علينا . فأضجره فأعطاه الدرهم ، ثم عمد إلى الجراب فملأه من نحاتة النجارين مع التراب ، ثم أقبل إلى باب منزلة فنقر الباب وهو مرعوب من أهله ، فلما فتحت الباب رمى الجراب وذهب ، وإذا فيه دقيق حُوَارَى ، فعجنت وخبزت ، فلما ذهب من الليل الهوي جاء أبو مسلم فنقر

=ومجابو الدعوة (204) .

(1) هي : البصرية ، الزاهدة ، العابدة ، الخاشعة ، أم عمرو رابعة بنت إسماعيل العدوية ، أم الخير ، مولاة آل عتيك ، البصرية : صالحة مشهورة ، من أهل البصرة ، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك ، ولها شعر : من كلامها : (اكنموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس ، قال ابن خلكان : (وقبرها يزار ، وهو بظاهر القدس من شرقيه ، على رأس جبل يسمى الطور) وقال : (وفاتها سنة 135 كما في شذور العقود لابن الجوري ، وقال غيره سنة 185) . ترجمتها في : الإحياء للغزالي : 2 / 267 ، وفيات الأعيان 3 / 215 ، عبر الذهبي 1 / 278 ، الرسالة القشيرية 86 ، 173 ، قوت القلوب للمكي 1 / 103 ، 156 ، التعرف : للكلايازي 73 ، 121 ، نفحات الأنس : 716 ، الطبقات الكبرى للشعراني 56 ، الكواكب الدرية للمناوي (96) ص 108 ، شذرات الذهب 1 / 193 ، تذكرة الأولياء للعطار : 1 / 59 ، النجوم الزاهرة : 1 / 330 ، شرح المقامات : 2 / 231 .

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2525) ، ومجابو الدعوة (105) .

(3) الرسالة القشيرية 168 ، وتاريخ دمشق 67 / 243 .

الباب ، فلما دل وضعت بين يديه خوانا وأرغفة حُوَّارَى ، فقال : من أين لكم هذا؟ قالت : يا أبا مسلم ، من الدقيق الذي جئت به ، فجعل يأكل ويكي (1) .
واسم أبي مسلم عبد الله بن ثوب ، وكان رحل إلى رسول الله ﷺ ليصحبه ، فتوفي النبي ﷺ وهو في الطريق .

ولما ادّعى الأسود بن قيس العنسي الكذاب النبوة باليمن بعث إلى أبي مسلم الخولاني - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فلما جاءه قال : أتشهد أنني رسول الله؟ فقال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال : نعم . فردد ذلك علي ، ظ فأمر بنار عظيمة فأججت وألقى فيها أبو مسلم فلم تضره فقليل له أنفه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى أبو مسلم المدينة وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلي إلى سارية فبصر به عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فقام إليه فقال : ممن الرجل؟ قال : من أهل اليمن . قال : ما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال : ذلك عبد الله بن ثوب . قال نشدتك الله أنت هو؟ قال اللهم نعم . فاعتنقه ثم بكى ، ثم ذهب به حتى أجلسه ما بينه وبين أبي بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين - وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن (2) .

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : وقوله : لا أسمع محتمل . وجهين ؛ أحدهما : معناه لا أقبل هذا . والثاني : أنه على ظاهره ، وأن الله تعالى سد مسامعه عن هذا الباطل . قال : وهذا أظهر (3) .

(1) بستان العارفين 25.

(2) حلية الأولياء 2/ 129 ، وبستان العارفين 26.

(3) بستان العارفين : الموضع السابق .

الباب الثالث

قال القرطبي: في تفسيره⁽¹⁾ اختلف الناس، هل يجوز أن يعلم الولي أنه ولي أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه لا يجوز، وأن ما يظهر على يديه يجب أن يلاحظه بعين خوف المكر؛ لأنه لا يأمن أن يكون مكرًا واستدراجا له، وقد حكي عن السري - رَحِمَهُ اللهُ - أنه كان يقول: إن رجلا دخل بستانا فكلمه من رأس كل شجرة طير بلسان فصيح، وقال السلام: عليك يا ولي الله. فلو لم يخف أن يكون ذلك مكرًا كان ممكورا به؛ ولأنه لو علم أنه ولي لزال عنه الخوف وحصل له الأمان، ومن شرط الولي أن يستديم الخوف إلى أن تنزل عليه الملائكة، كما قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾⁽²⁾. ولأن الولي من كان مختوما له بالسعادة والعواقب مستورة، ولا يدري أحد ما يختم له به، ولهذا قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالخواتيم»⁽³⁾.

القول الثاني: أنه يجوز للولي أن يعلم أنه ولي، ألا ترى أن النبي ﷺ يجوز أن يعلم أنه ولي، ولا خلاف أنه يجوز لغيره أن يعرفه أنه ولي لله، فجاز له أن يعلم ذلك، وقد أخبر النبي ﷺ عن حال العشرة من أصحابه أنهم أهل الجنة، ولم يكن في ذلك زوال خوفهم، بل كانوا أكثر تعظيما لله وأشد خوفا وهيبه، وإذا جاز للعشرة من أصحابه ذلك ولم يخرجهم عن الخوف، فكذلك غيرهم.

(1) الجامع لأحكام القرآن 29/11.

(2) سورة فصلت، الآية: 30.

(3) أخرجه أحمد (5/335، رقم 22886)، والبخاري (6/2436، رقم 6233)، وابن حبان (14/50، رقم 6175) والطبراني (6/143، رقم 5784)، والدارقطني في الأفراد كما في أطراف ابن طاهر (3/98، رقم 2147).

وكان الشبلي يقول : أنا أمان هذا الجانب . فلما مات ودفن عبر الديلم الدجلة في ذلك اليوم واستولوا على بغداد . ويقول الناس : مصيبتان ؛ موت الشبلي وعبور الديلم ، ولا يقال : إنه يحتمل أن يكون ذلك استدراجا ؛ لأنه لو جاز ذلك لجاز ألا يعرف النبي أنه نبي وولي لله ، لجواز أن يكون ذلك استدراجا ، فلما لم يجر ذلك ؛ لأن فيه إبطال المعجزات لم يجر هذا ؛ لأن فيه إبطال الكرامات . وما روى من ظهور الكرامات على يد بلعام وانسلاخه عن الدين بعدها بقوله : ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾⁽¹⁾ . فليس في الآية أنه كان وليا ، ثم انسلاخت عنه الولاية ، وما نقل أنه أظهر على يده ما يجري مجرى الكرامات هو أخبار آحاد لا توجب العلم والله أعلم .

والفرق بين المعجزة والكرامة : أن الكرامات من شرطها الاستتار والمعجزة من شرطها الإظهار ، وقيل : الكرامة ما تظهر من غير دعوى ، والمعجزات ما تظهر عند دعوى الأنبياء ، فيطالبون بالبرهان ليظهر أثر ذلك .



(1) سورة الأعراف ، الآية : 175 .

الباب الرابع

في الخضر عليه السلام

كنيته أبو العباس واسمه بليابن ملكان ، وسبب تلقيبه بالخضر أنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء والفورة وجه الأرض .

واختلف العلماء هل هو نبي أم ولي ، واختلفوا أيضا هل هو حي أم ميت؟ وصحح أبو عمرو بن الصلاح والنووي - رحمهما الله تعالى - أنه حي ؛ قيل : سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة ، وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة ، وكان الخضر على مقدمته فوقع على العين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكرا لله عز وجل وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد ⁽¹⁾.

وقيل : إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم ، ويصومان شهر رمضان ببيت المقدس ، وقيل : أربعة من الأنبياء أحياء ؛ اثنان في الأرض ؛ الخضر وإلياس ، واثنان في السماء ؛ إدريس وعيسى - عليهم السلام - قيل : إن إلياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار .

وروي أن موسى عليه السلام قال للخضر - عليه السلام - بماذا أطلعك الله تعالى على ما أطلعك من الغيب؟ قال : بترك المعاصي لأجل الله تعالى ⁽²⁾.
وروي أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له : أوصني . قال : لا تطلب العلم لتحدث به ، واطلبه لتعمل به ⁽³⁾.

(1) تفسير البغوي 5/197، وتفسير القرطبي 11/41، وتفسير الألوسي 11/319.

(2) قوت القلوب 261.

(3) تفسير البغوي 5/197.

قال وهب بن منبه : وكان يُرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه ، فتعجبت منه الملائكة ، فاشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له ، فأتاه في صورة بني آدم فقال له : من أنت؟ فقال : أنا ملك الموت ، استأذنت ربي أن أصحبك . قال : فلي إليك حاجة . قال له : ما هي؟ قال : تقبض روحي . فأوحى الله إليه أن اقبض روحه ، فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة ، ثم قال له : لي إليك حاجة أخرى؟ قال : وما هي؟ قال : ترفعني إلى السماء لأنظر إليها ، وإلى الجنة والنار . فأذن له في رفعه ، فلما قرب من النار . قال : حاجة أخرى . تسل مالكا حتى يفتح لي أبوابها ، فأردها ففعل ، ثم قال : وكما أريتني النار فأرني الجنة . فذهب به إلى الجنة واستفتح ففتح له أبوابها ، فدخلها ثم قال له ملك الموت : اخرج لتعود إلى مقرك . فتعلق بشجرة وقال : لا أخرج منها . فبعث الله ملكا حكما بينهما ، فقال له الملك : مالك لا تخرج؟! قال : لأن الله تعالى يقول : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾⁽¹⁾ . وقد ذقته ، وقال : ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾⁽²⁾ . وقد وردتها ، وقال : ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾⁽³⁾ . فلست أخرج . فأوحى الله إليه أي ملك الموت ، بإذني دخل ، وبأمري لا يخرج . فهو حي هناك⁽⁴⁾ .

وأما إلياس - عليه السلام - فروي أنه كان قد بُعث إلى بني إسرائيل ، فرأى منهم أذى شديد ، ورأى أنهم لا يزدادون إلا طغيانا ، فسأل ربه أن يريحه منهم ، فقبل له فيما يزعمون : انظر يوم كذا وكذا ، فاخرج فيه إلى موضع كذا وكذا ، فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه . فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان

(1) سورة آل عمران ، الآية : 185 .

(2) سورة مريم ، الآية : 71 .

(3) سورة الحجر ، الآية : 48 .

(4) تفسير البغوي 5/239 ، وتفسير القرطبي 11/119 .

بالموضع الذي أمر ، أقبل فرس من نار ، وقيل : لونه كلون النار حتى وقف بين يديه ، فركب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع : يا إيلياس ، ما تأمرني؟ فقذف إليه بكسائه من الجو الأعلى ، وكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل ، فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله إيلياس من بين أظهرهم ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، وكساه الريش ، فكان إنسيا ملكيا أرضيا سماويا والله أعلم⁽¹⁾.

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال الراوي لا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبي ﷺ قال : «يلتقي الخضر وإيلياس في كل عام في الموسم فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان على هؤلاء الكلمات : بسم الله ما شاء الله ، لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ، ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله» . قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - في الكلمات التي يقولهن الخضر وإيلياس - عليهما السلام - : من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله من الغرق والحرق والسرقة . قال الراوي : وأحسبه قال : من الشيطان والسلطان والحية والعقرب⁽²⁾.



(1) تفسير الطبري 99/21 ، والبغوي 85/7 ، والقرطبي 115/15 .

(2) أخرجه الخطيب (1/224) ، ترجمة 273 الحسن بن رزين) وقال : مجهول . وابن عدى (2/328) ، ترجمة 462 الحسن بن رزين) وقال : وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر . وابن عساكر (9/211) . وأخرجه أيضاً : الديلمي (5/504) ، رقم (8895) ، وعزاه الحافظ في الإصابة (2/305) لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد المزكي في فوائده ، وقال : قال الدارقطني في الأفراد : لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن بن رزين . وقال أبو الحسين بن المنادي : هو حديث واه بالحسن المذكور انتهى ، وقد جاء من غير طريقه لكن من وجه واه جداً أخرجه ابن الجوزي .

قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى : ﴿أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ (٩). (١). أي : ليسوا بأعجب آياتنا (٢)؛ فإن ما خلقت السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب ، والكهف هو الغار في الجبل ، والرقيم لوح كتب فيه أسماء أهل الكهف وقصصهم ، وكان من رصاص .

قال محمد بن إسحاق بن يسار (٣) : عظمت الخطايا في أهل الإنجيل وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام ، وفيهم بقية على دين المسيح ، وكان فيهم ملك من الروم ، يقال له : دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت ، وقتل من خالفه ، فنزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس ، فلما نزلها كبر على أهل الإيمان فاستخفوا منه وهربوا ، فاتخذ دقيانوس أعوانا من الكفار يتتبعون أهل الإيمان ، فيجيئونهم بهم فيخيرونهم بين القتل وعبادة الأصنام ؛ فمنهم من رغب في الحياة ، ومنهم من أبى أن يعبد غير الله فيقتل ويصلب على سور المدينة ، حتى عظمت الفتنة ، فرأى ذلك فتية من أشرف الروم فحزنوا حزنا شديدا وقاموا واشتغلوا بعبادة الله عز وجل والتضرع إليه ، فبينما هم على ذلك وقد دخلوا في مصلًى لهم جاءتهم الأعوان فوجدوهم سُجَّدًا على وجوههم يكبون ويتضرعون إلى الله - عز وجل - فأخبروا دقيانوس بشأنهم ، فبعث إليهم فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب ، فقال : لهم اختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا وإما أن أقتلكم . فقال مكسلمينا : ﴿رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا

(1) سورة الكهف ، الآية : 9 .

(2) تفسير الطبري 17 / 601 ، وتفسير القرطبي 10 / 358 .

(3) تفسير البغوي 5 / 146 .

لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١﴾. أي: جورا. فقال أصحابه مثل قوله، فلما قالوا ذلك قال لهم: إني أراكم شبابا حديثه أسنانكم، ولا أرى أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وترجعون إلى عقولكم، ثم أمر بهم حتى أخرجوا، ثم إن الفتية عمد كل واحد إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها، وانطلقوا بما كان معهم وتبعهم كلب حتى أتوا إلى كهف قريب من المدينة يقال له: بنجلوس، فلبثوا فيه يعبدون الله تعالى، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له: تملixa. وكان يبتاع لهم أرزاقهم سرًا، ويتحسس لهم الخبر، هل ذكروا فلبثوا في ذلك مدة يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويتعوذون من الفتنة، فقال لهم تملixa: يا اخوتاه، ارفعوا رءوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم، فرفعوا رءوسهم وأعينهم تفيض من الدمع، فطعموا وذلك مع غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا، فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه في باب الكهف، فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس، فالتمسهم فلم يجدهم، فأرسل إلى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم فقالوا له: أما نحن فلا نعصيك فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا وأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا إلى جبل يدعى بنجلوس فخلى سبيلهم، وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية، فألقى الله - عز وجل - في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم، أراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد وقال: دعوهم يموتون في الكهف جوعا وعطشا، ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد أصابه ما

(1) سورة الكهف، الآية: 14.

أصابهم ، يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ، ثم إن رجلين مؤمنين من بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما كتباً شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم في لوحين من رصاصا وجعلهما في تابوت من نحاس وجعله في البنيان وقالوا : لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين يوم القيام ، فيعلم من فتح عنهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ، ثم مات دقيانوس هو وقومه وقرون بعده كثير . قال محمد بن إسحق : ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له : بندوسيبس وبقي في ملكه ثمانية وستين سنة ، فتحزب الناس في ملكه ، فمنهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ، ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح ، فبكى وتضرع إلى الله تعالى وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ، فدخل بيته وأغلق عليه بابه ولبس مسحاً وجعل تحته رمادا ، وجعل يتضرع إلى الله ويقول : رب قد رأيت اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ، ثم إن الله عز وجل أراد أن يظهر أمر الفتية ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة ؛ ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيبوا لعبد الصالح بن دوسيبس ، ويتم نعمته عليه فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد أن يهد البنيان الذي على فم الكهف ، فيبني حظيرة لغنمه ففعل ، وفتح باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب ، ثم إن الله - عز وجل - يحبى الموتى أذن للفتية أن يجلسوا فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم ، ثم قاموا إلى الصلاة يصلون كعادتهم لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا ، فهم يرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم ، فلما قضوا صلاتهم قال بعضهم لبعض : كم لبثتم نياما؟ قالوا لبثنا يوما ؛ لأنهم كانوا إذا دخلوا الكهف عند طلوع الشمس واستيقظوا عند غروبها فلما رأوا بقية من الشمس قالوا : أو بعض يوم . فلما رأوا طول أظفارهم وشعورهم قالوا : ربكم أعلم

بما لبثتم! ثم قالوا لتمليخا: انطلق إلى المدينة وتسمع ما يقال فينا، وابتع لنا طعاما، فوضع تمليخا ثيابه وأخذ الثياب كأخفاف الإبل فانطلق، فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها، ثم مر ولم يبال بها، ثم أتى المدينة مستخفيا لا يراه أحد من أهلها فيعرفه، ولا يشعر أن دقيانوس قد هلك قبل ذلك بثلاثمائة سنة، فلما أتى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لأهل الإيمان إذا كان أمر الإيمان ظاهرا فيها، فتعجب من ذلك ثم تحول إلى باب آخر من أبوابها، فرأى مثل ذلك وجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها، ورأى ناسا لم يكن رأيهم قط، فتعجب من ذلك وقال: لعلني حالم. ثم يرى أنه ليس بنائم، ثم دخل المدينة فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم، فتعجب من ذلك وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا؟ أما عشية أمس فليس على ظهر الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، والغداة أسمع كل إنسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف! لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف، ثم لقي فتى فقال له: ما اسم هذه المدينة؟ فقال: أفسوس. فقال في نفسه: لعل بي جنونا. ثم دنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاهم رجلا منهم فقال: بعني بهذه طاما. فأخذها الرجل فنظر إلى ضربها ونقشها فتعجب منها، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويتعجبون منها ويقول بعضهم لبعض: إن هذا أصاب كنزا. فلما رأيهم تمليخا يتشاورون في أمره فزع فرعا شديدا، وظن أنهم عرفوه وأنهم يريدون أن يذهبوا به إلى الملك دقيانوس، فقال لهم: قد أخذتم ورقني فأمسكوها، وأما طعامكم فلا حاجة لي به. فقالوا له: من أنت يا فتى، والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين، فأرنا إياه وشاركنا فيه ونخفي عليك ما جدت، وإن لم تفعل نأت بك إلى السلطان فيقتلك، فلما سمع قولهم جعل لا يدري ما يقول لهم، فلما رآه لا يتكلم جعلوه كساءة في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى يسمع به

من فيها وهو ساكت ، ثم انطلقوا به إلى رئيسي المدينة اللذين يديران أمرها ، وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر أسطيوس ، فنظر إلى الورق فتعجبا منه ، ثم قال أحدهما : أين الكنز الذي وجدت يا فتى؟ فقال : ما وجدت كنزا ، ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ، ولكن والله ما أدري ما شأني ، وما أقول لكم؟! فقليل له : من أنت قال : تمليخا ، وأنا من أهل هذه المدينة . قالوا : فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحد يعرفه ولا يعرف أباه ، فقال أحدهما : أتظن أنا نرسلك ونصدقك إن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلاثمائة سنة ، وأنت غلام شاب ، أتسخر بنا ونحن شمس ، كما ترى وخزائن هذه البلدة بأيدينا ، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار ، وإني سأمر بك فتعذب عذابا شديدا حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته . فقال لهم : تمليخا أنبؤني عن شيء حتى أسألكم منه ، فإن فعلتم صدقتكم . قالوا : سل . قال : ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا : ليس نعرف على وجه الأرض ملكا يسمى دقيانوس ، ولم يكن إلا ملك هلك منذ زمان طويل ، وهلك بعده قرون كثيرة . فقال تمليخا : إني إذا لخيران ، وما أحد يصدقني من الناس بما أقول ، ولقد كنا فتية وأن الملك أكرهنا على عبادة الأوثان ، فهربنا منه عشية أمس ، فمنا فلما انتبهنا خرجت لأشتري طعاما وأتسوس الأخبار ، فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي . فلما سمع أريوس ما يقول تمليخا قال : يا قوم ، لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله على يد هذا الفتى ، فانطلقوا بنا يرينا أصحابه ، فانطلقوا معه فلما سمع الفتية الأصوات وجلب الخيل ظنوا أنهم رسل دقيانوس ، فبينما هم كذلك لم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف ، فسبقهم تمليخا ودخل عليهم وأخبرهم وقص عليهم نبأه ، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما يأذن الله تعالى ذلك الزمان كله ، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس ، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، ثم دخل أريوس

فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة ، فدعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما أسماء الفتية ، وأنهم هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم ، فدخلوا هذا الكهف ، فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة ، وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمهم من بعدهم إن عثر عليهم . فلما قرءوه عجبوا وحمدوا الله الذي آراهم آية البعث فيهم ، ثم دخلوا على الفتية فوجدتهم جلسوا مشرقة ووجوههم لم تبل ثيابهم ، فخر أريوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذي آراهم آية ، ثم أنبأهم الفتية عن الذين لقوا من ملكهم دقيانوس ، ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى الملك الصالح بدوسيبس أن اعجل لعلك تنظر آية من آيات الله جعلها الله تعالى على ملكك ، وجعلها الله آية للعالمين لتكون نورا وضياء وتصديقا للبعث ، فركب الملك وأهل المدينة حتى أتوا نحو الكهف ، فلما رأى الفتية بندوسيبس فرحوا به وخرجوا سجدا لله تعالى على وجوههم ، وقام بندوسيبس وعانقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ، ثم قال الفتية لبندوسيبس : نستودعك الله والسلام عليكم ورحمة الله وحفظك الله ، وحفظ ملكك ونعيمك بالله من شر الإنس والجن ، ثم رجعوا إلى مضاجعهم ، وتوفى الله أنفسهم فأمر الملك أن يجعل كل واحد منهم في تابوت من ذهب ، فلما أمسى ونام أتوه في المنام فقالوا له : إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكن خلقنا من التراب وإلى التراب نعود ، فتركنا في الكهف كما كنا على التراب حتى يبعثنا الله منه ، فأمر الملك بتابوت من ساج فجعلوا فيه ، وحجبههم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ، فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم ، وجعل الملك على باب الكهف مسجدا ، وجعل لهم عيدا عظيما يؤتى كل سنة والله أعلم .

روي الواحدي عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - في قوله تعالى : ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ . أنا من القليل ، وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وينينونس وسارينونس وذنونانس وكقشيطينونس والكلب اسمه قطمير⁽¹⁾. تمت بعون الله وحسن توفيقه .



(1) تفسير البغوي 5 / 150 ، والطبري 17 / 629.

قصة اسكندر ذي القرنين عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٣). قيل : إنه كان نبيا والأكثر على أنه كان ملكا عادلا صالحا ، وسمي بذئ القرنين ؛ لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها ، وكان اسمه إسكندر .
﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ (٢). قال علي - رضي الله عنه - سخر له السحاب ، فحمله عليه ، ومد له في الأسباب ، وبسط له النور ، فكان الليل والنهار عليه سواء. ﴿وَأَيَّنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الخلق ﴿سَبَبًا﴾ السبب ما يوصل الشيء إلى الشيء . وقال الحسن : بلاغا إلى حيث أراد . ﴿فَأَنْبَغَ سَبَبًا﴾ (٨٥) . أي : سلك وسار طريقا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية) . أي : حارة وقرئ ﴿حِمَّةٍ﴾ بالهمزة من غير مد ، أي : ذات حمأة وهي الطينة السوداء (٣). قال القتيبي : يجوز أن يكون معنى قوله : ﴿فِي عَيْنٍ حِمَّةٍ﴾ . أي : عندها أو في رأي العين وجد عندها قوما (٤). قال ابن جريج : مدينة لها اثنا عشر ألف باب ، لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب (٥).

﴿قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ يستدل بهذا من زعم أنه كان نبيا ؛ فإن الله تعالى خاطبة ، والأصح أنه لم يكن نبيا ، والمراد منه الإلهام ، ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ﴾ . يعني :

(1) سورة الكهف ، الآية : 83.

(2) سورة الكهف ، الآية : 84.

(3) البغوي 5/ 198 ، وابن أبي شبة 4/ 346.

(4) البغوي 5/ 199.

(5) البغوي 5/ 199.

إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام ⁽¹⁾ ﴿وَأِمَّا أَنْ نَخَذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ . يعني :
تعفو وتصفح ⁽²⁾.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ . أي : كفر . ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ . أي :
في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا﴾ . أي : منكرًا . يعني النار ، وهي أنكر من القتل .
﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾
﴿٨٨﴾ . أي : نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا .

﴿ثُمَّ أُنْبِئَ سَبَّأًا ۖ ۞٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ۖ . أي : موضع طلوعها
﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ . قال الحسن وقتادة : لم
يكن بينهم وبين الشمس ستر ، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء ،
وكانوا يكونون في أسراب لهم ، حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معاشهم
وحرورهم ⁽³⁾.

وقوله : ﴿كَذَٰلِكَ﴾ . أي : كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس
حكم في الذين هم عند مطلعها ، ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ . أي : بما عنده ومعه
من الجند والآلات ﴿خُبْرًا﴾ . أي : علما .

﴿ثُمَّ أُنْبِئَ سَبَّأًا ۖ ۞٩٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ۖ . أي : الجبلين ﴿وَجَدَ مِنْ
دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ ، أي : أمام السدين ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ . أي : لا يفقهون
كلام أحد .

﴿قَالُوا يَذَا الْقَرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ . هم من أولاد يافث بن نوح ، وقيل :
إن آدم احتلم وامترجت نطفته التراب ، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج ،

(1) البغوي 5/199.

(2) البغوي 5/199.

(3) البغوي 5/200.

وقال قتادة : هما اثنان وعشرون قبيلة بني ذو القرنين السد على إحدى وعشرين قبيلة ، وبقيت قبيلة واحدة وهم الترك ، وسموا الترك لأنهم تركوا خارجين⁽¹⁾ .
وروي عن حذيفة مرفوعا : «إن يأجوج أمة ومأجوج أمة ، كل أمة أربعمائة ألف أمة ، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه ، كلهم قد حملوا السلاح ، وهم من ولد آدم يسبغون إلى خراب الدنيا ، وهم ثلاثة أصناف ، منهم أمثال الأرز شجر بالشام ، طوله عشرون ومائة ذراع في السماء ، وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في السماء ، وهؤلاء لا يقوم بهم جبل ولا حديد ، وصنف منهم يفتش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ، لا يبرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقطهم بخراسان ، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية»⁽²⁾ .

وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال : منهم من هو طوله شبر ، ومنهم من هو مفرط في الطول⁽³⁾ .

قوله عز وجل : ﴿قَالُوا يَنْذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ . قال الكلبي : فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم ، فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا شيئا ياسبا إلا احتملوه ، ولقوا منهم أذى شديد وقتلا .
وقيل : فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس⁽⁴⁾ .

﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ . أي : جعلاً ، ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ .
أي : حاجزاً فلا يصلون إلينا . ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ من جعلكم

(1) البغوي 202/5 .

(2) أخرجه ابن جرير في التفسير (87/17) .

(3) تفسير البغوي 204/5 .

(4) تفسير البغوي 204/5 ، وتذكرة القرطبي 179 .

﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ . أي : أعينوني بأبدانكم وقوتكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ . أي : سدا قالوا : وما تلك القوة؟ قال : فَعَلَّةٌ وَصَنَاعٌ يحسنون البناء والعمل والآلة . قالوا : وما تلك الآلة؟ قال : ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ . أي : قطع الحديد ، فأتوا بها وبالخطب ، فجعل الحديد على الخطب والخطب على الحديد ﴿حَقَّ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ﴾ . أي : طرفي الجبلين ، ﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾ . أي : في النار ﴿حَقَّ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ . أي : صار الحديد نارا ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ . أي : نحاسا مذابا ، فجعلت النار تأكل الخطب ويصير النحاس مكان الخطب حتى لزم الحديد النحاس ، وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع ، وطوله فرسخ ﴿فَمَا أَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ . من أسفله لشدته وصلابته . ﴿قَالَ﴾ . أي : ذو القرنين ﴿هَذَا﴾ أي : هذا السد ﴿رَحِمْتَ﴾ . أي : نعمة ﴿مَنْ رَبِّي إِذَا جَاءَ وَعَدَ رَبِّي﴾ . قيل : يوم القيامة . وقيل : وقت خروجهم ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ . أي : مذكوكا مستويا مع وجه الأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ .

وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يرفعه : «إن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا ستحفرونه غدا ، فيعيده الله كما كان حتى إذا بلغوا مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله تعالى ، فاستثنى فيغدون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فيتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع كهيئة الدم فيقولون : قهرنا إله السماء ، وعلونا إله السماء . فيبعث الله عليهم نغفا في أقبائهم ، فيهلكون وإن دباب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا»⁽¹⁾ .

(1) أخرجه أحمد (2/ 510 ، رقم 10640) ، والترمذي (5/ 313 ، رقم 3153) وقال : حسن غريب ، وابن=

وفي القصة أن ذا القرنين دخل الظلمة ، فلما رجع توفى بشهرزورد ، وذكر بعضهم أن عمره كان نيفا وثلاثين سنة والله أعلم .



=ماجه (2/ 1364 ، رقم 4080) ، والحاكم (4/ 534 ، رقم 8501) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، والطبرى فى التفسير (16/ 21) ، وأبو يعلى (11/ 321 ، رقم 6436) والعقيلي (2/ 285 ، ترجمة 853 عبد الله بن عصمة الجزرى) ، وابن حبان (15/ 242 ، 243 ، رقم 6829) ، وأبو عمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (6/ 1205 ، رقم 666) .

قصة حبيب النجار رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

قال الله تعالى ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾⁽¹⁾. وهي أنطاكية. ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. يعني: رسل عيسى عليه السلام⁽²⁾.

قال العلماء بأخبار الأنبياء: بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينة أنطاكية، فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار، فلما سلما عليه قال لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى، ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن. فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم، نحن نشفي المريض، ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، فأتاهما بابلن له مريض منذ سنين، فمسحاه فقام في الوقت بإذن الله عز وجل صحيحا⁽³⁾.

قال وهب: بعث عيسى هذين الرجلين إلى أنطاكية، فأتياها فلم يصلأ إلى ملكها، وطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكر الله تعالى، فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة، قالوا: فلما كُذِبَ الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينظرهما، فدخل شمعون البلدة وتنكر وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات يوم: أيها الملك، بلغني عنك أنك حبست رجلين حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال: الملك حال الغضب بيني وبين ذلك. قال: فإن رأي الملك أن يدعوهما حتى يطلع الملك على ما عندهما فدعاهما،

(1) سورة يس، الآية: 13.

(2) تفسير البغوي 7/10.

(3) تفسير البغوي 7/11.

فقال لهما شمعون : من أرسلكما إلى ههنا؟ قالا : الله الذي خلق كل شيء ، وليس له شريك . فقال لهما شمعون : صفا وأوجزا . فقالا : إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . فقال شمعون : وما آيتكما؟ قالا : ما تتمناه . فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين موضع عينه كالجبهة ، فما زالا يدعوان حتى انشق موضع البصر ، فأخذا بندقتين من طين فوضعهما في حدقتيه ، فصارتا حدقتين ، فتعجب الملك ! فقال شمعون للملك : إن أنت سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك الشرف ، فقال الملك : ليس لي دونك سرٌّ ، إن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . فقال الملك للرسولين : إن قدرا إلهكما على إحياء ميت آمنا به وبكما . قالا : إلهنا قادر على كل شيء ، فأتاهما بميت قد مات منذ سبعة أيام ، وقد أنتن فجعلنا يدعوان ربهما وجعل شمعون يدعو سرًّا ، فقام الميت بإذن الله ، وقال : إني قد مت منذ سبعة أيام ، ووجد مشركا فأدخلت في تسعة أودية من النار ، وأنا أحذرکم ما أنتم فيه ، فآمنوا بالله ، ثم قال : فتحت أبو السماء ورأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة . قال الملك : ومن الثلاثة؟ قال : شمعون وهذان . وأشار إلى صاحبيه ، فتعجب الملك لما علم ، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصم يدخل بدخوله ، ويصلي لله كثيرا ويتضرع إليه حتى ظنوا أنه على ملتهم ، فلما علم شمعون أن قوله أثر في الملك أخبره في الحال ودعاه ، فآمن الملك ، وآمن قوم وكفر آخرون ⁽¹⁾ .

وقال ابن إسحاق ووهب : بل الملك لم يؤمن ولم يصدقهم ، فاجتمع هو وقومه على قتل الرسل ، وبلغ ذلك حبيبا فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين ، فذلك قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ ﴾ . قال : وهب : اسمهما يحنا وبولس ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا ﴾ فقوينا بثالث هو شمعون ، وإنما

(1) تفسير البغوي 11/7 .

أضاف الله الإرسال إليه ؛ لأن عيسى عليه السلام إنما بعثهم بأمره ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا﴾ . تشاء منا بكم ، وذلك أن المطر حبس عنهم فقالوا : أصابنا هذا بشؤمكم ، ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَرْجُمْنَاكُمْ وَلَيَمْسَنَكُمْ مِمَّا عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ * قَالُوا طَٰغَوْا لِرَبِّكُمْ مَعَكُمْ﴾ . أي : شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ وعظمت بالله ، وهذا استفهام محذوف الجواب تقديره : إن ذكرتم تطيرتم بنا ، ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ * وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ . وهو حبيب النجار ، وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين ؛ فيطعم نصفاً لعياله ويتصدق بنصف ، فلما بلغه أن قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم فقال : ﴿يَقْوِمُوا أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ . قال قتادة : كان حبيب النجار في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه وقال لما انتهى إلى الرسل : أتسألون على هذا أجراً؟ قالوا : لا ، فأقبل على قومه ، وقال : ﴿قَالَ يَقْوِمُوا أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ * أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ . فلما قال ذلك قالوا له : أنت مخالف لديننا ومتابع لدين هؤلاء الرسل ، ومؤمن باللههم . فقال : ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٢﴾﴾ . قيل : أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم ؛ لأن الفطرة أثر النعمة ، وكان عليه أظهر ، وفي الرجوع معنى الزجر ، وكان بهم أليق ﴿ءَاتَاكُمُ مِنْ دُونِهِ ۖ ءَالِهَةً﴾ استفهام بمعنى الإنكار ، أي : لا أتخذ من دونه آلهة ﴿إِنْ يُرِدِ اللَّهُ الْخَلْقَ بَصَرًا لَا تَعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ﴾ من العذاب لو عذبنى الله إن فعلت ذلك ﴿إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾﴾ إِنِّي ۖ ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ . فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد

فقتلوه (1).

قال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : وطَّؤُهُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى خَرَجَ قَصْبُهُ مِنْ دَبْرِهِ (2).

وقال السدي : كانوا يرمونه بالحجارة ، وهو يقول اللهم : اهد قومي . حتى قتلوه وقطعوه (3).

وقال الحسن : خرقوه خرقة في حلقه فعلقوه بسور المدينة ، وقبره بأنطاكية فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق فذلك قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ . قال : فلما أفضى إلى الجنة قال : ﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي : تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل . قيل : ما ترك نصح قومه حيا ولا ميتا ، فلما قتلوه غضب الله له وعجل لهم النعمة ، فأمر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم ، فذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . أي : من بعد قتله ﴿ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ . يعني : الملائكة ﴿ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ . أي : ما كنا نفعل هذا ، بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر ما يظنون ثم بين عقوبتهم فقال : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ . قال المفسرون : أخذ جبريل - عليه السلام - بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة ، ﴿ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ . أي : ميتون (4).



(1) تفسير البغوي 11/7.

(2) تفسير الطبري 509/20 ، وتفسير البغوي 15/7.

(3) تفسير البغوي 15/7.

(4) تفسير البغوي 15/7.

كتاب الطهارة

وفيه ستة أبواب :

الباب الأول

في فضل الوضوء

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁽¹⁾. قال عطاء - رَحِمَهُ اللَّهُ - : يحب التوابين من الذنوب ، ويحب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات⁽²⁾.

وروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «الطهور شرط الإيمان»⁽³⁾. قيل : المراد من الإيمان الصلاة ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾⁽⁴⁾. أي : صلاتكم إلى بيت المقدس ، وإنما جعل الطهارة نصف الصلاة ؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بالشرائط والأركان ، وأقوى الشرائط الطهارة ، وجعلت الطهارة كأنها الشرط كله . وقيل : يحتمل أنه جعلها نصف الإيمان على وجه الاتساع ؛ وذلك لأن الإيمان هو الداعي إلى الصلاة والحامل عليها ، والطهور هو السبيل إليها ، ولأن الإيمان طهارة عن الشرك والطهور طهارة عن الأحداث ، فهما طهارتان إحداهما تختص بالباطن والأخرى بالظاهر .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ويرفع به الدرجات

(1) سورة البقرة ، الآية : 222.

(2) تفسير الطبري 4/ 395 ، والبغوي 1/ 259.

(3) مسلم (1/ 203 ، رقم 223) ، وأخرجه أيضا أحمد (5/ 342 ، رقم 22953) ، والترمذي (5/ 535 ، رقم 3517) وقال : صحيح ، والدارمي (1/ 174 ، رقم 653) ، وأبو عوانة (1/ 189 ، رقم 600) ، والطبراني (3/ 284 ، رقم 3423) ، وابن منده (1/ 374 ، رقم 211) ، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 3 ، رقم 2709) .

(4) سورة البقرة ، الآية : 142.

إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط». روه مسلم⁽¹⁾. الإسباغ والمكاره: الشدائد، وهو البرد الشديد، ومراده إيصال الماء إلى موضع الفرائض والسنن من غير نقصان عند شدة البرد. وقال عليه السلام: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياها من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره». رواه مسلم⁽²⁾.

وقال عليه السلام: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها رجليه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب» رواه مسلم⁽³⁾.

وقال عليه السلام: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه إلا دخل الجنة»⁽⁴⁾.

وفي الصحيحين عن عثمان بن عفان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه دعا بإناء فافرغ

(1) مسلم (1/219، رقم 251)، وأخرجه أيضا مالك (1/161، رقم 384)، وعبد الرزاق (1/520، رقم 1993)، وأحمد (2/235، رقم 7208)، والترمذي (1/72، رقم 51)، والنسائي (1/94، رقم 139)، وابن حبان (3/313، رقم 1038)، وابن خزيمة (1/6، رقم 5).

(2) مسلم (1/216، رقم 245)، وأخرجه أيضا أحمد (1/66، رقم 476)، والبخاري (2/82، رقم 433)، وأبو عوانة (1/194، رقم 615)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/12، رقم 2731).

(3) مسلم (1/215، رقم 244)، وأخرجه أيضا مالك (1/32، رقم 61)، والدارمي (1/197، رقم 718)، والترمذي (1/6، رقم 2) وقال: حسن صحيح. وابن حبان (3/315، رقم 1040)، وابن خزيمة (1/5، رقم 4)، وأبو عوانة (1/207، رقم 669)، والبيهقي (1/81، رقم 386). وعزه البيهقي في المعرفة (1/307، رقم 735) للشافعي.

(4) أخرجه أبو داود (2/25، رقم 1277)، والحاكم (1/269، رقم 584). والبيهقي (2/455، رقم 4179).

على كفيه ثلاث مرات ، ثم مسح رأسه ، ثم غسل رجليه ثلاث مرات إلى الكعبين ، ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال : «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽¹⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - : إنما قال ﷺ : «نحو وضوئي» . ولم يقل : مثل وضوئي ؛ لأن حقيقة مماثلته ﷺ لا يقدر عليها غيره ، والمراد بالغفران الصغائر دون الكبائر ، وفيه استحباب صلاة ركعتين فأكثر عقيب كل وضوء وهو سنة مؤكدة . قال جماعة من أصحابنا : وتفعل هذه الصلاة في أوقات النهي وغيرها ؛ لأن لها سببا ، واستدلوا فيه بحديث بلال المخرج في صحيح البخاري أنه كان متى توضأ صلى ، وقال : إنه أرجى عمل له . انتهى كلام النووي⁽²⁾.

وخالف في الإحياء في هذه وقال : الوضوء لا يكون سببا للصلاة ، بل الصلاة سببه⁽³⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : ولو صلى فريضة أو نافلة مقصودة حصلت هذه الفضيلة ، كما تحصل تحية المسجد بذلك⁽⁴⁾.

قال : وأما قوله : «لا يحدث فيهما نفسه» . المراد به لا يحدث بشيء من أمور الدنيا وما لا يتعلق بالصلاة ، ولو عرض له حديث فأعرض عنه بمجرد عروضه

(1) أخرجه عبد الرزاق (44/1)، رقم 139، وأحمد (59/1)، رقم 418، والبخاري (71/1)، رقم 158، ومسلم (204/1)، رقم 226، وأبو داود (26/1)، رقم 106، والنسائي (64/1)، رقم 84، وابن الجارود (ص 28، رقم 67)، وابن خزيمة (4/1)، رقم 3، وابن حبان (340/3)، رقم 1058، والدارقطني (83/1)، والبيهقي (48/1)، رقم 218.

(2) شرح صحيح مسلم 373/1.

(3) إحياء علوم الدين 216/1.

(4) شرح صحيح مسلم 373/1.

عفي عن ذلك وحصلت له فائدة الفضيلة إن شاء الله تعالى ؛ لأن هذا ليس من فعله ، وقد عفي لهذه الأمة عن الخواطر التي تعرض ولا تستقر (1).

وعن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : دخلت على النبي ﷺ ، فلما أن غسل يديه قال : «بسم الله والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله» . فلما استنجدى قال : «اللهم حصن لي فرجي ، ويسر لي أمري» . فلما أن تمضمض واستنشق قال : «اللهم لقني حجتني ولا تحرمني رائحة الجنة» . فلما أن غسل وجهه : «قال اللهم بيض وجهي يوم تبيض الوجوه» . فلما أن غسل ذراعيه قال : «اللهم أعطني كتابي بيمينى» . فلما أن مسح يده على رأسه قال : «اللهم غشنا برحمتك وجنبنا عذابك» . فلما أن غسل قدميه قال : «اللهم ثبت قدمي يوم تنزل الأقدام» . ثم قال النبي ﷺ : «والذي بعثني بالحق نبيا ما من عبد قالها عند وضوئه لم يقطر من خلل أصابعه قطرة إلا خلق الله منها ملكا يسبح الله تعالى بسبعين لسانا يكون ثواب ذلك التسبيح له إلى يوم القيامة» (2).

وقال ﷺ : «من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء» (3).



(1) شرح صحيح مسلم 1/373.

(2) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية 1/328.

(3) أخرجه الترمذى (1/78 ، رقم 55) وقال : فى إسناده اضطراب .

الباب الثاني

في آداب الوضوء الباطنة

اعلم أنك إذا أردت أن تتوضأ فإنك تريد زيارة ربك - عز وجل - فينبغي لك أن تتوب من جميع ذنوبك ؛ لأن الله تعالى جعل الغسل بالماء علامة الغسل من الذنوب ، فابدأ بتسمية الله تعالى ، فإذا تمضمضت وطهرت فمك بالماء فطهر لسانك من الكذب والغيبة والنميمة فإن لسانك إنما خلق لذكر الله تعالى وتلاوة كتابه ، ولترشد به خلق الله إلى طريقه ، وتظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك ، فإذا استعملته في غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله فيه ، فإن جوارحك نعمة من الله تعالى عليك ، والاستعانة بنعم الله على معصيته غاية الكفران ، وفي الحديث : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة فيهوي بها في جهنم سبعين خريفا»⁽¹⁾.

وإذا استنشقت بالماء وأزلت ما في منخريك من الأذى فطهرهما من أن تشم بهما محرما ؛ كطيب مغصوب ، وطيب النساء الأجنبية الحسان ، فإنه حرام كما قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وقد قال رسول الله ﷺ : «أيا امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»⁽²⁾.

(1) أخرجه أحمد (297/2 ، رقم 7945) ، والترمذي (557/4 ، رقم 2314) وقال : حسن غريب ، وابن حبان (13/13 ، رقم 5706) .

(2) أخرجه أحمد (304/2 ، رقم 8022) ، ومسلم (328/1 ، رقم 444) ، وأبو داود (79/4 ، رقم 4175) ، والنسائي (190/8 ، رقم 5263) ، وأبو عوانة (360/1 ، رقم 1300) ، والبيهقي (133/3 ، رقم 5157) .

وإذا طهرت وجهك بالماء فطهر نظرك من ثلاث ؛ أن تنظر به إلى محرم ، أو إلى مسلم بعين الاحتقار ، أو إلى عيب مسلم ، فإنما خلقت العينان لتهتدي بهما في الظلمات ، وتستعين بهما في الحاجات ، وتنظر بهما إلى عجائب ملكوت الأرض والسموات ، وتعتبر بما فيها من الآيات ؛ قال رسول الله ﷺ : «النظر سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن غص بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة إلى يوم يلقاه»⁽¹⁾.

وإذا طهرت يدك بالماء فطهرهما من أن تضرب بهما مسلماً ، أو تتناول بهما ما لا حراماً ، أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به ، فإن القلم أحد اللسانين فاحفظه عما يجب حفظ اللسان مه .

وإذا مسحت رأسك بالماء فاعلم أنك إنما تفعل ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى ، فإن العبادات كلها لها معان ، فإن الشرع لا يأمر بعبث ، وقد يفهمه المكلف وقد لا يفهمه ، فالحكمة في الصلاة الخضوع وإظهار الافتقار إلى الله تعالى ، وفي الصوم كسر النفس ، وفي الزكاة مواساة المحتاج ، وفي الحج إقبال العبد أشعث أغبر من مسافة بعيدة إلى بيت الله كإقبال العبد إلى مولاه ذليلاً ، ومما لا يفهم معناه السعي والرمي ومسح الرأس ، فكلف العبد بها ليتم انقياده ؛ إذ لاحظ للنفس في هذا النوع ولا أنس للعقل به ، فلا يحمل عليه إلا مجرد الامتثال .

وإذا مسحت أذنك بالماء فطهرهما من الإصغاء إلى بدعة أو غيبة أو خوض في باطل ، فإنهما لم يخلقا إلا لتسمع بهما كلام الله وسنة رسوله الله ﷺ وحكمة أوليائه .

وإذا طهرت رجليك فطهرهما من المشي إلى حرام والسعي بهما إلى أبواب الظلمة ؛ قال رسول الله ﷺ : «ما من عبد يخطو خطوة إلا يسأل عنها ما أراد

(1) ذكره الحكيم (181/3) .

بها»⁽¹⁾. وقال العينان : «زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا»⁽²⁾. وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁽³⁾. قيل : معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده⁽⁴⁾.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ما منكم من أحد إلا سيخلوا الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، ثم يقول : يا ابن آدم ، ما غرك بي ، يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن ماذا أجبته المرسلين؟ يا ابن آدم ألم أكن لك رقيقا على عينيك وأنت تنظر بهما إلى ما لا يحل لك؟! ألم أكن رقيقا على أذنيك ، وهكذا على سائر الأعضاء⁽⁵⁾.

وعن شكل بن حميد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا نبي الله ، علمني تعويذا أتعوذ به . فأخذ بيدي ثم قال : «قل اللهم أني أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني»⁽⁶⁾.



(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية (376/1) .

(2) أخرجه مسلم (4/2047 ، رقم 2657) .

(3) سورة الإسراء ، الآية : 36 .

(4) تفسير البغوي 5/92 .

(5) تفسير البغوي 8/256 .

(6) البغوي 5/93 ، والطبراني في الكبير 1/471 .

الباب الثالث

في بيان المواضع التي يستحب فيها الوضوء

روى أحمد بإسناد صحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ، ومع كل وضوء بسواك»⁽¹⁾.

وفي الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : «من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات»⁽²⁾.

وروى أحمد عن المهاجر بن قنفذ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه سلم على النبي ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ، وقال : «إنه لم يمنعني أن أرد عليك إلا أنني كرهت أن أذكر الله إلا على طهارة»⁽³⁾.

وروى البخاري عن البراء بن عازب⁽⁴⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال

(1) أخرجه أحمد (2/ 258 ، رقم 7504) ، وأبو داود (12/ 1 ، رقم 46) .

(2) أخرجه الترمذي (1/ 87 ، رقم 59) وقال : هذا إسناد ضعيف . وابن أبي شيبه (1/ 16 ، رقم 53) ، وأبو داود (1/ 16 ، رقم 62) ، وابن ماجه (1/ 170 ، رقم 512) ، والطحاوي (1/ 42) ، وابن جرير (6/ 115) ، وعبد بن حميد (ص 271 ، رقم 859) .

(3) أخرجه أحمد (5/ 80 ، رقم 20779 ، 20780) ، وابن ماجه (1/ 126 ، رقم 350) ، والطبراني (20/ 329 ، رقم 781) .

(4) هو : البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي ، أبو عمارة : قائد صحابي من أصحاب الفتوح . أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة ، أولها غزوة الخندق . ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الري (بفارس) سنة 24 هـ ، فغزا أبهر (غربي قزوین) وفتحها ، ثم قزوین فملكها ، وانتقل إلى زنجان فأفتتحها عنوة . وعاش إلى أيام مصعب ابن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الأعمال . وتوفي في زمنه . روى له البخاري ومسلم .

ترجمته في : طبقات ابن سعد 4/ 364 و6/ 17 ، طبقات خليفة (522 ، 923 ، 1500) الخبير : 298 =

له : «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن..» الحديث (1).

وفي الصحيحين عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة (2).

وروى مسلم عنها أنها قالت : كان النبي ﷺ إذا كان جنباً فأراد أن يأكل أو ينام توضأ (3).

وروى مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : «إذا أتى أحدكم أهله (4)، ثم أراد أن يعود (5) فليتوضأ (6)» (7).

= 412، التاريخ الكبير 2/117، التاريخ الصغير 1/164 - 165، المعارف : 326، الجرح والتعديل 2/399، مشاهير علماء الأمصار (272)، الاستيعاب : 1/155، تاريخ بغداد 1/177، أسد الغاية 1/171، تهذيب الأسماء واللغات 1/132.

(1) أخرجه أحمد (4/290، رقم 18584)، والبخاري (1/97، رقم 244)، ومسلم (4/2081، رقم 2710)، وأبو داود (4/311، رقم 5046)، والترمذي (5/468، رقم 3394)، وقال : حديث حسن. والنسائي في الكبرى (6/195، رقم 10618)، وابن خزيمة (1/108، رقم 216). وابن ماجه (2/1275، رقم 3876).

(2) البخاري (288)، ومسلم (744).

(3) مسلم (726).

(4) أتى أحدكم أهله : جامع حليته.

(5) يعود : يجامع مرة أخرى.

(6) اختلف العلماء في المراد بالوضوء هل هو الوضوء الشرعي أم الوضوء اللغوي وعلى الأول قيل : فليتوضأ بينهما وضوءاً تاماً كالوضوء للصلاة، وهو قول الجمهور. وعلى الثاني أن المراد الوضوء لغة وهو الغسل فيحمل في كل حال على حسبها.

(7) أخرجه الطيالسي (ص 294، رقم 2215)، وأحمد (3/28، رقم 11243)، ومسلم (1/249، رقم 308)، وأبو داود (1/56، رقم 220)، والترمذي (1/261، رقم 141) وقال : حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (5/329، رقم 9038)، وابن ماجه (1/193، رقم 587)، وابن خزيمة (1/109، رقم 219).

وروى مسلم أيضا عن جابر بن سمرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رجلا سأل النبي ﷺ: أنتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: «إِنْ شئت فتوضأ وَإِنْ شئت فلا تتوضأ». قال: أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «نعم»⁽¹⁾.

قال الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللَّهُ - يحب الوضوء من أكل لحوم الإبل، وهو قول للشافعي في القديم، وهو عند الأكثرين منسوخ، أو محمول على غسل اليد والفم؛ لأن لحم الإبل له زهومة ليست لغيره من اللحم، لكن يستحب الوضوء منه، وفي كل موضع أوجب فيه بعض العلماء الوضوء.

وروى أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي عن النبي ﷺ أنه قال: «من غسل ميتا فليغتسل، ومن حملة فليتوضأ»⁽²⁾. أما الغسل فلا أنه قد يلحقه رشاش من غسالة الميت، وأما الضوء فلا احتمال خروج ريح، وهو لا يشعر به فيتوضأ احتياطاً. وقيل: معنى فليتوضأ فليكن على وضوء عند حملة ليتهيأ له للصلاة عليه.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنْ الشَّيْطَانُ خَلَقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تَطْفَأُ النَّارَ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»⁽³⁾.

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ أَبَدًا عَلَى وَضوء فافعل، فَإِنْ مَلَكَ الْمَوْتُ إِذَا قَبِضَ رُوحُ الْعَبْدِ وَهُوَ عَلَى وَضوء كَتَبَ لَهُ شَهَادَةٌ»⁽⁴⁾.

(1) مسلم (828).

(2) أخرجه أحمد (4/246، رقم 18171).

(3) أخرجه أحمد (4/226، رقم 18014)، وأبو داود (4/249، رقم 4784)، والطبراني (17/167، رقم 443)، وابن عساكر (289/40).

(4) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/29، رقم 2783).

وحكي عن بعض الصالحين أنه توضأ في الليلة التي مات فيها ثمانين مرة
حرصاً على أن يموت وهو متوضئ .



الباب الرابع

في ذم الوسواس وغير ذلك من المسائل النافعة

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الوضوء ، فأراه ثلاثا ثلاثا وقال : «هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم» . رواه أحمد والنسائي وابن ماجه (1).

وروى ابن ماجه أن النبي ﷺ مرَّ بسعد وهو يتوضأ فقال له : «لا تسرف» . فقال : يا رسول الله ، أفني الماء إسراف؟! قال : «نعم وإن كنت على نهر جار» (2). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يَقَالُ لَهُ الْوَلَهَانُ فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ» رواه الترمذي (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالِدُعَاءِ» رواه أبو داود (4).

(1) النسائي (140) ، وأحمد (6849) ، وابن ماجه (422) .

(2) أخرجه ابن ماجه (147/1) ، رقم 424 وابن عساكر 126/67 .

(3) الترمذي (85/1) ، رقم 57 ، وأخرجه أيضا الطيالسي (ص 74 ، رقم 547) ، وقال : غريب وليس إسناده بالقوى . وابن ماجه (146/1) ، رقم 421 ، وابن أبي الدنيا في المكايد (ص 50 ، رقم 29) ، وأحمد (136/5) ، رقم 21276 ، وابن خزيمة (63/1) ، رقم 122 ، والحاكم (267/1) ، رقم 578 ، وأبو نعيم في المعرفة (218/1) ، رقم 757 . وأخرجه أيضًا : ابن أبي حاتم في العلل (1/53) ، رقم 130 وقال : سئل أبو زرعة عن هذا الحديث فقال : رفعه إلى النبي - ﷺ - منكر . وقال الحافظ في التلخيص الحبير (101/1) : في إسناده ضعيف .

(4) أبو داود (24/1) ، رقم 96 ، وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة (53/6) ، رقم 29411 ، وابن ماجه (2/1271) ، رقم 3864 ، وأحمد (86/4) ، رقم 16842 ، وابن حبان (15/166) ، رقم 6763 ، والحاكم (267/1) ، رقم 579 ، والبيهقي (1/196) ، رقم 900 .

وقال زين العابدين لابنه يوما : يا بني ، اتخذ لي ثوبا ألبسه عند قضاء الحاجة ؛ فإني رأيت الذباب يسقط على الشيء ، ثم يقع على الثوب ، ثم انتبه فقال : وما كان للنبي ﷺ وأصحابه إلا ثوبٌ واحدٌ فتركه (1).

قال الشيخ موفق الدين ابن قدامة - رَحِمَهُ اللهُ - : إن رسول الله ﷺ وأصحابه ما كان فيهم موسوس ولو كانت الوسوسة فضيلة لأدخرها الله لرسوله وأصحابه وهم خير الخلق وأفضلهم ، ولو أدرك رسول الله ﷺ الموسوسين لمقتهم ، ولو أدركهم عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لضربهم وأدبهم ، ولو أدركهم أحدٌ من الصحابة لبدعهم .

وقيل : كان بعض الصوفية يتوسوس في وضوئه ، وكان يكثر صب الماء ، فقال : كنت ليلة من الليالي أجد الوضوء لصلاة العتمة ، وكنت أصب الماء على نفسي حتى مضى شطر الليل ، فلم تطب نفسي ولم يذهب الوسواس ، فبكيت وقلت : يا رب العفو . فسمعت هاتفا يقول : يا فلان العفو في العلم (2) . يعني في استعمال العلم .

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : لا ينبغي أن يطيل القعود في حاجته ، وروي عن لقمان الحكيم أنه قال لمولاه : لا تطل القعود في حاجتك ؛ فإن ذلك يتولد منه الباسور (3) .

وقال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - لا يستحب إمساك البول بعد ما أخذه ؛ فإن ذلك يضر بالمثانة . وقيل لطبيب : إن ابنك قد أخذه البول في موضع كذا ، فنزل عن دابته في ذلك الموضع ولم يصبر إلى منزله . قال : بئسما صنع حيث نزل عن

(1) البيهقي في معرفة السنن والآثار (1322) ، وتلبيس إبليس (254) .

(2) ابن عساكر في تاريخ دمشق 5/18 ، والرسالة القشيرية 162 ، والأذكار 128 .

(3) الدر المنثور 8/82 .

دابته ، فهلا فعل قبل نزوله عن دابته . ويقال : إن حبس البول يفسد من الجسد ، كما يفسد النهر ما حوله إذا سد مجراه ⁽¹⁾.

قال الترمذي الحكيم : سمي الخلاء باسم شيطان موكل بذلك الموضع اسمه خلاء ، وأورد فيه حديثا مرفوعا من رواية بريدة وقال : إذا أتيت الخلاء فاعلم أنك تقصد الشيطان فاحذر كيده وأقل من إتيانه بقلعة الطعام ، وكن وجلا مستحيا من خالقك مستحقرا لنفسك ، فقد قال فضيل بن عياض : إني لأمقت نفسي من كثرة ترددي إلى الخلاء . وعظ نفسك حياء من ربك ، وامش متواضعا متفكرا في نعم الله عليك ؛ حيث أطعمك وسقاك وأخرجه عنك حين آذاك ، وقف على باب الخلاء وقل : اللهم اجعل دخولي عبرة وأمط الأذى عني رحمة ترحمني بها ، فعن أنس أن الشيطان يتباعد إذا ذاك .



(1) إحياء علوم الدين 1/375 ، وقوت القلوب 2/142.

فصل في مسائل

الأولى: سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام - رَحِمَهُ اللهُ - عن تعليق الحروز التي فيها القرآن على الخيل مع علمه بأنها تتمرغ في النجاسة ، فأجاب هذا بدعة وتعريض لكتاب الله تعالى للإهانة بما يتعلق به من النجاسة ، ولم تكن الصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - يصنعون شيئا من ذلك .

الثانية: لو وجد إنسان اسما معظما في ورق ملقى في الطريق ، فعليه رفعها ، وهل الأولى تفرقة حروفه أو غسله أو جعله في حائط؟ قال الشيخ عز الدين : الأولى غسله ؛ لأن المجعول في الجدار معرض لأن يسقط فيستهان .

الثالثة: حكى عن بشر الحافي⁽¹⁾ - رَحِمَهُ اللهُ - أنه رأى ورقة فيها اسم الله تعالى ، فأخذها فطيبها ، فرأى الله تعالى في النوم وقال : طيبت اسمي لأطيين اسمك⁽²⁾ .

وذكر الغزالي في الإحياء أنه وقع من عبد الله بن مروان - رَحِمَهُ اللهُ - فلس

(1) بشر الحافي (150 - 227هـ/767 - 841م) هو : بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي ، أبو نصر ، المعروف بالحافي : من كبار الصالحين . له في الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات رجال الحديث ، من أهل (مرو) سكن بغداد وتوفي بها . قال المأمون : لم يبق في هذه الكورة أحد يستحي منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث .

ترجمته في : طبقات ابن سعد 7/342 ، تاريخ ابن معين : 58 ، المعارف : 525 ، الجرح والتعديل 2/356 ، طبقات الصوفية : 39 - 43 ، حلية الأولياء 8/336 - 360 ، تاريخ بغداد 7/67 ، صفة الصفوة 2/183 - 190 ، اللباب 1/331 ، 332 ، وفيات الأعيان 1/274 - 277 ، العبر 1/399 ، دول الإسلام 1/137 ، عيون التواريخ 8/لوحه 121 - 123 ، مرآة الجنان 2/92 ، البداية والنهاية 10/297 - 299 ، طبقات الأولياء 109 - 118 ، تهذيب التهذيب 1/444 ، النجوم الزاهرة 2/249 ، 250 ، طبقات الشعرائي 1/84 - 86 ، شذرات الذهب 2/60 - 62 ، شرح الرسالة القشيرية 1/88 - 94 .

(2) الرسالة القشيرية 10 ، ووفيات الأعيان 3/378 ، وصفة الصفوة 1/251 .

في بئر قاذورة ، فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه فقيل له في ذلك ، فقال : كان عليه اسم الله تعالى .

الرابعة : قال القفال الشاشي في محاسن الشريعة : إذا تختم في يساره بما عليه ذكر الله تعالى ، أو اسم الرسول ﷺ حول في الاستنجاء تنزيها له عن تنجيسه ، فيكون استخفافا ؛ قال الشيخ جمال الدين الأسنوي : وفي كلامه إشعار بتحريمه . قال : وهو ظاهر إذا أفضى ذلك إلى تنجيسه ⁽¹⁾.

الخامسة : قال أبو الليث - رَحِمَهُ اللهُ - يكره الكلام في خمسة مواضع ؛ خلف الجنازة ، وعند قراءة القرآن ، وعند الخطبة ، وفي الخلاء ، وعند الجماع ⁽²⁾.



(1) أسنى المطالب 1/244 ، ومغني المحتاج 1/174 .

(2) تنبيه الغافلين ، ص 124 .

الباب الخامس

في السواك وسنن الفطرة وغير ذلك

وفيه ثمانية فصول :

الفصل الأول

في السواك

روى أحمد والنسائي عن النبي ﷺ أنه قال : «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»⁽²⁾ وفي رواية للنسائي : «عند كل وضوء»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «رَكْعَتَانِ بِسَوَاكٍ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِلَا سَوَاكٍ»⁽⁴⁾.

وقالت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : كان رسول الله ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك⁽⁵⁾.

(1) حديث أبي بكر : أخرجه أحمد (3/1، رقم 7)، وأبو يعلى (103/1، رقم 109)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (4/2، رقم 668)، والدارقطني في العلل (1/277، رقم 69).

(2) أخرجه مالك (1/66، رقم 145)، وأحمد (2/287، رقم 7840)، والبخاري (6/2645، رقم 6813)، ومسلم (1/220، رقم 252)، والنسائي (1/12، رقم 7)، وابن ماجه (1/105، رقم 287) حديث أبي هريرة. وأخرجه ابن أبي شيبة (1/155، رقم 1786)، وأحمد (4/116، رقم 17089)، وأبو داود (1/12، رقم 47) والترمذي (1/35، رقم 23) وقال : حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (2/197، رقم 3041) حديث زيد بن خالد الجهني. وأخرجه أحمد (1/80، رقم 607) حديث على .

حديث ابن عمر : الطبراني (12/435، رقم 13592).

(3) النسائي في الكبرى (2/197، رقم 3041).

(4) أخرجه الديلمي (2/265، رقم 3236).

(5) مسلم (614).

وعن حذيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل بشوص فاه بالسواك⁽¹⁾ والشوص الدلك .

وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : كنت أجتني لرسول الله ﷺ سواكا من أراك⁽²⁾.

وذكر المحاملي - رَحِمَهُ اللَّهُ للسواك - ثلاثة عشرة فائدة ؛ يطهر الفم ، ويرضي الرب ، ويبيض الأسنان ، ويطيب النكهة ، ويشد اللثة ، ويصفي اللون ، ويجري اللسان ، ويذكي الفطنة ، ويقطع الرطوبة ، ويحد البصر ، وييطئ الشيب ، ويسوي الطهر ، ويضاعف الأجر .

وزاد شيخنا العلامة سراج الدين البلقيني - رَحِمَهُ اللَّهُ - في كتابه التدريب أنه يسهل النزاع ، ويذكر الشهادة عند الموت⁽³⁾.



(1) البخاري (1085) ، ومسلم (255) .

(2) الطبراني في الكبير 7/ 468 ، وأبو يعلى 9/ 209 .

(3) فيض القدير 2/ 105 .

الفصل الثاني

في سنن الفطرة

في الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول ﷺ :
«خمس من الفطرة الختان والاستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم
الأظفار»⁽¹⁾. قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في شرح مسلم⁽²⁾: الختان واجب عند
الشافعي وكثير من العلماء، وسنة عند مالك وأكثر العلماء، ولو مات إنسان غير
مختون ففيه ثلاثة أوجه؛ الصحيح أنه لا يختن صغيرا كان أو كبيرا، والثاني
يختن والثالث يختن الكبير دون الصغير، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ :
«إن إبراهيم عليه السلام اختن وعمره ثمانون سنة بالقدم»⁽³⁾. مشددا أو مخففا،
على اختلاف فيه؛ قال عبد الرزاق : هو اسم للقرية وقال غيره : هو اسم للآلة،
قال الشيخ سراج الدين بن الملكن - رَحِمَهُ اللَّهُ - وقد حكى التشديد والتخفيف
في المكان والآلة.

وذكر الثعلبي - رَحِمَهُ اللَّهُ - أن إبراهيم - عليه السلام - وقع بينه وبين

(1) أخرجه البخاري (2209/5)، رقم 5550، ومسلم (221/1)، رقم 257، وأبو داود (84/4)، رقم 4198، والترمذي (91/5)، رقم 2756 وقال : حسن صحيح، والنسائي (14/1)، رقم 10، ومالك (921/2)، رقم 1641 وأحمد (229/2)، رقم 7139، وابن ماجه (107/1)، رقم 292، وابن حبان (293/12)، رقم 5482، وأبو عوانة (163/1)، رقم 471، والبيهقي (149/1)، رقم 669.

(2) شرح صحيح مسلم 474/1.

(3) أخرجه أحمد (435/2)، رقم 9620، والبخاري (1224/3)، رقم 3178، ومسلم (1839/4)، رقم 2370، وأبو يعلى (384/10)، رقم 5981، والبيهقي (325/8).

العمالقة قتل ، فقتل من الفريقين فلم يعرف إبراهيم أصحابه حتى يدفنهم ، فجعل إبراهيم الختان علامة أهل الإسلام⁽¹⁾.

وذكر صاحب التنقيب على المذهب أن إسماعيل ابن هاجر - عليه السلام - ضرب إسحاق ابن سارة ، وكانت هاجر عندها ، وحلفت لتقطعن منها بضعة ، ثم فكرت في أي بضعة تقطع ولا تؤذيها ، فقطعت بظرها ، فمن ذلك اليوم اختتن النساء ، وأول من اختتن من النساء هاجر⁽²⁾.

والختان واجب عند الشافعي وكثير من العلماء على الرجال والنساء ، وسنة عند مالك وأكثر أهل العلم ، والسنة في ختان الذكور إظهاره ، وفي ختان النساء إخفاؤه . وذكر ابن الجوزي أن الذين خلقوا مختونين سبعة عشر : آدم - عليه السلام - ومحمد ﷺ ، وشيث ، وإدريس ، ونوح ، وسام ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، ويوسف ، وموسى ، وسليمان ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وحنظلة نبي أصحاب الرس⁽³⁾. ذكره في كتابه المسمى بالمنتخب في النوب .

قال النووي رحمه الله - : المختار في وقت حلق العانة ، وقص الشارب ، ونتف الإبط ، وقلم الظفر أنه يضبط بالحاجة وطوله فإذا طال حلق ، أما حديث أنس وقت لنا في قص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة⁽⁴⁾. فمعناه لا نترك تركا نتجاوز به أربعين ، لا أنه وقت لهم الترك أربعين ، والله أعلم⁽⁵⁾.

(1) الكشف والبيان 2 / 351.

(2) تاريخ دمشق 69 / 187.

(3) الشفا 1 / 65 ، وسبل الهدى والرشاد 1 / 348.

(4) النسائي في الكبرى 1 / 66 ، والبيهقي في شعب الإيمان 6 / 290.

(5) شرح صحيح مسلم 1 / 415.

وقال النووي أيضا: يستحب أن يبدأ في قلم الأظفار باليدين قبل الرجلين، فيبدأ بمسبحة يده اليمنى ثم بالوسطى ثم بالنصر ثم بالخنصر ثم بالإبهام ثم يعود إلى اليسرى، فيبدأ بخنصرها ثم بينصرها إلى آخرها، ثم يعود رجله اليمنى فيبدأ بخنصرها ويختم بخنصر اليسرى، والله أعلم⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْفُوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللَّحَى»⁽³⁾. وفي رواية: «وأوفو اللحى».

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: أما معنى: «احفوا الشوارب»: أي: احفوا ما طال على الشفتين، وأما إعفاء اللحية فمعناه: توفيرها، وهو بمعنى «أوفو اللحى». وكان من عادة الفرس قص اللحى، فنهي الشرع عن ذلك⁽⁴⁾.

قال القاضي عياض - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -: يكره حلق اللحية وقصها وتحريقها. وأما الأخذ من طولها وعرضها فحسن، وتكره الشهرة في تعظيمها، كما يكره في قصها وجزها؛ قال: وقد اختلف السلف هل لذلك حد؟ فمنهم من لم يحد شيئا إلا أنه لا يتركها لحد الشهرة، ويأخذ منها، وكره مالك طولها جدا، ومنهم من حددها بما زاد على القبضة، فيزال، ومنهم من كره الأخذ منها

(1) شرح صحيح مسلم 415/1.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (5/226، رقم 25493)، وأحمد (4/366، رقم 19283)، وعبد بن حميد (ص 114، رقم 264)، والترمذي (5/93، رقم 2761) وقال: حسن صحيح. والنسائي (1/15، رقم 13)، والطبراني (5/185، رقم 5033)، وابن حبان (12/290، رقم 5477)، والقضاعي (1/229، رقم 356)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/222، رقم 6445).

(3) أخرجه أحمد (2/16، رقم 4654)، ومسلم (1/222، رقم 259)، والترمذي (5/95، رقم 2763) وقال: صحيح. والنسائي (1/16، رقم 15). وأخرجه أيضاً: أبو عوانة (1/161، رقم 466).

(4) شرح صحيح مسلم 418/1.

إلا في حج أو عمرة .

وأما الشارب : فذهب كثير من السلف إلى استئصاله وحلقه ، لظاهر قوله ﷺ : «احفوا» . وهو قول الكوفيين ، وذهب كثير منهم إلى منع ذلك ، وبه قال مالك ، وكان يرى حلقه مثلاً ، ويأمر بأدب فاعله ، وكان يكره أن يأخذ من أعلاه ، وذهب هؤلاء إلى أن الإحفاء والجز والقص بمعنى واحد ، وهو الأخذ منه حتى يبدو طرف الشفة ، وذهب بعض العلماء إلى التخيير بين الأمرين . هذا آخر كلام القاضي (1).

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : والمختار ترك اللحية على حالها ، وألا يتعرض لها بتقصير شيء أصلاً ، والمختار في الشارب ترك الاستئصال والاقتصار على ما يبدو به طرف الشفة ، والله أعلم (2).

قال في الإحياء : لا ينبغي أن يحلق ، أو يقلم ، أو يستحد ، أو يخرج دماً ، أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب ؛ إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة ، فتعود جنباً ، ويقال : إن كل شعرة تطالب بجنابتها ؛ روى خالد بن معدان النبي ﷺ قال : «من تنور قبل أن يغتسل جاءته كل شعرة فتقول : يا رب سلّه لم ضيعني ولم يغسلني» (3).



(1) شرح صحيح مسلم 1/ 418.

(2) شرح صحيح مسلم 1/ 420.

(3) حاشية الطحاوي على المراقي 2/ 512.

الفصل الثالث

في النهي عن تنف اللحية

روى أحمد وأبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تنتفوا الشيب ؛ فإنه نور المسلم ، ما من مسلم يشيب شيعة في الإسلام إلا كتب الله له بها حسنة ، ورفعها بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة »⁽¹⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - ردَّ عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - شهادة من كان ينتف لحيته⁽²⁾؛ قال الغزالي : وقد قيل : إن لله ملائكة يقسمون : والذي زين الرجال باللحى⁽³⁾.

وقيل في غريب التأويل في معنى قوله تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ . إنها اللحية⁽⁴⁾.

وقال أصحاب الأحنف بن قيس⁽⁵⁾ : ودنا أن نشترى للأحنف لحية بمائة ألف⁽⁶⁾.

(1) أخرجه أبو داود (4/85 ، رقم 4202) ، والخطيب (57/4) .

(2) إحياء علو مالدين 1/154 ، وقوت القلوب 2/81 .

(3) الديلمي (6488) ، والإحياء 1/154 .

(4) الإحياء 1/154 .

(5) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي ، وقيل : هو الضحاك ، والأحنف لقب له ، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره ، وكان من قواد جيش على يوم صفين .

ترجمته عند ابن سعد : الطبقات الكبرى 7/93 ، وابن عبد البر : الاستيعاب 1/144 ، وابن الأثير : أسد الغابة 1/68 .

(6) الإحياء 1/154 .

وقال شريح القاضي⁽¹⁾: وددت أن لي حية بعشرة آلاف⁽²⁾.



(1) هو الفقيه شريح بن الحارث بن قيس الكندي قاضى الكوفة، تولى القضاء لعمر وعثمان وعلى، ويقال: إنه من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن، ويقال: له صحبة، ولم يصح، وقيل: إنه استعفى من القضاء قبل موته بسنة، وقد عاش مائة وعشر سنين، وقيل غير ذلك، مات سنة ثمان وسبعين، وقيل: سنة ثمانين، ترجمته عند ابن سعد: الطبقات الكبرى 6/ 131، ووكيع: أخبار القضاة 2/ 189، والشيرازي: طبقات الفقهاء ص 80، والذهبي: سير أعلام النبلاء 4/ 100.

(2) الإحياء 1/ 154.

الفصل الرابع

في خضاب اللحية

في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم»⁽¹⁾.

وروى مسلم عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : جيء بأبي قحافة يوم الفتح إلى رسول الله ﷺ وكان رأسه ولحيته كالثغامة بياضا ، فقال رسول الله ﷺ : «اذهبوا به إلى بعض نسائه فلتغيره بشيء وجنبوه السواد»⁽²⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : الثغامة بناء مثلثة مفتوحة ، ثم غين معجمة مخففة ؛ قال أبو عبيد : هو نبت أبيض الزهر والثمر شبه بياض الشيب به⁽³⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة» . صححه الحاكم⁽⁴⁾.

(1) أخرجه أحمد (240/2 ، رقم 7272) ، والبخاري (1275/3 ، رقم 3275) ، ومسلم (1663/3 ، رقم 2103) ، وأبو داود (85/4 ، رقم 4203) ، والنسائي (185/8 ، رقم 5241) ، وابن ماجه (1196/2 ، رقم 3621) ، وابن حبان (284/12 ، رقم 5470) ، والحميدي (471/2 ، رقم 1108) ، وأبو يعلى (366/10 ، رقم 5957) ، وأبو عوانة (273/5 ، رقم 8714) ، والطبراني فى الأوسط (196/8 ، رقم 8386) ، والبيهقي (309/7 ، رقم 14588) .

(2) أخرجه أحمد (316/3 ، رقم 14442) ، ومسلم (1663/3 ، رقم 2102) ، وابن ماجه (1197/2 ، رقم 3624) .

(3) شرح صحيح مسلم 204/7 .

(4) أخرجه أبو داود (87/4 ، رقم 4212) ، والنسائي فى الكبرى (415/5 ، رقم 9346) ، وابن سعد (1/441) ، والبيهقي (311/7 ، رقم 14601) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خير شبابكم من تشبه بشيوخكم، وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم»⁽¹⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: والمراد بالتشبيه الشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر⁽²⁾.

وقال الغزالي أيضا: تزوج رجل على عهد عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وكان قد خضب بالسواد، فذهب خضابه وظهرت شيبته، فرفعه أهل المرأة إلى عمر، فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال: غررت اليوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك⁽³⁾.

وروي أن إبراهيم عليه السلام أول من رأى الشيب، فقال: يا رب ما هذا؟ قال الله تعالى: وقار يا إبراهيم. فقال: رب زدني وقارا⁽⁴⁾.

قال الشيخ محي الدين في الروضة: خضاب الشعر الشائب بحمرة أو صفرة سنة، وبالسواد حرام، وقيل: مكروه. وأما خضاب اليدين والرجلين، فمستحب في حق النساء، وحرام في حق الرجال إلا لعذر⁽⁵⁾.



(1) أخرجه الطبراني (83/22)، رقم (202)، وأبو يعلى (13/467)، رقم (7483)، قال الهيثمي (270/10): فيه من لم أعرفهم. وابن عساكر (5/6).

(2) الإحياء 1/153.

(3) الإحياء 1/153.

(4) البيهقي في الشعب 6/395.

(5) روضة الطالبين 1/364.

الفصل الخامس

في النهي عن القزع

في الصحيحين عن نافع عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القزع ، فقليل لنافع : ما القزع؟ قال : أن يحلق بعض رأس الصبي ويترك بعضه (1).



(1) البخاري (5921) ، ومسلم (5681) .

الفصل السادس

في وصل الشعر

في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، المتفلجات للحسن والمغيرات خلق الله تعالى»⁽¹⁾.

قال في الروضة : وصل المرأة شعرها بشعر نجس ، أو بشعر آدمي حرام قطعاً ؛ لأنه يحرم الانتفاع بشيء منه لكرامته ، بل يدفن شعره وغيره وسواء في هذا المزوجة وغيرها ، وأما الشعر الطاهر لغير الآدمي ، فإن لم تكن ذات زوج ولا سيد حرم الوصل به على الصحيح ، وعلى الثاني يكره وإن كانت ذات زوج أو سيد فتلاثة أوجه : أصحها إن وصلت بإذنه جاز وإلا حرم ، والثاني يحرم مطلقاً ، والثالث لا يحرم ولا يكره ، وأما الوشم فحرام مطلقاً والوشر وهو

(1) أخرجه أحمد (2/339 ، رقم 8454) ، والبخاري (5/2216 ، رقم 5589) من حديث أبي هريرة . وأخرجه أحمد (2/21 ، رقم 4724) ، والبخاري (5/2218 ، رقم 5596) ، ومسلم (3/1677 ، رقم 2124) ، وأبو داود (4/77 ، رقم 4169) ، والترمذي (4/236 ، رقم 1759) وقال : حسن صحيح . والنسائي (8/187 ، رقم 5249) ، وابن ماجه (1/639 ، رقم 1987) من حديث ابن عمر . وأخرجه أحمد (6/257 ، رقم 26249) ، والبخاري (5/2217 ، رقم 5590) ، ومسلم (3/1677 ، رقم 2123) ، والنسائي (8/146 ، رقم 5097) من حديث عائشة . وأخرجه أحمد (6/111 ، رقم 24848) ، والبخاري (5/2218 ، رقم 5597) ، ومسلم (3/1676 ، رقم 2122) ، والنسائي (8/187 ، رقم 5250) ، وابن ماجه (1/639 ، رقم 1988) من حديث أسماء بنت أبي بكر . وأخرجه الطبراني (8/130 ، رقم 7595) . قال الهيثمي (5/169) : رجاله رجال الصحيح من حديث أبي أمامة . وأخرجه الطبراني (11/204 ، رقم 11502) . قال الهيثمي (5/169) : فيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وفيه ضعف ، وبقيّة رجاله ثقات من حديث ابن عباس .

تحديد طرف الأسنان وترقيقتها كالوصل بشعر طاهر⁽¹⁾.



(1) روضة الطالبين 1/ 102.

الفصل السابع

في الاكتحال

قال رسول الله ﷺ: «من اكتحل فليوتر؛ من فعل فقد أحسن، ومن لا فلا حرج»⁽¹⁾.

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي ﷺ كان يكتحل قبل أن ينام بالأثمد؛ ثلاثا في كل عين⁽²⁾.

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ كان إذا اكتحل جعل في العين اليمنى ثلاثا، وفي العين اليسرى مرودين⁽³⁾، وقد اختلفوا في قول النبي ﷺ: «من اكتحل فليوتر». فقيل: يكون في كل عين وترا؛ لحديث ابن عباس، وهذا هو الصحيح. وقيل: يكون في عين وترا وفي عين شفعا، ليكون المجموع وترا، لحديث ابن عمر.



(1) أخرجه أبو داود (9/1، رقم: 35)، وابن ماجه (2/1157، رقم 3498)، والطحاوي (1/121)، وابن

حبان (4/257، رقم 1410)، والبيهقي (1/104، رقم 508)، والدارمي (1/177، رقم 662).

(2) الترمذي في الشمائي (52).

(3) شعب الإيمان 440/13.

الفصل الثامن

في التطيب

روى النسائي عن النبي ﷺ قال : «حب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»⁽¹⁾.

وفي مسلم عنه ﷺ قال : «من عرض عليه طيب فلا يردده ؛ فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة»⁽²⁾.

وفي رواية : «من عرض عليه ريحان فلا يردده ؛ فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة»⁽³⁾.

وروى مسلم أيضا عن النبي ﷺ أنه قال : «أطيب الطيب المسك»⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «سيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية»⁽⁵⁾.

(1) أخرجه أحمد (128/3 ، رقم 12315) ، والنسائي (61/7 ، رقم 3939) ، وابن سعد (398/1) ، وأبو يعلى (237/6 ، رقم 3530) ، والحاكم (174/2 ، رقم 2676) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (78/7 ، رقم 13232) ، والضياء (427/4 ، رقم 1608) ، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (1/331 ، رقم 322) ، والعقيلي (2/160 ، ترجمة 666 سلام بن سليمان أبو المنذر) .

(2) أخرجه النسائي (8/189 ، رقم 5259) .

(3) أخرجه مسلم (4/1766 ، رقم 2253) ، وأبو داود (4/78 ، رقم 4172) .

(4) أخرجه الطيالسي (ص 287 ، رقم 2160) ، وأحمد (3/36 ، رقم 11329) ، وأبو داود (3/200 ، رقم 3158) ، والنسائي (4/39 ، رقم 1905) ، والحاكم (1/514 ، رقم 1335) ، والترمذي (3/317 ، رقم 991) ، وقال : حسن صحيح . والقضاعي (2/264 ، رقم 1326) .

(5) أخرجه الطبراني في الاوسط (7/271 ، رقم 7477) قال الهيثمي (5/35) : فيه سعيد بن عنبسة القطان ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات وفي بعضهم كلام لا يضرب . والبيهقي في شعب الإيمان (5/92 ، رقم 5904) .

وقال أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كان أحب الرياحين إلى رسول الله ﷺ
الفاغية . رواهما البيهقي ، والفاغية : نور الحناء⁽¹⁾.



(1) شعب الإيمان 5 / 131.

الباب السادس في الحمام

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول

فيما ورد فيه من الأخبار والآثار

روى أحمد عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من ذكور أمتي فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ، ومن كانت تؤمن بالله واليوم الآخر من إناث أمتي فلا تدخل الحمام»⁽¹⁾.

وروى أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ قال : «إنها ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها : الحمامات فلا يدخلن الرجال إلا بالأزر ، وامنعوا النساء إلا مريضة أو نفساء»⁽²⁾.

وفيه دليل على منع دخول النساء لا لضرورة ، وبه قال ابن أبي هريرة ، واقتصر الرافعي على ذكره في السير ، وعليه جرى الغزالي في الإحياء ، وغيره فقال : يحرم عليها إلا لنفاس أو مرض⁽³⁾. وقال النووي في الروضة : قلت : الأصح الأشهر أنه لا يحرم عليهن ، لكن يكره إن لم يكن عذر ، وبهذا قطع أبو بكر السمعاني ، وقد أوضحته في شرح المذهب. انتهى⁽⁴⁾.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «نعم البيت الحمام يدخل المسلم إذا دخله سأل الله عز وجل الجنة واستعاذه من النار»⁽⁵⁾.

(1) أخرجه أحمد (3/ 339 ، رقم 14692) ، والترمذي (5/ 112 ، رقم 2801) وقال : حسن غريب .
(2) أخرجه ابن عدى (3/ 405 ، ترجمة سعيد بن أبي سعيد الزبيدي) وقال : مجهول . وابن عساكر (395/1) .

(3) إحياء علوم الدين 1/ 149 .

(4) روضة الطالبين 4/ 48 .

(5) البيهقي في الكبرى 7/ 309 .

وقال بعضهم : نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار⁽¹⁾. يروى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري⁽²⁾.
وقيل : بنس البيت الحمام ؛ بيدي العورة ويذهب الحياء⁽³⁾.
وقال ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الحمام من النعيم الذي أحدثوه⁽⁴⁾.
قال ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : أول من دخل الحمام وصنعت له النورة والصابون سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام⁽⁵⁾.



(1) ابن أبي شيبه 133/1 عن ابن عمر .

(2) إتحاف المهرة 1/ 78.

(3) البيهقي في الكبرى 7/ 309.

(4) التاج والإكليل 2/ 131.

(5) أخرجه ابن أبي شيبه (7/ 274، رقم 36032)، وابن السني (ص 125/رقم 317)، والعقيلي (1/ 84، ترجمة 95). والطبراني كما في مجمع الزوائد (1/ 279) قال الهيثمي : فيه إسماعيل بن عبد الرحمن الأودى، وهو ضعيف . وابن عدي (1/ 285، ترجمة 121)، وابن عساكر (22/ 278). وأخرجه أيضًا : البيهقي في شعب الإيمان (6/ 60، رقم 7778)، وقال : تفرد به إسماعيل بن عبد الرحمن الأودى قال البخاري : لا يتابع عليه، وقال مرة : فيه نظر .

الفصل الثاني

في واجبات دخول الحمام وسننه

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : في شرح المذهب : قال الغزالي في الإحياء ما مختصره : أنه لا بأس بدخوله وعلى داخله واجبات وسنن ، فيجب عليه في عورته شيئان ؛ سترها عن نظر غيره ومسسه ، فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده . قال : وواجبان في عورة غيره أن يغض بصره عنها ، وأن ينهأ عن كشفها ؛ لأن النهي عن المنكر واجب ولا يسقط الإنكار إلا بخوف ضرب أو شتم أو نحوه ، لا لظنه أنه لا يفيد ، والحزم في هذا الزمان ترك دخوله ⁽¹⁾ ؛ إذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما فوق العانة وتحت السرة ، ولهذا استحب إخلاء الحمام . قال : والسنن عشر ؛ نية التنظيف المحبوب لا عبثا ولا لغرض الدنيا ، وأن يعطي الحمامي الأجرة قبل دخوله ، وأن يجعل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول ، وألا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فهو المأذون فيه ، وأن يذكر بحره حر النار ، وألا يكثر الكلام ، ويكره دخوله بين العشاءين وقريبا من الغروب ، وأن يشكر الله تعالى إذا فرغ على نعمة النظافة ، ويكره من جهة الطب صب الماء البارد على رأسه عند الخروج منه وشربه ، ولا بأس بقوله لغيره : عافاك الله . قال الغزالي : وإذا دخلت المرأة لضرورة فلا تدخل إلا بمئزر سابغ ؛ قال : ولا يقرأ القرآن إلا سرًّا ولا يسلم إذا دخل . هذا آخر ما نقله النووي عن الإحياء ⁽²⁾ .

ونقل النووي عن أبي كبر السمعاني - رَحِمَهُ اللهُ - أن من آداب داخله : أن

(1) أي ترك دخول الحمام كما في مصدر التخريج .

(2) المجموع 2/ 205 ، وانظر الإحياء 1/ 149 .

يستغفر الله تعالى عند خروجه ، ويصلي ركعتين فقد كانوا يقولون : يوم الحمام يوم إثم⁽¹⁾.



(1) المجموع 2 / 205.

الفصل الثالث

في فوائد طبية

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الإحياء الحناء بعد النورة أمان من الجذام .
وقيل : النورة في كل شهر تطفئ المر ، وتنقي اللون ، وتزيد في الجماع . قال :
وقيل : بوله في الحمام قائما في الشتاء أنفع من شربة دواء . قال : وقيل : نومة في
الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء . قال : وغسل القدمين بعد الخروج من الحمام
بماء بارد أمان من النقرس⁽¹⁾.

قال الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ، ثم
يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت⁽²⁾.

قال بعض الأطباء : من دخل الحمام وهو ممتلئ فأصابه الفالج فلا يلوم إلا نفسه⁽³⁾.
وقال جالينوس لأصحابه : اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربع ولا حاجة بكم إلى طبيب ؛
اجتنبوا الغبار والدخان والنتن ، وعليكم بالدسم والطيب والحلو والحمام⁽⁴⁾.

وقيل : أربعة تقوي الجسم ؛ لبس الثوب الناعم ، ودخول الحمام المعتدل ،
وأكل الطعام الحلو ، والدسم ، وشم الروائح الطيبة ، وأربعة تهدم البدن ؛ الهم
والحزن والجوع والسهر⁽⁵⁾.

(1) إحياء علوم الدين 1/ 149.

(2) إحياء علوم الدين 1/ 376.

(3) الآداب الشرعية لابن مفلح 3/ 496.

(4) الآداب الشرعية لابن مفلح 2/ 500، ومحاضرات الأدباء 1/ 193.

(5) زاد المعاد 2/ 395.

الفصل الرابع

في ستر العورة

عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : قلت : يا رسول الله ، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال : «احفظ عورتك إلا من زوجك ، أو ما ملكت يمينك» . قلت : فإذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال : «إن استطعت ألا يراها أحد فلا يرينها» . قلت : فإذا كان أحدنا خاليا؟ قال : «فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحي منه» . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه (1).

وروى أحمد أن النبي ﷺ مرَّ على معمر وفخذه مكشوفتان ، فقال : «يا معمر ، غط فخذك فإن الفخذين عورة» (2).

قال رسول الله ﷺ : «إن الله حيي ستير ، يحب الحياء والتستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر» (3).

ورُئي ابنُ عمر رضي الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب

(1) أخرجه عبد الرزاق (287/1 ، رقم 1106) ، وأحمد (3/5 ، رقم 20046) ، وأبو داود (4/40 ، رقم 4017) ، والترمذي (5/97 ، رقم 2769) وقال : حديث حسن . وابن ماجه (1/618 ، رقم 1920) ، والحاكم (4/199 ، رقم 7358) وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي . والبيهقي (1/199 ، رقم 910) ، والطبراني (19/413 ، رقم 992) .

(2) أخرجه أحمد (5/290 ، رقم 22548) قال الهيثمي (2/52) : رجاله ثقات . والطبراني (19/245 ، رقم 550) ، والحاكم (4/200 ، رقم 7361) ، والبيهقي (2/228 ، رقم 3047) ، وابن قانع (3/19) ، والبيهقي في شعب الإيمان (6/152 ، رقم 7758) .

(3) أخرجه أحمد (4/224 ، رقم 17999) ، وأبو داود (4/39 ، رقم 4012) ، والنسائي (1/200 ، رقم 406) ، والبيهقي (1/198 ، رقم 908) .

عينه (1).

وقال الحسن - رَحِمَهُ اللهُ - : لا يصلح دخول الحمام إلا بإزارين ؛ إزار للعورة ، وإزار للعينين . يعني يَغْضُ بصره عن عورات الناس (2).

وقال علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لعن الله الناظر والمنظور إليه (3).

وقال عيسى عليه السلام : إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب شهوة ، وكفى بها لصاحبها فتنة (4).



(1) إحياء علوم الدين 1 / 148.

(2) إحياء علوم الدين 1 / 148 ، وفيض القدير 3 / 213 ، وربع الأبرار 1 / 55.

(3) أخرجه البيهقي (7 / 99 ، رقم 13344) ، الديلمي (3 / 465 ، رقم 5441) .

(4) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (400) ، وابن أبي الدنيا في ذم الهوى (91) .

كتاب الصلاة

وفيه أحد عشر بابا

الباب الأول في الأذان

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

في فضله

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ الآية (1). قالت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : أرى هذه في المؤذنين (2).

وروى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال : «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس إلا شهد له يوم القيامة» (3). المدى الغاية ، وإنما قال : مدى صوته . ولم يقل : صوته ؛ لأن غاية الصوت تكون أخفى ، فإذا شهد له من وصل إليه همس صوته لبعده ، فأولى أن يشهد له من قرب منه .

وروى أبو داود والنسائي عن النبي ﷺ أنه قال : «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة» (4). واختلفوا في معناه فقليل : أكثر رجاء ؛ لأن الراجي إلى الشيء يمد عنقه إليه . وقيل : لا يلجمهم العرق ، فإن العرق يأخذ الناس بقدر أعمالهم . وروى «إعناقاً» بالكسر ، أي : هم أكثر سراحاً إلى الجنة . مأخوذ من العنق - بالفتح - وهو ضرب من السير .

(1) سورة فصلت ، الآية : 33.

(2) ابن أبي شيبة 255/1.

(3) أخرجه مالك (1/69 ، رقم 151) ، والشافعي (1/33) ، وأحمد (3/43 ، رقم 11411) ، وعبد بن حميد (ص 306 رقم 993) ، والبخاري (1/221 ، رقم 584) ، والنسائي (2/12 ، رقم 644) ، وابن ماجه (1/239 ، رقم 723) ، وابن حبان (4/546 ، رقم 1661) .

(4) أخرجه أحمد (4/95 ، رقم 16907) ، ومسلم (1/290 ، رقم 387) ، وابن ماجه (1/240 ، رقم 725) ، وابن حبان (4/555 ، رقم 1669) ، وأبو عوانة (1/278 ، رقم 971) ، والبيهقي في السنن الكبرى (1/432 ، رقم 1880) ، وفي شعب الإيمان (3/117 ، رقم 3051) ، والحكيم (1/224) .

وروى الحاكم عن النبي ﷺ أنه قال : «إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأهلة لذكر الله عز وجل»⁽¹⁾.



(1) أخرجه الحاكم (1/115، رقم 163) والبيهقي (1/379، رقم 1656).

الفصل الثاني

في إجابة المؤذن

في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»⁽¹⁾. قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : يستحب إجابة المؤذن بالقول مثل قوله لكل من سمعه ؛ من متطهر ، ومحدث ، وجنب ، وحائض ، وغيرهم إلا أن يكون في خلاء ، أو جماع أهله ونحوهما ، وكذلك إذا كان في صلاة فريضة كانت أو نافلة ، فإذا سلم أتى بمثله ، فلو فعله في الصلاة كره في أظهر القولين ؛ لأنه إعراض عن الصلاة ، لكن لا تبطل صلاته إلا إذا قال : حي على الصلاة ، أو حي على الفلاح ، أو الصلاة خير من النوم . فتبطل صلاته إن كان عالما بتحريمه ؛ لأنه كلام آدمي⁽²⁾.

وروي مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر . قال أحدكم : الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال : أشهد أن محمدا رسوله قال : أشهد أن محمدا رسول الله ، ثم قال : حي على الصلاة قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال :

(1) أخرجه مالك (1/67، رقم 148)، والشافعي (1/33)، والطيالسي (ص 294، رقم 2214)، وعبد الرزاق (1/478، رقم 1842)، والدارمي (1/293، رقم 1201)، وأحمد (3/5، رقم 11033)، والبخاري (1/221، رقم 586)، ومسلم (1/288، رقم 383)، وأبو داود (1/144، رقم 522)، والترمذي (1/407، رقم 208) وقال : حسن صحيح . والنسائي (2/23، رقم 673)، وابن ماجه (1/238، رقم 720)، وابن خزيمة (1/215، رقم 411)، وابن حبان (4/583، رقم 1686) والبيهقي (408/1، رقم 1784)، وأبو يعلى (2/406، رقم 1189).

(2) شرح النووي على صحيح مسلم 2/111.

حي على الفلاح قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : الله أكبر الله أكبر . قال : الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : لا إله إلا الله . قال : لا إله إلا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة»⁽¹⁾.

قال القاضي عياض - رَحِمَهُ اللهُ - : «إذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر . فقال أحدكم : الله أكبر الله أكبر..» إلى آخره ، ثم قال في آخره : «من قلبه دخل الجنة» . إنما كان كذلك ؛ لأن توحيد وثناء على الله - عز وجل - وانقياد لطاعته وتفويض إليه بقوله : «لا حول ولا قوة إلا بالله» . فمن حَصَلَ هذا فقد حاز حقيقة الإيمان وكمال الإسلام ، واستحق الجنة بفضل الله تعالى ، وهذا معنى قوله في الرواية الأخرى : «رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام ديناً»⁽²⁾. قال : واعلم أن الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان ، مشتملة على نوعيه من العقليات والسمعيات ؛ فأوله إثبات الذات وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها ، وذلك بقوله : الله أكبر . وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه ، ثم صرح بإثبات الواحدانية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى ، وهذه عمدة للتوحيد والإيمان المقدمة على كل وظائف الدين ، ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا محمد ﷺ ، وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد ؛ لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع ،

(1) أخرجه مسلم (1/289، رقم 385)، وأبو داود (1/145، رقم 527)، والنسائي في الكبرى (6/15، رقم 9868)، وابن خزيمة (1/218، رقم 417)، وأبو عوانة (1/283، رقم 993)، والطحاوي (1/144)، وابن حبان (4/582، رقم 1685) .

(2) أخرجه أحمد (1/181، رقم 1565)، وعبد بن حميد (ص 78، رقم 142)، ومسلم (1/290، رقم 386)، وأبو داود (1/145، رقم 525)، والنسائي (2/26، رقم 679)، وابن ماجه (1/238، رقم 721)، وابن خزيمة (1/220، رقم 421)، وابن حبان (4/591، رقم 1693)، وأبو يعلى (2/76، رقم 722)، والطحاوي (1/145)، والبيهقي (1/410، رقم 1791) .

فتلك المقدمات من باب الواجبات ، وبعد هذ القواعد كملت العقائد العقلية فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه سبحانه وتعالى ، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات ، فدعاهم إلى الصلة وعقبها بعد إثبات النبوة ؛ لأن معرفة وجوبها من جهة النبي ﷺ لا من جهة العقل ، ثم دعا إلى الفلاح وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم ، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء ، وهي آخر تراجم عقائد الإسلام ، ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها ، وهو متضمن لتأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان ، وليدخل المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه ، ويستعشر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه . هذا آخر كلام القاضي رَحِمَهُ اللهُ (1).

قال الهروي : قال أبو الهيثم : الحول الحركة ، أي : لا حول ولا استطاعة إلا بمشيئة الله تعالى ، وقيل : لا حول في دفع شر ، ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله . وقيل : لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته وحكي هذا عن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (2).

وروي مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي بالوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى ، وأرجوا أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» (3).

(1) شرح النووي على صحيح مسلم 2/ 111.

(2) السابق : نفس الموضع .

(3) أخرجه أحمد (2/ 168 ، رقم 6568) ، ومسلم (1/ 288 ، رقم 384) ، وأبو داود (1/ 144 ، رقم 523) ، والترمذي (5/ 586 ، رقم 3614) وقال : حسن صحيح . والنسائي (2/ 25 ، رقم 678) ، وابن حبان (4/ 588 ، رقم 1690) .

وروى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال : «من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته . حلت له شفاعتي يوم القيامة»⁽¹⁾ . المراد بالدعوة التامة دعوة الأذان ، سميت بذلك لكمالها وعظم موقعها ، والصلاة القائمة . أي : التي ستقوم ، أي : تقام وتفعّل بصفاتها ، والوسيلة : منزلة في الجنة ، وقيل : إنها الشفاعة ، وقيل : القرب من الله تعالى ، والمقام المراد به مقام الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الأولون والآخرون ، وسؤال هذا المقام مع أنه موعود به إنما هو إظهار لشرفه ﷺ ، وكمال منزلته وعظيم حقه ورفيع ذكره ، ومعنى حلت له : غشيته ونالته ، وله بمعنى : عليه ، كما في قوله تعالى : ﴿يَحْزُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾⁽²⁾ . وقيل معناه : وجبت له ، وقال ﷺ «اطلبوا اثنتان لا تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتمح بعضهم بعضاً»⁽³⁾ . ويروى : «وتحت المطر» . وقال ﷺ «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول الغيث»⁽⁴⁾ .



- (1) أخرجه أحمد (3/354 ، رقم 14859) ، والبخاري (1/222 ، رقم 589) ، وأبو داود (1/146 ، رقم 529) ، والترمذي (1/413 ، رقم 211) وقال : صحيح حسن غريب . والنسائي في الكبرى (6/17 ، رقم 9874) ، وابن ماجه (1/239 ، رقم 722) وابن خزيمة (1/220 ، رقم 420) ، وابن حبان (4/586 ، رقم 1689) ، وابن أبي عاصم (2/395 ، رقم 826) ، والطبراني في الأوسط (5/54 ، رقم 4654) .
- (2) سورة الإسراء ، الآية : 107 .
- (3) أخرجه أبو داود (3/21 ، رقم 2540) ، وابن خزيمة (1/219 ، رقم 419) ، والطبراني (6/135 ، رقم 5756) ، والحاكم (2/124 ، رقم 2534) وقال : صحيح الإسناد ، والبيهقي (3/360 ، رقم 6251) ، والدارمي (1/293 ، رقم 1200) ، وابن الجارود (ص 267 ، رقم 1065) ، والرويانى (2/209 ، رقم 1046) .
- (4) أخرجه الشافعي في الأم (1/253) ، والبيهقي في المعرفة (5/186 ، رقم 7236) .

الفصل الثالث

في مؤذني النبي ﷺ

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - في كتاب الهدى⁽¹⁾: مؤذنو النبي ﷺ أربعة؛ اثنان بالمدينة: بلال وابن أم مكتوم، وبقباء سعد القرظي، وبمكة أبو محذورة، فكان أبو محذورة منهم يرجع الأذان ويشني الإقامة، وبلال لا يرجع ويفرد الإقامة، فأخذ الشافعي وأهل مكة بأذان أبي محذورة وإقامة بلال، وأخذ أبو حنيفة وأهل العراق بأذان بلال وإقامة أبي محذورة، وأخذ أحمد وأهل الحديث بأذان بلال وإقامته، وخالفهم مالك في موضعين؛ إعادة التكبير وتشنية لفظ الإقامة؛ فإنه لا يكررها، وروى الدارقطني عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذن يطرب فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْأَذَانَ سَهْلٌ سَمَحٌ، فَإِنْ كَانَ أَذَاكَنَ سَمَحًا سَهْلًا، وَإِلَّا فَلَا تُؤْذَنُ»⁽²⁾.



(1) زاد المعاد 1/ 120.

(2) سنن الدارقطني 3/ 21.

الباب الثاني

في الحث على المحافظة على الصلاة وبيان فضلها

قال الله تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾^(١). وقال تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾. أي : على ما يستقبلكم من أنواع البلاء ، وقيل : على طلب الآخرة ، وأراد بالصبر حبس النفس عن المعاصي ، وقيل : أراد الصبر على أداء الفرائض .

وقال مجاهد : الصبر هو الصوم ، ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر ؛ وذلك لأن الصوم يزهد في الدنيا والصلاة ترغبه في الآخرة^(٢).

وقيل : الواو بمعنى (على) أي : واستعينوا بالصبر على الصلاة^(٣) ، كما قال تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٤). وقال : ﴿وَإِنَّهَا﴾. ولم يقل : وإني ؛ لأنه رد الكناية إلى كل واحد منهما ، أي : وإن كل خلة منهما كما قال تعالى : ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْثَرَهُمَا﴾^(٥). أي : كل واحدة منهما لكبيرة ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾. يعني : المؤمنين .

وقيل : الخائفين ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يستيقنون والظن من الأضداد ، يكون شكا

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) تفسير البغوي ١ / ٨٩ .

(٣) تفسير البغوي ١ / ٨٩ .

(٤) سورة طه ، الآية : ١٣٢ .

(٥) سورة الكهف ، الآية : ٣٣ .

وبقيناً؛ كالرجاء يكون أمناً وخوفاً ﴿أَنْتُمْ مُلْفُؤُوا﴾ معاً بنور ﴿رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة، وهو رؤية الله تعالى، وقيل: المراد من اللقاء الصيرورة إليه، ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فيجزئهم بأعمالهم، وقال الله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾⁽¹⁾. أي: واضربوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها وإتمام أركانها، وخص الوسطى بالذكر دلالة على فضلها. ﴿الْوُسْطَى﴾ تأنيث الأوسط، ووسط الشيء خيره وأعدله، واختلف العلماء من الصحابة وغيرهم في الصلاة الوسطى؛ فقليل: هي صلاة الفجر، وإليه ذهب مالك والشافعي؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾. والقنوت طول القيام، وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام والقنوت، ولأن الله تعالى خصها بآية أخرى من بين الصلوات فقال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾⁽²⁾. يعني: يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار، ولأنها بين صلاتي جمع، وهي لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها، وقيل: إنها صلاة الظهر؛ لأنها في وسط النهار، وهي أوسط صلاة النهار في الطول.

وروى زيد بن ثابت⁽³⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ كان يصلي

(1) سورة البقرة، الآية: 238.

(2) سورة الإسراء، الآية: 78.

(3) هو: زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خازجة: صحابي، من أكابرهم. كان كاتب الوحي. ولد في المدينة ونشأ بمكة، وقتل أبوه وهو ابن ست سنين. وهاجر مع النبي ﷺ وهو ابن إحدى عشرة سنة، وتعلم وتفقه في الدين، فكان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا سافر، فقلما رجع إلا أقطعه حديقه من نخل. وكان ابن عباس - على جلالة قدره وسعة علمه - يأتيه إلى بيته للاخذ عنه، ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي. وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ من الأنصار، وعرضه عليه. وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر، ثم لعثمان حين جهز المصاحف إلى الأمصار. ولما توفي رثاه حسان=

الظهر بالهاجرة ، ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب النبي ﷺ منها ، فنزلت ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾⁽¹⁾.

وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر . رواه جماعة عن رسول الله ﷺ ، وقال أبو يونس مولى عائشة : أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا ، وقالت : إذا بلغت هذه الآية فأذني ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ . فلما بلغت أذنتها ، فأملت علي (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين) . قالت : سمعتها من رسول الله ﷺ⁽²⁾ . وعن حفصة مثل ذلك .

وسئل علي رضي الله عنه عن الصلاة الوسطى فقال : كنا نرى أنها الفجر حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الخندق : «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملاء الله أجوافهم وقبورهم نارا»⁽³⁾ . ولأنها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل ، وقد خصها النبي ﷺ بالتغليظ ؛ ففي صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال :

=بن ثابت ، وقال أبو هريرة : اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا . ترجمته في طبقات ابن سعد 2/358 ، وطبقات خليفة 89 ، وأخبار القضاة 1/197 ، الجرح والتعديل 3/558 ، والاستيعاب : 2/537 ، تاريخ دمشق 6/278 ، وأسد الغابة 2/278 ، وتاريخ الإسلام 2/123 ، والعبر : 1/53 وطبقات القراء 1/296 ، وتهذيب التهذيب 3/399 الإصابة 4/41 .

(1) الدر المنثور 2/107 .

(2) تفسير الطبري 5/212 .

(3) تفسير الرازي 2/281 ، وشرح معاني الآثار 1/174 . والحديث أخرجه البخاري (3/1071 ، رقم 2773) ، ومسلم (1/437 ، رقم 627) ، وأبو داود (1/112 ، رقم 409) ، والترمذي (5/217 ، رقم 2984) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (1/152 ، رقم 358) ، وابن ماجه (1/224 ، رقم 684) ، وابن أبي شيبة (2/243 ، رقم 8596) ، والبخاري (2/174 ، رقم 549) ، وأبو يعلى (1/313 ، رقم 388) ، وابن حبان (5/39 ، رقم 1745) ، والبيهقي (1/459 ، رقم 1998) .

«من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»⁽¹⁾. وقيل : هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا أكثرها .

قال أبو محمد - رَحِمَهُ اللهُ - في معالم التنزيل⁽²⁾: ولم ينقل عن أحد من السلف أنها صلاة العشاء . قال : وذكره بعض المتأخرين ؛ لأنها بين صلاتين لا تقصران . وقال بعضهم : هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها ، أبهمها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على أداء جميعها ، كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان ، وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة ، وأخفى اسمه الأعظم في الأسماء ليحافظوا على جميعها .

قوله تعالى : ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ . أي : مطيعين ، والقنوت الطاعة ؛ قال الله تعالى ﴿أَمَّةً قَانِتًا﴾⁽³⁾. أي : مطيعا . وقيل : هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة . قال زيد بن أرقم - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : كنا نتكلم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة ، يكلم الرجل منا صاحبه إلى جنبه حتى نزلت : ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ . فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام⁽⁴⁾.

وقيل : معنى ﴿قَانِتِينَ﴾ خاشعين ، وقيل : القنوت طول القيام روى جابر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قيل له أي الصلاة أفضل قال طول القنوت⁽⁵⁾.

(1) البخارى (1/214 ، رقم 569) ، وأخرجه أيضا ابن أبى شيبة (2/46 ، رقم 6290) ، وأحمد (5/349 ، رقم 23007) ، وابن ماجه (1/227 ، رقم 694) ، وابن حبان (4/332 ، رقم 1470) ، والبيهقى (1/444 ، رقم 1929) ، والطيالسي (ص 109 ، رقم 810) ، والرويانى (1/68 ، رقم 19) ، وابن قانع (75/1) ، والدليمي (2/9 ، رقم 2083) .

(2) تفسير البغوي 1/289 .

(3) سورة النحل ، الآية : 120 .

(4) الدر المنثور 2/115 .

(5) صحيح مسلم (756) ، وتفسير البغوي 2/289 .

وقيل : ﴿فانتين﴾ أي : داعين ؛ لما روى عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أنه قال : قنت رسول الله ﷺ شهرا متتابعاً .. الحديث (1). وقيل معناه : مصلين ؛ لقوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتٌ﴾ (2). أي : مصل ، وقال الله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (3). قيل : الطرف الأول صلاة الفجر ، والطرف الثاني الظهر والعصر ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ يعني : الصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الخطيئات ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرنا ، وقيل : القرآن . ﴿ذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾ . أي : المتيقظين .

في الصحيحين عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رجلا أصاب من امرأة قبله ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ . فقال الرجل : يا رسول الله ، ألي هذا؟ قال : لجميع أمتي كلهم (4). وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» (5).

وفي الصحيحين عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا : لا . قال : «فذلك مثل الصلوات الخمس يحوا الله بهن

(1) تفسير البغوي 2/ 290.

(2) سورة الزمر ، الآية : 9.

(3) سورة هود ، الآية : 114.

(4) البخاري (526) ، ومسلم (2793) .

(5) أخرجه أحمد (2/ 400 ، رقم 9186) ، ومسلم (1/ 209 ، رقم 233) ، والترمذي (1/ 418 ، رقم 214) .

وأخرجه أيضًا : البيهقي (10/ 187 ، رقم 20548) .

الخطايا»⁽¹⁾. قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾⁽²⁾. الفحشاء: ما قبح من الأعمال، والمنكر: ما لا يعرف في الشرع؛ قال ابن مسعود وابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر، لم يزد بصلاته من الله إلا بعدا⁽³⁾.

وقال الحسن وقتادة: من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه⁽⁴⁾.

وروى عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله ﷺ، ثم لا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه، فوصف لرسول الله ﷺ حاله، فقال: «إِنْ صَلَاتُهُ تَنْهَاهُ يَوْمًا». فلم يلبث أن تاب وحسن إسلامه⁽⁵⁾.

وقال ابن عون - رَحِمَهُ اللَّهُ - معنى الآية أن الصلاة تنهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها⁽⁶⁾.

وقيل: أراد بالصلاة القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾⁽⁷⁾.

(1) أخرجه أحمد (2/379، رقم 8911)، والبخاري (1/197، رقم 505)، ومسلم (1/462، رقم 667)، والترمذي (5/151، رقم 2868)، والنسائي (1/230، رقم 462)، والدارمي (1/283، رقم 1183)، وابن حبان (5/14، رقم 1726)، وأبو عوانة (1/282، رقم 990)، والبيهقي (1/361، رقم 1574).

(2) سورة العنكبوت، الآية: 45.

(3) تفسير الطبري 20/41، وتفسير البغوي 6/244.

(4) تفسير البغوي 6/244.

(5) تفسير البغوي 6/244.

(6) تفسير البغوي 6/244.

(7) سورة الإسراء، الآية: 110.

أي: بقراءتك، وأراد أنه يقرأ القرآن في الصلاة، فالقرآن ينهائهم عن الفحشاء والمنكر.

وعن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رجل للنبي ﷺ: إن رجلاً يقرأ القرآن الليل كله، فإذا أصبح سرق! قال: «ستنهأ قراءته»⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»⁽²⁾.

وقال ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون». رواه البخاري ومسلم⁽³⁾.

قوله عليه الصلاة والسلام: «يتعاقبون». أي: تأتي طائفة بعد طائفة، ومنه تعقيب الجيوش، وهو أن يذهب إلى الثغر قوم ويجيء آخرون، وأما اجتماعهم في الفجر والعصر فهو من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وكرمه لهم أن جعل

(1) أخرجه البغوي في الجعديات (1/306، رقم 2069).

(2) أخرجه أحمد (2/120، رقم 6015)، والبخاري (1/12، رقم 8)، ومسلم (1/45، رقم 16)، والترمذي (5/5، رقم 2609) وقال: حسن صحيح. والنسائي (8/107، رقم 5001)، وابن حبان (1/374، رقم 158) ن وأبو يعلى (10/164، رقم 5788)، وابن خزيمة (1/159، رقم 309)، والطبراني (12/309، رقم 13203)، والبيهقي (4/81، رقم 7013).

(3) البخاري (1/203، رقم 530)، ومسلم (1/439، رقم 632)، وأخرجه أيضاً مالك (1/170، رقم 411)، والنسائي (1/240، رقم 485)، وابن حبان (5/29، رقم 1737)، وابن خزيمة (1/165، رقم 321).

اجتماع الملائكة عندهم ومفارقتهم لهم في أوقات عبادتهم واجتماعهم على طاعة ربهم ، فتكون شهادتهم لهم بما شاهدوا من الخير . وقوله : «فيسألهم» . قال النووي : هذا السؤال على ظاهره ، وهو تعبد منه لملائكته كما أمرهم بكتب الأعمال ، وهو أعلم بالجميع . قال القاضي عياض : الأظهر وهو قول الأكثرين أن هؤلاء الملائكة هم الحفظة (1).

وقال صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾ . قال الله : حمدني عبدي . فإذا قال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . قال الله : أثني علي عبدي . فإذا قال : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٢﴾ . قال الله : مجدني عبدي . وإذا قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٣﴾ . قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل . فإذا قال : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٤﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٥﴾ . قال : هذا لعبدي ولعبي ما سأل» . رواه مسلم (2).

قال العلماء : المراد بالصلاة الفاتحة ، سميت بذلك ؛ لأنها لا تصح الصلاة إلا بها ، كقوله عليه السلام : «الحج عرفة» (3). قالوا : والمراد بقسمتها من جهة

(1) شرح النووي على صحيح مسلم 2/ 422.

(2) مسلم (1/ 296 ، رقم 395) ، وأخرجه أيضا عبد الرزاق (2/ 128 ، رقم 2767) ، وأحمد (2/ 285 ، رقم 7823) ، وأبو داود (1/ 216 ، رقم 821) ، والترمذي (5/ 201 ، رقم 2953) ، وقال : حسن . والنسائي (2/ 135 ، رقم 909) ، وابن ماجه (2/ 1243 ، رقم 3784) ، وابن حبان (5/ 84 ، رقم 1784) .

(3) أخرجه أحمد (4/ 309 ، رقم 18796) ، وأبو داود (2/ 196 ، رقم 1949) ، والترمذي (3/ 237 ، رقم 889) ، والنسائي (5/ 264 ، رقم 3044) ، وابن ماجه (2/ 1003 ، رقم 3015) ، والحاكم (2/ 305 ، رقم 3100) وقال الحاكم : صحيح . والبيهقي (5/ 173 ، رقم 9593) ، والطيالسي (ص 185 ، رقم 1309) ، وابن أبي شيبة (3/ 226 ، رقم 13683) ، والدارقطني (2/ 240) ، والدلمي (2/ 148 ، رقم 2759) .

المعنى ؛ لأن نصفها الأول تحميد الله تعالى وتمجيده وثناء عليه وتفويض إليه ، والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار . وقوله : «حمدني عبدي» و«أثنى علي» و«مجدني» . إنما قاله ؛ لأن التحميد الثناء بجميل الفعل ، والتمجيد الثناء بصفات الجلال ، ويقال : أثنى عليه في ذلك كله ، ولهذا جاء جوابا للرحمن الرحيم لاشتمال اللفظين على صفاته الذاتية والفعلية ، والله أعلم .

وقال ﷺ : «ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئا أحب إليه من الصلاة ، ولو كان شيء أحب إليه منها ، ما تبعد بها ملائكته ؛ فمنهم راعع وساجد ، وقائم وقاعد» .

وقال ﷺ : «يا أبا هريرة ، مر أهلك بالصلاة ، فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب» .

وقال علي - كرم الله وجهه - : إذا مات العبد بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ، ثم تلا : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾⁽¹⁾ . قال ابن عباس : تبكي عليه الأرض أربعين صباحا⁽²⁾ .

وقال عطاء الخراساني : ما من عبد سجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض ، إلا شهدت له يوم القيامة ، وبكت عليه يوم يموت⁽³⁾ .

قال أنس - رضي الله عنه - : ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر ، إلا افتخرت على ما حولها من البقاع ، واستبشرت بذكر الله - عز وجل - من منتهاها إلى سبع أرضين ، وما من عبد يصلي إلا تزخرت له الأرض ، ويقال : ما من منزل ينزله قوم إلا أصبح ذلك

(1) الزهد لابن المبارك (336) .

(2) ابن أبي شيبه 216/7 عن مجاهد .

(3) حلية الأولياء 197/5 .

المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم⁽¹⁾.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي الْهَدْيِ⁽²⁾ قيل : أربعة تجلب الرزق ؛ قيام الليل ، وكثرة الاستغفار بالأسحار ، وتعاهد الصدقة ، والذكر أول النهار وآخره ، وأربعة تمنع الرزق ؛ نوم الصبحة ، وقلة الصلاة ، والكسل ، والخيانة .



(1) الزهد لابن المبارك (340) .

(2) زاد المعاد 4 / 372 .

فصل في فضل السجود

قال الله تعالى : ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾⁽¹⁾. أي : اقترب إليه بالطاعة ؛ قال رسول الله ﷺ : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»⁽²⁾. أي : أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله .

وروي أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ، ويرزقني مرافقتك في الجنة . قال : «أعني بكثرة السجود»⁽³⁾. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من مسلم يسجد لله عز وجل سجدة إلا رفعه الله تعالى بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة»⁽⁴⁾.

وقال تعالى : ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾⁽⁵⁾. قيل : هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود . ويروي عن عمر بن عبد العزيز - رَحِمَهُ اللَّهُ - أنه كان لا يسجد إلا على التراب⁽⁶⁾. وقيل هو نور الخشوع فإنه

(1) سورة العلق ، الآية : 19 .

(2) أخرجه مسلم (1/350 ، رقم 482) ، وأبو داود (1/231 ، رقم 875) ، والنسائي (2/226 ، رقم 1137) ، وأحمد (2/421 ، رقم 9442) ، وابن حبان (5/254 ، رقم 1928) ، والبيهقي (2/110 ، رقم 2517) .

(3) أخرجه أحمد (4/59 ، رقم 16628) ، ومسلم (1/353 ، رقم 489) ، وأبو داود (2/35 ، رقم 1320) ، والنسائي (2/227 ، رقم 1138) ، وأبو عوانة (1/499 ، رقم 1861) .

(4) أخرجه الطيالسي (ص 132 ، رقم 986) ، وأحمد (5/280 ، رقم 22464) ، والترمذي (2/230 ، رقم 388) وقال : حسن . والنسائي (2/228 ، رقم 1139) ، وابن حبان (5/27 ، رقم 1735) ، وعبد الرزاق (3/73 ، رقم 4846) ، وابن ماجه (1/457 ، رقم 1423) ، وابن خزيمة (1/163 ، رقم 316) ، وأبو عوانة (1/498 ، رقم 1858) .

(5) سورة الفتح ، الآية : 29 .

(6) إحياء علوم الدين 1/157 .

يشرق من الباطن على الظاهر؛ قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - وهذا هو الأصح .
وقيل : هي الغُرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء .

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكي وقال : يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار»⁽¹⁾ .
ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة ،
وكان يسمونه السجاد⁽²⁾ .

قال النووي⁽³⁾ - رَحِمَهُ اللهُ - : في قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء» . دليل لمن يقول : إن السجود أفضل من القيام ، وسائر أركان الصلاة ؛ قال : وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب ؛ أحدها : أن تطويل السجود وتكثير الركوع والسجود أفضل . حكاه الترمذي والبخاري عن جماعة ، ومن قال بتفضيل تطويل السجود ابن عمر . والثاني : مذهب الشافعي وجماعة أن تطويل القيام أفضل لحديث جابر في مسلم : «أفضل الصلاة طول القنوت»⁽⁴⁾ . والقنوت : القيام ؛ ولأن ذكر القيام القراءة ، وذكر السجود التسبيح ، والقراءة أفضل ، ولأن المنقول عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يطول القيام أكثر من تطويل السجود . الثالث : أنهما

(1) أخرجه أحمد (2/ 443، رقم 9711) ومسلم (1/ 87، رقم 81) ، وابن ماجه (1/ 334، رقم 1052) ، وابن حبان (6/ 465، رقم 2759) ، والبيهقي (2/ 312، رقم 3516) ، وابن خزيمة (1/ 276، رقم 549) ، وأبو عوانة (1/ 521، رقم 1945) .

(2) تفسير الطبري 9/ 142، وشعب الإيمان 7/ 190 .

(3) شرح صحيح مسلم 2/ 230 .

(4) أخرجه الطيالسي (ص 246، رقم 1777) ، وأحمد (3/ 314، رقم 14408) ، وعبد بن حميد (ص 312، رقم 1016) ، ومسلم (1/ 520، رقم 756) ، والترمذي (2/ 229، رقم 387) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (1/ 456، رقم 1421) ، وابن خزيمة (2/ 186، رقم 1155) ، والطحاوي (1/ 299، رقم 1758) ، وابن أبي شيبة (2/ 222، رقم 8346) ، والبيهقي (3/ 8، رقم 4461) .

سواء ، وتوقف أحمد في المسألة .

وقال إسحاق : أما في النهار فتكثير الركوع والسجود أفضل ؛ لأنه يقرأ جزءه ويربح كثرة الركوع والسجود . قال الترمذي : إنما قال إسحاق هذا ؛ لأنهم وصفوا صلاة النبي ﷺ بالليل بطول القيام ، ولم يوصف من تطويله بالنهار ما وصف بالليل والله أعلم⁽¹⁾.



(1) شرح صحيح مسلم 2/ 230.

الباب الثالث

فيما جاء من التشديد على تارك الصلاة

قال الله تعالى : ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾⁽¹⁾ الآية .

وقوله : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ . أي : من بعد النبيين المذكورين قبل ﴿خلف﴾ وهم قوم سوء والخلف بالفتح : الصالح ، وبالسكون الطالح . قال السدي : أراد بهم اليهود ، ومن لحق بهم⁽²⁾ . وقال مجاهد وقتادة : هم في هذه الأمة .

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ تركوا الصلاة المفروضة⁽³⁾ . وقال ابن مسعود وإبراهيم : أَخْرَوْهَا عَنْ وَقْتِهَا⁽⁴⁾ . وقال سعيد بن المسيب : هو ألا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ، ولا العصر حتى تغيب الشمس ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾ . أي : المعاصي ؛ كشرب الخمر ، أي : آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله .

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ قال : وهب : الغي نهر في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه⁽⁵⁾ . وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - هو واد في جهنم وإن أودية جهنم تستعيز بالله من حره ، أُعِدَّ لِلزَّانِي الْمَصْر عَلَيْهِ ، ولشارب الخمر المدمن عليها ،

(1) سورة مريم ، الآية : 59 .

(2) تفسير البغوي 5 / 240 .

(3) تفسير البغوي 5 / 240 .

(4) تفسير البغوي 5 / 240 .

(5) تفسير البغوي 5 / 240 .

ولأكل الربا الذي لا ينزع عنه ، ولأهل العقوق ولشاهد الزور⁽¹⁾.
وقال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾⁽²⁾ على
أنهم إن أدوها أثابهم ، وإن ضيعوها عذبهم . ويروي عن النبي ﷺ أنه قال :
«أئتمن الله خلقه على أربع ؛ على الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والغسل ، وهن
السرائر التي يختبرها الله يوم القيامة»⁽³⁾. وقال الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾⁽⁴⁾.

سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال : «إضاعة الوقت»⁽⁵⁾. وقال قتادة :
سها عنها لا يبالي صلى أو لم يصل⁽⁶⁾. وقال مجاهد : غافلون عنها يتهاونون
بها⁽⁷⁾. وقال الحسن : هو الذي إن صلاها صلاها رياء ، وإن فاتته لا يندم عليها⁽⁸⁾.
وقال أبو العالية : لا يصلونها لمواقبتها ، ولا يتمون ركوعها وسجودها⁽⁹⁾.

وقال الله تعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا
سَبِيلَهُمْ﴾⁽¹⁰⁾. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا
إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا
ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله» . رواه

(1) تفسير البغوي 5 / 241.

(2) سورة الأحزاب ، الآية : 72.

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3 / 20 ، رقم 2751) .

(4) سورة الماعون ، الآيتان : 4 ، 5.

(5) تفسير البغوي 5 / 552.

(6) تفسير الطبري 24240.

(7) تفسير البغوي 5 / 552.

(8) تفسير البغوي 5 / 552.

(9) تفسير البغوي 5 / 552.

(10) سورة التوبة ، الآية : 5.

البخاري ومسلم⁽¹⁾.

قوله : «إلا بحق الإسلام» . أي : كما لو قُتل مسلما عمدا عدوانا ، فاقتله قصاصا ، أو يزنى حرٌّ محصنٌ فارجمه حدًّا ، ونحو ذلك . وقوله : «وحسابهم على الله» . أي : أنا أراعي أفعالهم الظاهرة ، فلا أدعُ أحداً أن يترك فرضا من فرائض الله تعالى ، وأن يظلم أحدا ، فأما ما يخفون في بواطنهم ويسرون في ضمائرهم من النيات والعقائد ، فليس لي إليه سبيل ، والله تعالى يتولى حسابهم ، فيثيب المحلص ويعاقب المنافق ويجزي المصر بفسقه أو يعفو عنه .

وقال رحمته الله «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» . رواه مسلم⁽²⁾ . وقال رحمته الله : «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» . رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح⁽³⁾ .

وقال أبو هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون من الأعمال شيئا تركه كفر إلا الصلاة⁽⁴⁾ .

(1) البخاري (507/2 ، رقم 1335) ، ومسلم (52/1 ، رقم 21) ، أخرجه أيضا أحمد (502/2 ، رقم 10525) ، وأبو داود (44/3 ، رقم 2640) ، والترمذي (3/5 ، رقم 2606) وقال : حسن صحيح .

والنسائي (77/7 ، رقم 3971) ، وابن ماجه (2/1295 ، رقم 3927) من حديث أبي هريرة .
(2) مسلم (88/1 ، رقم 82) ، وأخرجه أيضا أبو داود (4/219 ، رقم 4678) ، والترمذي (5/13 ، رقم 2619) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (1/342 ، رقم 1078) ، والبيهقي (3/365 ، رقم 6287) ، وفي شعب الإيمان (3/33 ، رقم 3793) .

(3) الترمذي (5/13 ، رقم 2621) ، وقال : حسن صحيح غريب . وأخرجه أيضا ابن أبي شيبه (6/167 ، رقم 30396) ، وأحمد (5/346 ، رقم 22987) ، والنسائي (1/231 ، رقم 463) ، وابن ماجه (1/342 ، رقم 1079) ، وابن حبان (4/305 ، رقم 1454) ، والحاكم (1/48 ، رقم 11) ، وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (3/366 ، رقم 6291) ، وابن أبي شيبه (6/167 ، رقم 30396) ، والدارقطني (2/52) ، والديلمي (3/92 ، رقم 4257) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (2/879 ، رقم 896) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (1/358 ، رقم 769) قال المناوي (4/395) : قال العراقي : حديث صحيح .

(4) سنن الترمذي (2622) ، وتعظيم قدر الصلاة (948) .

وقال عليه السلام : «من حافظ على الصلاة كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف» . رواه أحمد ⁽¹⁾ .

وقال عليه السلام : «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر» . حسنه الترمذي ⁽²⁾ .

وقال عليه السلام : «لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد» . رواه الطبراني ⁽³⁾ .

وقال ابن حزم - رَحِمَهُ اللهُ - لا ذنب بعد الشرك أعظم من ترك الصلاة حتى يخرج وقتها ، وقتل مؤمن بغير حق . وقال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : لو زعم زاعم أنه بلغ بينه وبين الله حالة أسقطت عنه الصلاة ، وأحلت له شرب الخمر ، وأكل مال السلطان كما زعمه بعض المتصوفة ، فلا شك في وجوب قتله ، وإن كان في خلوده في النار نظر ، وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر ؛ لأن ضرره أكثر ⁽⁴⁾ .

وأجمع المسلمون على تكفير من جحد وجوب الصلاة ، وأما من تركها تكاسلاً ؛ فقال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : اختلفوا فيه ؛ فذهب مالك الشافعي والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب ، فإن تاب وإلا

(1) أحمد (2/ 169 ، رقم 6576) وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (3/ 46 ، رقم 2823) ، وعبد بن حميد (ص 139 ، رقم 353) ، والدارمي (2/ 390 ، رقم 2721) .

(2) أخرجه الترمذي (2/ 269 ، رقم 413) وقال : حسن غريب ، والنسائي (1/ 232 ، رقم 465) ، وابن ماجه (1/ 458 ، رقم 1425) .

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط (2/ 383 ، رقم 2292) . وأخرجه أيضاً : في الصغير (1/ 113 ، رقم 162) .

(4) أسنى المطالب 4/ 379 ، ومغني المحتاج 4/ 192 .

قتل حذًا، وذهب جماعة من السلف أنه يكفر، وهو مروى عن علي، وهو إحدى الروایتين عن أحمد، وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني إلى أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر ويحبس حتى يصلي⁽¹⁾.

ونقل الشيخ شهاب الدين الأذري - رَحِمَهُ اللهُ - عن فتاوى جمال الدين بن البرزي أنه يجب على الرجل أمر زوجته بالصلاة في أوقاتها وضربها عليها⁽²⁾.

وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية⁽³⁾ - رَحِمَهُ اللهُ - : يجب على الرجل أن يأمر زوجته بالصلاة، وقد قال الله تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾⁽⁴⁾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾⁽⁵⁾. قال: فإن أصرت على تركها، فعلي أن يطلقها.

حكاية: قال أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللهُ - حكى أن رجلا دفن أختا له، ثم ذكر أنه نسي كيسا له في قبرها، فأتى القبر فنبشه فوجد الكيس، ثم رفع بعض ما على اللحد، فرأى القبر يشتعل نارا، فسأل أمه عن عمل أخته، فقالت: كانت تؤخر الصلاة ولا تصلي بطهارة، وتأتي أبواب الجيران لتسمع حديثهم لتمشي بالنميمة⁽⁶⁾.

(1) شرح صحيح مسلم 1/ 179.

(2) أعانة الطالبين 1/ 34، ومغني المحتاج 4/ 186.

(3) الفتاوى الكبرى 5/ 489.

(4) سورة طه، الآية: 132.

(5) سورة التحريم، الآية: 6.

(6) تنبيه الغافلين 52.

الباب الرابع

في فضل تعجيل الصلاة أول الوقت

قال الله تعالى : ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾⁽¹⁾. أي : سارعوا إلى الطاعات . قال القرطبي في تفسيره : وهذا يدل على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها ، وذلك لا خلاف فيه في العبادات كلها إلا في الصلاة في أول الوقت ؛ فإن أبا حنيفة يرى أن الأولى تأخيرها وعموم الآية دليل عليه⁽²⁾.

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : سألت النبي ﷺ : أي الأعمال أفضل؟ قال : «الصلاة لأول وقتها»⁽³⁾.

وعن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال له : «يا علي ، ثلاث لا تؤخرها ؛ الصلاة إذا أتت ، والجنائز إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت لها كفوا»⁽⁴⁾. وقال ﷺ : «الوقت الأول من الصلاة رضوان الله ، والوقت الآخر عفو الله»⁽⁵⁾. وقيل في قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

(1) سورة البقرة ، الآية : 148 .

(2) الجامع لأحكام القرآن 6 / 211 .

(3) أخرجه عبد الرزاق (1/ 582 ، رقم 2217) ، وابن أبي شيبة (1/ 280 ، رقم 3219) ، وأبو داود (1/ 115 ، رقم 426) ، والترمذي (1/ 319 ، رقم 170) ، والحاكم (1/ 302 ، رقم 680) ، والطبراني (25/ 81 ، رقم 207) ، والبيهقي (1/ 232 ، رقم 1035) ، والدارقطني (1/ 247) .

(4) أخرجه أحمد (1/ 105 ، رقم 828) والترمذي (3/ 387 ، رقم 1075) وقال : غريب وما أرى إسناده بمتصل . والحاكم (2/ 176 ، رقم 2686) وقال : غريب صحيح . والبيهقي (7/ 132 ، رقم 13535) .

(5) أخرجه الترمذي (1/ 321 ، رقم 172) ، والبيهقي (1/ 435 ، رقم 1890) ، والدارقطني (1/ 249) ، والديلمي (4/ 427 ، رقم 7243) .

بِالْخَيْرَاتِ ﴿١﴾. السابق : الذي تهيأ للصلاة قبل دخول وقتها ، والمقتصد : الذي تهيأ للصلاة بعد دخول وقتها ، والظالم : الذي ينتظر الإقامة . قال الأوزاعي - رَحِمَهُ اللهُ - في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ ﴿٢﴾. أراد المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره (٣).

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - في إحياء علوم الدين : وما يستدل به على فضيلة أول الوقت أن النبي ﷺ تأخر يوماً عن صلاة الفجر وكانوا في سفر ، وإنما تأخر لسبب الطهارة فلم ينتظروه ، وقدموا عبد الرحمن بن عوف ، فصلى بهم حتى فاتت رسول الله ﷺ ركعة ، فقام يقضيها . قال : فأشفقنا من ذلك ، فقال عليه السلام : «أحسنتم ، هكذا فافعلوا» (٤). وتأخر يوماً ﷺ عن صلاة الظهر ، فقدموا أبا بكر ، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم في الصلاة ، فقام إلى جانبه (٥).

واختلفوا بماذا تحصل فضيلة أول الوقت على أوجه ، أصحها أنها تحصل بأن يشتغل بأسباب الصلاة ؛ كالطهارة والأذان كلما دخل الوقت ؛ لأنه حينئذ لا يعد متوانياً ، وقيل : يبقى إلى نصف وقت الاختيار ، وقيل : يشترط تقديم ما يمكن تقديمه على الوقت ؛ كالطهارة ونحوها ، وعلى الأول لا يضر شغل خفيف كأكل لقم وكلام يسير ، ولا يكلف العجلة على خلاف العادة ، ويستثنى من استحباب التعجيل مسائل ؛ منها :

* الإبراد بالظهر في شدة الحر ، والأصح اختصاصه ببلد حار وجماعة مسجد

(1) سورة فاطر ، الآية : 32.

(2) سورة الحجر ، الآية : 24.

(3) تفسير البغوي 4/ 377.

(4) أخرجه عبد الرزاق (1/ 191 ، رقم 747) .

(5) إحياء علوم الدين 1/ 183.

يقصدونه من بعد .

* ومنها العشاء في قول ، والمسافر فإنه يستحب له إن كان مسافرا في وقت الأولى أن يؤخرها إلى وقت الثانية ، والواقف بعرفة فإنه يستحب له تأخير المغرب ليجمعها مع العشاء بمزدلفة ، والمقيم بمنى للرمي يستحب له تأخير الظهر عنه ، ومن يدافع الحدث أو بحضرة طعام يتوق إليه ، والمنفرد إذا تحقق الجماعة أو رجاها ، والمتيمم إذا تيقن وجود الماء في آخر الوقت ، وكذا المريض الذي لا يقدر على القيام أول الوقت ويعلم قدرته في آخره ، وما لو ظن دخول الوقت بالاجتهاد فالأفضل التأخير ، وما إذا كان يدافع النعاس أول الوقت .

قال الشيخ سراج الدين بن الملقن - رَحِمَهُ اللهُ - في شرح التنبيه : نصب هذه الأوقات أسبابا للصلوات تعبد غير معقول المعنى عند جمهور العلماء .

وقال الحكيم الترمذي في كتاب العلل والمقادير : هو معقول المعنى :

* **فِعْلَةُ نَصَبِ الْفَجْرِ** : أن الشمس آية عظيمة والفجر مبدؤها ، فإذا ظهرت فحقيق بالعباد أن ينهضوا إلى طاعة مولاهم ، فإن السكون تلاعب بالآية ، ألا ترى أن الشمس إذا انكسفت تعين النهوض إلى العبادة تعظيماً للآية ؛ لأن الإنكساف تخويف بزوال النعمة وظهورها بعد ذلك نعمة عظيمة ، وقبيح بالعبد إن تظهر آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، وهو مستقر لا يرتاع لها ، بل يقوم معتذرا مما جنت يده ، ثم مد له في ذلك إلى طلوع الشمس .

* **وَعِلَةُ الظَّهْرِ** : زوال الشمس وهو سجودها لله تعالى ؛ فإنها ما دامت مرتفعة فهي في علو ، فإذا زالت مالت للسجود ، وهو منها بمنزلة الركوع ، فإذا بلغت متوسط الانحطاط فهو انحدارها للسجود ، ولذلك سميت العصر عصرا ؛ لأنها في صورة انعصارها للانحطاط ، كما سميت الظهر ظهرا لظهورها على ظهر القبة ، والعشاء عشاء لعشوا الإبصار بالظلام ، والفجر لانفجار الصبح .

﴿علة وقت المغرب : ظهور سلطان الليل وهو آية عظيمة طبقت الأفق ، وآب كل شيء إلى مأواه ، وهو رحمة عظيمة لما فيه من ميل النفوس إلى السكون ، فيشكر الله عليها ، وآخر هذه الآية ظلمة الليل ونعمة السكون . فهذه معان مناسبة .

وقال الإمام فخر الدين الرازي - رَحِمَهُ اللهُ - : هذه الأحوال الخمسة تشبه أحوال الإنسان في مدة عمره ؛ فإن أول ظهور آية الشمس تشبه ولادة الصبي من حيث الظهور ، ثم تزداد قوة وتزداد تصاعدا واستقلالا وكمالا ، إلى أن تقرب من وسط السماء ، وهي في هذه الحالة تشبه الآدمي في زمن النشوء والنماء ، فإذا قربت من وسطها بقيت أزمانا على حالة واحدة لا يشاهد فيها ارتفاعا ولا انخفاضاً ، وهي في هذه الحالة تشبه حالة الإنسان في زمن الشباب الذي لا يظهر فيه زيادة ولا نقص ، ثم تنتقل إلى الجانب الغربي وتأخذ في الانحطاط قليلا قليلا ، لكن لا يظهر نقصان نورها وقوتها وحرارتها ، وهذه الحالة تشبه حالة الكهولة من الإنسان ، وآخر هذا الوقت هو أول وقت العصر ، وتأخذ الشمس في النقصان الظاهر والانحطاط البين إلى الغروب ، وهذه الحالة تشبه حالة الإنسان في الشيخوخة ، فإذا غربت أشبه حاله حال الإنسان عند موته ، ويبقى آثارها في الأفق ، ثم بعد ذلك يزول أثرها وهو الشفق ، وهي تشبه حالة الإنسان بعد موته ، فإن ذكره يبقى قليلا بعد موته ، ثم ينسى ، أي : فكانت الصلاة في هذه الأوقات تذكيرا لهذه الأحوال .



فصل

في الصحيحين عن أبي برزة الأسلمي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها⁽¹⁾. المعنى في كراهة النوم قبل العشاء مخافة استمراره إلى خروج الوقت ، وأما كراهة الحديث بعدها فذكر الشيخ جمال الدين الأسنوي - رَحِمَهُ اللهُ - ثلاث معان :

أحدها : أن نومه يتأخر فيخاف مع ذلك أن تفوته الصبح عن وقتها أو عن أوله .

الثاني : لوقوع الصلاة التي هي أفضل الأعمال خاتمة عمله ، وربما مات في نومه .

الثالث : لأن الله تعالى جعل الليل سكنا ، وهذا يخرج عن ذلك . وروى أبو داود أن النبي ﷺ خرج يوما إلى الصلاة ، فلم يمر بنائم إلا أيقظه . قال الشيخ محي الدين النووي - رَحِمَهُ اللهُ - في شرح المذهب⁽²⁾ : يستحب إيقاظ النائم للصلاة ولا سيما إن ضاق وقتها ؛ لقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾⁽³⁾ .

قال في تسهيل المقاصد لزوار المساجد : إيقاظ النائم مستحب في ثلاثة عشرة صورة :

الأولى : هذه .

(1) البخاري (568) ، ومسلم (1494) .

(2) المجموع 74/3 .

(3) سورة المائدة ، الآية : 2 .

الثانية : إذا نام أمام المصلين ؛ لأنه يشوش عليهم .

الثالثة : إذا نام في الصف الأول أو محراب المسجد ، فإنه يوقظ عند إقامة الصلاة ؛ لأن إقامتها في هذه المواضع مطلوبة ، وإن كان صلى ثم نام وهو مقصر حيث لم ينم في أخريات المسجد .

الرابعة : إذا كان نائما على سطح لا حظير له لورود النهي عنه ؛ قال صلى الله عليه وسلم : «من بات على ظهر بيت ليس له حجار فقد برأت منه الذمة» . رواه أبو داود ⁽¹⁾ . قال : المنذري في كتاب الترغيب والترهيب : هكذا وقع في روايتنا حجار بالراء بعد الألف وفي بعض النسخ حجاب بالباء الموحدة ، وهي بمعناه ⁽²⁾ .

الخامسة : إذا نام وبعضه في الظل وبعضه في الشمس ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن ينام الرجل وبعضه في الظل وبعضه في الشمس ⁽³⁾ .

السادسة : إذ نام بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس ؛ لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : «الصبحة ⁽⁴⁾ تذهب الرزق» ⁽⁵⁾ . وعن بعضهم - وأظنه عمر بن عبد العزيز - أنه رأى ابنا له في هذا الوقت نائما فأيقظه وقال : الأرزاق تقسم وأنت نائم .

(1) أبو داود (4/310 ، رقم 5041) ، وأخرجه أيضا البخاري في الأدب (1/407 ، رقم 1192) .

(2) الترغيب والترهيب 14/2 .

(3) أخرجه أبو داود (4/257 ، رقم 4821) ، والبيهقي (3/236 ، رقم 5714) . قال المنذري (4/29) : رواه أبو داود وتابعيه مجهول .

(4) الصبحة : هي النوم أول النهار حين تطلع الشمس .

(5) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده (1/73 ، رقم 530) قال الهيثمي (4/62) : فيه إسحاق بن أبي فروة ، وهو ضعيف . وابن عدي (1/326 ، ترجمة 154) إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة لآل عثمان بن عفان ، والبيهقي في شعب الإيمان (4/180 ، رقم 4731) ، وابن الغطريف في جزئه (1/86 ، رقم 42) ، والقضاعي (1/73 ، رقم 65) ، وابن عساكر (14/343) . وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (2/696 ، رقم 1162) وقال : هذا حديث لا يصح .

السابعة: إذا نام قبل صلاة العشاء، فإنه يكره النوم قبلها .

الثامنة: إذا نام بعد العصر .

التاسعة: إذا نام خاليا في البيت وحده، فإنه يكره له ذلك، كما ذكره الحليمي في شعب الإيمان .

العاشرة: إذا نامت المرأة مستلقية ووجهها إلى السماء، فإنه يكره كما ذكره الحليمي في المنهاج، واستدل بأن عمر بن عبد العزيز رأى ابنته كذلك فنهاها .
الحادية عشر إذا رأى شخصا نائما على وجهه، فإنه ﷺ رأى رجلا كذلك فقال: «هذه ضجعة يبغضها الله ورسوله»⁽¹⁾.

الثانية عشر: يستحب أن يوقظ غيره لصلاة الليل؛ لأنه ﷺ أيقظ عليا وفاطمة، وفي سنن أبي داود أنه ﷺ قال: «رحم الله رجلا قام من الليل فأيقظ أهله، فإن أبت رش في وجهها الماء»⁽²⁾.

الثالثة عشر: يستحب إيقاظ النائم ليتسحر؛ لقوله ﷺ: «إن بلالا ينادي بليل ليوقظ نائمكم»⁽³⁾.

(1) أخرجه الطيالسي (ص 190، رقم 1339)، وأحمد (3/ 429، رقم 15582)، وأبو داود (4/ 309، رقم 5040)، وابن ماجه (2/ 1227، رقم 3723)، والطبراني (8/ 328، رقم 8227)، وأبو نعيم في الحلية (373/1)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 177، رقم 4721)، والضياء (8/ 133، رقم 146)، والبخاري في الأدب المفرد (ص 406، رقم 1187)، وابن قانع (52/2).

(2) أخرجه أحمد (2/ 250، رقم 7404)، وأبو داود (2/ 33، رقم 1308)، والنسائي (3/ 205، رقم 1610)، وابن ماجه (1/ 424، رقم 1336)، والحاكم (1/ 453، رقم 1164) وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن حبان (6/ 306، رقم 2567)، والبيهقي (2/ 501، رقم 4419)، وابن خزيمة (2/ 183، رقم 1148).

(3) أخرجه النسائي (2/ 11، رقم 641).

الباب الخامس

في الحث على الخشوع في الصلاة

قال الله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ (١). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها ، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة ، وذلك الدهر كله» . رواه مسلم (٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن الرجل ليصلي الصلاة ولعله لا يكون له منها إلا عشرها أو تسعها أو ثمنها أو سبعها أو سدسها ، حتى أتى على الصلاة» . رواه ابن حبان في صحيحه (٣).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه» (٤).

وقالت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : كان رسول الله ﷺ يحدثه ويحدثنا ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه ؛ اشتغالا بعظمة الله عز وجل . ورأى رسول الله ﷺ رجلا يعث بلحيته في صلاته فقال : «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» (٥). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ليس للعبد من صلاته إلا ما

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٦ ، رقم ٢٢٨) ، وابن حبان (٣/ ٣١٩ ، رقم ١٠٤٤) .

(٣) صحيح ابن حبان (١٩٢١) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٤٥ ، رقم ١٤٠) ، والنسائي (١/ ٨٠ ، رقم ١١٦) .

(٥) أخرجه الحكيم (٣/ ٢١٠) .

عقل». وقال رسول الله ﷺ: «إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن بين صلاتهما ما بين السماء والأرض». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من صلى الصلاة لوقتها، فأسبغ وضوءها، وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها، عرجت وهي بيضاء مضيئة تقول: حفظك الله كما حفظتني. ومن صلاها لغير وقتها، فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها، عرجت وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعتني ضيعك الله حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه»⁽¹⁾.
وقال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: يا رسول الله، ما أفضل الصلاة؟ قال «ما حضرت فيها القلوب، وذرفت فيها العيون، وخلصت فيها النيات، وفاضت فيها العبرات».

وقال أبو الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ. وروي أن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال يوما على المنبر: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل صلاته. فقال: إذا حان وقت الصلاة أسبغت الوضوء، ثم أتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي، فأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيرا بحنين، وأقرأ قراءة ترتيل، وأركع ركوعا بتواضع، وأسجد سجودا بتخشع، وأجلس على الورك اليسرى، وأفرش ظهر قدمها، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأتبعها بالإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا؟

(1) أخرجه الطيالسي (ص 80، رقم 585)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/143 رقم 3140).

قال الغزالي : - رَحِمَهُ اللهُ - : وكان عامر بن عبد قيس من خاشعي المصلين ، وكان إذا أدخل في الصلاة ضربت ابنته بالدف ، وتحدث النساء بما يردن ، ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله . وقيل له ذات يوم : هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء؟ قال : نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي إلى إحدى الدارين . قيل : فهل تجد شيئا مما نجد من أمور الدنيا؟ فقال : لأن تختلف الأسنة في أحب إلي من أجد في الصلاة ما تجدون . وكان يقول : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا (1).

وتأكل طرف بعضهم فاحتاج إلى قطعه ، فلم يمكن منه فقليل إنه في الصلاة لا يشعر بما يجري عليه ، فقطعت وهو في الصلاة . وقيل لخلف بن أيوب - رَحِمَهُ اللهُ - : ألا يؤذيك الذباب في الصلاة فتطرده! فقال : لا أعوّد نفسي شيئا يفسد عليّ صلاتي . قيل : فكيف تصبر على ذلك؟ فقال : بلغني أن الفساق يصبرون على سياط السلطان ليقال : فلان صبور . وأنا قائم بين يدي الله تعالى ، أفأتحرك لذبابه .

وقيل لآخر : هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من الدنيا؟ قال : لا في الصلاة ولا في غيرها .

وقيل لآخر : هل تذكر في الصلاة شيئا؟ قال : وهل شيء أحب إلي من الصلاة فأذكره في الصلاة .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام - رَحِمَهُ اللهُ - في أماليه ينبغي للمصلي أن يشتغل بما هو فيه ، فإذا قرأ آية وعيد حزن وخاف من عذاب الآخرة ، أو آية وعد رجا رحمة ربه عز وجل ، أو آية فيها تعظيم لله عز وجل وعظمه

(1) إحياء علوم الدين 2/312.

وأعرض عن الخوف والرجاء، ثم على هذا يكون في سائر أركان الصلاة يقوم في كل ركن بما هو فيه دون ما سواه، وقد قال يحيى بن معاذ الرازي - رَحِمَهُ اللهُ - : إن الشيطان ليشغلني عن القراءة بذكر الجنة والنار.



الباب السادس

فيما يكره في الصلاة

قال رسول الله ﷺ: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة حمار»⁽¹⁾. رواه البخاري ومسلم. وروى الطبراني عنه ﷺ أنه قال: «ما يؤمن أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس كلب»⁽²⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام؛ طائفة بخمس وعشرين صلاة، وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الإمام، وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه، وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يزال الله عز وجل مقبلا على العبد ما كان في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت أعرض عنه»⁽⁴⁾. وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -

(1) البخاري (1/245، رقم 659)، ومسلم (1/321، رقم 427)، وأخرجه أيضا الترمذي (2/475، رقم 582) وقال: حسن صحيح، وأحمد (2/504، رقم 10553)، وابن أبي شيبة (2/116، رقم 7147)، وأبو داود (1/169، رقم 623)، والنسائي (2/96، رقم 828)، وابن ماجه (1/308، رقم 961) ..

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (4/293، رقم 4239).

(3) إحياء علوم الدين 1/186.

(4) أخرجه أحمد (5/172، رقم 21547)، وأبو داود (1/239، رقم 909)، والنسائي (3/8، رقم 1195)، والدارمي (1/390، رقم 1423)، وابن خزيمة (1/244، رقم 482)، والحاكم (1/361، رقم 862) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (2/282، رقم 3347)، وابن المبارك (1/418، رقم 1186).

قال : قال رسول الله ﷺ : «إن العبد إذا قام إلى الصلاة - أحسبه قال - فإنما هو بين يدي الرحمن تبارك وتعالى ، فإذا التفت يقول الله تبارك وتعالى : إلى من تلتفت؟ إلى خير مني! أقبل يا ابن آدم إلي ، فأنا خير من تلتفت إليه» . رواه البزار (1) .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم» (2) . فاشتد قوله في ذلك حتى قال : «ليتنهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم» (3) .

وقال أبو رافع - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : نهى النبي ﷺ أن يصلي الرجل ورأسه معقوص (4) .
وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نهى رسول الله ﷺ أن يغطي الرجل فاه في الصلاة (5) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لا صلاة بحضرة طعام ، ولا وهو يدافعه الأخبثان» (6) . رواه مسلم . قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : كراهة الصلاة بحضرة طعام يتوق إليه ، أو وهو يدافعه الأخبثان عند جمهور أصحابنا وغيرهم إذا صلى كذلك ، وفي الوقت سعة ، فإن ضاق بحيث لو أكل أو تطهر ، خرج الوقت صلى

(1) أخرجه أيضا الديلمي (1/ 195 ، رقم 737) .

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (2/ 48 ، رقم 6316) ، وأحمد (5/ 108 ، رقم 21080) ، والدارقطني (1/ 339 ، رقم 1301) ، ومسلم (1/ 321 ، رقم 428) ، وأبو داود (1/ 240 ، رقم 912) ، وابن ماجه (1/ 332 ، رقم 1045) .

(3) أخرجه الطيالسي (ص 270 ، رقم 2019) ، وابن أبي شيبة (2/ 48 ، رقم 6317) ، وأحمد (3/ 109 ، رقم 12084) ، وعبد بن حميد (ص 360 ، رقم 1196) ، والبخاري (1/ 261 ، رقم 717) ..

(4) أخرجه عبد الرزاق (2/ 183 ، رقم 2990) ، وأحمد (6/ 8 ، رقم 23907) ، والطبراني (1/ 331 ، رقم 990) .

(5) أخرجه الحاكم في المستدرک 2/ 443 .

(6) أخرجه مسلم (1/ 393 ، رقم 560) ، وأبو داود (1/ 22 ، رقم 89) ، وأحمد (6/ 43 ، رقم 24212) ، وأبو يعلى (8/ 233 ، رقم 4804) .

على حاله ، وحكى المتولي وجها أنه لا يصلي بل يأكل ويتوضأ ، وإن خرج الوقت ، وإذا صلى على حاله وفي الوقت سعة كره وصلاته صحيحة . ونقل القاضي عياض عن أهل الظاهر⁽¹⁾ أنها باطلة⁽²⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يَنَاجِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَا يَزِقُّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحَدَّثَ قَدَمَهُ» . رواه البخاري ومسلم⁽³⁾ .

وقال القاضي عياض - رَحِمَهُ اللَّهُ - : النهي عن البصاق عن يمينه هو إمكان غير اليمين ، فإن تعذر بأن يكون عن يساره رجل فله البصاق عن يمينه ، لكن الأفضل تنزيه اليمين عن ذلك ما أمكن⁽⁴⁾ .

وعن بلال - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه أبصر رجلا لا يتم الركوع ولا السجود ، فقال : لو مات هذا لمات على غير ملة محمد ﷺ⁽⁵⁾ .

(1) أهل الظاهر أصحاب المذهب الظاهري الذي نشأ على يد الفقيه البغدادي داود بن علي (المولود سنة 202هـ) وبلغ ذروته بالمغرب على يد ابن حزم (المتوفى عام 456هـ) وهو يمثل مع الحنابلة النزعة النصية حيث يقرر أن المصدر الفقهي هو النصوص فلا رأي في حكم من أحكام الشرع ، ونفى المعتقون لهذا المذهب الرأي بكل أنواعه فلم يأخذوا بالقياس ولا بالاستحسان ولا بالمصالح المرسلة ، ولا الذرائع بل أخذوا بالنصوص وحدها ، وإذا لم يكن النص أخذوا بحكم الاستصحاب الذي هو الإباحة الأصلية ، وقد قرروا أحكاما كثيرة خالفوا بها سائر الفقهاء . انظر عنهم الإمام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ص 544 ، الدكتور : حسن الشافعي : المدخل إلى دراسة علم الكلام ص 81 .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم 2/ 321 .

(3) البخاري (1/ 198 ، رقم 508) ، ومسلم (1/ 390 ، رقم 551) ، وأخرجه أيضا الطيالسي (ص 266 ، رقم 1974) .

(4) شرح النووي على صحيح مسلم 2/ 314 .

(5) أخرجه الطبراني كما مجمع الزوائد (2/ 121) ، وأبو يعلى (13/ 333 ، رقم 7350) ، وابن خزيمة (1/ 332 ، رقم 665) . قال الهيثمي (2/ 121) : رواه الطبراني في الكبير ، وأبو يعلى ، وإسناده حسن .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده »⁽¹⁾. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته» . قيل : وكيف يسرق صلاته؟ قال : «لا يتم ركوعها ولا سجودها»⁽²⁾.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه نهى أن يصلي الرجل مختصرا . رواه البخاري ومسلم⁽³⁾. وفي رواية لابن حبان : «الاختصار في الصلاة راحة أهل النار»⁽⁴⁾.

وحكى في شرح المذهب في معنى الاختصار في الصلاة أربعة أقوال⁽⁵⁾:

أحدها : أن يضع يده على خاصرته ، وهو الأصح ، وفي حكمة النهي عنه أقوال ؛ قيل : إنه فعل المتكبرين . وقيل : فعل الكفار . وقيل : فعل الشيطان . وحكى في شرح مسلم أن إبليس هبط من الجنة كذلك .

القول الثاني : أن يتوكأ على عصا .

الثالث : أن يختصر السورة فيقرأ آخرها .

الرابع أن يختصر صلاته فلا يتم حدودها .

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ نهى أن يصلي في سبع مواطن ؛ في المزبلة ، والمجزرة ، والمقبرة ، وقارعة الطريق ، وفي الحمام ، وفي

(1) أخرجه أحمد (2/ 525 ، رقم 10812) .

(2) أخرجه عبد الرزاق (2/ 371) ، والشافعي (1/ 163) ، والبيهقي (8/ 209 ، رقم 16679) .

(3) البخاري (1220) ، ومسلم (1246) .

(4) ابن حبان (6/ 63 ، رقم 2286) ، أخرجه أيضا ابن خزيمة (2/ 57 ، رقم 909) ، والبيهقي (2/ 287 ، رقم 3380) .

(5) المجموع 2/ 284 .

معاطن الإبل ، وفوق ظهر بيت الله . رواه الترمذي (1).

تكره الصلاة في هذه المواضع ، وحكى ابن هبيرة عن أحمد في الصلاة فيها ثلاث روايات ، قال : أشهرها البطلان ، والثانية الصحة مع الكراهة ، الثالثة إن كان عالماً بالنهي أعاد وإلا فلا .

وروي عن النبي ﷺ أنه نهى عن الصفن والصفد في الصلاة ؛ قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : والصفد هو إقران القدمين معا ، ومنه قوله تعالى ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (2). والصفن هو رفع إحدى الرجلين ، ومنه قوله تعالى ﴿الْأَصْفَنْتُ الْجِيَادَ﴾ (3). وفي الخبر : سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان ؛ الرعاف ، والنعاس ، والوسوسة ، والتثاؤب ، والحكاك ، والالتفات ، والعبث بالشيء . قال الغزالي : وزاد بعضهم السهو والشك . وقال بعض السلف : أربعة في الصلاة من الجفاء ؛ الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصى ، وأن يصلي بطريق من يمر بين يديه (4). وقال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في الصلاة أن ينكر عليه ، فإن صدر ذلك منه عن جهل رفق به وعلمه ، فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ، ومنع المنفرد عن الوقوف خارج الصف ، والإنكار على من رفع رأسه قبل الإمام .. إلى غير ذلك من الأمور (5).

قال رسول الله ﷺ : «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه» (6). وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مَنْ رَأَى مَنْ يُسِيءُ صَلَاتَهُ وَلَمْ يَنْهَهُ فَهُوَ شَرِيكُهُ فِي

(1) الترمذي (347) .

(2) سورة إبراهيم ، الآية : 49 .

(3) سورة ص ، الآية : 31 .

(4) إحياء علوم الدين 1/ 163 .

(5) إحياء علوم الدين 1/ 200 .

(6) أخرجه الديلمي (4/ 394 ، رقم 7141) .

وزررها . وقال بلال بن سعد : الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ، فإذا ظهرت فلم تغير أضرت بالعامّة ⁽¹⁾ . وكان بلال يسوي الصفوف ويضرب عراقبيهم بالدرة . وعن النعمان ابن بشير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا كأنما يسوي بها القداح ، حتى رأى أنا قد غفلنا عنه ، ثم خرج يوما حتى كاد أن يكبر ، فرأى رجلا باديا صدره من الصف فقال : «عباد الله لتسون صفوفكم أو يخالفن الله بين وجوهكم» ⁽²⁾ .



(1) أخرجه الطبراني في الأوسط (94/5 ، رقم 4770) .

(2) أخرجه أبو داود (178/1 ، رقم 662) ، والبيهقي (76/1 ، رقم 362) ، وابن حبان (549/5 ، رقم 2176) ، وأحمد (276/4 ، رقم 18453) ، وابن خزيمة (82/1 ، رقم 160) ، والبزار (8/228 ، رقم 3285) .

الباب السابع

في أحكام المساجد

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول

في فضل المساجد

قال الله تعالى : ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾⁽¹⁾. قال الحسن : تُعَظَّمُ ، يعني : لا يذكر فيها الخنا من القول⁽²⁾ ، ﴿وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ . قال ابن عباس : يتلى فيها كتابه ، أي يصلي له فيها⁽³⁾ . ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ . أراد بالغداة والعشي ؛ قال أهل التفسير : أراد به الصلاة المفروضة ، فالتى تؤدي بالغداة صلاة الفجر ، والتي تؤدي بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين⁽⁴⁾ . ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ . عن حضور المساجد لإقامة الصلاة ، وأراد بقوله ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ أدائها في وقتها ؛ لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة ، وأعاد ذكر إقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس ؛ لأنه أراد بإقام الصلاة حفظ المواقيت⁽⁵⁾ .

روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة ، فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد ، فقال ابن عمر : فيهم نزلت هذه الآية : ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾⁽⁶⁾ .

(1) سورة النور ، الآية : 36 .

(2) تفسير البغوي 6 / 50 .

(3) تفسير البغوي 6 / 50 .

(4) تفسير البغوي 6 / 50 .

(5) تفسير البغوي 6 / 51 .

(6) أخرجه الطبري : 146 / 18 ، وعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم . انظر : الدر المنثور : 6 /

وقوله تعالى: ﴿وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾. أي: المفروضة. وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها⁽¹⁾. وقيل: هي الأعمال الصالحة ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾. قيل: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر، وتنتفتح الأبصار من الأغطية، وقيل: تتقلب القلوب في الجوف فترفع إلى الحنجرة ولا تنزل ولا تخرج، وتقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته⁽²⁾. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ﴾ أي: بأحسن ما عملوا، يريد يجزيهم بإحسانهم، وما كان من مساوئ أعمالهم لا يجزيهم بها ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله في الجنة»⁽³⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : يحتمل قوله: «مثله» أمرين؛ أحدهما: أن يكون معناه بنى الله له مثله في مسمى البيت، وأما صفته في السعة وغيرها فمعلوم فضلها، وأنها مما «لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». الثاني: معناه أن فضله على بيوت الجنة كفضل المسجد على بيوت الدنيا والله أعلم⁽⁴⁾.

(1) تفسير البغوي 6/ 51.

(2) تفسير البغوي 6/ 51.

(3) مسلم (4/ 2287، رقم 533)، وأخرجه أيضاً أحمد (1/ 61، رقم 434)، والبخاري (1/ 172)، رقم 439، والترمذي (2/ 134، رقم 318) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (1/ 243، رقم 736)،

وابن حبان (4/ 488، رقم 1609).

(4) شرح النووي عي صحيح مسلم 2/ 293.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من غدا⁽¹⁾ إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلا من الجنة كلما غدا أو راح»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾»⁽⁴⁾. وقال عثمان بن مظعون - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: يا رسول الله، ائذن
لنا في الاختصاص. فقال رسول الله ﷺ: «ليس منا من خصي ولا اختصى، وإن
خصاء أمتي الصيام». فقال: ائذن لنا في السياحة. قال: «إن سياحة أمتي الجهاد
في سبيل الله». فقال: ائذن لنا في الترهّب. فقال: «إن تَرَهَّبَ أمتي الجلوس في
المساجد لا تنتظار الصلاة»⁽⁵⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «المساجدُ سوقٌ من أسواقِ الآخرة، مَنْ دَخَلَهَا كَانَ

(1) الغدو: السير والذهاب والتبكير أول النهار.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة 8/172، والبيهقي في شعب الإيمان (2753).

(3) أخرجه أبو داود (154/1)، رقم 561، والترمذي (435/1)، رقم 223 وقال: غريب. والبيهقي (3/63، رقم 4757).

(4) أخرجه أحمد (76/3)، رقم 11743، وعبد بن حميد (ص 289، رقم 923)، والدارمي (1/302، رقم 1223)، والترمذي (5/277)، رقم 3093 وقال: حسن غريب. وابن ماجه (1/263، رقم 802)، وابن خزيمة (2/379)، رقم 1502، وابن حبان (5/6)، رقم 1721، والحاكم (2/363، رقم 3280) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في الحلية (8/327)، والبيهقي (3/66، رقم 4768).

(5) أخرجه أبو داود (3/5)، رقم 2486، والحاكم (2/83)، رقم 2398 وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (4/14)، رقم 4226 والطبراني في الكبير (8/183)، رقم 7760 وفي مسند الشاميين (2/372)، رقم 1522).

ضيفاً لله وجزأؤه المغفرة وتحيته الكرامة ، عليكم بالإرتاع⁽¹⁾ . قالوا : يا رسول الله ، وما الإرتاع؟ قال : «الدعاء والرغبة إلى الله»⁽²⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قال الله عز وجل : «إن بيوتي في أرضي المساجد ، وإن زواري فيها عُمَارُها ، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي ، فحق على المزور أن يكرم زائره»⁽³⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من ألف المسجد ألفه الله عز وجل»⁽⁴⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه . ما لم يحدث أو يخرج من المسجد»⁽⁵⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من تطهر في بيته ، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله تعالى ، كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة»⁽⁶⁾ .

وقيل في قوله تعالى : ﴿وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾⁽⁷⁾ . أي خطاهم إلى المسجد . قال أبو سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : شكت بنو سلمة بعد

(1) كذا هنا ، وفي تاريخ بغداد : «بالرباح» ، وباقي المصادر : «بالرتاع» .

(2) أخرجه الخطيب (208/9) ، والديلمي (216/4) ، رقم 6653 ، والذهبي في الميزان (77/3) .

(3) أخرجه الديلمي (216/4) ، رقم 6654 .

(4) أخرجه الطبراني في الأوسط (269/6) ، رقم 6383 ، وابن عدى (152/4) ترجمة 977 عبد الله بن لهيعة) .

(5) أخرجه مالك (160/1) ، رقم 380 ، والنسائي (55/2) ، رقم 733 ، وابن حبان (48/5) ، رقم 1753 ، والطيلاسي (ص 317 ، رقم 2415) ، وأبو عوانة (364/1) ، رقم 1315 ، والبيهقي (185/2) ، رقم 2843 .

(6) أخرجه مسلم (462/1) ، رقم 666 ، وابن حبان (392/5) ، رقم 2044 . وأخرجه أيضاً : البيهقي في شعب الإيمان (63/3) ، رقم 2880 .

(7) سورة يس ، الآية : 12 .

منازلهم من المسجد ، فأنزل الله : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ ﴾ (1) .
وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «إن أعظم الناس أجرا في الصلاة
أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم ، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم
أجرا من الذي يصليها ثم ينام» (2) .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم راح فوجد الناس قد
صلوا ، أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضر ، لا ينقص ذلك من أجورهم
شيئا» (3) .



-
- (1) أخرجه الترمذي في التفسير ، تفسير سورة يس : 94/9 - 95 وقال : هذا حديث حسن غريب من
حديث الثوري ، وأبو سفيان هو طريف المعدي ، وصححه الحاكم 428/2 وأؤوه الذهبي ، والخطي
154/22 .
- (2) البخاري (1/233 ، رقم 623) ، ومسلم (1/460 ، رقم 662) . وأخرجه أيضا ابن خزيمة (2/378 ، رقم
1501) ، ابن ماجه (1/257 ، رقم 782) .
- (3) أخرجه أحمد (2/380 ، رقم 8934) ، وأبو داود (1/154 ، رقم 564) ، والنسائي (2/111 ، رقم
855) ، والحاكم (1/327 ، رقم 754) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (3/69 ، رقم
4789) ، وعبد بن حميد (ص 424 ، رقم 1455) ، والبخاري في التاريخ الكبير (8/46) ، والبيهقي
في شعب الإيمان (3/69 ، رقم 2894) .

الفصل الثاني

في آداب داخل المسجد

قال رسول الله ﷺ : «إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي ﷺ ، ثم ليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم أني أسألك من فضلك» . رواه النسائي وغيره (1).

وقال أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال : «بسم الله ، اللهم صل على محمد» ، وإذا خرج قال : «بسم الله ، اللهم صل على محمد» (2).

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : لا يضع المصلي نعليه عن يمينه ولا عن يساره فيضيق الموضع ويقطع الصف ، بل يضعها بين يديه ، ولا يتركهما وراء ظهره فيكون قلبه ملتفتا إليها (3).

وروى أبو هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين يديه» (4).

وقال أبو هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لغيره : اجعلهما بين رجليك ، ولا تؤذ بهما

(1) النسائي (53/2 ، رقم 729) ، وأخرجه أيضا مسلم (494/1 ، رقم 713) ، وأبو داود (126/1 ، رقم 465) ، والدارمي (379/2 ، رقم 2691) ، والبخاري (169/9 ، رقم 3720) ، وابن حبان (397/5 ، رقم 2048) ، والبيهقي (441/2 ، رقم 4115) ، وأحمد (497/3 ، رقم 16101) ، وأبو عوانة (345/1 ، رقم 1234) .

(2) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (1664) .

(3) إحياء علوم الدين 1/197 .

(4) أخرجه ابن أبي شيبة 2/308 .

مسلماً⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين»⁽²⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : تحية المسجد سنة بالإجماع . وحكى القاضي عياض - رَحِمَهُ اللهُ - عن داود وأصحابه وجوبها ، وهي مستحبة كل وقت ، وكرهها أبو حنيفة والأوزاعي والليث في وقت النهي⁽³⁾.

قال في الإحياء : فلو دخل المسجد ولم يكن على وضوء فليقل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر⁽⁴⁾. قال النووي : ولا بأس به . وقال : يستحب أيضا إذا كان له شغل يشغله عن الصلاة وزاد ابن الرفعة : ولا حول ولا قوة إلا بالله . فإذا جلس استحب له أن ينوي الاعتكاف . قال رسول الله ﷺ : «من اعتكف فواق ناقة ، فكأنما أعتق نسمة» . وفواق الناقة : ما بين الحلبتين ؛ سمي فواق لأن اللبن ينزل من فوق . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين» . رواه البيهقي⁽⁵⁾.

(1) أخرجه ابن أبي شيبة 2/ 308.

(2) البخارى (1/ 170 ، رقم 433) ، ومسلم (1/ 495 ، رقم 714) ، وأخرجه أيضا مالك (1/ 162 ، رقم 386) ، وعبد الرزاق (1/ 428 ، رقم 1673) ، وأحمد (5/ 311 ، رقم 22705) ، وابن أبي شيبة (1/ 299 ، رقم 3419) ، والدارمي (1/ 376 ، رقم 1393) ، وأبو داود (1/ 127 ، رقم 467) ، والترمذي (2/ 129 ، رقم 316) وقال : حسن صحيح . والنسائي (2/ 53 ، رقم 730) ، وابن ماجه (1/ 323 ، رقم 1012) ، وابن خزيمة (3/ 163 ، رقم 1827) ، وابن حبان (6/ 242 ، رقم 2495) ، والطبرانى فى الكبير (3/ 241 ، رقم 3280) ، وفى الأوسط (9/ 7 ، رقم 8958) ، وفى الصغير (1/ 235 ، رقم 383) ، وأبو عوانة (1/ 346 ، رقم 1238) ، والبيهقي (3/ 53 ، رقم 4702) ، والطحاوى (1/ 371) .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم 3/ 34.

(4) إحياء علوم الدين 1/ 201.

(5) أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان (3/ 425 ، رقم 3966) وقال : إسناده ضعيف .

ويستحب له أن يشتغل بالذكر وتلاوة القرآن ؛ قال رسول الله ﷺ : «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا». قيل : يا رسول الله ، وما رياض الجنة؟ قال : «المساجد». قيل : وما الرتع يا رسول الله؟ قال : «سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده». رواه مسلم⁽²⁾.

ويكره الخروج من المسجد بعد الأذان ؛ روى أبو الشعثاء قال : كنا قعودا عند أبي هريرة في المسجد ، فأذن المؤذن ، فقام رجل من المسجد يمشي ، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد ، فقال أبو هريرة : أما هذا فقد عصى أبا القاسم⁽³⁾.



(1) أخرجه الترمذي (532/5 رقم 3509) وقال : حسن غريب . قال المنذرى (284/2) : وهو مع غرابته حسن الإسناد .

(2) مسلم (4/2074 ، رقم 2699) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/252 ، رقم 7421) ، وأبو داود (4/287 ، رقم 4946) ، والترمذي (5/195 ، رقم 2945) ، وابن ماجه (1/82 ، رقم 225) ، وابن حبان (2/292 ، رقم 534) .

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط (5/326 ، رقم 5448) ، وفي الصغير (2/80 ، رقم 817) ، والبيهقي في شعب الإيمان (3/58 ، رقم 2864) ، وعبد الرزاق (1/508 ، رقم 1947) .

الفصل الثالث

فيما يكره في المسجد

قال رسول الله ﷺ: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى بما يتأذى به بنو آدم»⁽¹⁾. رواه مسلم. وفي رواية الطبراني: الفجل أيضا⁽²⁾. قال ابن المنذر: في الإقناع: يحرم عليه الحضور والحالة هذه، وجزم النووي في الروضة بأن ذلك مكروه⁽³⁾. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن تناشد الأشعار في المسجد، وعن البيع والشراء فيه، وأن يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة في المسجد.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا رأيتم من يبيع ويبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا: لا ردها الله عليك». حسنه الترمذي⁽⁴⁾، ففي كراهة البيع والشراء في المسجد قولان؛ أحدهما يكره، بل قال صاحب العدة: إنهما فيه من الصغائر⁽⁵⁾. وقال أحمد: لا يصح البيع. قال الغزالي في الإحياء: لو اتخذ المسجد حانوتا على الدوام حرم ذلك ومنع

(1) مسلم (1/395، رقم 564)، وأخرجه أيضا الترمذي (4/261، رقم 1806) وقال: حسن صحيح.

والنسائي في الكبرى (4/159، رقم 6685).

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (1/68، رقم 191).

(3) روضة الطالبين 2/158.

(4) أخرجه الترمذي (3/610، رقم 1321) وقال: حسن غريب. وابن السني (ص 66، رقم 153)،

والحاكم (2/65، رقم 2339) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي (2/

447، رقم 4142).

(5) العدة شرح العمدة 2/48.

منه (1). ونقل مالك عن عطاء بن يسار أنه كان إذا رأى رجلاً يبيع ويشترى في المسجد يقول له: عليك بسوق الدنيا؛ فإن هذا سوق الآخرة (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جنبوا مساجدكم صبيانكم، ومن سل سيوفكم، ومن إقامة حدودكم، ورفع أصواتكم، وخصوماتكم، وأجمروها في الجمع، واجعلوا على أبوابها المطاهر» (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يأتي في آخر الزمان قوم يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقة جل ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة» (4). وفي الخبر: أن الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش.

وقال سعيد بن المسيب: من جلس في المسجد وإنما يجالس ربه، فحقه ألا يقول إلا خيراً. وعن خلف بن أيوب أنه كان في المسجد فأتاه غلامه فسأله عن شيء فقام وخرج من المسجد، ثم أجابه، فقيل له في ذلك فقال: ما تكلمت في المسجد منذ كذا وكذا سنة بكلام الدنيا، فكرهت أن أتكلم اليوم فيه.

وعن عثمان - رضي الله عنه - أنه رأى خياطاً في ناحية المسجد فأمر بإخراجه، فقيل يا أمير المؤمنين، أنه يكنس المسجد ويغلق الأبواب! فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جنبوا صناعكم من مساجدكم» (5).

(1) إحياء علوم الدين 1/ 233.

(2) موطأ مالك (427).

(3) أخرجه ابن ماجه (1/ 247، رقم 750)، والطبراني (22/ 57، رقم 136)، والديلمي (2/ 108، رقم 2566). وأورده القاري في الموضوعات الكبرى (ص 103، رقم 395) وقال: قال السخاوي: سنده ضعيف.

(4) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/ 86، رقم 2962).

(5) أخرجه الديلمي (2/ 108، رقم 2567).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «البصاق في المسجد حرام وكفارتها دفنها». رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

قال النووي: والمراد بدفنها إذا كان المسجد ترابا أو رملا ونحوه، فيواريتها تحت ترابه؛ قال الروياني في البحر: وقيل المراد بدفنها إخراجها من المسجد⁽²⁾. أما إذا كان المسجد مبطلا أو مجصصا فدلكتها عليه بمداسه أو غيره، كما يفعله كثير من الجاهلين فليس ذلك بدفن، بل زيادة في الخطيئة وتكثير للقذر في المسجد، وعلى من فعل ذلك أن يمسحه بعد ذلك بثوبه أو يده أو غيره أو يغسله. وروي أن رجلا أم قوما فبصق في القبلة ورسول الله ﷺ ينظر، فقال ﷺ حين فرغ: «لا يصلي لكم». فأراد بعد ذلك أن يصلي فمنعوه وأخبروه بقول رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «نعم»⁽³⁾.

ودخل رسول الله ﷺ المسجد فرأى نخامة في قبلة المسجد فتحكها، ثم أقبل على الناس مغضبا فقال: «أيسر أحدكم أن يبصق في وجهه»⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إن المسجد بيت كل تقي، ومن ابتلع ريقه في المسجد تعظيما لله أعقبه الله من ذلك صحة في جسمه وعافية في بدنه»⁽⁵⁾.

(1) البخاري (1/161، رقم 405)، ومسلم (1/390، رقم 552)، وأخرجه أيضا الطيالسي (ص 267، رقم 1988)، وأبو داود (1/128، رقم 475)، والترمذي (2/461، رقم 572) وقال: حسن صحيح. والنسائي (2/50، رقم 723)، والدارمي (1/377، رقم 1395)، وابن خزيمة (2/276، رقم 1309)، وابن حبان (4/516، رقم 163).

(2) شرح النووي على صحيح مسلم 2/317.

(3) أخرجه أحمد (4/56، رقم 16610)، وابن حبان (4/515، رقم 1636)، وأبو داود (1/130، رقم 481) والطبراني في الأوسط (6/215، رقم 6221).

(4) أخرجه أبو داود (1/129، رقم 480).

(5) أخرجه أبو نعيم في الحلية (1/214)، وابن عساكر (47/153). وأخرجه أيضا: عبد الرزاق عن =

وعن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «من ازدرد ريقه في المسجد تعظيماً لحق المسجد ، جعل الله ذلك صحة في جسمه ، وكتب له حسنة ، ومحى عنه سيئة» . وقال لفاعله ، أي : الذي يبصق في المسجد : «إنك أذيت الله ورسوله» . وعز له عن ولاية الإمامة ، وغضب حين رأى ذلك والنبي ﷺ لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمت الله تعالى .

وصحح النووي في التحقيق تحريم البصاق في المسجد ؛ قال سواء فيه داخله وخارجه ، وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أمرت بتشديد المساجد»⁽¹⁾.

قال ابن عباس : لتزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد»⁽³⁾.

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه مر بمسجد مزخرف فقال : لعن الله من زخرفه . أو قال : لعن الله من فعل هذا . المساكين أحوج من الأساطين .

وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام : يكره كراهة شديدة تعليق العمر في المسجد إذا كانت بحيث يراها المصلي وتهوش عليه ، فإن كانت بحيث لا تهوش

= معمر في الجامع (96/11)، رقم 20029، وهناد في الزهد (471/2)، رقم 951، وخيشمة في جزء من حديثه (ص 71)، والطبراني في الأوسط (158/7)، رقم 7149، والخطيب (340/8)، والديلمي (217/4) .

(1) أخرجه أبو داود (122/1)، رقم 448، والبيهقي (438/2)، رقم 4096 .

(2) أخرجه عبد الرزاق 152/3 .

(3) أخرجه النسائي (32/2)، رقم 689 ..

فلا بأس . وقال بعض العلماء : ينبغي الاحتراز عن الصلاة في المواضع المنقوشة ؛ فإن النبي ﷺ لما صلى في الخميصة التي لها أعلام نزعها وقال : «إنها ألهتني أنفا عن صلاتي»⁽¹⁾.

وروي النبي ﷺ أنه قال : «يكون الغرباء في الدنيا أربعة ؛ قرآن في جوف ظالم ، ومسجد بين قوم لا يصلون فيه ، ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ، ورجل صالح بين قوم سوء»⁽²⁾.



(1) أخرجه عبد الرزاق (1/ 357، رقم 1389) .

(2) أخرجه الديلمي (3/ 108، رقم 4301) .

الفصل الرابع

في الحث على تنظيف المساجد وتطيبها وتنويرها

قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاء يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن، أو آية أوتيتها رجل ثم نسيها»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتخذوا المساجد في المحال ونظفوها وطيبوها». وقال الحسن - رَحِمَهُ اللَّهُ - مهور الحور العين كنس المساجد وعمارتها. وقال أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - من أسرج سراجا في مسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه.

قال في الروضة: وما يحتاج إليه إذا نذر زيتا أو شمعا أو نحوه لسرج في مسجد أو غيره، إن كان بحيث قد ينتفع به ولو على ندور مصل هناك، أو نائم أو غيرهما، صح ولزم، وإن كان يغلق ولا يتمكن أحد من الدخول والانتفاع به لم يصح، ولو وقف شيئا ليشتري من غلته زيت أو غيره ليسرج في مسجد أو غيره، فحكمه في الصحة ما ذكرناه في النذر⁽²⁾.

(1) أخرجه أبو داود (126/1، رقم 461)، والترمذي (5/178، رقم 2916) وقال: غريب ثم قال: وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه واستغربه. وابن خزيمة (2/271، رقم 1297)، والبيهقي (2/440، رقم 4110)، والطبراني في الأوسط (6/308، رقم 6489)، وفي الصغير (1/330، رقم 547).

(2) روضة الطالبين 1/400.

الفصل الخامس

في حضور النساء في المساجد وفضل صلاتهن في بيوتهن

عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ قال : «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها». رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن». رواه الحاكم وأبو داود وقال صحيح : على شرط الشيخين⁽²⁾. وفي رواية لأبي داود وابن حبان : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات»⁽³⁾⁽⁴⁾. قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في شرح مسلم : قوله ﷺ : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله». هذا وشبهه من أحاديث الباب ظاهرة في أنها لا تمنع المسجد لكن بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الأحاديث ، وهو أن لا تكون متطيبة ولا متزينة ، ولا ذات خلاخل يسمع صوتها ، ولا ثياب فاخرة ، ولا مختلطة بالرجال ، ولا شابة

(1) البخارى (5/2007، رقم 4940)، ومسلم (1/326، رقم 442)، وأخرجه أيضا أحمد (2/7)، رقم 4522، والنسائي (2/42، رقم 706)، وابن خزيمة (3/90، رقم 1677)، وابن حبان (5/591، رقم 2213) والدارمي (1/128، رقم 442) وأبو عوانة (1/394، رقم 1438) والبيهقي (3/132، رقم 5149) والحميدي (2/277، رقم 612).

(2) أخرجه أحمد (2/76، رقم 5468)، وأبو داود (1/155، رقم 567)، والطبراني (12/328)، رقم 13255، والحاكم (1/327، رقم 755) وقال : صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي (3/131، رقم 5142)، وابن خزيمة (3/92، رقم 1684).

(3) تفلات : تاركات للطيب.

(4) أبو داود (1/155، رقم 565)، وابن حبان (5/589، رقم 2211)، وأخرجه أيضا أحمد (2/438)، رقم 9643، والطبراني (5/248، رقم 5239)، والبيهقي (3/134، رقم 5160)، وابن خزيمة (3/90، رقم 1679). والشافعي (1/171)، والدارمي (1/330، رقم 1279)، وابن الجارود (1/91، رقم 332).

ونحوها ممن يفتتن بها، وألا يكون بالطريق ما يخاف به مفسدة ونحوها، وهذا النهي عن منعهم من الخروج محمول على كراهة التنزيه إذا كانت المرأة ذات زوج أو سيد ووجدت الشروط المذكورة فإن لم يكن لها زوج ولا سيد حرم المنع إذا وجدت الشروط⁽¹⁾.

وروى أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: «خير مساجد النساء قعر بيوتهن»⁽²⁾. وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان، وإنها لا تكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها». رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح⁽³⁾. وعن أبي عمرو الشيباني أنه رأى عبد الله يُخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول: اخرجن إلى بيوتكن خير لكن. رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به⁽⁴⁾. وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أنها قالت: لو أن رسول الله ﷺ رأي ما أحدثت النساء لمنعهن من المسجد، كما منعت بنو إسرائيل نساءها⁽⁵⁾.

قولها: لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدثت النساء لمنعهن من المسجد. تعني: من الزينة والطيب وحسن الثياب ونحوها.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بِخُورٍ فَلَا تَشْهَدُ مَعَنَا الْعِشَاءَ

(1) شرح صحيح مسلم 2/186.

(2) أخرجه أحمد (6/297)، رقم (26584)، والبيهقي (3/131)، رقم (5143)، وابن خزيمة (3/92)، رقم (1683)، والحاكم (1/327)، رقم (756)، والقضاعي (2/231)، رقم (1252)، والديلمي (2/182)، رقم (2919).

(3) أخرجه الطبراني في الكبير (10/108)، رقم (10115) وفي الأوسط (8/101)، رقم (8096)، وابن حبان (12/412)، رقم (5598). والخطيب (8/451).

(4) الطبراني (8/232)، وأخرجه أيضا عبد الرزاق (3/173).

(5) ابن أبي شيبة (2/276)، وعبد الرزاق (3/149).

الآخرة». رواه مسلم (1).

وعن زينب الثقفية امرأة ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : «إذا شهدت أحداً من المسجد فلا تمس طيباً». رواه مسلم (2).
وروي عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها من المسجد ، فقال النبي ﷺ : «يا أيها الناس ، انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبخر في المسجد ؛ فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المساجد». رواه ابن ماجه (3).

وقال رسول الله ﷺ : «أما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها ، فهي زانية ، وكل عين زانية» رواه النسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحهما (4).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد

(1) مسلم (1/328 ، رقم 444) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/304 ، رقم 8022) ، وأبو داود (4/79 ، رقم 4175) ، والنسائي (8/190 ، رقم 5263) ، وأبو عوانة (1/360 ، رقم 1300) ، والبيهقي (3/133 ، رقم 5157) .

(2) مسلم (1/328 ، رقم 443) ، وأخرجه أيضا أحمد (6/363 ، رقم 27091) ، والنسائي (8/155 ، رقم 5134) ، وابن خزيمة (3/91 ، رقم 1680) ، وأبو عوانة (1/396 ، رقم 1448) ، وابن حبان (5/593 ، رقم 2215) ، والطبراني (24/283 ، رقم 718) ، والبيهقي (3/133 ، رقم 5156) .

(3) أخرجه ابن ماجه (2/1326 ، رقم 4001) قال البوصيري (4/181) : هذا إسناد ضعيف .

(4) النسائي (8/153 ، رقم 5126) ، وابن خزيمة (3/91 ، رقم 1681) ، وابن حبان (10/270 ، رقم 4424) ، وأخرجه أيضا أحمد (4/413 ، رقم 19726) ، والحاكم (2/430 ، رقم 3497) ، وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (3/246 ، رقم 5769) ، والدارمي (2/362 ، رقم 2646) ، والصيداوي في معجم الشيوخ (1/134) ، والبيهقي في شعب الإيمان (6/171 ، رقم 7815) ، والبخاري (8/47 ، رقم 3033) .

وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل». رواه ابن خزيمة⁽¹⁾.

ويستحب للمرأة إذا مشت إلى المسجد أن تمشي بجانب الطريق حتى لا تختلط بالرجال لما روى أبو أسيد أنه سمع النبي ﷺ يقول وهو خارج المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق: «استأخرن فليس لكن أن تحقن⁽²⁾ الطريق عليكن بحافات الطريق»⁽³⁾.

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان يمشي في طريق وأمامه امرأة، فقال لها: «تنحي من الطريق». فقالت الطريق واسع! فقال رسول الله ﷺ: «دعوها فإنها جبارة»⁽⁴⁾.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال نهى رسول الله ﷺ أن يمشي الرجل بين امرأتين. أخرجهما أبو داود.



(1) ابن خزيمة (1590)، أخرجه أيضا أبو داود (79/4)، رقم (4174)، والبيهقي (3/133)، رقم (5159).

(2) تحقن: أى تمشين فى وسط الطريق.

(3) أخرجه أبو داود (4/369)، رقم (5272)، والطبراني (19/261)، رقم (580)، والبيهقي فى شعب الإيمان (6/173)، رقم (7822).

(4) أخرجه أبو يعلى (6/34)، رقم (3276)، والطبراني فى الأوسط (8/122)، رقم (8160) وأبو نعيم فى الحلية (6/291).

الباب الثامن في صلاة الجماعة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

في فضلها

قال رسول الله ﷺ : «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة». رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا»⁽²⁾. وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلى الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث : اللهم صلى عليه اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة. لفظ البخاري⁽³⁾.

في الجمع بين هذين الحديثين أوجه :

أحدها : أنه لا منافاة بينهما، فذكر القليل لا ينفي الكثير، ومفهوم العدد باطل عند جمهور الأصوليين.

الثاني : أن يكون أخبر أولا بالقليل، ثم أعلمه الله بزيادة الفضل، فأخبر بها.

(1) البخاري (1/231، رقم 619)، ومسلم (1/450، رقم 650)، وأخرجه أيضا مالك (1/129، رقم 288)، وأحمد (2/65، رقم 5332)، والترمذي (1/420، رقم 215) وقال : حسن صحيح، والنسائي (2/103، رقم 837)، وابن ماجه (1/259، رقم 789)، وابن حبان (5/401، رقم 2052).

(2) أخرجه الضياء (5/207، رقم 1836).

(3) تقدم تخريج كل حديث على حدة.

الثالث : أنه يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة، فيكون لبعضهم خمس وعشرون ول بعضهم سبع وعشرون ، بحسب كمال الصلاة ومحافظة على هيئاتها وخشوعها وكثرة جماعتها ، وفضلهم وشرف البقعة ، ونحو ذلك .

الرابع : أن الاختلاف بحسب قرب المسجد وبعده .

الخامس : أن الأولى للصلاة الجهرية ، والثانية للسرية ؛ لأنها تنقص عن الجهرية بسماع قراءة الإمام والتأمين لتأمينه .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ما من ثلاثة في قرية ولا بلد ولا تقام فيها الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » . رواه أبو داود والنسائي والحاكم (1) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ، ثم أنطلق معي رجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » . لفظ مسلم (2) .

ذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وأبو ثور وابن المنذر وابن خزيمة وداود إلى أن الجماعة فرض عين ، واحتجوا بهذا الحديث .

وعن عمرو بن أم مكتوم أنه سأل النبي ﷺ قال : يا رسول الله ، إني رجل ضريب البصر شاسع الدار ، ولي قائد لا يلازميني ، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال : « هل تسمع النداء » . قال : نعم . قال : « لا أجد لك رخصة » . رواه أبو

(1) أخرجه أبو داود (1/150 ، رقم 547) ، والنسائي (1/296 ، رقم 920) ، وابن حبان (5/457 ، رقم 2101) ، والحاكم (1/374 ، رقم 900) ، وقال : صحيح الإسناد .

(2) أخرجه أحمد (2/424 ، رقم 9482) ، وابن أبي شيبة (1/292 ، رقم 3351) ، والبخاري (1/234 ، رقم 626) ، ومسلم (1/451 ، رقم 651) ، وأبو داود (1/150 ، رقم 548) ، وابن ماجه (1/259 ، رقم 791) ، وابن خزيمة (2/370 ، رقم 1484) .

داود⁽¹⁾. قال البيهقي وغيره : معناه لا أجد لك رخصة تحصل لك فضيلة الجماعة من غير حضورها .

وقال رحمه الله : «إن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كثر فهو أحب إلى الله عز وجل» . رواه أبو داود وغيره⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من صلى أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى ، كتب له براءتان ؛ براءة من النار ، وبراءة من النفاق» . رواه الترمذي⁽³⁾.

وإنما تحصل هذه الفضيلة بأن يشتغل بالتحريم للصلاة عقب تحريم إمامه من غير وسوسة ظاهرة ، فلو خاف فوت وقت تكبيرة الإحرام قال أبو إسحاق : يستحب أن يسرع ليدركها ، والصحيح أنه لا يسرع ، بل يمشي بسكينة ، ولو خاف فوت أصل الجماعة ، بأن يسلم الإمام أسرع قطعاً . قاله الغوراني .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من صلى العشاء في جماعة ، فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله» . رواه مسلم⁽⁴⁾.

وذكروا للجماعة فوائد : منها :

(1) سنن أبي داود (552) .

(2) أبو داود (1/ 151 ، رقم 554) ، وأخرجه أيضا الطيالسي (ص 75 ، رقم 554) ، وأحمد (5/ 140 ، رقم 21302) ، وعبد بن حميد (ص 90 ، رقم 173) ، والدارمي (1/ 326 ، رقم 1269) ، والنسائي (2/ 104 ، رقم 843) ، وابن ماجه (1/ 259 ، رقم 790) ، وابن خزيمة (2/ 366 ، رقم 1476) ، وابن حبان (5/ 405 ، رقم 2056) ، والحاكم (1/ 375 ، رقم 904) ، والبيهقي (3/ 67 ، رقم 4780) ، والضياء (3/ 399 ، رقم 1197) .

(3) أخرجه الترمذي (2/ 7 ، رقم 241) وقال : قد روي هذا الحديث عن أنس موقوفا . والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 62 ، رقم 2875) .

(4) أخرجه أحمد (1/ 68 ، رقم 491) ، ومسلم (1/ 454 ، رقم 656) ، وابن حبان (5/ 408 ، رقم 2059) .

أمن المصلي من السهو عن بعض أركان الصلاة ، وما في الجماعة من إظهار شعار الدين ، وما فيها من كثرة العمل ، وانتظار الصلاة إليها ، والاجتماع على جماعة المسلمين وتفقد أحوالهم ، وإفشاء السلام بينهم ، وسؤال بعضهم عن بعض ، وتشبيهه صلاتهم بالجمعة التي هي أكمل الصلوات ، وإيقاع الصلاة في أول الوقت غالبا ، وغيظ الكفار إذا شاهدوا اجتماع المسلمين .

ومن فوائدها : ما قاله النيسابوري أنه ما اجتمع أربعون رجلا إلا كان فيهم عبد صالح لله تعالى فبركته ترحم البقية ، ويستجاب لهم .

ومنها : أن الإنسان إذا دعا لنفسه وحده واستجيب له دخله العجب بخلافه إذا دعا والقوم يؤمنون ، فإنه يحوز أنه إنما استجيب له بدعائهم .

ومنها : إدراك فضيلة تكبيرة الإحرام مع الإمام .

ومنها : ما ذكر بعضهم أن المياه المتفرقة إذا كانت دون قلتين تحتل النجاسة ، وإذا اجتمعت دفعت النجاسة ، وكذلك الجماعة تدفع عنها دنس الذنوب باجتماعها ، بخلاف المنفرد .

ومنها : أن الشيطان لا يقوى على الجماعة ، بخلاف المنفرد ، وإنما يأخذ الذئب من الغنم القاصية .

ومنها : إن أتى المسجد والجماعة يكتب له أجر ذهابه ورجوعه إلى منزله ، كما قال صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب حين قيل : ألا تتخذ دابة تحملك في الظلماء وتقيك حر الرمضاء؟ فقال : أني أحب أن يكتب لي أجر ممشي إلى المسجد وأجر رجوعي . قال : «إن الله قد أعطاك ذلك كله»⁽¹⁾ .

(1) أخرجه أحمد (5/133 ، رقم 21252) ، ومسلم (1/460 ، رقم 663) ، والدارمي (1/332 ، رقم 1284) ، وأبو عوانة (1/325 ، رقم 1153) ، وابن خزيمة (2/377 ، رقم 1500) ، وابن حبان (5/389 ، رقم 2041) .

قال القفال الشاشي في محاسن الشريعة : الحكمة في طلب صلاة الجماعة أن الاجتماع في الصلاة مشتمل على مطلوبات ؛ كإفشاء السلام بين الحاضرين ، والتودد لهم ومعرفة أحوالهم ، فيقومون بعبادة المرضى .

ومنها : زيادة العمل عند مشاهدة أرباب الجد ، فطلب الشارع اجتماع أهل الخطط والمحال في مساجدهم في كل يوم وليلة خمس مرات ، واجتماع أهل البلد في الجمعة مرة واحدة في المسجد الجامع ، وأهل الرساتيق والسواد مع أهل البلد في السنة مرتين ، وذلك في العيدين ، واجتماع أهل الأمصار والأقاليم في السنة مرة واحدة في موقف عرفة .



الفصل الثاني

في فضل الإمامة وذكر ما على الإمام من الوظائف

عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة على كتمان المسك - أراه قال : يوم القيامة - عبد أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل أم قوما وهم به راضون ، ورجل ينادي بالصلاة في كل يوم وليلة» . رواه الترمذي (1).
وقد استدلت الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - على تقديم أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بالخلافة بتقديم رسول الله ﷺ إياه للإمامة ؛ إذ قالوا : نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين ، فاخترنا لدنيانا من رضيه لديننا ﷺ (2).

قال ﷺ : «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ؛ العبد الآبق ، وامرأة زوجها ساخط عليها ، وإمام قوم له كارهون» (3).

قال في التنبية : ويكره أن يؤم الرجل قوما وأكثرهم له كارهون (4). قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في زوائد الروضة : فما كرهه الأقل أو النصف لم تكره إمامته . قاله ابن الرفعة في تعليق ما يدل على الكراهة مطلقا . قال النووي : والمراد أن يكرهوه لمعنى مذموم في الشرع أي مثل أئمة الظلمة ومن تغلب على الإمامة

(1) الترمذي (4/697، رقم 2566) وقال : حسن غريب. وأخرجه أيضا الطبراني (12/433، رقم 13584)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (3/318) وقال : غريب . وأحمد (2/26، رقم 4799) .

(2) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق 42/442، وابن بشران في أماليه (512)، وذكره الغزالي في الإحياء 1/183.

(3) أخرجه ابن أبي شيبة (1/358، رقم 4113) والترمذي (2/193، رقم 360) وقال : حسن غريب . والطبراني (8/284، رقم 8090) .

(4) روضة الطالبين 1/138.

وهو غير مستحق لها كما قال صاحب التهذيب فإن لم يكن كذلك فالعيب عليهم ولا كراهة⁽¹⁾. قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : فإن اختلف القوم كان النظر إلى الأكثرين ، فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى قال ، وكما ينهي عن تقدمه لكراهيتهم ، فكذلك ينهي عنه إن كان وراءه مَنْ هو أفقه وأقرأ منه ، إلا إذا امتنع من هو أولى به فله التقدم⁽²⁾.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «إن سرکم أن تقبل صلاتکم فليؤمکم خيارکم ، فإنهم وفدکم فيما بينکم وبين الله»⁽³⁾.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «من أم قوما فليثق الله وليعلم أنه ضامن مسئول لما ضمن ، فإن أحسن كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجرهم شيئا ، وما كان من نقص فهو عليه» . رواه الطبراني⁽⁴⁾.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ، وإن أخطئوا فلكم وعليهم» رواه البخاري⁽⁵⁾.

وقال الحسن - رَحِمَهُ اللهُ - لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء⁽⁶⁾.
وقال النخعي - رَحِمَهُ اللهُ - : مَثَلُ الَّذِي يَوْمُ النَّاسِ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَمَثَلِ الَّذِي يَكِيلُ الْمَاءَ فِي الْبَحْرِ ، لَا يَعْرِفُ زِيَادَتَهُ مِنْ نَقْصَانِهِ⁽⁷⁾.

(1) روضة الطالبين 1/ 138.

(2) إحياء علوم الدين 1/ 183.

(3) أخرجه الطبراني (20/ 328 ، رقم 777) . قال الهيثمي (2/ 64) : فيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف .

(4) أخرجه الطبراني في الأوسط (7/ 370 ، رقم 7755) . قال الهيثمي (2/ 66) : فيه معارك بن عباد ضعفه

أحمد والبخاري وأبو زرعة والدارقطني وذكره ابن حبان في الثقات .

(5) البخاري (694) .

(6) إحياء علوم الدين 1/ 157.

(7) السابق : نفس الموضع .

وقال ابن هبيرة في الإفصاح أشهر الرواية عن أحمد أنه لا تصح إمامة الفاسق؛ قال رحمته الله : «إذا أم أحدكم الناس فليخفف؛ فإن فيهم الضعيف والمريض والكبير والصغير وذا الحاجة، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»⁽¹⁾.
قال رحمته الله : «لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فإن فعل فقد خانهم»⁽²⁾. حسنه الترمذي.

وفي الصحيحين عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله رحمته الله : «إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه به»⁽³⁾. قال الخطابي : هذا الحديث يدل على أن الإمام إذا أحس برجل يريد الصلاة معه وهو راکع ، جاز له أن ينتظره وهو راکع ليدرك الركعة ؛ لأنه إذا جاز له أن يحذف من طول صلاته حاجة إنسان في بعض أمور الدنيا ، جاز له أن يزيد فيها لعبادة الله سبحانه .



(1) أخرجه مالك (1/134 ، رقم 301) ، وأحمد (2/486 ، رقم 10311) ، والبخاري (1/248 ، رقم 671) ، ومسلم (1/341 رقم 467) ، وأبو داود (1/211 رقم 794) ، والنسائي (2/94 رقم 823) ، وابن حبان (5/508 رقم 2136) .

(2) أخرجه أبو داود (1/23 ، رقم 91) وابن ماجه (1/202 ، رقم 617) ، وأحمد (5/260 ، رقم 22295) ، (3) أخرجه ابن أبي شيبة (1/406 ، رقم 4677) ، وأحمد (3/109 ، رقم 12086) ، والبخاري (1/250 ، رقم 677) ، ومسلم (1/343 ، رقم 470) ، وابن ماجه (1/316 ، رقم 989) ، وابن خزيمة (3/50 ، رقم 1610) ، وابن حبان (5/510 ، رقم 2139) .

الفصل الثالث

فيما على المأمومين من الوظائف

قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم بالسكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

قال ابن الملقن - رَحِمَهُ اللهُ - في شرح المنهاج: لو خاف فوت تكبيرة الإحرام قال أبو إسحاق: يستحب أن يسرع ليدركها، والصحيح أنه لا يسرع، بل يمشي بسكينة ووقار، كما لو لم يخف فوتها، ولو خاف فوت أصل الجماعة بأن يسلم الإمام أسرع قطعاً. قاله العوراني.

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: كنت عند خالتي ميمونة نائماً، فقام رسول الله ﷺ يصلي من الليل، فقمت عن يساره فأخذ برأسي وأقامني عن يمينه⁽²⁾. فيه فوائد:

الأولى: أنه يدل على جواز الجماعة في النافلة.

الثانية: المأموم الواحد يقوم عن يمين الإمام.

الثالثة: أن العمل القليل لا يبطل الصلاة.

(1) البخاري (308/1)، رقم 866، ومسلم (420/1)، رقم 602، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (288/2)، رقم 3403، وأحمد (237/2)، رقم 7229، وأبو داود (156/1)، رقم 572، والترمذي (2/148)، رقم 327، والنسائي (2/114)، رقم 861، وابن ماجه (1/255)، رقم 775، وابن حبان (5/522)، رقم 2148، وأبو عوانة (1/416)، رقم 1540.

(2) البخاري (2117)، ومسلم (748).

الرابعة: أنه يدل على أن المأموم لا يتقدم على الإمام؛ لأن النبي ﷺ أدار ابن عباس من ورائه، وهو أشق من إدارته عن يمينه، ومع ذلك عدل إليه، فدل ذلك على أنه لا يجوز.

الخامسة: أنه دل على أنه يجوز الاقتداء بمن لم ينو الإمامة؛ لأن النبي ﷺ شرع في الصلاة منفردا، وذكره البغوي.

وعن أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو راکع فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «زادك الله حرصا ولا تعد». رواه البخاري⁽¹⁾. قيل: معناه لا تعد إلى الإحرام خارج الصف. وقيل: إلى التأخر عن الصلاة إلى هذا الوقت. وقيل: إلى إتيان الصلاة مسرعا.

وقال ﷺ: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم - ثلاثا - وإياكم وهيشات الأسواق». رواه مسلم⁽²⁾. الأحلام جمع حلم بكسر الحاء، وهو الفرق في الأمر والتأني فيه، والنهي جمع نهية بضم النون، وهي العقل؛ لأنه ينهي عن القبيح. وهيشات الأسواق جمع هيشة، وهي الفتنة والاضطراب، يعني: احذروا من أن تقفوا مختلطين بحيث لا يتميز العالم من الجاهل، والرجال من الصبيان، ولا الذكور من الإناث، وإنما أمر ﷺ أن يليه أولوا الأحلام، ليعقلوا عنه صلاته، ولأنه إذا احتاج إلى الاستخلاف كانوا قريبا منه ليستخلفهم

(1) البخاري (1/271، رقم 750)، وأخرجه أيضا عبد الرزاق (2/282، رقم 3377)، وأحمد (5/45، رقم 20476)، وأبو داود (1/182، رقم 683)، والنسائي في الكبرى (1/302، رقم 943)، وابن حبان (5/569، رقم 2195)، والبخاري (9/107، رقم 3651)، وابن الجارود (ص 88، رقم 318).
(2) مسلم (1/323، رقم 432) وأخرجه أيضا عبد الرزاق (2/45، رقم 2430)، وأبو داود (1/180، رقم 674)، والنسائي (1/286، رقم 881)، وابن ماجه (1/312، رقم 976).

في صلاته ، وإن أصابه سهو في صلاته فينبهونه . قال الدارمي : في استذكاره إنما يقدم الرجال على الصبيان إذا كان الرجال أفضل أو تساويا ، فإن كان الصبيان أفضل قدموا .

وقال رحمته الله : «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» . رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾ .

وقال رحمته الله : «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» . رواه مسلم⁽²⁾ .

قال النووي - رحمه الله - : أما صفوف الرجال فخيرها أولها وأبدا وشرها آخرها أبدا ، وأما صفوف النساء ، فالمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء أقلها ثوابا ، وأبعدها من مطلوب الشرع⁽³⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لتسبون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم» . رواه البخاري ومسلم⁽⁴⁾ .

قال النووي - رحمه الله - قيل : معناه يمسحها ويحولها عن صدورهم ؛

(1) البخاري (955/2) ، رقم 2543 ، ومسلم (325/1) ، رقم 437 ، وأخرجه أيضا مالك (68/1) ، رقم 149 ، وعبد الرزاق (524/1) ، رقم 2007 ، وأحمد (236/2) ، رقم 7225 ، والنسائي (269/1) ، رقم 540 ، وابن حبان (527/5) ، رقم 2153 .

(2) أخرجه مسلم (326/1) ، رقم 440 ، وأخرجه أيضًا أبو داود (181/1) ، رقم 678 ، والنسائي (93/2) ، رقم 820 ، وابن ماجه (319/1) ، رقم 1000 . والطيالسي (ص 316 ، رقم 2408) ، والحميدي (439/2) ، رقم 1000 ، والدارمي (325/1) ، رقم 1268 ، وابن خزيمة (96/3) ، رقم 1693 .

(3) شرح صحيح مسلم 183/2 .

(4) البخاري (253/1) ، رقم 685 ، ومسلم (324/1) ، رقم 436 ، وأخرجه أيضًا : أبو داود (178/1) ، رقم 663 ، والترمذي (438/1) ، رقم 227 ، وقال : حسن صحيح . واليزار (184/8) ، رقم 3215 ، وأبو عوانة (381/1) ، رقم 1379 ، والبيهقي (100/3) ، رقم 4961 .

كقوله : «يجعل الله صورته صورة حمار»⁽¹⁾. وقيل بغير صفتها . قال : والأظهر - والله أعلم - أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب ، كما يقال : تغير وجه فلان على أي ظهر من وجهه كراهته لي ، وتغير قلبه علي ؛ لأن مخالفتهم مخالفة في ظواهرهم ، واختلاف الظواهر هو سبب لاختلاف البواطن⁽²⁾.

وقال رسول ﷺ : «أتموا الصف المقدم ، ثم الذي يليه ، فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر» . رواه أبو داود⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى مِيَامِنِ الصَّفُوفِ» . رواه أبو داود أيضا⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ وَصَلَ صَفَا وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَ صَفَا قَطَعَهُ اللَّهُ» . رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم⁽⁵⁾. وقال ﷺ : «خياركم أليكم مناكب في الصلاة ، وما من خطوة

(1) البخاري (1/ 245 ، رقم 659) ، ومسلم (1/ 321 ، رقم 427) ، وأخرجه أيضا الترمذي (2/ 475 ، رقم 582) وقال : حسن صحيح ، وأحمد (2/ 504 ، رقم 10553) ، وابن أبي شيبة (2/ 116 ، رقم 7147) ، وأبو داود (1/ 169 ، رقم 623) ، والنسائي (2/ 96 ، رقم 828) ، وابن ماجه (1/ 308 ، رقم 961) .

(2) شرح صحيح مسلم 2/ 178 .

(3) أبو داود (1/ 180 ، رقم 671) ، وأخرجه أيضا أحمد (3/ 233 ، رقم 13464) ، والنسائي (2/ 93 ، رقم 818) ، وابن خزيمة (3/ 22 ، رقم 1546) ، وأبو يعلى (5/ 450 ، رقم 3163) ، وابن حبان (5/ 528 ، رقم 2155) ، والبيهقي (3/ 102 ، رقم 4972) ، والضياء (6/ 350 ، رقم 2379) . والنسائي في الكبرى (1/ 289 ، رقم 892) .

(4) أخرجه أبو داود (1/ 181 ، رقم 676) ، وابن ماجه (1/ 321 ، رقم 1005) ، قال المنذرى (1/ 189) : بإسناد حسن . وابن حبان (5/ 533 ، رقم 2160) ، والبيهقي (3/ 103 ، رقم 4980) .

(5) النسائي (2/ 93 ، رقم 819) ، والحاكم (1/ 333 ، رقم 774) وقال : صحيح على شرط مسلم ، وابن خزيمة (3/ 23 ، رقم 1549) .

أعظم أجرا من خطوة مشاها رجل إلى فرجة في الصف فسَدَّها» . رواه الطبراني (1).
وقال ﷺ : «من سد فرجة في الصف غفر له» . رواه البزار بإسناد حسن (2).
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَ بِهِ ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا ، وَإِذَا رَكَعَ
فَارْكَعُوا ، وَإِذَا قَالَ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . فَقُولُوا : اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ . وَإِذَا
صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا ، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ» . رواه البخاري
ومسلم (3).

قال النووي : معنى قوله : «إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَ بِهِ» عند الشافعي في الأفعال
الظاهرة ، وإلا فيجوز أن يصلي الظهر خلف العصر وعكسه ، والفرض خلف
النفل وعكسه ، وقال مالك وأبو حنيفة : لا يجوز ذلك ؛ قالوا : معنى الحديث
ليؤتم به في الأفعال والنيات . وقالت طائفة بظاهر هذا الحديث ، ومن قال به
أحمد والاوزاعي ، وقال مالك في رواية : لا تجوز صلاة القادر على القيام خلف
القاعد ، لا قائما ولا قاعدا . وقال أبو حنيفة والشافعي وجمهور السلف : لا يجوز
للقادر على القيام أن يصلي خلف القاعد إلا قائما واحتجوا بأن النبي ﷺ صلى
في مرض وفاته بعد هذا قاعدا وأبو بكر والناس خلفه قياما (4).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا يَخْشَى أَحَدَكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ

(1) أخرجه أبو داود (180/1) ، رقم (672) ، والبيهقي (101/3) ، رقم (4969) ، وابن خزيمة (29/3) ، رقم (1566) ، وابن حبان (52/5) ، رقم (1756) .

(2) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (91/2) ، وقال : إسناده حسن .

(3) البخاري (257/1) ، رقم (700) ، ومسلم (308/1) ، رقم (411) ، وأخرجه أيضا مالك (135/1) ، رقم (304) ، والطيالسي (ص 280) ، رقم (2090) ، وأحمد (110/3) ، رقم (12095) ، وابن أبي شيبة (2/115) ، رقم (7134) ، وأبو داود (164/1) ، رقم (601) ، والترمذي (194/2) ، رقم (361) ، والنسائي (2/83) ، رقم (794) ، وابن ماجه (392/1) ، رقم (1238) ، وابن حبان (460/5) ، رقم (2102) .

(4) شرح صحيح مسلم 2/149 .

يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة حمار». رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. فَقُولُوا: آمِينَ فَإِنَّهُ مِنْ وَافِقِ قَوْلِهِ قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». رواه البخاري⁽²⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : معناه وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم . قال : فهذا هو الصحيح والصواب ، وحكى القاضي عياض قولاً أن معناه وافقهم في الصفة والخشوع والإخلاص ، واختلفوا في هؤلاء الملائكة ؛ ف قيل : هم الحفظة ، وقيل : غيرهم ، لقوله ﷺ : «فوافق قوله قول أهل السماء» . وأجاب الأولون عنه بأنه إذا قالها الحاضرون من الحفظة قالها مَنْ فوقهم حتى ينتهي إلى السماء⁽³⁾.



(1) تقدم تخريجه .

(2) البخاري (1/ 271 ، رقم 749) ، وأخرجه أيضاً مالك (1/ 87 ، رقم 195) ، وأبو داود (1/ 246 ، رقم 935) ، والنسائي (2/ 144 ، رقم 929) .

(3) شرح صحيح مسلم 2/ 145.

الباب التاسع في صلاة الجمع

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾⁽¹⁾. إلى آخر السورة. قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾. أي: في يوم الجمعة؛ كقوله: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾⁽²⁾. وأراد بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة؛ لما روى البخاري عن السائب بن يزيد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء، ولم يكن للنبي ﷺ مؤذن غير واحد⁽³⁾.

واختلفوا في سبب تسمية يوم الجمعة، بذلك ف قيل: لأن الله جمع فيه خلق آدم. وقيل: لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء، فاجتمعت فيه المخلوقات. وقيل: لاجتماع الناس فيه للصلاة.

قال ابن سيرين: جَمَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَقَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ الْجُمُعَةُ، وقالوا: لليهود يوم يجتمعون فيه في كل أسبوع، وللنصارى يوم فلنجعل لنا يوماً نجتمع فيه؛ نذكر الله تعالى ونصلي له فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة، فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة، ثم أنزل الله عز وجل في ذلك بعد قوله: ﴿فَاسْعَوْا﴾. أي: فامضوا، واعملوا له⁽⁴⁾.

(1) سورة الجمعة، الآية: 9.

(2) سورة فاطر، الآية: 40.

(3) البخاري (912).

(4) تفسير البغوي 8/116.

قال الحسن - رَحِمَهُ اللَّهُ - : أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن بالقلوب والنية إلى ذكر الله ، أي : إلى الصلاة ⁽¹⁾ . وقيل : إلى موعظة الإمام ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ . يعني : البيع والشراء ؛ لأن اسم البيع والشراء يتناولهما ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت من حضور الجمعة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من المبايعة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مصالح أنفسكم .

قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ . أي : فرغ منها ﴿فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة والتصرف في حوائجكم ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ . يعني : الرزق وهذا أمر إباحة . قال ابن عباس : إن شئت فاقعد ، وإن شئت فاهرج ، وإن شئت فصل إلى العصر ⁽²⁾ . وقال أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أما إنه ليس لطلب الدنيا ، ولكن لعيادة مريض ، وشهود جنازة ، وتعلم علم ، وزيارة أخ في الله ⁽³⁾ .

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وقد سمي الله تعالى العلم فضلا ⁽⁴⁾ . قال : سبحانه وتعالى : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ⁽⁵⁾ . وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ ⁽⁶⁾ . يعني العلم ، فتعلم العلم وتعليمه في هذا اليوم من أفضل القربات .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ . قالوا : أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فلما رآوه قاموا إليه بالبيع ؛ خشوا بأن يسبقوا

(1) تفسير البغوي 8/ 117 .

(2) تفسير البغوي 8/ 123 .

(3) تفسير البغوي 8/ 123 .

(4) إحياء علوم الدين 1/ 194 .

(5) سورة النساء ، الآية : 112 .

(6) سورة سبأ ، الآية : 10 .

إليه ، فلم يبق مع النبي ﷺ إلا رهطٌ ؛ منهم أبو بكر وعمر ، فنزلت هذه الآية ، فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسأل بكم الوادي نارا»⁽¹⁾. قيل : وكانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق ، وهو المراد باللهو في الآية .

وقوله : ﴿أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ . رد الكناية إلى التجارة ؛ لأنها أهم ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب على الصلاة ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَمِنَ الْجَزَعِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ لأنه موجد الأرزاق ، فإياه فاسألوا ومنه فاطلبوا ، وكان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف بباب المسجد فقال : اللهم أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت لما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرزاقين⁽²⁾.



(1) تفسير البغوي 8 / 124.

(2) تفسير البغوي 8 / 122.

الفصل الثاني

في فضل يوم الجمعة

قال رسول الله ﷺ : «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» رواه مسلم (1).

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : «فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه» . وأشار بيده يقللها . رواه البخاري ومسلم (2).

وفي مسلم عن أبي موسى الأشعري - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضي الصلاة» (3). وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : «من مات يوم الجمعة كتب الله أجر شهيد ووقي فتنة القبر» (4). وفي الخبر : «إن لله تعالى في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار» (5).



(1) مسلم (2/585 ، رقم 854) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/417 ، رقم 9398) ، والترمذي (2/359 ، رقم 488) قال : حسن صحيح ، والبيهقي (3/251 ، رقم 5800) .

(2) أخرجه البخاري (1/316 ، رقم 893) ومسلم (2/584 ، رقم 852) .

(3) ابن أبي شيبة 2/51 ، وشعب الإيمان 6/494 .

(4) أخرجه أبو نعيم في الحلية (3/155) .

(5) أخرجه أبو يعلى (6/156 ، رقم 3434) ، والبيهقي في شعب الإيمان (3/113 ، رقم 3042) قال : وفي إسناده ضعف . والدليمي (3/382 ، رقم 5163) .

الفصل الثالث

في التغليظ على تارك صلاة الجمعة

قال رسول الله ﷺ: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين». رواه مسلم (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها ، طبع الله على قلبه». حسنه الترمذي (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من ترك الجمعة من غير عذر ، فليصدق بدينار ، فإن لم يجد فنصف دينار» (3).

وسئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة ولا

(1) مسلم (2/ 591، رقم 865) ، وأخرجه أيضا الطيالسي (1/ 263، رقم 1952) ، وابن أبي شيبة (1/ 480، رقم 5534) ، وأحمد (1/ 239، رقم 2132) ، والنسائي (3/ 88، رقم 1370) وابن ماجه (1/ 260، رقم 794) ، وابن حبان (7/ 25، رقم 2785) .

(2) الترمذي (2/ 373، رقم 500) وقال : حسن . وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة (1/ 479، رقم 5533) ، وأحمد (3/ 424، رقم 15537) ، وأبو داود (1/ 277، رقم 1052) ، والنسائي (3/ 88، رقم 1369) ، وابن ماجه (1/ 357، رقم 1125) ، وأبو يعلى (3/ 175، رقم 1600) ، والطبراني (22/ 365، رقم 915) ، والحاكم (1/ 415، رقم 1034) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (3/ 172، رقم 5366) ، وابن الجارود (ص 81، رقم 288) .

(3) أخرجه الطيالسي (ص 122، رقم 901) ، وأحمد (5/ 8، رقم 20099) ، وابن أبي شيبة (1/ 480، رقم 5535) ، وأبو داود (1/ 277، رقم 1053) ، والنسائي (3/ 89، رقم 1372) ، وابن ماجه (1/ 358، رقم 1128) ، والرويانى (2/ 77، رقم 854) ، وابن خزيمة (3/ 178، رقم 1861) ، وابن حبان (7/ 29، رقم 2789) ، والطبراني (7/ 235، رقم 6979) ، والحاكم (1/ 415، رقم 1035) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (3/ 248، رقم 5783) .

الجماعة؟ فقال : هذا في النار رواه الترمذي (1).

وروى البيهقي في كتاب فضائل الأوقات عن الأوزاعي قال : كان عندنا رجل يسافر يوم الجمعة يصطاد ولا ينتظر الجمعة ، فخرج يوما فحسف بيغلته فلم يبق منها إلا أذنها (2).

ويروى عن مجاهد أن قوما سافروا يوم الجمعة حين زوال الشمس فاضطرم عليهم خبأؤهم من غير أن يروا نارا (3).



(1) سنن الترمذي (218) .

(2) البيهقي في فضائل الأوقات (264) ، وشعب الإيمان (2890) .

(3) البيهقي في فضائل الأوقات (265) ، وشعب الإيمان (2891) .

الفصل الرابع

في آداب يوم الجمعة وصلاتها

قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل» رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى». رواه البخاري⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن عراح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» رواه البخاري ومسلم⁽³⁾.

قال النووي: قوله: «غسل الجنابة». أي: غسلاً كغسل الجنابة⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري (299/1)، رقم (837) ومسلم (579/2)، رقم (844).

(2) البخاري (301/1)، رقم (843)، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (478/1)، رقم (5520)، وأحمد (438/5)، رقم (23761)، والطحاوي (369/1)، والطبراني (271/6)، رقم (6190).

(3) أخرجه مالك (101/1)، رقم (227)، والبخاري (301/1)، رقم (841)، ومسلم (582/2)، رقم (850)، وأبو داود (96/1)، رقم (351)، والترمذي (372/2)، رقم (499) وقال: حسن صحيح. والنسائي (3/99)، رقم (1388)، وابن حبان (13/7)، رقم (2775).

(4) شرح صحيح مسلم 217/3.

قال ابن القيم في الهدى : لما كان يوم الجمعة في الأسبوع كالعيد في العام ، وكان العيد يشتمل على صلاة وقربان ، وكان يوم الجمعة يوم صلاة ، جعل الله سبحانه وتعالى التعجيل فيه إلى المسجد بدلا عن القربان وقائما مقامه ، فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد الصلاة والقربان⁽¹⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - في الإحياء الساعة الأولى إلى طلوع الشمس ، والثانية إلى ارتفاعها ، والثالثة إلى انبساطها حتى ترمض الأقدام ، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال ، وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه⁽²⁾. قال الغزالي : وفي الخبر «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم»⁽³⁾. وفي الأثر : «إن الملائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة ، فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان ، وما الذي أخره عن وقته ، فيقولون : اللهم إن كان أخره فقرٌ ، فأغنه ، أو مرضٌ فاشفه ، أو شغل ففرغه لعبادتك ، أو أخره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك»⁽⁴⁾. قال الغزالي : وكان في القرن الأول ترى الطرقات سحرا وبعد الفجر مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها إلى الجامع ؛ كأيام العيد حتى اندرس ذلك ، وأول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع يوم الجمعة ، وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم ييكونون إلى البيع والكنائس يوم السبت ويوم الأحد ، وطلاب الدنيا ييكونون إلى رحاب الجامع للبيع والشراء والربح ، فلم لا يسابقهم

(1) زاد المعاد 384/1.

(2) إحياء علوم الدين 190/1.

(3) أخرجه أحمد (2/259 ، رقم 7510) ، والنسائي (3/97 ، رقم 1385) ، والدارمي (1/436 ، رقم 1544) .

(4) إحياء علوم الدين 190/1.

طلاب ربح الآخرة، فقد قيل: إن الناس يوم القيامة يكونون في قربهم عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة⁽¹⁾.

دخل ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بكرة إلى الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور، فاعتم لذلك وجعل يعاتب نفسه ويقول لها: رابع أربعة؟!

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ كان يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج إلى الصلاة⁽²⁾.

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة ولبس من أحسن ثيابه، ومس من طيب - إن كان عنده - ثم أتى الجمعة فلم يتخط أعناق الناس، ثم صلى ما كتب الله له، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها وبين جمعته التي قبلها». ويقول أبو هريرة: وزيادة ثلاثة أيام إن الحسنة بعشر أمثالها رواه أبو داود⁽³⁾.

وعن عبد الله بن بسر بالسين المهملة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس فقال له النبي ﷺ: «اجلس فقد أذيت وأنيت»⁽⁴⁾. أي: تأخرت وأبطأت. قال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : ورود أن من يتخطى رقاب الناس

(1) إحياء علوم الدين 1/182.

(2) الطبراني 19/140، وشعب الإيمان 6/285.

(3) أخرجه أحمد (5/198، رقم 21777).

(4) أخرجه أحمد (4/188، رقم 17710)، وأبو داود (1/292، رقم 1118)، والنسائي (3/103، رقم 1399)، وابن خزيمة (3/156، رقم 1811)، وابن حبان (7/29، رقم 2790)، والحاكم (1/424، رقم 1061) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. والبيهقي (3/231، رقم 5678)، والضياء من طريق الطبراني (9/47، رقم 22). وأخرجه أيضًا: البزار (8/432، رقم 3506)، وابن الجارود (ص 82، رقم 294).

يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس⁽¹⁾. قال : ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فيه مواضع ، فله أن يتخطى رقاب الناس ؛ لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة⁽²⁾. قال الحسن - رَحِمَهُ اللهُ - : تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على باب الجامع يوم الجمعة فإنهم لا حرمة لهم⁽³⁾.

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أن النبي ﷺ نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا . رواه البخاري ومسلم⁽⁴⁾.

ولمسلم كان ابن عمر إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه⁽⁵⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ» رواه مسلم⁽⁶⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلْيَتَحَوَّلْ إِلَى غَيْرِهِ» صححه الترمذي⁽⁷⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصْلِي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يَحْدَثْ وَأَحْدِكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ

(1) إحياء علوم الدين 1/ 190.

(2) إحياء علوم الدين 1/ 190.

(3) إحياء علوم الدين 1/ 190.

(4) البخاري (6270) ، ومسلم (4/ 1714 ، رقم 2177) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/ 102 ، رقم 5785) ، والحميدى (2/ 293 ، رقم 664) .

(5) مسلم (5815) .

(6) أحمد (9035) .

(7) الترمذي (404/ 2 ، رقم 526) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضا أحمد (2/ 22 ، رقم 4741) ، وابن أبي شيبة (1/ 454 ، رقم 5253) ، والحاكم (1/ 428 ، رقم 1075) وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي . وابن حبان (7/ 32 ، رقم 2792) والبيهقي (3/ 237 ، رقم 5718) ، وابن خزيمة (3/ 160 ، رقم 1819) .

تجسسه» رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» رواه الحاكم في المستدرک⁽²⁾. قال ابن الملقن - رَحِمَهُ اللَّهُ -: والمعنى في قراءتها يوم الجمعة أن في سورة الكهف ذكر أهوال القيامة والجمعة مشبهة بالقيامة لما فيها من اجتماع الخلق وقيام الخطيب؛ ولأن القيامة تقوم يوم الجمعة. قال صاحب الذخائر: قيل: المستحب أن يقرأها قبل طلوع الشمس وقبل العصر، وظاهر الحديث لا يقتضي التخصيص بوقت. اهـ. وفي الشامل الصغير أن الأولى قراءتها عند الرواح إلى الجامع. قال ابن الملقن: وهو غريب. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقرأوا سورة هود يوم الجمعة». رواه الدارمي⁽³⁾. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر الله له». رواه الترمذي⁽⁴⁾.

وروي أن النبي ﷺ قال: «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة ويوم الجمعة بنى الله له بها بيتا في الجنة»⁽⁵⁾.

(1) البخاري (1/181، رقم 465)، ومسلم (1/459، رقم 649)، وأخرجه أيضا أحمد (2/252، رقم 7424)، وأبو داود (1/153، رقم 559)، وابن ماجه (1/262، رقم 799)، وابن حبان (5/391، رقم 2043).

(2) أخرجه الحاكم (2/399، رقم 3392) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (3/249، رقم 5792).
(3) أخرجه الدارمي (2/545، رقم 3404)، وأبو داود في المراسيل (1/103، رقم 59)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/472، رقم 2438). وعزاه السيوطي لأبي الشيخ وابن مردويه في الدر المنثور (4/396)، والشوكاني في فتح القدير (2/479). قال المناوي (2/67): قال الحافظ ابن حجر: حديث مرسل وسنده صحيح.

(4) أخرجه الترمذي (5/163، رقم 2889) وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهشام أبو المقدام يضعف ولم يسمع الحسن من أبي هريرة.

(5) أخرجه الطبراني (8/264، رقم 8026) قال الهيثمي (2/168): فيه فضال بن جببر وهو ضعيف جداً.

وفي تفسير الثعلبي عن النبي ﷺ أنه قال : «من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس» (1).

وروي عنه ﷺ أنه قال : «من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة غفر له» (2).
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنْ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ؛ فَإِنْ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ تَعْرُضُ صَلَاتَنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتُ؟! أَيْ : يَقُولُ بَلَيْت . قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ» . رواه أبو داود والنسائي (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» . رواه البيهقي (4).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ قَالَ صَبِيحَةَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» (5).

وروى المنذري عن النبي ﷺ أنه قال : «من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل

(1) الكشف والبيان 1/3.

(2) الكشف والبيان 1/3.

(3) أخرجه أحمد (4/8 ، رقم 16207) ، وابن أبي شيبة (2/253 ، رقم 8697) ، وأبو داود (1/275 ، رقم 1047) ، والنسائي (3/91 ، رقم 1374) ، وابن ماجه (1/524 ، رقم 1636) ، والدارمي (1/445 ، رقم 1572) ، وابن خزيمة (3/118 ، رقم 1733) ، وابن حبان (3/191 ، رقم 910) ، والحاكم (1/413 ، رقم 1029) وقال : صحيح على شرط البخاري . والطبراني (1/216 ، رقم 589) ، والبيهقي (1/519 ، رقم 1666) .

(4) أخرجه الحاكم (2/457 ، رقم 3577) وقال : صحيح . والبيهقي في شعب الإيمان (3/110 ، رقم 3030) .

(5) أخرجه الطبراني في الأوسط (7/356 ، رقم 7717) ، وابن عساكر (16/382) قال الهيثمي (2/168) : فيه عبد العزيز بن عبد الرحمن الباسي وهو ضعيف جداً .

أن يشي رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأعطي من الأجر بعدد من آمن بالله ورسوله»⁽¹⁾.

قال الغزالي : يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة : اللهم يا غني يا حميد ، يا مبدئ يا معيد ، يا رحيم يا ودود ، أغنني بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . يقال : من داوم على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب . وذكر البيهقي في فضائل الأوقات عن النبي ﷺ أنه قال : «إن لكم في كل جمعة حجة وعمرة ؛ فالحجة الهجير للجمعة ، والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة ؛ من عاد مريضا ، وشهد جنازة ، وصام يوما ، وراح إلى الجمعة ، وأعتق رقبة» . رواه ابن حبان في صحيحه⁽³⁾.

حكاية : ذكر أن رجلا أكّارا من بعض القرى ، وكان يحضر الجمعات بالمدينة فيصلي وينصرف لا يحضرها إلا للصلاة ، فاتفق له يوم الجمعة أن بقرته ضاعت ومزرعته كانت عطشانة ، وكان له حنطة في الرحى ولم يكن في البيت طحين يخبزون الخبز ، فقال لامرأته : يا هذه ، إن خرجت في طلب البقرة يفوتني سقي الماء والطحن جميعا ، وإن خرجت إلى الرحى يفوتني طلب البقرة وسقي الماء ، وإن خرجت إلى سقي الماء يفوتني هذان ، وإن اشتغلت بهذه الأشغال تفوتني الجمعة ؛ فالأولى أن أبدأ بالجمعة وأؤدي الفرض فإن الله تعالى يكفيني

(1) فيض القدير 6/ 265.

(2) فضائل الأوقات (283) .

(3) أخرجه أبو يعلى (2/ 312 ، رقم 1044) قال الهيثمي (2/ 169) : رجاله ثقات . وابن حبان (7/ 6 ، رقم 2771) .

هذه الأشغال . فلما قضي صلاته ورجع إلى بيته جعل الطريق على مزرعته وإذا فيها ماء قدر الكفاية ، فلما بلغ باب داره رأى بقرته على باب الدار ، فلما دخل الدار فإذا بالمرأة تخبز ، فسألها فقالت : كان جارنا فلان خرج إلى الرحا والطحان قد طحن الحنطة ، فلما أراد أن ينصرف إلى بيته بطحينه عدل طحيننا بطحينه على الحمار ورده إلينا ، وأما الماء فكان جيراننا في المزرعة يسقون أرضهم ، فخرج الماء من جحر يربوع وجرى إلى مزرعتنا فسقى . فقال لها : يا هذا ، اعقلي عن الله أمره ؛ فإن الله تعالى إنما كفانا هذه المؤن لأنني قدمت أمره على أمور الدنيا ، وكان هذا ببركة صلاة الجمعة .



الباب العاشر

في النوافل من الصلاة

وهي كثيرة مشهورة ، لكن نذكر هنا صلاةً قد تخفى على بعض الناس :
عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن ؛ يقول : «إذا هم أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ؛ فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به» .
قال : «ويسمى حاجته» . رواه البخاري (1).

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب : «يا عماه ، ألا أعلمك ، ألا أمنحك ، ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر لك ذنبك ؛ أوله وآخره ، وخطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، وسره وعلايته ، أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة قلت وأنت قائم : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ، ثم تهوي ساجدا فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك من

(1) البخاري (1162) .

السجود فتقولها عشرا ، ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا قبل أن تقوم ، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة إن استطعت أن تصلها في كل يوم مرة فافعل ، فإن لم تفعل ففي كل جمعة ، فإن لم تفعل ففي كل شهر ، فإن لم تفعل ففي كل سنة ، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من كانت له حاجة إلى الله ، أو إلى أحد من بنى آدم ، فليتوضأ فليحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين ، ثم ليثن على الله - عز وجل - وليصل على النبي ﷺ ، ثم ليقل : لا إله إلا الله ، الحليم ، الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، لا تدع لي ذنبا إلا غفرته ، ولا همما إلا فرجته ، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين» . رواه الترمذي⁽²⁾.

وقال ﷺ : «ما من رجل يذنب ذنبا ، ثم يقوم فيطهر ، ثم يصلي ، ثم يستغفر الله إلا غفر له»⁽³⁾ ، ثم قرأ : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾⁽⁴⁾.

وقال ﷺ : «من صلى بعد المغرب ست ركعات ولم يتكلم بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشر سنة»⁽⁵⁾.

(1) أخرجه أبو داود (29/2 ، رقم 1297) ، وابن ماجه (443/1 ، رقم 1387) ، وابن خزيمة (223/2 ، رقم 1216) ، والطبراني (243/11 ، رقم 11622) ، والحاكم (463/1 ، رقم 1192) ، والبيهقي (51/3 ، رقم 4695) .

(2) أخرجه الترمذي (344/2 ، رقم 479) وقال : غريب وفي إسناده مقال . وابن ماجه (441/1 ، رقم 1384) ، والحاكم (466/1 ، رقم 1199) ، والبيهقي في شعب الإيمان (175/3 ، رقم 3265) .

(3) الترمذي (406) .

(4) سورة آل عمران ، الآية : 135 .

(5) أخرجه الترمذي (298/2 ، رقم 435) وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن الحباب ، وعن =

وقال ﷺ : «من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتا في الجنة»⁽¹⁾.
وروى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان لا يصلي قبل
العيد شيئا ، فإذا رجع إلى منزله صلى ركعتين⁽²⁾.
وقال أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : كان النبي ﷺ لا ينزل منزلا إلا ودعه
بركعتين . رواه الحاكم في المستدرک⁽³⁾.
وقال ﷺ : «إذا تزوج أحدكم امرأة ، وكانت ليلة البناء فليصل ركعتين
وليأمرها فلتصل خلفه ؛ فإن الله جاعل في البيت خيرا» . رواه البزار⁽⁴⁾.
ويروي عن النبي ﷺ أنه قال : «من قام ليلتي العيدين لله محتسبا لم يميت قلبه
يوم تموت القلوب»⁽⁵⁾.

وروى الترمذي عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أنه قال : بينما نحن عند
رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب ، فقال : بأبي أنت وأمي تفلت هذا
القرآن من صدري ، فما أجدني أقدر عليه ! فقال رسول الله ﷺ : «أفلا أعلمك
كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ، ويثبت ما تعلمت في صدرك» .
قال : أجل يا رسول الله ، فعلمني قال : «إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم

= عمرو بن أبي خثعم ، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول : عمر بن عبد الله بن أبي خثعم منكر
الحديث ، وضعفه جداً . وابن ماجه (1/369 ، رقم 1167) وأخرجه أيضاً : أبو يعلى (10/414 ، رقم
6022) ، والطبراني في الأوسط (1/250 ، رقم 819) .

(1) أخرجه ابن ماجه (1/437 ، رقم 1373) . قال البوصيري (7/2) : هذا إسناد ضعيف .

(2) ابن ماجه (1293) .

(3) المستدرک 1/614 .

(4) أخرجه البزار (6/494 ، رقم 2530) . والطبراني (6/226 ، رقم 6067) . قال الهيثمي (4/291) : في
إسنادهما الحجاج بن فروخ ، وهو ضعيف .

(5) أخرجه ابن ماجه (1/567 ، رقم 1782) قال البوصيري (85/2) : هذا إسناد ضعيف .

في ثلث الليل الآخر ؛ فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أخي يعقوب لبنيه : ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾⁽¹⁾ . حتى تأتي ليلة الجمعة ، وإن لم تستطع فقم في وسطها ، فإن لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات ؛ تقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب ، وسورة يس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب ، وحم الدخان ، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب ، وألم تنزيل السجدة ، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب ، وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء عليه ، وصل على محمد وأحسن على سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ، ثم قل في آخر ذلك : اللهم ارحمني بسترک المعاصي أبداً ما أبقيتني ، وارحمني أن أتكلف ما لا يغنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك ، كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري ، وأن تغسل به بدني ؛ فإنه لا يعينني على الحق غيرك ، ولا يؤتيه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب بإذن الله ، والذي بعثني بالحق نبيا ما أخطأ مؤمنا قط . قال ابن عباس فوالله ما لبث علي إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ في مثل ذلك المجلس فقال : يا رسول الله ، إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن ، فإذا قرأتهن على نفسي تفلتت وأنا أعلم اليوم أربعين آية ونحوها ، فإذا قرأتهن علي نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ، ولقد

(1) سورة يوسف ، الآية : 98 .

كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت ، وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرج منها حرفاً! فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : «مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن»⁽¹⁾.



(1) أخرجه الترمذي (563/5 رقم 3570) وقال : حسن غريب . والطبراني (367/11 رقم 12036) والحاكم (461/1 رقم 1190) وقال : صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه أيضاً : الخطيب في الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (2/259 ، رقم 1792) . قال المنذرى (2/236) : طريق أسانيد هذا الحديث جيدة ومتمنه غريب جداً .

الباب الحادي عشر

في قيام الليل

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَلِيلٍ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٧٩) ^(١). وقال تعالى : ﴿نُتَجَّافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية ^(٢). وقال تعالى : ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ^(٣).

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت : لم تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : «أفلا أكون عبدا شكورا» رواه البخاري ومسلم ^(٤). وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال : «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه». أو قال : «أذنه» رواه البخاري ومسلم ^(٥).

وقال ﷺ : «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نائم ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطا

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٧٩.

(٢) سورة السجدة ، الآية : ١٦.

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ١٧.

(٤) البخاري (٤٨٣٧) ، ومسلم (٢٨٢٠) .

(٥) البخاري (١١٩٣/٣) ، رقم ٣٠٩٧ ، ومسلم (٥٣٧/١) ، رقم ٧٧٤ ، وأخرجه أيضا أحمد (٤٢٧/١) ، رقم

٤٠٥٩ ، والنسائي (٢٠٤/٣) ، رقم ١٦٠٨ ، وابن ماجه (٤٢٢/١) ، رقم ١٣٣٠ ، والبيهقي (٤١٧/٥) ، رقم

٢٠٤٩) .

طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» . رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾ .
 قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : القافية آخر الرأس ، وقافية كل شيء آخر ، ومنه قافية الشعر . قال : واختلف العلماء في هذه العقد ؛ فقليل : هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام ، قال الله تعالى ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾⁽²⁾ . فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم ؛ كتأثير السحر ، وقيل : يحتمل أن يكون فعلا يفعله كفعل النفاثات في العقد ، وقيل : هو من عقد القلب وتصميمه ، فكأنه يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليلا طويلا فتأخر عن القيام ، وقيل : هو مجاز عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل . وقوله : «فأصبح نشيطا طيب النفس» . معناه : لسروره بما وفقه الله الكريم من الطاعة ووعد به من ثوابه مع ما يبارك له في نفسه وتصرفه في كل أموره مع ما زالت عنه من عقد الشيطان وتثبيته . وقوله : «وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» . معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه وإماتته واستيلائه ، مع أنه لا يزل ذلك عنه ، فظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان⁽³⁾ .

وقال ﷺ : «أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام» . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح⁽⁴⁾ .

(1) البخاري (383/1) رقم (1091) ، ومسلم (538/1) رقم (776) ، وأخرجه أيضا مالك (176/1) ، رقم (424) ، وأحمد (243/2) رقم (7306) ، وأبو داود (32/2) رقم (1306) ، والنسائي (203/3) رقم (1607) ، وابن ماجه (421/1) رقم (1329) ، وابن حبان (293/6) رقم (2553) .

(2) سورة الفلق ، الآية : 4 .

(3) شرح صحيح مسلم 127/3 .

(4) الترمذي (652/4) رقم (2485) ، وقال : صحيح . وأخرجه أيضا ابن أبي شيبه (257/7) ، رقم =

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». رواه مسلم (1).

وقال صلى الله عليه وسلم: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود؛ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً». رواه البخاري ومسلم (2).

وقال ﷺ: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً أمر من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة». رواه مسلم (3).

وقال ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل». رواه مسلم (4).

-
- = (35847)، وأحمد (5/ 451)، رقم (23835)، وعبد بن حميد (ص 179، رقم 496)، والدارمي (1/ 405)، رقم (1460)، وابن ماجه (1/ 423)، رقم (1334) وابن سعد (1/ 235)، والحاكم (3/ 14)، رقم (4283)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والضياء (9/ 433 رقم 404).
- (1) أخرجه النسائي في الكبرى (2/ 171، رقم 2904).
- (2) أخرجه أحمد (2/ 160، رقم 6491)، والبخاري (3/ 1257، رقم 3238)، ومسلم (2/ 816، رقم 1159)، وأبو داود (2/ 327، رقم 2448)، والنسائي (3/ 214، رقم 1630)، وابن ماجه (1/ 546، رقم 1712). وأخرجه أيضاً: الحميدى (2/ 269، رقم 589)، والدارمي (2/ 33، رقم 1752)، والبخاري (6/ 356، رقم 2364)، وابن خزيمة (2/ 181، رقم 1145)، وابن حبان (6/ 325، رقم 2590)، والبيهقي (3/ 3، رقم 4432)، والديلمي (1/ 366، رقم 1477).
- (3) أخرجه أحمد (3/ 331، رقم 14584)، ومسلم (1/ 521، رقم 757)، وابن حبان (6/ 301، رقم 2561). وأخرجه أيضاً: أبو يعلى (3/ 422، رقم 1911).
- (4) أخرجه أحمد (1/ 32، رقم 220)، والدارمي (1/ 412، رقم 1477)، ومسلم (1/ 515، رقم 747)، وأبو داود (2/ 34، رقم 1313)، والترمذي (2/ 474، رقم 581) وقال: حسن صحيح. والنسائي (3/ 259، رقم 1790)، وابن حبان (6/ 370، رقم 2643)، وأبو يعلى (1/ 202، رقم 235). وأخرجه أيضاً: عبد الرزاق (3/ 50، رقم 4748)، والبخاري (1/ 428، رقم 302) وابن ماجه (1/ 426، رقم 1343)، وابن خزيمة (2/ 195، رقم 1171)، والبيهقي (2/ 485، رقم 4340).

وقال رحمه الله : «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء». رواه أبو داود بإسناد صحيح⁽¹⁾.

وقيل : يا رسول الله ، أي الدعاء أسمع؟ قال : «جوف الليل الآخرة ودبر الصلوات المكتوبات»⁽²⁾.

وقال الحسن - رَحِمَهُ اللهُ - : ما تعمل عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال . فقيل له : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ قال : إنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره⁽³⁾.

وقال الفضيل - رَحِمَهُ اللهُ - : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار ، فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك .

وقال الربيع : بت في منزل الشافعي - رضي الله تعالى عنه - الليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا⁽⁴⁾.

وكان أبو حنيفة - رَحِمَهُ اللهُ - يقوم نصف الليل ، فمر بقوم فقالوا : إن هذا يحيي الليل كله . فقال : إني أوصف بما لا أفعل ، فكان بعد ذلك يحيي الليل كله⁽⁵⁾.

(1) أخرجه أحمد (2/ 250، رقم 7404)، وأبو داود (2/ 33، رقم 1308)، والنسائي (3/ 205، رقم 1610)، وابن ماجه (1/ 424، رقم 1336)، والحاكم (1/ 453، رقم 1164) وقال : صحيح على شرط مسلم . وابن حبان (6/ 306، رقم 2567)، والبيهقي (2/ 501، رقم 4419) . وأخرجه أيضًا : ابن خزيمة (2/ 183، رقم 1148) .

(2) أخرجه أبو يعلى (10/ 48، رقم 5682)، والطبراني في الأوسط (3/ 370، رقم 3428)، وفي الصغير (1/ 222، رقم 355)

(3) إحياء علوم الدين 1/ 354.

(4) إحياء علوم الدين 1/ 354.

(5) إحياء علوم الدين 1/ 354.

كتاب الصدقة

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول في فضلها

قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾⁽¹⁾. وقال تعالى : ﴿ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾⁽²⁾. أي : تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتكم وأعظم أجرا من الذي أخرتم ولم تقدموه . عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا : يا رسول الله ، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال : «فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر»⁽³⁾. رواه البخاري .

وقال ﷺ : «ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل» . رواه مسلم⁽⁴⁾. قال النووي : - رَحِمَهُ اللَّهُ - قيل : معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المفسدات ، فيجبر نقص الصورة بالبركة الخفية ، وهذا مدرك بالحس والعادة . وقيل : إنه وإن نقصت صورته كان في

(1) سورة التوبة ، الآية : 103 .

(2) سورة المزمل ، الآية : 20 .

(3) أخرجه البخاري (5/2366 ، رقم 6077) ، والنسائي (6/237 ، رقم 3612) . وأخرجه أيضًا : البخاري في الأدب المفرد (1/65 ، رقم 153) ، وأبو يعلى (9/97 ، رقم 5163) ، والشاشي (2/261 ، رقم 836) ، والبيهقي في الكبرى (3/368 ، رقم 6301) ، وشعب الإيمان (3/205 ، رقم 3331) ، والدليمي (4/37 ، رقم 6114) .

(4) أخرجه أحمد (2/235 ، رقم 7205) ، ومسلم (4/2001 ، رقم 2588) ، والترمذي (4/376 ، رقم 2029) وقال : حسن صحيح . وابن حبان (8/40 ، رقم 3248) . وأخرجه أيضًا : الدارمي (1/486 ، رقم 1676) وأبو يعلى (11/344 ، رقم 6458) ، والبيهقي في السنن الكبرى (8/161 ، رقم 16423) ، وفي شعب الإيمان (6/258 ، رقم 8071) .

الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة⁽¹⁾.

وقوله ﷺ: «وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا». قيل: هو على ظاهره وإن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه. وقيل: المراد أجره في الآخرة وعزه هناك⁽²⁾.

وقوله: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». قيل: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة يرفعه الله عند الناس، ويجل مكانه. وقيل: المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا⁽³⁾.

وقال ﷺ: «ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»، أو كلمة نحوه. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح⁽⁴⁾.

وقال ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبال»⁽⁵⁾. رواه البخاري ومسلم. قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: الفلو بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضا بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو، وهو المهر⁽⁶⁾.

(1) شرح صحيح مسلم 8/399.

(2) شرح صحيح مسلم 8/399.

(3) شرح صحيح مسلم 8/399.

(4) أخرجه أحمد (4/231، رقم 18060)، والترمذي (4/562، رقم 2325) وقال: حسن صحيح.

(5) أخرجه أحمد (2/331، 8363)، والبخاري (2/511، رقم 1344)، ومسلم (2/702، رقم 1014)، ومالك (2/995، رقم 1806)، والنسائي في الكبرى (4/413، رقم 7735)، وابن حبان (8/113، رقم 3319)، والبيهقي (4/176، رقم 7535).

(6) شرح صحيح مسلم 8/399.

وقال عليه السلام : «أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا عَلَى عَرِي كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مِنَ الرَّحِيقِ الْخَثُومِ» . رواه أبو داود ⁽¹⁾ .

وقال عليه السلام : «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» . قالوا : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ؟ قال : «فِيأْمُرُ بِالْخَيْرِ» . قالوا : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ؟ قال : «فِيَمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ» ⁽²⁾ .

وقال عليه السلام : «الصَّدَقَةُ تَطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يَطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ» ⁽³⁾ .

وقال عليه السلام : «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، وَأَنْ مِنْ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ ، وَأَنْ تَفْرَغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ» ⁽⁴⁾ .

وقال عليه السلام : «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي . وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ؟ أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ ؟ أَوْ تَصَدَقْتَ فَأَمْضَيْتَ ؟» ⁽⁵⁾ .

-
- (1) أخرجه أحمد (13/3 ، رقم 11116) ، وأبو داود (2/130 ، رقم 1682) ، والترمذي (4/633 ، رقم 2449) ، وقال : غريب . وأبو يعلى (2/360 ، رقم 1111) ، والبيهقي (4/185 ، رقم 7594) .
- (2) أخرجه أحمد (4/395 ، رقم 19549) ، والبخاري (2/524 ، رقم 1376) ، ومسلم (2/699 ، رقم 1008) ، والنسائي في الكبرى (2/35 ، رقم 2318) . والطيالسي (ص 67 ، رقم 495) ، وعبد بن حميد (ص 197 ، رقم 561) ، والدارمي (2/399 ، رقم 2747) ، والبغوي في الجعديات (1/92 ، رقم 535) ، والبزار (8/102 ، رقم 3100) .
- (3) أخرجه ابن حبان (8/103 ، رقم 3309) ، والبيهقي في شعب الإيمان (3/213 ، رقم 3351) ، والضياء (5/219 ، رقم 1848) ، والديلمي (2/413 ، رقم 3834) .
- (4) أخرجه أحمد (3/344 ، رقم 14751) ، وعبد بن حميد (ص 329 ، رقم 1090) ، والترمذي (4/347 ، رقم 1970) ، وقال : حسن . والدارقطني (3/28) ، والحاكم (2/57 ، رقم 2311) ، وقال : صحيح ولم يخرجاه . والبخاري في الأدب (1/114 ، رقم 304) ، والطبراني في الأوسط (9/31 ، رقم 9044) .
- (5) أخرجه ابن المبارك في الزهد (1/170 ، رقم 497) ، والطيالسي (ص 156 ، رقم 1148) ، وأحمد (4/24 ، رقم 16349) ، وعبد بن حميد (ص 183 ، رقم 513) ، ومسلم (4/2273 ، رقم 2958) ، والترمذي (4/572 ، رقم 2342) وقال : حسن صحيح . والنسائي (6/238 ، رقم 3613) ، وابن=

وروى عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أنها قالت : يا رسول الله ، ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ قال : «الماء والملح والنار» . قالت : قلت : يا رسول الله ، هذا الماء فقد عرفناه ، فما بال الملح والنار؟ فقال : «يا حميراء ، من أعطى نارا فكأنما تصدق بجميع ما أنضجت تلك النار ، ومن أعطى ملحاً فكأنما تصدق بجميع ما طيبت تلك الملح ، فمن سقى مسلماً شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ، ومن سقى شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياها» . رواه ابن ماجه (1).

وقال عبيد بن عمير : يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا وأعطش ما كانوا ، فمن أطعم في الدنيا أطعمه الله ، ومن سقى سقاه الله ، ومن كسا كساه الله (2).

وقال الحسن البصري : لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ، ولكنه ابتلي بعضكم ببعض (3).

ويقال : إن الحسن مرَّ به نَخَّاس ومعه جارية ، فقال : أترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين؟ قال : لا . قال : فاذهب فإن الله قد رضي في ثمن الحور العين بالفلس واللقمة (4).

حكى أن رجلاً من أهل البصرة كانت له ماشية عظيمة ، وكان قليلة الصدقة

=حبان (8/120 ، رقم 3327) . وأخرجه أيضًا : الحاكم (2/582 ، رقم 3969) وقال : صحيح الإسناد وليس من شرط الشيخين .

(1) أخرجه ابن ماجه (2/826 ، رقم 2474) ، قال البوصيري (3/81) : هذا إسناد ضعيف . وابن عساكر من طريق ابن زنجويه (2/377) .

(2) الديلمي (8783) .

(3) إحياء علوم الدين 1/237 .

(4) إحياء علوم الدين 1/238 .

فتصدق ذات يوم بسخلة، فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت، وكان ماشيته قد أقبلت عليه تنطحه، والسخلة تحامي عنه، فانتبه مرعوبا، فكان بعد ذلك يجزل العطية ويبدل الصدقة.

وكان بعض الصالحين إذا دخلت الفواكه إلى السوق يشتري منها ويحملها إلى مكاتب الصبيان ويقول للمعلم: هل عندك فقير أو يتيم؟ فيقول: هذا وهذا. فمن أشار إليه أطعمه من تلك الفواكه. فلما مات الرجل روي في المنام وهو في بستان كثير الفواكه، وهو يأكل منها ما أحب، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أَطْعَمْنَا فَأُطْعِمْنَا.

وحكي أن سائلا سأل الحسن البصري - رَحِمَهُ اللهُ - فنهض ونزع بعض ثيابه، فدفعه إلى السائل، فقيل له: لو صبرت حتى تأتي منزلك لكان أحسن. فقال: اعلم أنه جاء إلى منزلنا هذا سائل فشكا الجوع، فغفلنا عنه فانصرفنا وتركناه في المسجد، فأصبح ميتا فكفناه ودفناه، فلما كان من الغد وجدنا الكفن مطروحا في الحراب وعليه مكتوب: خذوا كفنكم هذا؛ فإن الله لم يقبله. قال الحسن: فآليت على نفسي ألا أؤخر عطاء سائل ولا أرده خائبا أبدا.

قال بعض السادة: جلس رجل من المسرفين في مجلس شرا به فدفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري له ريحانا لمجلسه، فَمَرَّ الغلام بمجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير بين يديه، فوقف بين الناس، فسمعتة يقول: كتبت لهذا الفقير أربعة دراهم فمن دفعها إليه دعوت له أربع دعوات. فدفع له الغلام الدراهم، فقال له منصور: ما الذي تريد أن أدعو لك به؟ فقال لي: سيد أريد أن أتخلص منه. فدعا له بذلك، ثم قال: وما تريد أن أدعو لك ثانية؟ فقال له: أحب أن تخلف علي هذه الدراهم. فدعا له، فقال: فما الدعوة الثالثة؟ قال: أحب أن يتوب الله على سيدي، فدعا له بذلك، وساله عن الرابعة فقال:

أحب أن يغفر الله لي ولسيدي ولك ولجميع المسلمين والحاضرين . فدعا له منصور بذلك ورجع الغلام ، فقال له سيده : أبطأت علي وأين الحاجة التي أنفذتك فيها؟ فقص عليه القصة ، فقال له أخبرني بالذي دعا لك به؟ فقال : سألتُ لنفسي العتق . فقال : أنت حر لوجه الله ، فما الثانية؟ فقال : سألته أن تخلف علي الدراهم التي دفعت إليه . فقال له : لك من مالي أربعمئة درهم ، فما الثالثة؟ قال : سألته أن يتوب الله عليك . فقال : إني أشهد الله تعالى على أنني تائب من جميع معاصيه ، فما الرابعة؟ قال : سألت أن يغفر الله لي ولك ولأهل مجلسه ولجميع المسلمين . فقال له : هذا لله تعالى فلا قدرة لي عليه . فلما كان بالليل هتف به هاتف في منامه فقال له : يقول لك المولى جلت قدرته : فعلت ما كان لك قدرة عليه وأنت عبدي وذلك بمعونتي ، أتراني أفعل ما يكون إلي وأنا المولى الكريم ولا راد لمشيئتي؟ قد غفرت لك وللغلام ولنصور بن عمار ، ولجميع من كان في مجلسه⁽¹⁾.



(1) تفسير حقي 8/ 389.

الباب الثاني

في الحث على أداء الزكاة

قال الله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾⁽¹⁾. وقال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾⁽²⁾.

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «بني الإسلام علي خمس ؛ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان»⁽³⁾.

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى»⁽⁴⁾. رواهما البخاري ومسلم .

(1) سورة البقرة ، الآية : 43 .

(2) سورة البينة ، الآية : 5 .

(3) أخرجه أحمد (2/ 120 ، رقم 6015) ، والبخاري (1/ 12 ، رقم 8) ، ومسلم (1/ 45 ، رقم 16) ، والترمذي (5/ 5 ، رقم 2609) وقال : حسن صحيح . والنسائي (8/ 107 ، رقم 5001) ، وابن حبان (1/ 374 ، رقم 158) . وأبو يعلى (10/ 164 ، رقم 5788) ، وابن خزيمة (1/ 159 ، رقم 309) ، والطبراني (12/ 309 ، رقم 13203) ، والبيهقي (4/ 81 ، رقم 7013) .

(4) أخرجه أحمد (2/ 502 ، رقم 10525) ، والبخاري (2/ 507 ، رقم 1335) ، ومسلم (1/ 52 ، رقم 21) ، وأبو داود (3/ 44 ، رقم 2640) ، والترمذي (5/ 3 ، رقم 2606) وقال : حسن صحيح . والنسائي (7/ 77 ، رقم 3971) ، وابن ماجه (2/ 1295 ، رقم 3927) من حديث أبي هريرة .

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال : «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» . رواه البخاري ومسلم (1).

وقد احتجَّ به على وجوب صرف الزكاة في بلدها ، واشترط إسلام الفقير ، وأنها تجب في مال الطفل الغني عملاً بعمومه .

وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قاتل مانعي الزكاة ، وقال : والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها (2).

وعن معاذ بن جبل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال : «لقد سألت عن شيء عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ؛ تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ، الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل» ثم تلا : ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ (3). ثم قال : «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام من أسلم

(1) البخاري (1496) ، ومسلم (130) .

(2) أخرجه الشافعي (208/1) ، والبيهقي (8/176 ، رقم 16508) .

(3) سورة السجدة ، الآية : 16 .

سلم ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد» . ثم قال : «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه ثم قال : «كف عليك هذا» قلت : يا رسول الله ، وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! فقال : «ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم» . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح (1).

وعن علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : «إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم وليس عليك شيء - يعني في الذهب - حتى يكون لك عشرون دينارا ، فإذا كانت لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار» . رواه أبو داود (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة ، وليس فيما دونه خمسة أوسق من التمر صدقة» . رواه مسلم (3).

وقال رسول الله ﷺ : «فيما سقت السماء والعيون أو كان عَشْرِيًّا العشر ، وفيما سقي بالنضح نصف العشر» . رواه البخاري (4).



(1) الترمذی (5/ 11، رقم 2616)، وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضا الطيالسي (ص 76، رقم 560)، وأحمد (5/ 231، رقم 22069)، وابن ماجه (2/ 1314، رقم 3973)، والحاكم (2/ 447، رقم 3548)، وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 13، رقم 4225)، والطبرانی (20/ 143، رقم 292) .

(2) أبو داود (1575)، وأخرجه أيضا البيهقي في الكبرى (4/ 138).

(3) مسلم (2318) .

(4) البخاري (1483) .

الباب الثالث

في التشديد على تارك الزكاة

قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (1). قال ابن عمر : كل مال تؤدي زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا ، وكل مال لا تؤدي زكاته فهو كنز وإن لم يكن مدفونا (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «نعم المال الصالح للرجل الصالح» (3).

وروى مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما نزلت هذه الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا : ما يستطيع أحد منا يدع لولده شيئا ! فذكر عمر لرسول الله ﷺ ذلك فقال : «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم» (4).

وسئل ابن عمر عن هذه الآية فقال : كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت جعلها الله طهرا للأموال (5).

(1) سورة التوبة ، الآيتان : 34 ، 35.

(2) أخرجه الطبراني (23/ 281 ، رقم 613) ، والبيهقي (4/ 83 ، رقم 7026) ، والدارقطني (2/ 105) ، والحاكم (1/ 547 ، رقم 1438) .

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 3/ 290.

(4) أخرجه أبو داود (2/ 126 ، رقم 1664) ، وأبو يعلى (4/ 378 ، رقم 2499) قال الهيثمي (7/ 30) : فيه عثمان بن عمير وهو ضعيف . والحاكم (1/ 567 ، رقم 1487) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي (4/ 83 ، رقم 7027) .

(5) البخاري 5/ 355.

وقال ابن عمر : ما أبالي لو كان لي مثل أحد ذهباً أعلم عدده ، أركيه وأعمل بطاعة الله عز وجل (1).

قال تعالى : ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا﴾ (2). أي : تدخل النار فيوقد عليها ، يعني : الكنوز . ﴿فَتُكَوَّى﴾ فيحرق بها جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم (3).

روى عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ، ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل درهم ودينار في موضع على حدته (4).

وسئل أبو بكر الوراق - رَحِمَهُ اللَّهُ - : لم خصت الجباه والجنوب والظهور بالكي؟ قال : لأن الغني صاحب الكنز إذا رأى الفقير قبض جبهته ، وزوى ما بين عينيه ، وولى ظهره ، وأعرض عنه كشحه (5).

وقال القرطبي في التذكرة : قالت الصوفية : لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم ، ولما طووا كشحا عن الفقير إذا جالسهم كويت جنوبهم ، ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتمادا عليها كويت ظهورهم (6).

قوله : ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ . أي : يقال لهم : هذا ما كنزتم لأنفسكم ﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ﴾ . أي : تمنعون حقوق الله في أموالكم .

قال رسول الله ﷺ : «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثِّلَ له ماله يوم القيامة

(1) تفسير البغوي 43/4 ، والدر المنثور 57/5.

(2) سورة التوبة ، الآية : 35.

(3) البغوي 43/4.

(4) البغوي 44/4.

(5) البغوي 44/4.

(6) التذكرة 340.

شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه ، ثم يأخذ بلهزميته - يعني شذقيه - ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك . ثم تلا : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (1). رواه البخاري (2). الزبيبتان الزبدتان في الشدقين ، وقيل هما النكتتان السوداءوان فوق عينيه .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من رجل يكون له إبل ، أو بقرة ، أو غنم لا يؤدي حقها ، إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما جازت أحرارها ردت عليه أولاهها ، حتى يقضي بين الناس» (3).
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أول ثلاثة يدخلون النار ؛ أمير مسلط ، وذو ثروة لا يؤدي حق الله من ماله ، وفقير فخور» (4).

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي ﷺ قال : «خمس بخمس ؛ ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا فشا فيهم الطاعون ، ولا طففوا الكيل إلا منع منهم النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر» (5).
وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ أنه قال : «لم تظهر

(1) سورة آل عمران ، الآية : 180.

(2) أخرجه البخاري (508/2 رقم 1338) ، وأخرجه أيضًا : النسائي في الكبرى (20/2 رقم 2261) ، وأحمد (355/2 رقم 8646) ، والبيهقي (81/4 رقم 7015) .

(3) أخرجه مسلم (686/2 رقم 990) ، والنسائي (29/5 رقم 2456) ، وابن ماجه (569/1 رقم 1785) .

(4) أخرجه أحمد (425/2 رقم 9488) ، وابن أبي شيبة (268/7 رقم 35969) ، والحاكم (544/1 رقم 1429) ، والبيهقي (82/4 رقم 7019) . وأخرجه أيضًا : ابن المبارك في الجهاد (ص 51 ، رقم 46) ، وابن خزيمة (8/4 رقم 2249) .

(5) أخرجه الطبراني (45/11 رقم 10992) ، والديلمي (197/2 رقم 2978) .

الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقصوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم فأخذ بعضهم ما كان في أيديهم ، وإذا لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» . رواه ابن ماجه (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة ؛ يقولون : ربنا ظلمونا حقوقنا التي افترضت لنا عليهم . فيقول الله تعالى : وعزتي وجلالي لأديننكم ولأبعدنهم» (2). ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (3).

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : أمرنا بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ومن لم يترك فلا صلاة له (4).

وروى الأصبهاني عن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : لعن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله وشاهده وكتابه والواشمة والمستوشمة ، ومانع الصدقة ، والمحلل والمحلل له (5).

(1) أخرجه ابن ماجه (2/1332، رقم 4019)، وأبو نعيم (8/333)، والحاكم (4/583، رقم 8623) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (3/197، رقم 3315)، وابن عساكر (35/260).

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (5/107، رقم 4813)، والصغير (2/13، رقم 693)، والديلمي (4/392، رقم 7137).

(3) سورة المعارج، الآيتان : 24، 25.

(4) أخرجه الطبري 14/153، والطبراني في الكبير 10/103.

(5) أخرجه أحمد (1/393، رقم 3725)، وأبو داود (3/244، رقم 3333)، والترمذي (3/512، رقم 1206)، وقال : حسن صحيح، وابن ماجه (2/764، رقم 2277).

الباب الرابع في فوائد الصدقة

وهي كثيرة لا تحصى ، ونقتصر منها على عشر فوائد :

الفائدة الأولى : أنها تطهر المال ؛ قال ﷺ : « يا معشر التجار ، إن البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة »⁽¹⁾.

الثانية : أنها تطهر صاحبها من الذنوب ؛ قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾⁽²⁾.

الثالثة : أنها ترفع البلاء والأمراض ؛ قال ﷺ : « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر »⁽³⁾. وقال ﷺ : « داووا مرضاكم بالصدقة »⁽⁴⁾. وقال ﷺ : « من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر من الله ما دام عليه منه خيط أو سلك » . رواه الحاكم⁽⁵⁾.

وذكر ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ - في روضة المشتاق عن رسول الله ﷺ :
بينما رجل وامرأته يتعشيان وقد رفعت المرأة اللقمة إلى فيها ، فإذا سائل على الباب فأثرت به ، فلما أصبحت غدا زوجها إلى زرعه ، فلما كان وقت غدائه حملت إليه

(1) أخرجه أبو داود (242/3 ، رقم 3326) ، والحاكم (5/2 ، رقم 2138) وقال : صحيح الإسناد ، والبيهقي (265/5 ، رقم 10192) .

(2) سورة التوبة ، الآية : 103 .

(3) أخرجه الطبراني (274/4 ، رقم 4402) ، والديلمي (413/2 ، رقم 3835) .

(4) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (282/3 ، رقم 3557) .

(5) أخرجه الحاكم (217/4 ، رقم 7422) وقال : صحيح الإسناد .

طعاما وولدها على يدها ، فمرت ببقل أخضر فقالت : لو أخذت من هذا البقل مع هذا الطعام لكان أمثل . فألقت ولدها وأقبلت تحش من البقل ، فمر ذئب فاحتمله ، فاستقبلت القبلة وقالت : اللهم إن كنت تعلم أنني رفعت اللقمة وأنا أشتهيها فهتف بي سائل على الباب فأثرت به على نفسي من أجلك ورغبة فيما لديك ، وقد وقفت ببابك فأعد علي ولدي . فكرر الذئب راجعا حتى إذا كان قريبا منها ألقي إليها ولدها وقال : هذه اللقمة بتلك اللقمة (1).

الرابعة : أن فيها إدخال السرور على المساكين ، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين ؛ قال ﷺ : «موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم وإشباع جوعه وتنفيس كربته» (2).

الخامسة : أن المال يُبارك فيه ويكثر بسببها ؛ قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ (3). وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا . ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا» (4). وقال ﷺ : «ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته» (5).

السادسة : أنها تُحصّن المال ؛ قال ﷺ : «حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا أنواع البلايا بالدعاء» (6).

(1) تفسير حقي 489/14 ، والمستطرف 24/1 ، وربع الأبرار 160/1 .

(2) أخرجه الرافعي (493/2) ، وأبو نعيم في الحلية (90/7) ، وابن عدي (189/4) ، ترجمة (1003) .

(3) سورة سبأ ، الآية : 39 .

(4) أخرجه البخاري (522/2) ، رقم (1374) ، ومسلم (700/2) ، رقم (1010) ، والنسائي في الكبرى (5/375) ، رقم (9178) ، والبيهقي في شعب الإيمان (423/7) ، رقم (10827) .

(5) أخرجه ابن المبارك (227/1) ، رقم (646) .

(6) أخرجه الطبراني (128/10) ، رقم (10196) ، والبيهقي (382/3) ، رقم (6385) ، والخطيب (20/13) .

وحكي أن بعض التجار كان يخرج زكاة ماله تاما وافيا ويضعها في موضعها، وكان قد بعث مع غلام له بضاعة نفيسة إلى موضع فقطعت تلك القافلة التي كانت بضاعته فيها، فوقع الخبر بأن القافلة قد قطعت، فاغتم التجار كلهم، وكان هو يقول: مالي سالم بحمد الله تعالى. فقيل له: ما يدريك؟! قال: أنا أتحقق ذلك. فلما قدمت القافلة إذا غلامه قد أتى ببضاعته، فقال له: كيف سلمت بضاعتنا؟ فقال له: إن البعير كان قد تفلت فذهبت خلفه، فأخذت القافلة وسلمت بضاعتنا. فسئل التاجر عن ذلك قال: أنا صدقت رسول الله ﷺ واعتمدت على قوله: «**حصنوا أموالكم بالزكاة**». وقد أدت زكاة هذا المال منذ ملكته، فعلمت أنه لا يضيع.

وحكي عن بعض الشيوخ الكبار أنه دخل على بعض التجار بثغر الإسكندرية، فرحب به التاجر وخرج به، فرأى الشيخ في إيوان التاجر بساطين مثنين مستعملين من بلاد الروم على قدر الإيوان، فطلبهما من التاجر، فصعب عليه ذلك وقال له: يا سيدي أنا أعطيك ثمنهما. فقال: ما أطلب إلا إياها. فقال التاجر: إن كان لا بد فخذ أحدهما. فأخذ الشيخ أحد البساطين، وخرج به، وكان للتاجر ابنان مسافران في بلاد الهند؛ كل واحد منهما في مركب، فبعد مدة سمع أبوهما أن أحدهما غرق هو ومركبه وجميع ما كان فيه، ووصل الابن الآخر إلى عدن سالما، فبعد مدة وصل إلى قريب الإسكندرية، فخرج أبوه إلى ظاهر البلد، فرأى البساط الذي أخذه الشيخ منه بعينه على بعض الجمال، فسأل ابنه عن ذلك ومن أين هو له؟ فقال له: يا أبت لهذا البساط قصة عجيبة وآية عظيمة! فقال له أبوه: أخبرني بذلك يا بني. فقال: سافرت أنا وأخي في ريح طيبة من بلاد الهند، كل منا في مركبه، فلما توسطنا البحر عصفت علينا الريح واشتد علينا الأمر، وانفتح المركبان واشتغل أهل كل مركب بمركبه، وأسلم كل

منا أمره إلى الله تعالى ، وإذا بشيخ قد ظهر لنا وفي يده هذا البساط ، فسد به مركبنا وسرنا بالسلامة والمركب مسدود بهذا البساط إلى أن وصلنا إلى بعض المراسي ، فنجينا مما كنا فيه . فقال التاجر لابنه : أتعرف الشيخ إذا رأيته؟ قال : نعم . فذهب به إليه فلما رآه قال هو والله يا أبت . فقال التاجر للشيخ : لم لا عرفتني بحقيقة الأمر يا سيدي حتى أعطيتك البساطين كلاهما ، أستغفر الله العظيم وأتوب إليه . فقال الشيخ : هكذا أراد الله عز وجل .

السابعة : أنها تظل صاحبها يوم القيامة من شدة الحر ؛ قال رسول الله ﷺ : «كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس»⁽¹⁾.

الثامنة : أن فيها رضا الله تعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽²⁾. وقال ﷺ : «صدقة السر تطفئ غضب الرب»⁽³⁾.

التاسعة : أنها تغيظ الشيطان ؛ روى الحاكم عن النبي ﷺ أنه قال : «ما يخرج رجل شيئاً من الصدقة حتى يفك عنها لحي سبعين شيطانا»⁽⁴⁾.

وقال الله تعالى : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾⁽⁵⁾. وقال سفيان : ليس للشيطان سلاح على العبد أشد من خوف الفقر ، فإذا قبل ذلك منه

(1) أخرجه ابن المبارك في الزهد (1/227 ، رقم 645) ، وأحمد (4/147 ، رقم 17371) ، وابن حبان (8/104 ، رقم 3310) ، والطبراني (17/280 ، رقم 771) ، وأبو نعيم (8/181) ، والحاكم (1/576 ، رقم 1517) ، وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (4/177 ، رقم 7540) .

(2) سورة البقرة ، الآية : 195 .

(3) أخرجه الطبراني في الكبير (19/421 ، رقم 1018) ، والأوسط (3/378 ، رقم 3450) .

(4) أخرجه الحاكم (1/577 ، رقم 1521) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، والبيهقي في شعب الإيمان (3/257 ، رقم 3474) ، وأحمد (5/350 ، رقم 23012) .

(5) سورة البقرة ، الآية : 268 .

أخذ من الباطل ، ومنع من الحق ، وتكلم بالهوى ، وظن بربه تعالى ظن السوء⁽¹⁾.

العاشرة: أن فيها الاقتداء بالأنبياء والصالحين ؛ ففي الصحيحين عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال : لا . ويروى أنه ﷺ حملت إليه تسعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منها⁽²⁾.

وكان ﷺ لا يكل خصلتين إلى غيره ، كان يضع طهوره بالليل ويخمر بيده ، وكان يناول المسكين بيده⁽³⁾.

وعن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك ما لا عندي ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر ، إن⁽⁴⁾ سبقته يوما ، فجئت بنصف مالي ، فقال لي رسول الله ﷺ : «ما أبقيت لأهلك؟» . فقلت : مثله . قال : وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : «ما أبقيت لأهلك؟» . فقال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : لا أسألك إلى شيء أبدا⁽⁵⁾.

قال : واشترى عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بئر رومة بعشرين ألفا وسبَّلَهَا للمسلمين⁽⁶⁾.

(1) إحياء علوم الدين 2/ 236 ، والزواجر عن اقتراف الكبائر 216.

(2) الشفا 1/ 91 ، وإحياء علوم الدين 2/ 200.

(3) إحياء علوم الدين 1/ 182.

(4) أي : ما .

(5) أخرجه الدارمي (1/ 480 ، رقم 1660) ، وأبو داود (2/ 129 ، رقم 1678) ، والترمذي (5/ 614 ، رقم 3675) وقال : حسن صحيح ، وابن أبي عاصم (2/ 579 ، رقم 1240) ، والحاكم (1/ 574 ، رقم 1510) ، وأبو نعيم في الحلية (1/ 32) ، والضياء (1/ 173 ، رقم 81) .

(6) أخرجه أحمد (1/ 59 ، رقم 420) ، والنسائي (6/ 236 ، رقم 3609) ، والدارقطني (4/ 198) ، وابن أبي عاصم (2/ 595 ، رقم 1309) ، والضياء (1/ 528 ، رقم 395) .

وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْهَرَسِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ الآية (1): نزلت في علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدق بدرهم ليلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية (2).

وقال السدي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (3). أراد به عليًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مرَّ به سائل وهو راعٍ في المسجد، فأعطاه خاتمه (4).

وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - في قوله تعالى : ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (5): إنها نزلت في علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وذلك أنه عمل ليهودي بشيء من شعير، فقبض الشعير فطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه، فلما تم إنضاجه أتى مسكين فسأله، فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم أتى يتيم سأل، فأطعموه، ثم عمل الثالث الباقي فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه وطووا يومهم ذلك (6).

وقال عروة بن الزبير (7) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : تصدقت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ

(1) سورة البقرة، الآية : 247.

(2) تفسير البغوي 1/ 339.

(3) سورة المائدة، الآية : 55.

(4) الطبري 10/ 425، والبغوي 3/ 73.

(5) سورة الإنسان، الآية : 8.

(6) الدر المنثور 10/ 166.

(7) هو : عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله : أحد الفقهاء السبعة بالمدينة . كان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، لم يدخل في شيء من الفتن . وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين . وعاد إلى المدينة فتوفي فيها . و«بئر عروة» بالمدينة منسوبة إليه . =

عَنْهَا - يوما بخمسين ألفا، وإن درعها لمرقع⁽¹⁾.

ويروى أن مسكينا سألها وهي صائمة وليس عندها في بيتها إلا رغيف، فقات لمولاة لها: أعطيتها إياه. فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه! فقالت: أعطيتها إياه. ففعلت، فلما مست أهدي لها شاة وكفنها، أي: ما يسترها من طعام وغيره، فدعتها عائشة وقالت لها: كلي هذا خير من قرصك⁽²⁾.

وروى أن يوسف عليه السلام لما جُعل على خزائن الأرض جعل أهل مصر يبتاعون منه الطعام، فباعهم أول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم إلا قبضه، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر، وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء، وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار عبدا له، فقال الناس: ما رأينا ملكا أجل ولا أعظم من هذا. ثم قال يوسف للملك: كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فيما ترى؟ قال الملك: الرأي إليك ونحن لك تبع. قال: فإني أشهد الله وأشهدك أنني أعتقت أهل مصر ورددت عليهم أملاكهم⁽³⁾.

وروى أن يوسف كان لا يشبع من طعام في تلك الأيام، فقليل له: أتجوع ويبد خزائن الأرض؟! فقال: أخاف إن شبت أن أنسى الجائع. وأمر يوسف طباطبا أن يجعل غداءه نصف النهار، وأراد بذلك أن يذيق الملك طعم الجوع

= ترجمته في طبقات ابن سعد 5/ 178، طبقات خليفة (2066)، وطبقات الفقهاء للشيرازي 58، تاريخ دمشق 11/ 280، ووفيات الأعيان 3/ 255، وتاريخ الاسلام 4/ 31، وتذكرة الحفاظ 1/ 58، وطبقات الحفاظ للسيوطي 23، وسير أعلام النبلاء 4/ 421.

(1) الزهد لابن المبارك 1/ 260 (754).

(2) موطأ مالك (1848).

(3) تفسير القرطبي 9/ 219.

فلا ينسى الجائع ، فمن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار⁽¹⁾.

وروي أنه قيل ليعقوب - عليه السلام - : ما الذي أذهب بصرك ، وقوس ظهرك؟ قال : أذهب بصري بكائي على يوسف ، وقوس ظهري حزني على أخيه . فأوحى الله إليه : أتشكوني؟! وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني . فعند ذلك قال : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾⁽²⁾ . فأوحى الله إليه : وعزتي وجلالي ، لو كانا ميتين لأحييتهما لك ، وإنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة ، فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيئا ، وإن أحب خلقي إلي الأنبياء ثم المساكين ، فاصنع طعاما فادع إليه المساكين ، فصنع طعاما ثم قال : من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب⁽³⁾.

وروي أنه كان بعد ذلك ينادي كل يوم : من أراد الغداء فليأت يعقوب ، وإذا أفطر أمر من ينادي : من أراد أن يفطر فليأت يعقوب . فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين⁽⁴⁾ . فقال وهب بن منبه : أوحى الله إلى يعقوب : أتدري ما عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين؟ قال : لا يا إلهي . قال : لأنك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه⁽⁵⁾.

وروي أن سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلا بين يدي أمه وهو يخور .



(1) السابق : نفس الموضع .

(2) سورة يوسف ، الآية : 86 .

(3) أخرجه الحاكم (2/ 378 ، رقم 3328) ، وقال : صحيح .

(4) تابع للحديث السابق .

(5) تفسير البغوي 4/ 296 .

الباب الخامس
في آداب معطي الصدقة وقابضها

وفيه فصلان :

الفصل الأول

في آداب المعطي

الأدب الأول : قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : ينبغي أن يفهم المراد من الزكاة ، وهو ثلاثة أشياء : ابتلاء مدعي محبة الله تعالى بإخراج محبوبه ، والتنزه عن صفة البخل المهلك ، وشكر نعمة المال ⁽¹⁾.

الثاني : إخفاؤها ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ ⁽²⁾. أي : تظهروها فنعمنا هي ، أي : فنعم الخصلة هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ⁽³⁾.

قال الواحدي - رَحِمَهُ اللهُ - جمهور المفسرين على أن المراد بالصدقات في هذه الآية التطوع لا الفرض ؛ لأن الفرض إظهاره أفضل من كتمانها ، والتطوع كتمانها أفضل ⁽⁴⁾. وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : «رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» ⁽⁵⁾.

قال ابن الملقن - رَحِمَهُ اللهُ - : الأفضل في الزكاة إظهارها ؛ لئلا يساء الظن به في ترك الواجب ، وهي كالصلاة في أن الأولى إظهار فرضها وإخفاء نفلها .

(1) إحياء علوم الدين 1/ 226.

(2) سورة البقرة ، الآية : 271.

(3) إحياء علوم الدين 1/ 226.

(4) تفسير القرطبي 3/ 333.

(5) أخرجه أحمد (2/ 439 ، رقم 9663) ، والبخاري (1/ 234 ، رقم 629) ، ومسلم (2/ 715 ، رقم

1031) ، والنسائي في الكبرى (3/ 461 ، رقم 5921) ، وابن حبان (10/ 338 ، رقم 4486) ، وابن

خزيمة (1/ 185 ، رقم 358) .

كذا أطلقه القاضي وغيره . وعن ابن عباس : صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا ، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا⁽¹⁾.

قال الماوردي : هذا في الأموال الظاهرة ، فأما الباطنة فالأولى إخفاء إخراج زكاتها للآية ، واختار الغزالي في الإحياء أنه إذا أظهر صدقة التطوع لا بقصد الرياء والسمعة لكن ليقتدى به ، وهو ممن يقتدى به بإظهارها أفضل⁽²⁾.

الثالث : ألا يفسد صدقته بالمن والأذى ؛ قال الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾⁽³⁾. قيل : المن أن يمن عليه بعطائه ، فيقول له : أعطيتك كذا . أو يعد نعمه عليه فيكدرها ، والأذى هو أن يعيره فيقول : إلى كم تسأل تؤذيني . وقيل : من الأذى أن يذكر إيقافه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه ، فحظر الله على عباده المن بالصنعة ، واختص به صفة لنفسه ؛ لأنه من العباد تعبير وتكدير ، ومن الله أفضل وتذكير ، وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾⁽⁴⁾. قال المفسرون : يريد السائل على الباب ؛ يقول : لا تنهره ولا تزجره إذا سأل ، فقد كنت فقيرا ، فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردّا لينا⁽⁵⁾.

قال قتادة : رد السائل برحمة ولين . قال إبراهيم بن أدهم : نعم القوم السؤل يحملون زادنا إلى الآخرة⁽⁶⁾.

(1) تفسير الطبري 5/ 583.

(2) إحياء علوم الدين 1/ 224.

(3) سورة البقرة ، الآية : 264.

(4) سورة الضحى ، الآية : 10.

(5) تفسير البغوي 8/ 458.

(6) تفسير القرطبي 20/ 101 ، وتفسير البغوي 8/ 458 ، والحلية 8/ 32.

واعلم أن الإنسان لو حقق النظر لرأى حاجته إلى الصدقة أشد من حاجة الفقير إليها ؛ فإن ثوابها يأتيه أحوج ما يكون إليه ؛ قال أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يصف أهل النار : فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم : يا فلان ، أما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة . ويقول بعضهم : أنا الذي وهبت لك وضوءاً ، فيشفع له فيدخل الجنة ⁽¹⁾.

قال رسول الله ﷺ : «أتدرون من الصعلوك؟» . قيل : الرجل الذي لا مال له . قال : «إن الصعلوك كل الصعلوك الذي له المال لم يقدم منه شيئاً» ⁽²⁾.

الرابع : أن يستصغر العطية ؛ فإن المستعظم للفعل معجب به ، وقد قيل : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : تصغيره وتعجيله وستره .

الخامس : أن ينتقي من ماله أحله وأجوده وأحبه إليه ، أما الحل : فقد قال الله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ ⁽³⁾ . قوله : ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ . أي : من خيار . وقال ابن مسعود ومجاهد : من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة ⁽⁴⁾ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً» ⁽⁵⁾ . وأما الأجود : فقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَكُنتُمْ بِخَاذِلِهِ إِلَّا أَنْ تُعْصُوا فِيهِ﴾ . المعنى : ولا تقصدوا الرديء ، فتنفقوا منه في سبيل الله ﴿وَلَكُنتُمْ بِخَاذِلِهِ﴾ يعني : الخيث ﴿إِلَّا أَنْ تُعْصُوا فِيهِ﴾ الإغماض غرض البصر ، وأراد هنا التجوز ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم . قال

(1) شرح السنة للبغوي 7 / 460.

(2) أسد الغابة 1 / 160.

(3) سورة البقرة ، الآية : 267.

(4) تفسير البغوي 1 / 329.

(5) أخرجه أحمد (2 / 328 ، رقم 8330) ، ومسلم (2 / 703 ، رقم 1015) ، والترمذي (5 / 220 ، رقم

2989) وقال : حسن غريب ، والدارمي (2 / 389 ، رقم 2717) .

حاتم الأصم - رَحِمَهُ اللهُ - : أراكم تفسدون الطيب ، وتطيبون الفاسد ؛ تأكلون من الطعام ألذه ، وتلبسون من الثياب أرقها ، ومرجع ذلك إلى الكيف والبلاء ، وتتصدقون بالخسيس وبذلك نجاتكم وذخائركم ، أي : عند ربكم .

وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ : « ما بقي منها؟ » قالت : ما بقي إلا كتفها . قال : « بقي كلها غير كتفها » . رواه الترمذي وقال حديث صحيح ⁽¹⁾ . ومعناه : تصدقوا بها إلا كتفها . فقال : بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها ، وما أحبه إليه ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ لَنْ نَأْثُرَ إِلَّا بِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ⁽²⁾ . وكان ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - إذا اشتد حبه لشيء من ماله قرب به لله عز وجل ⁽³⁾ .

وروى أنه نزل الجحفة وهو شاك ، فقال : إني لأشتهي حيتانا . فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتا ، فأخذته امرأته فصنعت له ثم قربته إليه ، فأتى مسكين ، فقال ابن عمر : خذه . فقال له أهله : سبحان الله ! قد عניתنا ومعنا زاد نعطيهِ؟! فقال : إن عبدَ الله يُجِبُّهُ ⁽⁴⁾ .

وروي أن سائلا وقف بباب الربيع بن خثيم فقال : أطعموه سكرا . فقالوا : نطعمه خبزا أنفع له . فقال : ويحكم أطعموه سكرا ؛ فإن الربيع يحب السكر ⁽⁵⁾ .

السادس : أن يطلب لصدقته مَنْ تَزَكُو به ؛ كالصدقة على الأتقياء ، فإنه يردّ بها همم إلى الله تعالى وأهل العلم ، فإنَّ في إعطاء العالم إعانة على العلم ونشر

(1) أخرجه الترمذي (4/644 ، رقم 2470) وقال : صحيح .

(2) سورة آل عمران ، الآية : 92 .

(3) مختصر منهاج القاصدين 31 .

(4) تاريخ دمشق 31/143 ، والحلية 1/297 ، وصفة الصفوة 1/129 .

(5) ابن أبي شيبة 8/310 ، والحلية 2/115 .

الدين . وروي أن ابن المبارك كان يَخْصُ بمعروفه أهل العلم ، فقليل له : لو عَمَّمْتُ؟ فقال : إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء⁽¹⁾ . فإذا اشتغل قلب أحدهم لم يتفرغ للعلم ، ولم يقبل على التعليم فتفرغهم للعمل أفضل . ومن ذلك أن يكون صائنا لفقره ساترا لحاجته كاتماً للشكوى ، كما قال تعالى : ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾⁽²⁾ .

ومن ذلك : أن يكون ذا عائلة أو محبوساً لمرض أو دين ، فهذا من المحصرين والصدقة عليه إطلاق لحصره .

ومن ذلك : أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام أو الجيران ؛ قال رسول الله ﷺ : «الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم ثنتان ؛ صدقة وصلة» . رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه⁽³⁾ .

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : يا رسول الله ، إن لي جارين ، فإلى أيهما أهدي فقال : «إلى أقربهما منك باباً» . رواه البخاري⁽⁴⁾ .

واعلم أن تعجيل الصدقة في الصحة ، ثم في الحياة أفضل من الوصية بها ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : سئل رسول الله ﷺ :

(1) إحياء علوم الدين 1/ 219 ، وقوت القلوب 2/ 35 .

(2) سورة البقرة ، الآية : 273 .

(3) أخرجه ابن أبي شيبه (2/ 413 ، رقم 10541) ، وأحمد (4/ 18 ، رقم 16278) ، والدارمي (1/ 488 ، رقم 1681) ، والترمذي (3/ 46 ، رقم 658) ، وقال : حسن . والنسائي (5/ 92 ، رقم 2582) ، وابن ماجه (1/ 591 ، رقم 1844) ، وابن خزيمة (4/ 77 ، رقم 2385) ، وابن حبان (8/ 132 ، رقم 3344) ، والطبراني (6/ 274 ، رقم 6204) ، والحاكم (1/ 564 ، رقم 1476) ، والبيهقي (4/ 174 ، رقم 7524) ، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (2/ 363 ، رقم 1136) .

(4) أخرجه عبد الرزاق (8/ 81 ، رقم 14401) ، وأحمد (6/ 18 ، رقم 25577) ، والبخاري (5/ 2241 ، رقم 5674) ، وأبو داود (4/ 339 ، رقم 5155) .

أي الصدقة أفضل؟ قال : «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا ، وقد كان لفلان كذا» (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لأن يتصدق المرء في حياته وصحته بدرهم خير له من أن يتصدق عند موته بمائة» . رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه (2).

وقال رسول ﷺ : «مثل الذي يعتق عند موته كمثل الذي يهدي إذا شبع» . رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (3).



(1) أخرجه البخاري (2/515، رقم 1353)، ومسلم (2/716، رقم 1032)، والنسائي (6/237، رقم 3611)، وابن خزيمة (4/103، رقم 2454) وابن حبان (8/105، رقم 3312).

(2) أبو داود (3/113، رقم 2866)، وابن حبان (8/125، رقم 3334)، وأخرجه أيضًا: الديلمي (5/168، رقم 7847).

(3) أخرجه أبو داود (4/30، رقم 3968)، والترمذي (4/435، رقم 2123) وقال: حسن صحيح. والنسائي (6/238، رقم 3614)، والطيالسي (ص 132، رقم 980)، وعبد الرزاق (9/157، رقم 16740)، وأحمد (5/196، رقم 21766) والحاكم (2/231، رقم 2846) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (4/190، رقم 7622).

الفصل الثاني

في آداب القابض

منها : أن يشكر المعطي ويدعو له ويشني عليه ؛ عن النعمان بن بشير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»⁽¹⁾.

وعن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : «من صُنِعَ إِلَيْهِ معروف فليجز به ، فإن لم يجد ما يجزي به فليشئ عليه ؛ فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره ، وإن كتمه فقد كفره ، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من صَنَعَ إِلَيْكُمْ معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافؤنه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»⁽³⁾.

ومنها : ألا يلح في السؤال وألا يسأل إلا إذا كان محتاجا ؛ قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - في قوله عز وجل : ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾⁽⁴⁾.

(1) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده (4/375 ، رقم 19370) ، والبيهقي في شعب الإيمان (6/516 ، رقم 9119) .

(2) أخرجه البخاري في الأدب (1/84 ، رقم 215) ، وعبد بن حميد (ص 347 ، رقم 1147) ، وأبو داود (4/255 ، رقم 4813) ، والترمذي (4/379 ، رقم 2034) وقال : حسن غريب . وأبو يعلى (4/104 ، رقم 2137) ، وابن حبان (8/203 ، رقم 3415) ، والبيهقي (6/182 ، رقم 11811) ، والحاثر (2/858 ، رقم 913) .

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (6/515 ، رقم 9112) .

(4) سورة البقرة ، الآية : 273 .

يقول: إذا كان عنده غداء لم يسأل عشاء، وإذا كان عنده عشاء لم يسأل غداء⁽¹⁾.

وقال رسول الله ﷺ: «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إحقافاً»⁽²⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرّة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن به فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس». رواه البخاري ومسلم⁽³⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم». قالوا: يا رسول الله، وما يغنيه؟ قال: «ما يغديه أو يعيشه». رواه أحمد⁽⁴⁾.

وقال رسول الله ﷺ: «من سأل وله ما يغنيه جاءت يوم القيامة خموشاً أو كدوشاً في وجهه». قالوا: يا رسول الله، وما غناه؟ قال: «خمسون درهماً أو حسابها من الذهب». رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه⁽⁵⁾.

(1) فيض القدير 358/2.

(2) أخرجه النسائي (5/98، رقم 2596)، وأحمد (4/36، رقم 16458)، والبيهقي (7/24، رقم 12988)، وابن الجارود (ص 99، رقم 366).

(3) البخاري (2/538، رقم 1409)، ومسلم (2/719، رقم 1039)، وأخرجه مالك أيضاً (2/923، رقم 1645)، وأحمد (2/395، رقم 9129)، وأبو داود (2/118، رقم 1631)، والنسائي (5/85، رقم 2572)، وابن حبان (8/139، رقم 3352)، وأبو نعيم في الحلية (7/108).

(4) أخرجه أحمد (4/180، رقم 17662)، وأبو داود (2/117، رقم 1629) والطبراني (6/96، رقم 5620)، والبيهقي (7/24، رقم 12991). وأخرجه أيضاً: الطحاوي (4/371)، وابن عساكر (19/132).

(5) أخرجه أحمد (1/466، رقم 4440)، والترمذي (3/40، رقم 650)، وقال: حسن. وابن ماجه (1/589، رقم 1840)، والحاكم (1/565، رقم 1479)، والبيهقي (7/24، رقم 12986). وأخرجه أيضاً: الدارمي (1/472، رقم 1640)، وأبو داود (2/116، رقم 1626)، والبخاري (5/294، رقم =

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف، ويغض البذيء الفاجر السائل الملح» رواه البزار (1).

قال الغزالي في الإحياء: سمع عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه: عَشَّ الرجل. فعشاه، ثم سمعه ثانية يسأل، فقال: ألم أقل لك عَشَّ الرجل؟! فقال: قد عشيته. فنظر عمر فإذا تحت يده مخللة مملوءة خبزا، فقال: لست سائلا ولكنك تاجر. ثم أخذ المخللة ونثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرّة، وقال له: لا تعد. قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : إنما فعل عمر ذلك لأنه رآه مستغنيا عن السؤال، وأن من أعطاه شيئا إنما أعطاه على اعتقاده أنه محتاج، وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه وعسر تميزه ورده إلى أصحابه؛ إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم، فبقي مالا لا مالك له، فوجب صرفه إلى المصالح، وعلف إبل الصدقة من المصالح، وينزل أخذ السائل مع إظهاره الحاجة كاذبا، كأخذ العلوي بقوله: إنه علوي وهو كاذب؛ لأنه لا يملك ما يأخذه، وكأخذ الصوفي، والصالح يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطي لما أعطاه، وما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه (2).

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - في شرح مسلم: اختلف أصحابنا في مسألة القادر على الكسب على وجهين؛ أحدهما أنها حرام لظاهر الأحاديث، والثاني حلال مع الكراهة بثلاث شروط: ألا يذل نفسه، ولا يلح في السؤال، ولا يؤذي

= (1913)، والشاشي (2/ 19)، رقم (478)، والطبراني (10/ 129)، رقم (10199)، والدارقطني (2/

121)، والرافعي (1/ 115).

(1) أخرجه أحمد (2/ 311)، رقم (8092)، وأبو بكر الإسماعيلي في معجم شيوخه (2/ 594)، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (2/ 304)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 163)، رقم (6202).

(2) إحياء علوم الدين 3/ 308، وقوت القلوب 148.

المسئول ؛ فإن فقد أحد هذه الشروط فهي حرام بالاتفاق ⁽¹⁾.
وقال صاحب الأنوار: يكره السؤال في المسجد ، فإن كان فيه تشويش على
المصلين حرم ، وكذا لو مشى أمام الصفوف أو تخطاهم .



(1) شرح صحيح مسلم 3/488.

كتاب الصيام

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

اختلف المفسرون في قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾. قال سعيد بن جبير - رَحِمَهُ اللَّهُ -: كان صوم مَنْ قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة، كما كان في ابتداء الإسلام (٢). وقال جماعة من أهل العلم: أراد أن صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا، فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد، وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معاشهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين، ثم إن ملكا لهم اشتكى فمه، فجعل لله عليه إن برأ من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعا، فبرأ، فزاد فيه أسبوعا، ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر، فقال: أتموه خمسين يوما.

وقال مجاهد: أصابهم موتان فقالوا: زيدوا في صيامكم، فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد.

قال الشعبي: لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه، فيقال: من شعبان. ويقال من رمضان. وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما، ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوما (٣).

(1) سورة البقرة، الآية: 183.

(2) تفسير البغوي 1/195.

(3) تفسير الطبري 3/410، وتفسير البغوي 1/195.

واختلفوا في قوله تعالى ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾⁽¹⁾. قيل: كان صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا، وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من ربيع إلى شهر رمضان سبعة أشهر، ثم نسخ بصوم رمضان، وقيل: المراد بالأيام شهر رمضان، وهي غير منسوخة، وفي الكتاب خمسة أبواب.



(1) سورة البقرة، الآية: 184.

الباب الأول

في فضل شهر رمضان وصيامه

قال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ الآية (1). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ؛ يدع شهوته وطعامه من أجلي ، للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن في الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم» (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (4).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين» (5). روى هذه الأحاديث البخاري ومسلم .

(1) سورة البقرة ، الآية : 185 .

(2) أخرجه أحمد (2/ 477 ، رقم 10178) ، ومسلم (2/ 807 ، رقم 1151) ، وابن ماجه (1/ 525 ، رقم 1638) ، والنسائي (4/ 164 ، رقم 2218) .

(3) أخرجه البخاري (2/ 671 ، رقم 1797) ، ومسلم (2/ 808 ، رقم 1152) ، والترمذي (3/ 137 ، رقم 765) ، وقال : حسن صحيح غريب .

(4) أخرجه أحمد (2/ 232 ، رقم 7170) ، والبخاري (1/ 22 ، رقم 38) ، ومسلم (1/ 523 ، رقم 760) ، والترمذي (3/ 67 ، رقم 683) ، وأبو داود (2/ 49 ، رقم 1372) ، والنسائي (4/ 157 ، رقم 2203) ، وابن ماجه (1/ 420 ، رقم 1326) ، وابن حبان (8/ 218 ، رقم 3432) .

(5) أخرجه البخاري (2/ 671 ، رقم 1799) ، ومسلم (2/ 758 ، رقم 1079) .

سؤال : قيل : قد نرى الشر والمعاصي تقع في رمضان كثيرا؟!

فجوابه من وجوه : ذكرها ابن الملقن في شرح البخاري ؛ أحدها : أنها تغل عن الصائمين في الصوم الذي حووظ على شروطه بخلاف غيره . ثانيا أن الشر واقع من غيرهم ؛ كالنفس الخبيثة ، والعادات الركيكة ، والشياطين الأنسية . ثالثها : أنه إخبار عن غالب الشياطين والمردة منهم ، وأما من ليس من المردة فقد لا يصفد ، والمقصود تقليل الشر ، وهو موجود في شهر رمضان . وقد يقال : الحاصل من تلك الحركة ، أعني حركة المغلول وإن قلَّت .

وقال رسول ﷺ : «شهر رمضان يغفر الله في أول ليلة لكل أهل هذه القبلة»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ولله في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار ، فإذا كان آخر يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بقدر ما أعتق من أول الشهر إلى آخره»⁽²⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ذاكر الله في رمضان يغفر له وسائل الله فيه لا يخيب»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي ؛ أما الأولى : فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا . وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب

(1) أخرجه أبو يعلى كما فى المطالب العالية (6/37، رقم 1008)، وإتحاف الخيرة (3/403، رقم 2964)، وابن خزيمة (3/189، رقم 1885)، والضياء (6/118، رقم 2113)، والعقيلي (3/265، ترجمة 1272 عمرو بن حمزة القيسي)، والطبراني فى الأوسط (5/158، رقم 4935).

(2) أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان (3/335، 336، 337، رقم 3695).

(3) أخرجه الطبراني فى الأوسط (6/195، رقم 6170)، وابن عدي (4/291، ترجمة 1118 عبد الرحمن بن قيس)، والبيهقي فى شعب الإيمان (3/311، رقم 3627).

عند الله من ربح المسك . وأما الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة .
وأما الرابعة : فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها : استعدي وتزيني لعبادي ،
أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دار كرامتي . وأما الخامسة : فإنه إذا كان
آخر ليلة غفر لهم جميعا . فقال رجل من القوم : أهي ليلة القدر؟ فقال : « لا ، ألم
تر إلى العمال يعملون ، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم؟ » . روى هذه
الأحاديث البيهقي (1) .

وروي عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : قال رسول الله ﷺ :
«الأعمال عند الله سبعة ؛ عملان موجبان وعملان بأمثالهما ، وعمل بعشر أمثاله ،
وعمل بسبعمائة ، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله - عز وجل - فأما الموجبان
فمن لقي الله يعده مخلصا لا يشرك به شيئا وجبت له الجنة ، ومن لقي الله قد
أشرك به وجبت له النار ، ومن عمل سيئة جزي بها ، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم
يعملها جزي مثلها ، ومن عمل حسنة جزي عشرا ، ومن أنفق ماله في سبيل الله
ضوعفت له نفقته ، الدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة ، والصيام لله - عز وجل -
لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل » . رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي ، وهو
في صحيح ابن حبان من حديث حزيم بن فاتك بنحوه لم يذكر فيه الصوم (2) .
وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «اغزوا
تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا » . رواه الطبراني في الأوسط ورواته
ثقات (3) .

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/303 ، رقم 3603) .

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/298 رقم 3589) ، والطبراني في الأوسط (1/265 ، رقم 865) ،
وذكره الحكيم (3/109) .

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط (8/174 ، رقم 8312) .

وعن عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ قال : «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ؛ يقول الصيام : أي رب منعته من الطعام والشهوة فشفعني فيه . ويقول القرآن : منعته من النوم بالليل فشفعني فيه» . قال : «فيشفعان» . رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح (1).

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ قال : «من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر ، كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه ، وكتب له بكل يوم عتق رقبة ، وكل ليلة عتق رقبة ، وكل يوم حملان فرس في سبيل الله ، وفي كل يوم حسنة ، وفي كل ليلة حسنة» . رواه ابن ماجه (2) . قال المنذري : ولا يحضرني الآن سنده (3).

ذكر هذه الأحاديث الأربعة المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الترغيب والترهيب (4)، وذكر فيه أيضا من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صيام الدهر كله وإن صامه» . رواه الترمذي (5).

(1) أخرجه أحمد (2/ 174، رقم 6626)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (3/ 181) قال الهيثمي رجال الطبراني رجال الصحيح . وقال في (10/ 381) : رواه أحمد ، وإسناده حسن على ضعف في ابن لهيعة وقد وثق . وأبو نعيم في الحلية (8/ 161)، والحاكم (1/ 740، رقم 2036) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 346، رقم 1994) ..

(4) سنن ابن ماجه (3236) .

(2) الترغيب والترهيب 2/ 55.

(3) الترغيب والترهيب 2/ 55.

(4) الترمذي (3/ 101، رقم 723) وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وأخرجه أيضا الطيالسي (ص 331، رقم 2540)، وأحمد (2/ 470، رقم 10082)، وأبو داود (2/ 314، رقم 2396)، وسمعت محمدا يقول : أبو المطوس اسمه يزيد بن المطوس ولا أعرف له غير هذا الحديث ، وابن ماجه (1/ 535، رقم 1672)، والبيهقي في الكبرى (4/ 228، رقم 7854)، وفي شعب الإيمان (3/ 318، رقم 3653)، والنسائي في الكبرى (2/ 245، رقم 3281) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صَفَدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ»⁽¹⁾، وَغَلَقَتْ أَبْوَابَ النَّارِ فَلَمْ يَفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَيَنَادِي مُنَادٌ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»⁽²⁾.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَوَّةٌ مَا تَرَدُّ»⁽³⁾.

وَكَانَ ابْنُ عَمْرٍو إِذَا أَفْطَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَاللَّفْظُ لَهُ⁽⁴⁾.



(1) صَفَدَتْ: شَدَّتْ بِالْأَصْفَادِ، وَفُيِّدَتْ بِالْأَغْلَالِ. مَرَدَةٌ: مَفْرَدُهَا مَارِدٌ وَهُوَ الْمُنْتَجِدُ لِلشَّرِّ.

(2) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3/66، رَقْمُ 682)، وَابْنُ مَاجَةَ (1/526، رَقْمُ 1642)، وَابْنُ حِبَّانَ (8/221، رَقْمُ 3435)، وَالْحَاكِمُ (1/582، رَقْمُ 1532) وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ (8/306)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (3/301، رَقْمُ 3598)، وَفِي السَّنَنِ الْكُبْرَى (4/303، رَقْمُ 8284).

(3) أَخْرَجَهُ الْحَكِيمُ (1/299)، وَابْنُ السَّنَنِ فِي عَمَلِ يَوْمِ وَلِيلَةٍ (ص 180، رَقْمُ 482)، وَالْحَاكِمُ (1/583، رَقْمُ 1535)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (3/407، رَقْمُ 3904).

(4) سَنَنَ ابْنُ مَاجَةَ (1753).

الباب الثاني

في الحث على أفعال الخير في شهر رمضان

عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان ؛ إن جبريل - عليه السلام - كان يلقاه في كل سنة في شهر رمضان حتى ينسلخ ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة⁽¹⁾ .

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله - عز وجل - ثم اعتكف أزواجه من بعده⁽²⁾ .

وعنها - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المنزر⁽³⁾ . روى هذه الثلاثة البخاري ومسلم .

وقد ذكر العلماء في معنى شد المنزر وجهين : أحدهما : الإعراض عن النساء . والثاني : أنه كناية عن الجد والتشمير في العمل ؛ قالوا : وكان سبب اجتهاده في العشر طلب ليلة القدر .

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : سئل رسول الله ﷺ : أي الصدقة أفضل ؟ قال : « صدقة في رمضان » . رواه الترمذي⁽⁴⁾ .

(1) البخاري (6) ، ومسلم (6149) .

(2) البخاري (2033) ، ومسلم (1172) .

(3) البخاري (2024) ، ومسلم (1174) .

(4) أخرجه الترمذي (3/ 51) ، رقم 663 وقال : غريب ، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 377) ، رقم 3819 ، وفي السنن الكبرى (4/ 305) ، رقم 8300 .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء». رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه⁽¹⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من فطر صائما على طعام وشراب من حلال، صلت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان، وصلى عليه جبريل ليلة القدر» رواه الطبراني⁽²⁾.



(1) أخرجه أحمد (4/ 114، رقم 17074)، وعبد بن حميد (ص 117، رقم 276)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 418 رقم 3952) وفي السنن الكبرى (4/ 240، رقم 7926)، وابن حبان (10/ 491، رقم 4633)، والطبراني (5/ 256، رقم 5272).
(2) أخرجه الطبراني (6/ 261، رقم 6162).

الباب الثالث

في أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عما لا يحل

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم» . رواه البخاري ومسلم ⁽¹⁾ .

قيل : إنه يقول ذلك بلسانه ، ويسمعه خصمه ولا يقصد الرياء ، وقيل : يقوله لنفسه ليدكرها أنه لا يليق به المشاقمة . قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - والتأويلان حسنان ، والأول أقوى ولو جمعهما كان حسنا ، وحكى الروياني وجها ثالثا واستحسنه أنه يقول بلسانه في صوم رمضان وفي نفسه في صوم التطوع ⁽²⁾ .

وعنه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» . رواه البخاري ⁽³⁾ .

وعنه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» . رواه

(1) البخاري (2/670 ، رقم 1795) ، ومسلم (2/807 ، رقم 1151) ، وأخرجه أيضا النسائي (4/164 ، رقم 2217) ، وابن حبان (8/205) ..

(2) شرح صحيح مسلم 4/151 .

(3) البخاري (5/2251 ، رقم 5710) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/443 ، رقم 9717) ، وأبو داود (2/307 ، رقم 2362) ، والترمذي (3/87 ، رقم 707) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (1/539 ، رقم 1689) ، وابن حبان (8/256 ، رقم 3480) ، والبعغوى فى الجعديات (1/414 ، رقم 2831) ، والنسائي فى الكبرى (2/238 ، رقم 3246) ، والبيهقي (4/270 ، رقم 8095) .

النسائي ، وابن ماجه (1).

واختلفوا في هذا ؛ فقليل : هو الذي يفطر على الحرام . وقيل : هو الذي
يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة . وقيل : هو الذي لا
يحفظ جوارحه عن الآثام .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغي أن
يتحفظ منه ، كفّر ما قبله» . رواه ابن حبان في صحيحه (2).



(1) أخرجه ابن ماجه (539/1 ، رقم 1690) ، والنسائي في الكبرى (239/2 ، رقم 3249) .

(2) صحيح ابن حبان (3502) .

الباب الرابع

في فضل ليلة القدر وليلة النصف من شعبان وليليتي العيدين

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ⁽¹⁾ . إلى آخر السورة ؛ سميت ليلة القدر بذلك لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام . قيل للحسين بن الفضل : أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال : نعم . قال : فما معنى ليلة القدر؟ قال : سوق المقادير إلى المواقيت ، وتنفيذ القضاء المقدور ⁽²⁾ .

روي أنه ذكر للنبي ﷺ رجلٌ من بني إسرائيل حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر ، فتمنى - عليه السلام - أن يكون ذلك لأمته ، فأعطاه الله ليلة القدر خير من الألف شهر التي حمل فيها السلاح ⁽³⁾ . قال المفسرون : معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ . يعني : جبريل ﴿ فِيهَا ﴾ في ليلة القدر ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أي : بكل أمر من الخير والبركة ﴿ سَلَامٌ ﴾ قيل : يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته ، وقيل : هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر ⁽⁴⁾ .

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا

(1) سورة القدر ، الآية : 1 .

(2) تفسير البغوي 8 / 482 .

(3) تفسير البغوي 8 / 490 .

(4) تفسير البغوي 8 / 490 .

واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» . رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.
وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن رسول الله ﷺ قال : «تَحْرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» . رواه البخاري⁽²⁾.
وله عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي ﷺ قال : «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، فِي تَاسِعَةِ تَبْقَى ، فِي سَابِعَةِ تَبْقَى ، فِي خَامِسَةِ تَبْقَى ، فِي ثَلَاثَةِ تَبْقَى»⁽³⁾.
وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : قلت يا رسول الله ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قال : «قُولِي : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح⁽⁴⁾.
واختلف المفسرون في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾⁽⁵⁾. فقال قتادة وابن زيد : هي ليلة القدر⁽⁶⁾. وقال آخرون : هي ليلة النصف من شعبان⁽⁷⁾.

(1) البخاري (2/ 672، رقم 1802)، ومسلم (1/ 523، رقم 760)، وأخرجه أيضا أحمد (2/ 347، رقم 8559)، وأبو داود (2/ 49، رقم 1372)، والترمذي (3/ 67، رقم 683) وقال : غريب . والنسائي (8/ 118، رقم 5027)، وابن حبان (8/ 437، رقم 3682) والبيهقي (4/ 306، رقم 8306) .
(2) البخاري (2/ 710، رقم 1913)، ومسلم (2/ 828، رقم 1169)، وأخرجه أيضا أحمد (6/ 73، رقم 24489)، والترمذي (3/ 158، رقم 792)، وقال : حديث حسن صحيح . والبيهقي (4/ 308، رقم 8314) .

(3) أخرجه أحمد (1/ 279، رقم 2520)، والبخاري (2/ 711، رقم 1917)، وأبو داود (2/ 52، رقم 1381) .
(4) أخرجه الترمذي (5/ 534، رقم 3513)، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/ 1265، رقم 3850)، والحاكم (1/ 712، رقم 1942) . وأخرجه أيضًا : أحمد (6/ 171، رقم 25423)، والقضاعي (2/ 336، رقم 1476) ..

(5) سورة الدخان ، الآية : 2 .

(6) تفسير الطبري 8/ 22، وتفسير البغوي 7/ 227.

(7) تفسير الطبري 8/ 22، وتفسير البغوي 7/ 227.

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر . وقال آخرون : هي ليلة النصف من شعبان . قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال ، حتى الحجاج يقال : يحج فلان ويحج فلان ⁽¹⁾ . وقال الحسن ومجاهد وقتادة : يرم في ليلة القدر من شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق ، وما يكون في تلك السنة ⁽²⁾ . وقال عكرمة : هي ليلة النصف من شعبان ، يرم فيها أمر السنة وتنسخ الأحياء والأموات ، فلا يزداد فيهم أحد ولا ينقص ⁽³⁾ .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان ، حتى إن الرجل لينكح ويولد له ولقد أخرج اسمه في الموتى» ⁽⁴⁾ .

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن الله عز وجل يقضي الأفضية في ليلة النصف من شعبان ، ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر ⁽⁵⁾ .

وعن أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : «ينزل الله تعالى ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا ، فيغفر لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحناء أو مشركا بالله تعالى» ⁽⁶⁾ .

وروى أبو القاسم الأصبهاني عن معاذ بن جبل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال

(1) تفسير البغوي 7/ 227.

(2) تفسير الطبري 24/ 533 ، وتفسير البغوي 7/ 228.

(3) تفسير البغوي 7/ 228.

(4) أخرجه الديلمي (2/ 73 ، رقم 2410) .

(5) تفسير البغوي 7/ 228.

(6) أخرجه أحمد (6/ 238 ، رقم 26060) ، والترمذي (3/ 116 ، رقم 739) ، والبيهقي في شعب الإيمان

(3/ 379 ، رقم 3824) ، وعبد بن حميد (ص 437 ، رقم 1509) ، وابن ماجه (1/ 444 ، رقم

(1389) .

رسول الله ﷺ : «من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة ؛ ليلة التروية ، ليلة عرفة ، ليلة النحر ، ليلة الفطر ، ليلة النصف من شعبان»⁽¹⁾ .
وعن أبي أمامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : «من قام ليلتي العيدين محتسبا لم يميت قلبه يوم تموت القلوب» . رواه ابن ماجه⁽²⁾ .



(1) الترغيب والترهيب 2/ 89.

(2) أخرجه ابن ماجه (1/ 567، رقم 1782) قال البوصيري (85/2) : هذا إسناد ضعيف .

الباب الخامس في صوم التطوع

عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت : كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس . حسنه الترمذي وصححه ابن حبان (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» . رواه ابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن غريب (2).

وعن أبي قتادة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن صوم يوم عرفة ، فقال : «يكفر السنة الماضية والباقية» . وسئل عن صوم يوم عاشوراء ، فقال : «يكفر السنة الماضية» . رواه مسلم (3).

قال إمام الحرمين (4) - رَحِمَهُ اللهُ - والتكفير للصغائر دون الكبائر . وقال في الذخائر وهذا يحتاج إلى دليل ، وفضل الله واسع . قال الماوردي : للتكفير تأويلان ؛ أحدهما : الغفران ، والثاني : العصمة حتى لا يعصى .

(1) سنن الترمذي (745) ، والترغيب والترهيب 2/ 79.

(2) الترمذي (752) ، وابن ماجه (1812) .

(3) صحيح مسلم (2804) .

(4) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الشافعي ، إمام الحرمين ، صاحب التصانيف على مذهب أبي الحسن الأشعري ، عرف بإمام الحرمين لإقامته بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي ، ولد في أول سنة تسع عشرة وأربعمائة على أرجح الأقوال ، وتوفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، له من المصنفات «البرهان في أصول الفقه» و«الإرشاد» و«العقيدة النظامية» وغيرها . ترجمته عند : ابن خلكان : وفيات الأعيان 3/ 167 ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ 10/ 145 ، وابن الجوزي : المنتظم 16/ 244 ، والسبكي : طبقات الشافعية الكبرى 5/ 165.

وعن ابن عاس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : قدم النبي ﷺ فرأى اليهود تصوم عاشوراء ، فقال : « ما هذا؟ » قالوا : يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال : « أنا أحق بموسى منكم » . فصامه وأمر بصيامه . رواه البخاري ومسلم (1).

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ قال : « لئن بقيت إلى قابل ، لأصومن التاسع » (2). رواه مسلم ، وفي رواية له : فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ (3). وفي رواية للبيهقي : « صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود ؛ صوموا قبله يوما وبعده يوما » (4).

وعن أبي قتادة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان ، فهذا صيام الدهر كله » . رواه مسلم (5).

وعن أبي ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر ، إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثالث عشرة ورابع عشرة وخامس عشرة » . رواه النسائي والترمذي ، وقال : حسن (6). وفي رواية للنسائي وصححها ابن حبان : أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض ؛ ثالث عشرة ، ورابع

(1) أخرجه البخاري (704/2 ، رقم 1900) . وأخرجه أيضًا : أحمد (291/1 ، رقم 2644) .

(2) أخرجه مسلم (798/2 ، رقم 1134) ، وابن ماجه (552/1 ، رقم 1736) .

(3) مسلم (2722) .

(4) أخرجه أحمد (241/1 ، رقم 2154) . قال الهيثمي (188/3) : رواه أحمد والبخاري وفيه محمد بن أبي ليلي وفيه كلام . والبيهقي في شعب الإيمان (365/3 ، رقم 3790) ، والبيهقي (287/4 ، رقم 8189) ، وتام (47/1 ، رقم 94) .

(5) أخرجه مسلم (818/2 ، رقم 1162) ، وأبو داود (321/2 ، رقم 2425) ، والنسائي (208/4 ، رقم 2387) وأخرجه أيضًا : عبد الرزاق (295/4 ، رقم 7865) ، والبيهقي في شعب الإيمان (387/3 ، رقم 3844) .

(6) الترمذي (766) ، والنسائي (2435) .

عشرة، وخامس عشرة⁽¹⁾.

قال الشيخ جمال الدين الأسنوي - رَحِمَهُ اللهُ -: والمعنى في استحباب صيامها أن الحسنة بعشرة، فصيامها كصيام الدهر، وقدمت هذه على غيرها؛ لأنه لا يتأتى غالباً تعميم اليوم بشيء من العبادة مع اشتغاله بمصالحه إلا بالصوم، فلما عم النور ليالي هذه الأيام ناسب تعميم أيامها بالعبادة.

وروى الثعلبي في تفسيره عن علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه لما قال: اهبط آدم من الجنة إلى الأرض. أحرقت الشمس فاسود جسده، فأتاه جبريل فقال: يا آدم، أتحب أن يبيض جسديك؟ فقال: نعم. قال: صم من كل شهر ثالث عشره، ورابع عشره، وخامس عشره. فصام آدم - عليه السلام - أول يوم، فايض ثلث جسده، وصام اليوم الثاني، فايض ثلثا جسده، ثم صام اليوم الثالث فايض جسده كله، فسميت بالأيام البيض⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال، كانت كصيام الدهر». رواه مسلم⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». رواه مسلم⁽⁴⁾.

(1) النسائي (2434).

(2) الكشف والبيان 327/1.

(3) مسلم (822/2 رقم 1164)، وأخرجه أيضاً أحمد (417/5 رقم 23580)، وعبد بن حميد (ص 104، رقم 228)، وأبو داود (324/2 رقم 2433)، والترمذي (132/3 رقم 759) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (163/2 رقم 2862)، وابن ماجه (547/1 رقم 1716)، وابن حبان (396/8 رقم 3634).

(4) مسلم (821/2 رقم 1163)، وأخرجه أيضاً أحمد (535/2 رقم 10928)، وأبو داود (323/2 رقم 2429)، والترمذي (301/2 رقم 438) وقال: حسن صحيح. والنسائي (206/3 رقم 1613)، =

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان ؛ فإنه يصوم شعبان كله . وفي رواية : كان يصوم شعبان إلا قليلا . رواه البخاري ومسلم (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» . يعني أيام العشر ، قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال : «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» . رواه البخاري ومسلم (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة ، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة ، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر» (3).



= وابن ماجه (1/ 554 ، رقم 1742) ، وابن حبان (6/ 302 ، رقم 2563) ، وابن خزيمة (2/ 176 ، رقم 1134) ، والبيهقي (4/ 291 ، رقم 8206) ، وأبو يعلى (11/ 282 ، رقم 6395) ..

(1) البخاري (1970) ، ومسلم (1156) .

(2) أخرجه أحمد (1/ 346 ، رقم 3228) ، والبخاري (1/ 329 ، رقم 926) .

(3) أخرجه الترمذي (3/ 131 ، رقم 758) ، وقال : غريب . وابن ماجه (1/ 551 ، رقم 1728) .

كتاب الحج

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول

في فضله وبيان تأكد وجوبه

قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾. قال رجل : يا رسول الله ، ما السبيل؟ قال : «زاد وراحلة»⁽²⁾.

وقوله : ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ . قال ابن عباس والحسن وعطاء : جحد فرض الحج⁽³⁾. وقال مجاهد : من كفر بالله واليوم الآخر⁽⁴⁾. قال السدي : هو من وجد ما يحج به ، ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به⁽⁵⁾.

وروى أبو أمامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : «من لم تحبسه حاجة ظاهرة ، أو مرض حابس ، أو سلطان جائر ولم يحج ، فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا»⁽⁶⁾.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : «يا أيها الناس ، قد فُرض عليكم الحج فحجوا» . فقال رجل : أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ : «لو قلت : نعم . لوجبت ولما

(1) سورة آل عمران ، الآية : 97.

(2) أخرجه الترمذي (177/3 ، رقم 813) وقال : حسن . وابن ماجه (967/2 ، رقم 2896) ، والبيهقي (327/4 ، رقم 8406) .

(3) تفسير البغوي 74/2 .

(4) تفسير الطبري 49/6 ، وتفسير البغوي 74/2 .

(5) تفسير الطبري 51/6 ، وتفسير البغوي 74/2 .

(6) أخرجه الدارمي (45/2 ، رقم 1785) ، والبيهقي في شعب الإيمان (430/3 ، رقم 3979) .

استطعتم». ثم قال : «ذروني ما تركتكم ؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». رواه مسلم (1).

وعنه قال : سئل النبي ﷺ : أي العمل أفضل؟ قال : «إيمان بالله ورسوله». قيل : ثم ماذا؟ قال : «الجهاد في سبيل الله». قيل : ثم ماذا؟ قال : «حج مبرور». رواه البخاري ومسلم (2).

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : المبرور هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية (3).

وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». رواه البخاري ومسلم (4).

قال النووي : الظاهر أنه يحصل له ذلك من حين يحرم بالحج إلى أن يفرغ منه لا من حين يخرج من بلده ، والرفث الجماع على الصحيح المشهور ، والفسق المعصية . قال العلماء : هذا مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحقوق الله تعالى دون

(1) مسلم (2/ 975، رقم 1337)، وأخرجه أيضا البخاري (6/ 2658، رقم 6858)، والنسائي (5/ 110، رقم 2619)، وابن ماجه (1/ 3، رقم 2)، وابن حبان (9/ 18، رقم 3704). وابن خزيمة (4/ 129، رقم 2508).

(2) البخاري (2/ 553، رقم 1447)، ومسلم (1/ 88، رقم 83)، وأخرجه أيضًا : الترمذي (4/ 185، رقم 1658) وقال : حسن صحيح . والنسائي (6/ 19، رقم 3130)، وابن حبان (10/ 458، رقم 4598). والبيهقي (9/ 157، رقم 18264).

(3) شرح صحيح مسلم 5/ 12.

(4) أخرجه أحمد (2/ 248، رقم 7375)، والبخاري (2/ 553، رقم 1449)، والنسائي (5/ 114، رقم 2627)، وابن ماجه (2/ 964، رقم 2889)، وابن حبان (9/ 7، رقم 3694). وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (11/ 61، رقم 6198)، واليغوي في الجعديات (1/ 141، رقم 896).

المتعلقة بحقوق العباد ، وتوهم بعض الناس أن حقوق الله تسقط به ⁽¹⁾.

قال ابن الملقن - رَحِمَهُ اللهُ - : وهذا غلط ، فمن كان عليه صلاة أو صيام أو كفارة ، ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه به ، لكن إن أخرها عن وقتها المعين لها سقط بالحج إثم العصيان بالتأخير لا هي ، فلو أخرها بعده تجدد اسم آخر ، والحج المبرور كالتوبة يسقط إثم المخالفة لا الحقوق .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» ⁽²⁾. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن للحاج حين يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة إلا كُتِبَ الله له بها حسنة ، وحط عنه بها خطيئة ، فإذا وقف بعرفة فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا ، أشهدكم أنني قد غفرت لهم ذنوبهم ، وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج ، وإذا رمى الجمار لا يدري أحد ماله حتى يتوفاه يوم القيامة ، وإذا حلق رأسه فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة ، فإذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» . رواه ابن حبان في صحيحه ⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من جاء حاجا يريد وجه الله تعالى فقد غفر له ما

(1) شرح صحيح مسلم 12/5.

(2) أخرجه مالك (1/346 ، رقم 767) ، وأحمد (2/462 ، رقم 9949) ، والبخاري (2/629 ، رقم 1683) ، ومسلم (2/983 ، رقم 1349) ، والترمذي (3/272 ، رقم 933) وقال : حسن صحيح . والنسائي (5/115 ، رقم 2629) ، وابن ماجه (2/964 ، رقم 2888) ، وابن حبان (9/9 ، رقم 3696) . وأخرجه أيضًا : الطيالسي (ص 318 ، رقم 2423) ، والحميدي (2/439 ، رقم 1002) ، وابن أبي شيبة (3/120 ، رقم 12639) ، وأبو يعلى (12/11 ، رقم 6657) ، وابن خزيمة (4/131 ، رقم 2513) ، والطبراني في الأوسط (1/278 ، رقم 905) ، والبيهقي (4/343 ، رقم 8506) .

(3) أخرجه ابن حبان (5/206 ، رقم 1887) ، والطبراني في الكبير (12/425 ، رقم 13566) .

تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشفع فيمن دعا له» (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من قضى نسكه وسلم الناس من لسانه ويده ، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله ، فإن مات قبل أن يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإنفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين ألفا فيما سواه» (3). ذكر هذه الثلاثة المنذري في جزئه .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من خرج حاجًا فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة ، ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ، ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة» (4).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من خرج في هذا الوجه لحج أو عمرة فمات فيه ، لم يعرض ولم يحاسب ، وقيل : له ادخل الجنة» (5).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «تابعوا بين الحج والعمرة ؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» (6).

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية 7/ 235.

(2) أخرجه عبد بن حميد (ص 348، رقم 1150)، وابن عساكر 29/ 362.

(3) ابن أبي شيبة 4/ 356، والديلمي 1/ 319.

(4) الترغيب والترهيب 2/ 111.

(5) أخرجه ابن عدى (5/ 354 رقم 1513)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 473، رقم 4096)، والخطيب (2/ 170). وأخرجه أيضًا: إسحاق بن راهويه (3/ 1010، رقم 1754)، والدارقطني (2/ 297).

(6) أخرجه أحمد (1/ 387، رقم 3669)، والترمذي (3/ 175، رقم 810) وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي في الكبرى (2/ 322، رقم 3610)، وابن حبان (9/ 6، رقم 3693)، وأبو نعيم في الحلية (4/ 110)، والبرار (5/ 134، رقم 1722)، وابن خزيمة (4/ 130، رقم 2512)، والطبراني (10/ 186، رقم 10406).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ أَهَلَ بِحُجَّةٍ أَوْ عَمْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَوُجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»⁽¹⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ، وَلِمَنْ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ»⁽²⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَدْخُلُ اللَّهُ بِالْحُجَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ ؛ الْمُوصِي بِهَا، وَالْمَنْفَذُ لَهَا، وَمَنْ حَجَّ بِهَا عَنْ أَخِيهِ»⁽³⁾.

وروي أن الله - عز وجل - قال لإبراهيم : أذن في الناس بالحج . فقال : رب ، أين يبلغ ندائي؟! فقال الله له : عليك النداء وعلي الإبلاغ ، فصعد إبراهيم على المقام ، وقال : عباد الله ، أجيئوا داعي الله . فأجابه مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبيك داعي ربنا لبيك . فقال : إنه لا يحج إلا من أجاب دعوة إبراهيم عليه السلام⁽⁴⁾.

وروي عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن أول من أجابه أهل اليمن ؛ فهم أكثر الناس حَجًّا⁽⁵⁾.

قال القاضي حسين : الحج من الشرائع القديمة ؛ روي أن آدم - عليه السلام - لما حج قال له جبريل : إن الملائكة كانوا يطوفون قبلك بهذا البيت سبعة آلاف سنة⁽⁶⁾.

(1) أخرجه أحمد (6/299، رقم 26600)، وأبو داود (2/143، رقم 1741)، والبيهقي (5/30، رقم

8708)، وأبو يعلى (12/359، رقم 6927)، والطبراني في الأوسط (6/319، رقم 6515).

(2) أخرجه الحاكم (1/609، رقم 1612) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (5/261، رقم

10161)، وابن خزيمة (4/132، رقم 2516)، والطبراني في الأوسط (8/266، رقم 8594)، وفي

الصغير (2/236، رقم 1089).

(3) أخرجه البيهقي (5/180، رقم 9636).

(4) تفسير الطبري 18/606.

(5) عمدة القاري 9/128.

(6) تفسير الألوسي 3/147.

وفي شرح التعجيز أن أول من حج آدم عليه السلام ، وأنه حج أربعين سنة من الهند ماشياً⁽¹⁾. وقيل : ما من نبي إلا وقد حجه .

وروي مرفوعاً : « ما هلكت أمة نبي إلا انتقل إلى الكعبة ، وعبد الله تعالى فيها حتى مات » . قال القاضي حسين : هو أفضل العبادات ؛ لأنه يشتمل على المال والبدن ، ودُعينا إليه في الأصلاب كالإيمان سواء ؛ فإن الله تعالى أخرج ذرية آدم - عليه السلام - من ظهره مثل الذر ، ثم قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾⁽²⁾. ثم الإيمان أفضل العبادات ، إذ تنتم الكل به ، فكذا الحج الذي هو قرينه .



(1) أحكام القرآن للجصاص 1/197، ومغني المحتاج 5/381.

(2) سورة الأعراف ، الآية : 172.

الباب الثاني

في فضل يوم عرفة

قال رسول الله ﷺ : «خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير» . رواه الترمذي (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة» . رواه مسلم (2).

وقال رسول الله ﷺ : «ما رأيي الشيطان في يوم هو أصغر ولا أذحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله – عز وجل – عن الذنوب العظام» (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إذا كان يوم عرفة ؛ فإن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة ، فيقول : انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا مناجين من كل فج عميق ، أشهدكم أنني قد غفرت لهم . فتقول الملائكة : يا رب ، فلان كان يرهق وفلان وفلانة . قال : يقول الله – عز وجل – : قد غفرت لهم» (4).

(1) الترمذي (572/5)، رقم (3585) وقال : غريب .

(2) مسلم (982/2)، رقم (1348) ، وأخرجه أيضاً : النسائي (251/5)، رقم (3003) ، وابن ماجه (1003/2)، رقم (3014) ، وابن خزيمة (259/4)، رقم (2827) ، والدارقطني (301/2) ، والطبراني في الأوسط (64/9)، رقم (9134) . والبيهقي في السنن الكبرى (118/5)، رقم (9263) ، وفي شعب الإيمان (461/3)، رقم (4068) .

(3) أخرجه مالك (422/1)، رقم (944) ، والبيهقي في شعب الإيمان (461/3)، رقم (4069) ..

(4) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (28/2)، رقم (1128) ، وابن خزيمة (263/4)، بعد رقم (2839) ، والبيهقي في شعب الإيمان (460/3)، رقم (4068) ، وابن عساكر (316/45) .

وقال بعض السلف : إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل أهل عرفة⁽¹⁾.
وهو أفضل يوم في الدنيا ؛ فيه حج ﷺ حجة الوداع ، وكان واقفا إذ نزل
قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾⁽²⁾.



(1) إحياء علوم الدين 1/ 250.

(2) سورة المائدة ، الآية : 3.

الباب الثالث

في فضل المساجد الثلاثة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

في فضل مسجد مكة

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾⁽¹⁾.

اختلف المفسرون في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ . فقال بعضهم : هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض ؛ خلقه الله قبل الأرض بألفي عام ، وكانت زبدة ييضاء على الماء ، فدحيت الأرض من تحته . هذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي⁽²⁾.

وقال بعضهم : هو أول بيت بني في الأرض . روي عن علي بن الحسين⁽³⁾ أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور ، وأمر الملائكة أن يطوفوا به ، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنوا في الأرض بيتا على مثاله وقدره ، فبنوا وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور⁽⁴⁾.

روي أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام ، وكانوا يحجونه ، فلما حجه

(1) سورة آل عمران ، الآيتان : 96 ، 97.

(2) تفسير البغوي 70/2.

(3) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، زين العابدين ، أبو الحسين ولد سنة ثمان وثلاثين على التقريب ، وشهد كربلاء مع أبيه الحسين وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة ، كان من أهل الفضل والكرم والخير والصلاح ، توفي سنة أربع وتسعين وقيل غير ذلك . ترجمته عند ابن سعد : الطبقات الكبرى 211/5 ، ابن خلكان : وفيات الأعيان 266/3 ، الذهبي : سير أعلام النبلاء 386/4.

(4) تفسير البغوي 70/2.

آدم قالت الملائكة : بَرَّ حُجُّكَ ، حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام⁽¹⁾.
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أراد به أنه أول بيت بناه آدم
في الأرض⁽²⁾. وقيل : هو أول بيت مبارك وضع هدى للناس يعبد الله فيه ، يحج
الناس إليه . وقيل : أول بيت جعل قبلة للناس⁽³⁾.

وقال الحسن والكلبي : معناه أنه أول مسجد ومتعبد وضع للناس⁽⁴⁾.
عن أبي ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قلت : يا رسول الله ، أي مسجد وضع
في الأرض أولا؟ قال : «المسجد الحرام» قلت : ثم أي؟ قال : «المسجد الأقصى»
قلت : كم كان بينهما؟ قال : «أربعون سنة ، ثم أينما أدركت الصلاة فصل فإن
الفضل فيه» رواه البخاري ومسلم⁽⁵⁾.

قال ابن القيم : في كتاب الهدى : وقد استشكل هذا الحديث على مَنْ لم
يعرف المراد ؛ فقال معلوم : أن سليمان بن داود - عليهما السلام - وهو الذي بني
المسجد الأقصى وبينه وبين إبراهيم - عليه السلام - أكثر من ألف عام . قال ابن
القيم : وهذا من جهل هذا القائل ؛ فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصى
تجديده لا تأسيسه ، والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق - عليهم السلام -
بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار⁽⁶⁾.

(1) تفسير البغوي 70/2.

(2) تفسير البغوي 70/2.

(3) تفسير البغوي 70/2.

(4) تفسير البغوي 70/2.

(5) البخاري (3/1231 ، رقم 3186) ، ومسلم (1/370 ، رقم 520) ، وأخرجه أيضا عبد الرزاق (1/403 ،
رقم 1578) ، وأحمد (5/166 ، رقم 21506) ، والنسائي في الكبرى (1/255 ، رقم 769) ، وابن
ماجه (1/248 ، رقم 753) .

(6) زاد المعاد 47/1.

قوله تعالى : ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾⁽¹⁾. هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين بنى البيت ، وكان أثر قدميه فيه ثم زال من كثرة المسح بالأيدي ، ومنها الحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها . ومن الآيات أن الطير لا تعلقه في الطيران وإن الجارحة إذا قصدت صيدا فدخل الحرم كفت عنه .

قوله : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ . كان العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضا ، ويغير بعضهم على بعض ، ومن دخل الحرم كان آمنا من القتل والغارة . وقيل : إن مَنْ دخله معظما له متقربا إلى الله كان يوم القيامة آمنا من العذاب . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - قد وعد هذا البيت أن يحججه في كل سنة ستمائة ألف ؛ فَإِنْ نَقَصُوا كَمَلَهُمُ اللَّهُ - عز وجل - بالملائكة ، وَإِنْ الْكَعْبَةُ تَحْشُرُ كَالْعُرُوسِ الْمَرْفُوفَةِ ، وَكُلٌّ مِنْ حَجَّهَا مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِهَا يَسْعَوْنَ حَوْلَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَيَدْخُلُونَ مَعَهَا»⁽²⁾.

وفي الخبر : «إِنَّ الْحَجَرَ يَاقُوتَةٌ مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ ، يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ وَصْدُقٍ»⁽³⁾.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»⁽⁴⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : اختلف العلماء في المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم في مكة والمدينة أيهما أفضل ، ومذهب الشافعي وجماهير

(1) سورة آل عمران ، الآية : 97.

(2) الفوائد المجموعة 1 / 107.

(3) أخرجه ابن خزيمة (4 / 220 ، رقم 2734) .

(4) أخرجه أحمد (3 / 343 ، رقم 14735) ، وابن ماجه (1 / 451 ، رقم 1406) قال البوصيري (2 / 13) : هذا

إسناد صحيح رجاله ثقات . والطحاوي (3 / 127) .

العلماء أن مكة أفضل من المدينة، وأن مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة، وعكسه مالك وطائفة؛ فعند الشافعي والجمهور معناه إلا المسجد الحرام، فإن الصلاة فيه أفضل من الصلاة في مسجدي، وعند مالك وموافقيه إلا المسجد الحرام، فإن الصلاة في مسجدي تفضله بدون الألف⁽¹⁾.

قال القاضي عياض: أجمعوا على أن موضع قبر النبي ﷺ أفضل بقاع الأرض، وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض واختلفوا في أفضلهما ما عدا موضع قبره ﷺ فقال عمر وبعض الصحابة ومالك وأكثر المدنيين المدينة أفضل وقال أهل مكة والكوفيون والشافعي وابن وهب وابن حبيب المالكيان مكة أفضل⁽²⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ -: وما احتج به أصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف على راحلته بمكة يقول: «والله إنك خير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت»⁽³⁾. رواه الترمذي والنسائي. قال الترمذي: وهو حديث حسن صحيح.

وعن عبد الله بن الزبير - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي»⁽⁴⁾. حديث

(1) شرح النووي على صحيح مسلم 5/57.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم 5/57.

(3) الترمذي (5/722، رقم 3925). وقال: حسن غريب صحيح. وابن حبان (9/22، رقم 3708)، والحاكم (3/315، رقم 5220). وأخرجه أيضاً: عبد بن حميد (1/177، رقم 491)، وابن ماجه (2/1037، رقم 3108) ..

(4) أخرجه الطيالسي (ص 195، رقم 1367)، وأحمد (4/5، رقم 16162)، وعبد بن حميد =

حسن رواه أحمد بن حنبل في مسنده ، والبيهقي وغيرهما بإسناد حسن والله أعلم⁽¹⁾.



= (ص 185، رقم 521)، والطحاوي (127/3)، وابن حبان (499/4، رقم 1620)، والضياء (9/331، رقم 297). وأخرجه أيضًا: الحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (1/470، رقم 398)، والبزار (6/156، رقم 2196). قال الهيثمي (6/4): رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ..

(1) شرح النووي على صحيح مسلم 5/57.

الفصل الثاني

في فضل مسجد النبي ﷺ

تقدم قوله ﷺ : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة ، وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة »⁽¹⁾ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة »⁽²⁾ . وفي معنى الحديث قولان : أحدهما : أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة ، والثاني : أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة . وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ قال : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن مات بها » . صححه الترمذي⁽³⁾ .

وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة »⁽⁴⁾ .

(1) أخرجه ابن ماجه (453/1 ، رقم 1413) قال البوصيري (15/2) : هذا إسناد ضعيف . وابن عدى (6/327 ، ترجمة 1807 معروف بن عبد الله الخياط الدمشقي) ، وابن عساكر (243/2) .

(2) أخرجه أحمد (64/3 ، رقم 11628) ، وأبو يعلى (496/2 ، رقم 1341) ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/491 ، رقم 4163) ، والخطيب (11/228) ، وابن عساكر (22/177) .

(3) سنن اترمذي (4296) .

(4) أخرجه ابن أبي شيبه (7/295 ، رقم 36220) ، وأحمد (1/184 ، رقم 1606) ، وعبد بن حميد (ص 81 ، رقم 153) ، ومسلم (2/992 ، رقم 1363) ، والنسائي في الكبرى (2/486 ، رقم 4279) .

الفصل الثالث

في فضل المسجد الأقصى

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾⁽¹⁾. سمي بيت المقدس أقصى ؛ لأنه أبعد المساجد التي تُزار . وقيل : لبعده من المسجد الحرام الذي باركنا حوله بالأنهار والأشجار والثمار . وقال مجاهد : سماه مباركا ؛ لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي ، ومنه يحشر الناس يوم القيامة⁽²⁾.

وقيل : قوله : ﴿بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ . من بركة نشأت منه ، فعمت جميع الأرض ؛ لأن مياه الأرض كلها أصل انفجارها من تحت الصخرة . قال رسول الله ﷺ : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»⁽³⁾.

وروي أحمد في المسند أن النبي ﷺ قال : «إن الدجال يطوف الأرض إلا أربعة مساجد ؛ مسجد المدينة ، ومسجد مكة ، والأقصى والطور»⁽⁴⁾.

وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ أنها قالت : يا نبي الله ، أفتنا في بيت المقدس .

(1) سورة الإسراء ، الآية : 1 .

(2) تفسير البغوي 5/ 58 .

(3) أخرجه أحمد (2/ 234 ، رقم 7191) ، والبخاري (1/ 398 ، رقم 1132) ، ومسلم (2/ 1014 ، رقم 1397) ،

وأبو داود (2/ 216 ، رقم 2033) ، والنسائي (2/ 37 ، رقم 700) ، وابن ماجه (1/ 452 ، رقم 1409) .

وأخرجه أيضًا : ابن الجارود (ص 135 ، رقم 512) ، وابن حبان (4/ 498 ، رقم 1619) .

(4) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (2/ 563 ، رقم 1578) .

قال : «أرض المحشر والمنشر ، اتئوه وصلوا فيه ؛ فإن صلاة فيه بألف صلاة»⁽¹⁾.
أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه وأبو داود . وفي رواية لأحمد عن بعض نساء النبي ﷺ أنها قالت : يا رسول الله ، فإن لم تستطع إحدانا أن تأتيه؟ قال : «إذا لم تستطع إحداكن أن تأتيه فلتبعث إليه زيتا يسرج فيه ؛ فإن من بعث إليه بزيت يسرج كان كمن صلى فيه»⁽²⁾. وروى بعضه أبو داود .

قال وهب بن منبه : قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس : لأضعنَّ عليك عرشي ولأحشرن عليك خلقي وليأتينك داود يومئذ راكبا⁽³⁾.

وقيل : في قوله تعالى : ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾⁽⁴⁾.
إنه ملك قائم على صخرة بيت المقدس ، فينادى أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة ، ويا عظاما نخرة ، ويا أكفانا فانية ، ويا قلوبا خاوية ، ويا أبدانا فاسدة ، ويا عيوننا سائلة ، قوموا لعرض رب العالمين⁽⁵⁾.

قال قتادة : المنادي هو صاحب الصور ، ينادي من الصخرة من بيت المقدس⁽⁶⁾.

قال كعب : وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا . وقيل : باثني

(1) أخرجه أحمد (6/ 463 ، رقم 27667) ، وابن ماجه (1/ 451 ، رقم 1407) ، والطبراني (25/ 32 ، رقم 54) ، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (6/ 216 ، رقم 3448) ، والطبراني في الشاميين (1/ 271 ، رقم 471) ، والديلمي (2/ 25 ، رقم 2159) .

(2) أخرجه أبو يعلى (12/ 523 ، رقم 7088) ، وأحمد (6/ 463 ، رقم 27667) ، وإسحاق بن راهويه (1/ 106 ، رقم 1) ، وابن ماجه (1/ 451 ، رقم 1407) .

(3) حلية الأولياء 4/ 66 .

(4) سورة ق ، الآية : 41 .

(5) تفسير الطبري 22/ 382 .

(6) التذكرة للقرطبي 229 .

عشر ميلا . وقيل : إن المنادي جبريل عليه السلام⁽¹⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : يروى أن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - خرج من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ، ثم كَرَّ عنه راجعا من الغد إلى المدينة⁽²⁾.

وقد سأل سليمان - صلوات الله وسلامه عليه - ربه عز وجل أن مَن قصد هذا المسجد لا يعنيه إلا الصلاة فيه ألا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه ، وأن تُخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك⁽³⁾.



(1) تفسير الطبري 22/382.

(2) إحياء علوم الدين 2/89.

(3) السابق : نفس الموضع .

الباب الرابع

في فضل ماء زمزم

عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «ماء زمزم لما شرب له»⁽¹⁾.

وحكي عن الشافعي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال : شربته لثلاث ؛ للرمي فكنت أصيب التسعة من عشرة ، والعشرة من عشرة ، وللعلم فها أنا كما تروني ، ولدخول الجنة وأرجو حصول ذلك .

وقال رسول الله ﷺ في ماء زمزم : «إنها مباركة ، إنها طعام طعم وشفاء سقم»⁽²⁾.

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله⁽³⁾.

ويروي أن مياه الأرض ترفع قبل يوم القيامة غير زمزم .



(1) أخرجه أحمد (357/3 ، رقم 14892) ، وابن ماجه (1018/2 رقم 3062) قال البوصيري (209/3) : هذا إسناد ضعيف لضعف عبد الله بن المؤمل . والحكيم (222/2) ، والبيهقي (148/5) ، رقم (9442) .

(2) أخرجه الطيالسي (ص 61 ، رقم 457) .

(3) سنن الترمذي (963) .

الباب الخامس

في زيارة قبر النبي ﷺ

عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ قال : «من زار قبري وجبت له شفاعتي». رواه ابن خزيمة في صحيحه (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من زارني بعد وفاتي ، فكأنما زارني في حياتي» (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من وجد سعة ولم يقدِّم عليَّ فقد جفاني» (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من أحد يسلم عليَّ إلا رَدَّ الله عليَّ رُوحِي حتى أَرُدَّ عليه السلام». رواه أبو داود (4).



(1) البيهقي في شعب الإيمان (3/ 490، رقم 4159)، والدارقطني (278/2).

(2) عزاه في أحاديث إحياء علوم الدين 270/1 إلى الدارقطني .

(3) أخرجه ابن حبان في الضعفاء (3/ 73، ترجمة 1128).

(4) أخرجه أبو داود (2/ 218، رقم 2041)، والبيهقي (5/ 245، رقم 10050).

خاتمة

نختم بها كتاب الحج

روي عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا خرج الحاج حاجًا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك . ناداه منادٍ من السماء : لبيك وسعديك ؛ زادك حلال وراحتك حلال وحجك مبرور غير مأزور ، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى : لبيك . ناداه منادٍ من السماء : لا لبيك ولا سعديك ؛ زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور» . رواه الطبراني⁽¹⁾ . الغرز : ركاب من جلد .

قال أحمد بن الحواري : كنت مع أبي سليمان الدارني ، فلما أحرمتنا وسرنا قدر ميل أخذه كالغشية ثم أفاق ، قال : يا أحمد ، إن الله - عز وجل - أوحى إلى موسى من ظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكرى ؛ فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة ، ويحك يا أحمد ، بلغني أنه من حج من غير حله ثم لبي الله تعالى ، قال الله تعالى له : لا لبيك ولا سعديك . حتى ترد ما في يديك ، فما نأمن أن يقال لنا مثل ذلك⁽²⁾ .

وقال سفيان بن عيينة : حج علي بن الحسين - رضي الله عنهما - فلما أحرمت واستوت به راحلته اصفرَّ لونه وانتفض ، ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي ، فقليل له : لم لا تلبي؟ فقال : أخشى أن يقول لي : لا لبيك ولا سعديك .

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط (5/ 251 ، رقم 5228) قال الهيثمي (10/ 292) : فيه سليمان بن داود اليمامي ، وهو ضعيف . وأخرجه أيضًا : البزار كما في كشف الأستار (2/ 6 ، رقم 1079) .

(2) تاريخ دمشق 34/ 125 ، والإحياء 2/ 21 .

فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته ، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه (1).

وروي في حديث من طريق أهل البيت : إذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف ؛ سلاطينهم للنزهة ، وأغنياءهم للتجارة ، وفقراءهم للمسألة ، وفقراءهم للسمعة (2).



(1) تاريخ دمشق 378 / 41 ، والإحياء 1 / 286.

(2) قوت القلوب 1 / 273 ، والإحياء 2 / 21.

قصة أصحاب الفيل

مختصرة من كتاب معالم التنزيل⁽¹⁾

روي أن رجلاً من أهل الحبشة يقال له : أبرهة الأشرم بن الصباح ، كان عظيم الشأن فيهم رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج البيت فبني كنيسة بصنعاء ، وأراد أن يصرف إليها حج العرب ، فسمع به رجل من العرب من كنانة ، فخرج إليها فدخلها ليلاً وأحدث فيها ولطخ بالعدرة قبلتها ، فبلغ ذلك أبرهة ، وقيل له : صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت . فحلف أبرهة عند ذلك : ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها ، فلما أتى مكة أرسل إلى عبد المطلب : إني لم آت لقتال وإنما جئت لهدم هذا البيت . فقال عبد المطلب : ما له عندنا قتال ، ولا لنا يد إلا سنخلي بينه وبين ما جاء له ؛ فإن هذا بيت الله الحرام وبيت إبراهيم خليله - عليه السلام - فإن يمنعه فهو بيته وحرمة ، وإن خلى بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة . ثم إنه اجتمع بأبرهة وفيما قال له : ولهذا البيت رب سيمنعه . قال أبرهة : ما كان ليمنعه مني . قال : فأنت وذاك . فلما خرج عبد المطلب من عنده أخبر قريشا وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب تخوفاً عليهم من معرة الجيش ، ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وقال :

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهمو حماكا
إن عدو البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا
وأبياتنا أخر ، ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع

(1) تفسير البغوي 8/ 532.

قومه ، وكان أبرهة معه فيل لم يُر مثله في العظم والقوة يقال له : محمود .
ويقال : كان معه اثنا عشر فيلا ، فجاء بفيل وأخذ يأذنه فقال : أَبرك محمود ،
وارجع من حيث جئت ؛ فإنك في البلد الحرام . فبرك فضُرب بالمعول في رأسه
فأبى القيام ، فوجَّهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل
ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، فضرَبوه ووجهوه إلى الحرم فبرك
وأبى أن يقوم ، فلما عزم القوم على هدم البيت أرسل الله تعالى طيرا من البحر
أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ؛ حجران في رجله وحجر في
منقاره أمثال الحمص والعدس ، فلما غشين القوم أَرْسَلَتْهُا عليهم فلم تصب تلك
الحجارة أحد إلا هلك ، وليس كل القوم أصابت ، وخرجوا هارين لا يهتدون إلى
الطريق الذي جاءوا منه ، وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل
طريق ويهلكون على كل منهل ، وبعث الله على أبرهة داء في جسده فجعل
تساقط أنامله ، فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير ، وما مات حتى انصدع
صدره من قلبه ثم هلك ، وكان ذلك في العام الذي ولد فيه النبي ﷺ على قول
الأكثرين .



باب فضل يوم عاشوراء وصيامه

وعن أبي قتادة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن صوم يوم عرفة، فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية». وسئل عن صوم يوم عاشوراء، فقال: «يكفر السنة الماضية». رواه مسلم (1).

قال الأسنوي: قال الإمام: والتكفير للصغائر دون الكبائر. وقال في الذخائر: وهذا يحتاج إلى دليل وفضل الله واسع. قال الماوردي: للتكفير تأويلان؛ أحدهما: الغفران. والثاني: العصمة حتى لا يعصى.

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟» قالوا: يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، فقال: «أنا أحق بموسى منكم». فصامه وأمر بصيامه. رواه البخاري ومسلم (2).

وعنه قال: لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى! فقال: «إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع». قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ. رواه مسلم (3)، وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود وصوموا قبله يوما وبعده يوما». رواه أحمد (4).

(1) صحيح مسلم (2804).

(2) أخرجه البخاري (704/2)، رقم (1900). وأخرجه أيضًا: أحمد (291/1)، رقم (2644).

(3) أخرجه مسلم (798/2)، رقم (1134)، وابن ماجه (552/1)، رقم (1736).

(4) أخرجه أحمد (241/1)، رقم (2154). قال الهيثمي (188/3): رواه أحمد والبخاري وفيه محمد بن أبي

ليلى وفيه كلام. والبيهقي في شعب الإيمان (365/3)، رقم (3790)، والبيهقي (287/4)، رقم

(8189)، وتمام (47/1)، رقم (94).

وروى شعبة عن ابن الزبير عن جابر مرفوعا : «من وسَّع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته»⁽¹⁾. قال جابر وأبو الزبير وشعبة : جربناه فوجدناه كذلك⁽²⁾.

وخص يوم عاشوراء بخصائص منها : أن الله تاب فيه على آدم ، وفيه رفع إدريس إلى السماء الرابعة ، وفيه استوت سفينة نوح على الجودي وأغرق قومه . قال معمر : ركب نوح في السفينة في رجب في عشر بقين منه ونزل من السفينة يوم عاشوراء ، وفيه ولد الخليل وموسى وعيسى - صلوات الله عليهم - وفيه بردت النار على إبراهيم عليه السلام ، وفيه أخرج يوسف من الحب ، وفيه رُذِّ على يعقوب عليه السلام بصره ، وفيه أعطي سليمان الملك ، وفيه خرج يونس من بطن الحوت وتاب الله على قومه ، وفيه كشف عن أيوب الضر ، وفيه استجاب الله دعوة زكريا حين استوهب يحيى عليهما السلام وهو يوم الزينة الذي غلب موسى فيه السحرة ، وفيه نجى الله موسى وقومه وأغرق فرعون وجنوده ، وفيه تُكسى الكعبة في كل عام ذكره ابن بطال عن ابن حبيب⁽³⁾.

وسُمي يوم عاشوراء بذلك ؛ لأنه عاشر المحرم . وقيل : لأنه عاشر كرامة أكرم الله عز وجل بها هذه الأمة . وقيل : لأن الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء - عليهم السلام - حكاها المنذري ، ولم يزل يوم عاشوراء معظما عند أهل الإسلام حتى اتفق فيه قتل الحسين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وكثير من أهل البيت ، فسمعوا أن بني أمية اتخذوه عيداً يتزينون فيه ، وأقاموا الضيافات فاتخذته الشيعة يوم عزاء ينوحون فيه ويبكون ويجتنبون الزينة .

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/365، رقم 3791) وقال : إسناده ضعيف .

(2) جامع الأصول (7263) .

(3) شرح البخاري لابن بطال 7/169، وانظر مصنف عبد الرزاق 4/290.

قال الشيخ سراج الدين ابن الملتن - رَحِمَهُ اللهُ - في شرح البخاري : ما ورد في صلاة ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء وفضل الكحل يوم عاشوراء لا يصح ، ومن ذلك حديث جبير عن الضحاك عن ابن عباس رفعه : «من اكتحل بالإثممد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا»⁽¹⁾. وهو حديث وضعه قتلة الحسن ؛ قال الإمام أحمد : والاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن رسول الله ﷺ فيه أثر وهو بدعة . ومن أغرب ما يروى فيه أنه عليه الصلاة والسلام قال في الصرد : «إنه أول طائر صام عاشوراء»⁽²⁾. وهذا من قلة الفهم ؛ فإن الطائر لا يوصف بالصوم⁽³⁾. قال الحاكم وضعفه قتلة الحسين . هذا آخر كلام ابن الملتن .



(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/ 367 ، رقم 3797) .

(2) كشف الخفاء 2 / 41 .

(3) عمدة القاري 11 / 118 .

كتاب تلاوة القرآن

وفيه ثمانية أبواب :

الباب الأول

في فضل تلاوة القرآن وحملته

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٢٩) الآية (١). وقال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢) جَنَّتْ عَيْنٌ يَدْخُلُونَهَا﴾ الآية (٢). قال ابن عباس : وأراد بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ . أمة محمد ﷺ ، ثم قسمهم ورتبهم فقال : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (٣).

روي عن أسامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ : «كلهم من هذه الأمة» (٤). وعن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له» (٥).

وعن أبي الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية قال : «أما الأسبق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ، وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الله ، ثم

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٩.

(٢) سورة فاطر ، الآيتان : ٣٢ ، ٣٣.

(٣) تفسير البغوي ٩/ ٤٢٠.

(٤) الطبراني في الكبير ١/ ١٣١ ، وتفسير البغوي ٩/ ٤٢٠.

(٥) تفسير البغوي ٦/ ٤٢٠.

يدخل الجنة، ثم قرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ (1).

وقال عقبة بن صهبان: سألت عائشة عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ الآية. فقالت: يا بني كلهم في الجنة؛ أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أمره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم فمثلي ومثلكم. فجعلت نفسها معنا (2).

وعن الحسن - رَحِمَهُ اللَّهُ - قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته. وقيل: الظالم أصحاب الكبائر، والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة (3).

وقال الوراق: رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس؛ لأن أحوال العبد ثلاثة: معصية وغفلة، ثم توبة، ثم قربة، فإذا عصى دخل في حيز الظالمين، فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، فإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عالم السابقين (4).

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (5) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (6) لم يرد إلى أَرْدَلِ العمر (6). ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع؛ لأنه يكتب له

(1) تفسير البغوي 6/ 421.

(2) تفسير البغوي 6/ 421.

(3) تفسير البغوي 6/ 422.

(4) تفسير البغوي 6/ 422.

(5) سورة التين، الآيتان: 5، 6.

(6) تفسير البغوي 8/ 473.

كصالح ما كان يعمل ؛ قال الضحاك : أجر بغير عمل ⁽¹⁾ . وقال إبراهيم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ⁽²⁾ . إن الإنسان إذا عمّر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع إلا المؤمنين ، فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم ⁽³⁾ .

وفي صحيح البخاري عن عثمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ⁽⁴⁾ .

وقال رسول الله ﷺ : «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» . رواه البخاري ومسلم ⁽⁵⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين» . رواه مسلم ⁽⁶⁾ .

(1) تفسير البغوي 8 / 473 .

(2) سورة العصر ، الآيتان : 2 ، 3 .

(3) تفسير البغوي 8 / 526 .

(4) أخرجه الطيالسي (ص 13 ، رقم 73) ، وأحمد (1/ 69 ، رقم 500) ، والبخاري (4/ 1919 ، رقم 4739) ، وأبو داود (2/ 70 ، رقم 1452) ، والترمذي (5/ 173 ، رقم 2907) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (1/ 76 ، رقم 211) ، وابن حبان (1/ 324 ، رقم 118) .

(5) أخرجه أحمد (6/ 48 ، رقم 24257) ، وابن أبي شيبة (6/ 128 ، رقم 30036) ، والترمذي (5/ 171 ، رقم 2904) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضًا : الطيالسي (ص 210 ، رقم 1499) ، وإسحاق ابن راهويه (3/ 709 ، 1313) ، وأبو داود (2/ 70 ، رقم 1454) ، وأبو نعيم في الحلية (2/ 260) ، والخطيب (1/ 261) .

(6) مسلم (1/ 559 ، رقم 817) ، وأخرجه أيضًا أحمد (1/ 35 ، رقم 232) ، والدارمي (2/ 536 ، رقم 3365) وابن ماجه (1/ 79 ، رقم 218) ، وأبو عوانة (2/ 444 ، رقم 3762) ، وابن حبان (3/ 49 ، رقم 772) ، وعبد الرزاق عن معمر في الجامع (11/ 439 ، رقم 20944) ، والبخاري (1/ 371 ، رقم 249) ، والبيهقي (3/ 89 ، رقم 4904) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه». رواه مسلم (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». رواه البخاري ومسلم (2). الحسد يطلق ويراد به تمنى زوال النعمة عن المحسود وهذا حرام، ويطلق ويراد به الغبطة وهو تمنى مثل ماله وهذا به والمراد هنا.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشراً أمثالها، لا أقول: ﴿الْم﴾ حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يقول الرب سبحانه وتعالى: من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه» رواه الترمذي وقال: حديث حسن (4).

(1) مسلم (1/553، رقم 804)، وأخرجه أيضاً أحمد (5/249، رقم 22200)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص 59، رقم 98)، وابن حبان (1/322، رقم 116)، والطبراني (8/118، رقم 7542)، والحاكم (1/752، رقم 2071)، والبيهقي (2/395، رقم 3862)، والطبراني في الأوسط (1/150، رقم 468)، والرويانى (2/305، رقم 1254) وأورده الغمارى فى المداوى (2/129) وعزاه حميد بن زنجويه .

(2) البخاري (6/2737، رقم 7091)، ومسلم (1/558، رقم 815)، وأخرجه أيضاً أحمد (2/8، رقم 4550)، والترمذي (4/330، رقم 1936) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (2/1408، رقم 4209)، وابن حبان (1/332، رقم 125).

(3) الترمذي (5/175، رقم 2910) وقال: حسن صحيح غريب. وأخرجه أيضاً البخاري فى التاريخ الكبير (1/216)، والبيهقي فى شعب الإيمان (2/342، رقم 1983).

(4) الترمذي (5/184، رقم 2926) وقال: حسن غريب. وأخرجه أيضاً الدارمي (2/533، رقم 3356) والحكيم (3/259) والبيهقي فى شعب الإيمان (2/353، رقم 2015) ..

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ» . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَنْجَرَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلُوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مَرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْخَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مَرٌّ» . رواه البخاري ومسلم ⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يُقَالُ لَصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتَلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُ فِي الدُّنْيَا ؛ فَإِنْ مَنَزَلَتْكَ عِدَاةٌ آخَرُ آيَةٍ تَقْرَأُ» . رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَلْبَسَ وَالدَّاهِ تَاجًا يَوْمَ

(1) الترمذي (5/ 177، رقم 2913) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أحمد (1/ 223، رقم 1947) ، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص 158 رقم 337) ، والطبراني (12/ 109، رقم 12619) ، والحاكم (1/ 741، رقم 2037) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 328، رقم 1943) ، والضياء (9/ 537، رقم 525) ، والدارمي (2/ 521، رقم 3306) .

(2) البخاري (5/ 2070، رقم 5111) ، ومسلم (1/ 549، رقم 797) ، وأخرجه أيضا أحمد (4/ 403، رقم 19630) ، وأبو داود (4/ 259، رقم 4830) ، والترمذي (5/ 150، رقم 2865) وقال : حسن صحيح . والنسائي (8/ 124، رقم 5038) ، وابن ماجه (1/ 77، رقم 214) ، وابن حبان (3/ 48، رقم 771) ، والبخاري (8/ 14، رقم 2984) ، والطيالسي (ص 67، رقم 494) ، وعبد بن حميد (ص 198، رقم 565) ، وأبو يعلى (13/ 207، رقم 7237) ، والدارمي (2/ 535، رقم 3363) ، والرويانى (1/ 297، رقم 438) .

(3) أخرجه أحمد (2/ 192، رقم 6799) ، وأبو داود (2/ 73، رقم 1464) ، والترمذي (5/ 177، رقم 2914) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (5/ 22، رقم 8056) ، وابن حبان (3/ 43، رقم 766) ، والحاكم (1/ 739، رقم 2030) ، والبيهقي (2/ 53، رقم 2253) .

القيامه ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا» . رواه أبو داود (1).

وروى الدارمي عن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : اقرءوا القرآن ؛ فإن الله لا يعذب قلبا وعى القرآن ، وإن هذا القرآن مَأْدِبَةُ الله فمن دخل فيه فهو آمن ، ومن أحب القرآن فليبشر (2).

وعن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة فله بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأ في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ، ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات (3).

وفي الحديث : «القرآن غني لا فقر بعده ولا غني دونه» (4).

وحكي عن بعض القراء أنه اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا ، فرأى في المنام كأن قائلًا يقول له : أتود أنا أنسيناك سورة الأنعام ولك ألف دينار؟ قال : لا ! قال : فسورة هود؟ قال لا ! قال : فسورة يوسف؟ قال : لا ! وقال فمعلك قيمة مائة ألف وأنت تشكو ، فأصبح وقد سري عنه (5).

(1) سنن أبي داود (1455) .

(2) التبيين 20 وأخرجه مرفوعا تمام (2/ 261 ، رقم 1690) ، وابن عساكر (7/62) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبه (6/ 133 ، رقم 30079) ، والدارمي (2/ 524 ، رقم 3319) عن أبي أمامة .

(3) الجامع الكبير (23395) وعزاه للدليمي .

(4) أخرجه أبو يعلى (5/ 159 ، رقم 2773) قال الهيثمي (7/ 158) : فيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف . والطبراني (1/ 255 ، رقم 738) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 529 ، رقم 2614) ، والخطيب (13/ 16) ، والقضاعي (1/ 186 ، رقم 276) ، والدليمي (3/ 229 ، رقم 4677) . قال المناوي (535/4) قال الحافظ العراقي : سنده ضعيف .

(5) قوت القلوب 1/ 295.

الباب الثاني

في فضل الفاتحة وذكر أسمائها

قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب : «كيف تقرأ القرآن في الصلاة؟» فقرأ أم القرآن ، فقال : «والذي نفسي بيده ، ما أنزلت في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في القرآن سورة مثلها ؛ فإنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت»⁽¹⁾.

وعن الحسن أن الله تعالى أنزل مائة وأربعة ، كتب وأودع علومها في أربعة ؛ في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن ، وأودع علم القرآن في المفصل ، وهو من الحجرات إلى آخر القرآن ، وأودع ذلك في الفاتحة ، ففيها علم كل كتاب أنزل الله تعالى ، ومن قرأها فكأنما قرأ جميع الكتب المنزلة⁽²⁾.

وبيان ذلك أن جميع أسماء الله تعالى في ضمن اسمه ؛ الله هذا هو الاسم الجامع ، وفيه معنى الجلال ، وفي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ . معنى الجمال ، وكل ما ورد من الثناء الحسن على ما الله تعالى في قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ . فإن الحمد جامع لكل ثناء حسن ، وكل ما ورد في ذكر المخلوقات في قوله : ﴿رب العالمين﴾ . فإن العالم لفظة تدل على كل موجود سوى الله تعالى ، وكل ما ورد من الإكرام والإنعام والإحسان إلى سائر الخلق في ضمن قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ . وكل ما ورد في ذكر القيامة والحساب والثواب والعقاب في ضمن قوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ . وكل ما ورد في الأحكام من الأمر

(1) الترمذي (3115) .

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية 2 / 361 .

والنهي وجميع الفقه في ضمن قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ . وكل ما ورد في التوحيد ورؤية الأفعال من الله تعالى وعدم ملاحظة الأسباب في ضمن : ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . وكل ما ورد في سلوك الطريق ؛ من التوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والمراقبة والحياء والزهد والورع ، وغير ذلك في ضمن قوله تعالى : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ . وكل ما ورد في ذكر الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء والصالحين في ضمن قوله : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ . وقد بين الله تعالى ذلك في قوله : ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾⁽¹⁾ . وكل ما ورد في ذكر الأعداء ؛ من الكفار والفجار والمنافقين في ضمن قوله : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ . وكل ما ورد في القرآن مفصلاً ورد في الفاتحة مجملاً ، ولذلك سُميت أم القرآن ، وأم الكتاب ، وفاتحة الكتاب ، وتسمي الكافية ؛ لأنها تكفي في الصلاة ، فما كان منها من الثناء فعلى الله ، وما كان منها من الدعاء فللعبد . حكي هذا الكلام جميعه عن الشيخ العالم عبد العزيز الديرنى ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

وذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره للفاتحة اثني عشر اسماً⁽²⁾ :

الأول : الصلاة ؛ قال الله تعالى : «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين..» الحديث⁽³⁾ .

الثاني : الحمد ؛ لأن فيها ذكر الحمد ، كما يقال : سورة الأعراف والأنفال والتوبة ، ونحوها .

(1) سورة النساء ، الآية : 69 ..

(2) الجامع لأحكام القرآن 1/ 111 .

(3) أخرجه عبد الرزاق (2/ 128 ، رقم 2767) ، وأحمد (2/ 285 ، رقم 7823) ، وأبو داود (1/ 216 ، رقم 821) ، ومسلم (1/ 296 ، رقم 395) ، والترمذي (5/ 201 ، رقم 2953) ، وقال : حسن . والنسائي (2/ 135 ، رقم 909) ، وابن ماجه (2/ 1243 ، رقم 3784) ، وابن حبان (5/ 84 ، رقم 1784) .

الثالث : فاتحة الكتاب ؛ لأنه يفتح قراءة القرآن بها وكتابة المصحف .

الرابع : أم الكتاب ، جوزه الجمهور وكرهه أنس والحسن وابن سيرين ، قال الحسن : أم الكتاب الحلال والحرام ؛ قال الله تعالى : ﴿أَيُّتُ تُحَكِّمَتْ هُنَّ أُمُّ الْكَيْبِ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَتٌ﴾⁽¹⁾ . وقال أنس وابن سيرين : أم الكتاب اللوح المحفوظ ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلَئِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾⁽²⁾ .

الخامس : أم القرآن ، جوزه الجمهور ، وكرهه أنس وابن سيرين ، والأحاديث الثابتة ترد هذين القولين ؛ روى الترمذي عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «الحمد لله أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني»⁽³⁾ . وهذا الحديث حسن صحيح .

السادس : السبع المثاني ؛ لأنها تتني في كل ركعة

السابع : القرآن العظيم ، سميت بذلك لتضمنها علوم جميع القرآن ؛ وذلك لأنها تشمل الثناء على الله - عز وجل - بأوصاف كماله وجلاله ، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانة الله تعالى ، وعلى الانتهاء إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم وكفاية أحوال الناكثين ، وعلى عاقبة بيان الجاحدين .

الثامن : الشفاء ، روى الدارمي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «فاتحة الكتاب شفاء من كل سم»⁽⁴⁾ .

(1) سورة آل عمران ، الآية : 7 .

(2) سورة الزخرف ، الآية : 4 .

(3) الترمذي (297/5 ، رقم 3124) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضا أبو داود (71/2 ، رقم 1457) ، وأحمد (448/2 ، رقم 9789) ، والدارمي (539/2 ، رقم 3374) .

(4) الدارمي (538/2 ، رقم 3370) ، وأخرجه أيضا سعيد بن منصور (535/2 ، رقم 178) ، والبيهقي في =

التاسع: الرقية، ثبت ذلك من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه أن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي رقى سيد الحي: «ما أدراك أنها رقية؟» فقال: يا رسول الله، شيء ألقى في روعي.. الحديث (1).

العاشر: الأساس، قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: لكل شيء أساس وأساس القرآن الفاتحة (2).

الحادي عشر: الوافية؛ لأنها لا تتنصف، ولو قرئ من سائر السور نصفها في ركعة ونصفها في ركعة لأجزأ، ولو تُنصفت الفاتحة في ركعتين لم تجز.

الثاني عشر: الكافية لأنها تكفي عن سواها، ولا يكفي سواها عنها، يدل عليه ما روى محمد بن خلاد الإسكندراني قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن عوض من غيرها، وليس غيرها عوضاً منها» (3).



=شعب الإيمان (2/450، رقم 2368). والديلمى (3/144، رقم 4385).

(1) أخرجه أحمد (3/10، رقم 11085) والبخاري (2/795، رقم 2156)، ومسلم (4/1727، رقم 2201)، وأبو داود (4/14، رقم 3900)، والترمذي (4/398، رقم 2063) وقال: حسن. والنسائي في الكبرى (6/255، رقم 10868) وابن ماجه (2/729، رقم 2156).

(2) عزاه في الدر المنثور 67/9 إلى ابن النجار في تاريخه.

(3) أخرجه الدارقطنى (1/322)، والحاكم (1/363، رقم 867)، والديلمى (1/417، رقم 1688).

الباب الثالث

في فضل القرآن وتعلمه

قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «يا أبا هريرة ، تعلّم القرآن وعلمه الناس ، ولا تزال كذلك حتى يأتيك الموت ؛ فإنه إذا أتاك الموت وأنت كذلك حجت الملائكة إلى قبرك ، كما تحج المؤمنون إلى بيت الله الحرام»⁽²⁾.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «خير الناس وخير من مشى على جديد الأرض المعلوم ، كلما خلق الدين جدّده ، أعطوهم ولا تستأجروهم فتخوؤوهم ، فإن المعلم إذا قال للصبي : قل : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿١﴾ كتب الله براءة للصبي ، وبراءة للمعلم ، وبراءة لأبويه من النار» . ذكره الثعلبي⁽³⁾.

ويروى عنه ﷺ أنه : «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا ، فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ . فيسمع الله - عز وجل - فيرفع عنهم العذاب أربعين سنة»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الطيالسي (ص 13 ، رقم 73) ، وأحمد (1/ 69 ، رقم 500) ، والبخاري (4/ 1919 ، رقم 4739) ، وأبو داود (2/ 70 ، رقم 1452) ، والترمذي (5/ 173 ، رقم 2907) وقال : حسن صحيح .

وابن ماجه (1/ 76 ، رقم 211) ، وابن حبان (1/ 324 ، رقم 118) .

(2) أخبار أصبهان 9/ 198 ، والآلئ المصنوعة 1/ 203 .

(3) الكشف والبيان 1/ 336 .

(4) كشف الخفاء 1/ 221 .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : «ما من مسلم علّم ولده القرآن إلا توج
تاجا في الجنة يعرفه أهل الجنة بحمل ولده القرآن»⁽¹⁾.



(1) أخرجه الطبراني في الأوسط (36/1)، رقم (96) قال الهيثمي (166/7): فيه جابر بن سليم ضعفه الأزدي.

الباب الرابع

في إكرام أهل القرآن وترجيحهم على غيرهم

والنهي عن إيذائهم

عن أبي موسى الأشعري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان» . رواه أبو داود (1).

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لله عز وجل أهلين من الناس» . قيل : من هم يا رسول الله؟ قال : «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» . رواه النسائي (2).

وعن أبي مسعود الأنصاري البدرى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن رسول الله ﷺ قال : «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى» . رواه مسلم (3).

(1) أبو داود (4/ 261 ، رقم 4843) ، وأخرجه أيضا ابن المبارك (1/ 130 ، رقم 388) ، وابن أبي شيبة (6/ 421 ، رقم 32561) ، والبيهقي (8/ 163 ، رقم 16435) ، والبخاري في الأدب المفرد (1/ 130 ، رقم 357) .

(2) النسائي في الكبرى (5/ 17 ، رقم 8031) ، وأخرجه أيضا الطيالسي (ص 283 ، رقم 2124) ، وأحمد (3/ 127 ، رقم 12301) ، وابن ماجه (1/ 78 ، رقم 215) ، والدارمي (2/ 525 ، رقم 3326) ، والحاكم (1/ 743 ، رقم 2046) ، وأبو نعيم في الحلية (3/ 63) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 551 ، رقم 2688) . قال المنذري (231/2) : إسناده صحيح ، والحارث كما في بغية الباحث (2/ 739 ، رقم 733) .

(3) مسلم (1/ 465 ، رقم 673) ، وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة (1/ 301 ، رقم 3451) ، وأحمد (4/ 118 ، رقم 17104) ، وعبد الرزاق (2/ 389 ، رقم 3809) ، وأبو داود (1/ 159 ، رقم 582) ، والترمذي (1/ 458 ، رقم 235) وقال : حسن صحيح . والنسائي (2/ 77 ، رقم 780) ، وابن ماجه (1/ 313) =

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال : كان القراء أصحاب مجلس عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا . رواه البخاري (1).

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : «ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق ؛ إمام مقسط ، وذو شية في الإسلام ، وحامل القرآن» (2). ذكره أبو الليث السمرقندي (3).

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : «القرآن أفضل من كل شيء ، فمن قرَّ القرآن فقد قر الله ، ومن استخف بالقرآن استخف بحق الله ، حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله ، المعظمون كلام الله الملبسون نور الله ، فمن والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد استخف بحق الله عز وجل» (4).



=رقم (980) ، والبيهقي (3/ 90 ، رقم 4911) ، والحميدي (1/ 217 ، رقم 457) ، وابن الجارود (ص 85 ، رقم 308) ، وأبو عوانة (1/ 376 ، رقم 1363) وابن حبان (5/ 500 ، رقم 2127) .

(1) البخاري (4642) .

(2) أخرجه الطبراني (8/ 202 ، رقم 7819) .

(3) تنبيه الغافلين 195.

(4) ذكره الحكيم (3/ 260) .

الباب الخامس
في آداب حامل القرآن

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول

ينبغي لحامل القرآن :

أن يكون أول ما يقصد بتعليمه وتعلمه وجه الله تعالى ورضاه ؛ قال الله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽¹⁾. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»⁽²⁾. قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إنما يحفظ الرجل على قدر نيته⁽³⁾. وقال غيره : إنما يعطى الناس على قدر نياتهم .

(1) سورة البينة ، الآية : 5 .

(2) أخرجه مالك في رواية محمد بن الحسن (ص 338 ، رقم 983 طبعة دار ابن خلدون) ، وأحمد (1/ 25 ، رقم 168) ، والبخاري (3/ 1 ، رقم 1) ، ومسلم (3/ 1515 ، رقم 1907) ، والترمذي (4/ 179 ، رقم 1647) ، وأبو داود (2/ 262 ، رقم 2201) ، والنسائي (6/ 158 ، رقم 3437) ، وابن ماجه (2/ 1413 ، رقم 4227) ، وابن المبارك (1/ 62 ، رقم 188) ، والحميدي (1/ 16 ، رقم 28) ، والبيهقي (1/ 41 ، رقم 181) ، والطحاوي (3/ 96) ، والطبراني في الأوسط (1/ 17 ، رقم 40) ، والخطيب (4/ 244) ، وابن عساكر (32/ 166) ، وابن منده في الإيمان (1/ 363 ، رقم 201) ، وتمام في الفوائد (1/ 205 ، رقم 483) ، والصيداوي في معجم الشيوخ (1/ 117) ، وابن خزيمة (1/ 73 ، رقم 142) ، والدارقطني (50/ 1) ، وأبو عوانة (4/ 487 ، رقم 7438) ، والبيهقي (1/ 131 ، رقم 241) ، والحسن بن سفيان في الأربعين (1/ 440 ، رقم 871) ، والبيهقي في الزهد (2/ 131 ، رقم 241) ، والحسن بن سفيان في الأربعين (1/ 56 ، رقم 13) ، وابن منده في مسند إبراهيم بن أدهم (ص 24 ، رقم 13) ، وأبو أحمد الحاكم في شعار أصحاب الحديث (ص 35 ، رقم 20) ، والحسن بن علي العامري في الأمالي والقراءة (ص 34 ، رقم 26) ، والسلفي في مشيخة ابن الخطاب (ص 102 ، رقم 15) ، والهروي في الأربعين في دلائل التوحيد (1/ 39 ، رقم 1) ، والديلمي (1/ 118 ، رقم 401) ، والقضاعي (1/ 35 ، رقم 1) ، وابن حبان (2/ 113 ، رقم 388) من حديث عمر . أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (2/ 196 ، رقم 1173) وابن عساكر (62/ 235) حديث أبي سعيد الخدري . وأخرجه أيضًا : ابن عساكر (7/ 219) حديث أنس .

(3) الدارمي (383) .

وَأَنْ يَتَأَدَّبَ بِآدَابِهِ فَيَتَمَثَّلَ أَوَامِرَهُ وَيَجْتَنِبَ نَوَاهِيَهُ⁽¹⁾؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ﴾ . يعني : القرآن ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾⁽²⁾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ هَدَاهُ اللَّهُ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَوَقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُوءَ الْحِسَابِ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ . وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : أَجَارَ اللَّهُ تَابِعَ الْقُرْآنِ مَنْ أَنْ يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَيَشْقَى فِي الْآخِرَةِ ، وَقَرَأَ هَذَا الْآيَةَ⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَنْفَقُهُ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَأَنْاءَ النَّهَارِ . رواه البخاري ومسلم⁽⁴⁾.

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : كنا نتعلم من رسول الله ﷺ العشر فلا نجاوزها إلى العشر الآخر حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل⁽⁵⁾.

وقال أيضا : أنزل القرآن عليهم ليعملوا به ، فاتخذوا دراسته عملا ، إن أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرف ، وقد أسقط العمل به⁽⁶⁾.

وقال أيضا : ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بلبه إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا

(1) الجامع لأخلاق الراوي (1792) .

(2) سورة طه ، الآية : 123 .

(3) الدر المنثور 41/7 .

(4) البخاري (6/2737 ، رقم 7091) ، ومسلم (1/558 ، رقم 815) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/8) ، رقم 4550 ، والترمذي (4/330 ، رقم 1936) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/1408) ، رقم 4209 ، وابن حبان (1/332 ، رقم 125) .

(5) شعب الإيمان 4/464 .

(6) إحياء علوم الدين 1/284 ، وقوت القلوب 1/81 .

الناس مفرطون ، وبجزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وببصمته إذا الناس يخوضون ، وبخضوعه أد الناس يختالون⁽¹⁾.

وقال الفضيل بن عياض - رَحِمَهُ اللهُ - : ينبغي لحامل القرآن ألا يكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم ، وينبغي أن يكون حوائج الخلق إليه⁽²⁾.

وقال أيضا : حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن⁽³⁾.

وقال بعض العلماء : إن العبد ليتلوا القرآن فيلحن نفسه وهو لا يعلم ؛ يقرأ : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾⁽⁴⁾. وهو ظالم لنفسه ، ألا : ﴿لَعْنَتَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾⁽⁵⁾. وهو منهم⁽⁶⁾.

وقال بعض السلف : إن العبد ليفتح بسورة فتصلي عليه حتى يفرغ منه ، وإن العبد ليفتح بسورة فتلعه حتى يفرغ منها . فقل : كيف ذلك؟! قال : إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه ، وإلا لعنته⁽⁷⁾.



(1) شعب الإيمان 4/ 324.

(2) أخلاق حملة القرآن للآجري ، ص 41.

(3) أخلاق حملة القرآن للآجري ، ص 41 ، وحلية الأولياء 8/ 92.

(4) سورة هود ، الآية : 18.

(5) سورة آل عمران ، الآية : 61.

(6) إحياء علوم الدين 1/ 275 ، وقوت القلوب 1/ 81.

(7) قوت القلوب 1/ 476.

الفصل الثاني

في الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعرضه للنسيان

عن أبي موسى الأشعري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : «تعاهدوا هذا القرآن ، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها» (1).

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ قال : «إنما مثل صاحب القرآن كمثّل الإبل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت» (2). رواهما البخاري ومسلم .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَتَّى الْقِذَاةُ يَخْرُجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا الرَّجُلُ ثُمَّ نَسِيَهَا» (3). رواه أبو داود والترمذي وتكلم فيه .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمًا» رواه أبو داود (4).

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (6/ 123 ، رقم 29992) ، وأحمد (4/ 411 ، رقم 19700) ، والبخاري (4/ 1921 ، رقم 4746) ، ومسلم (1/ 545 ، رقم 791) ، والطبراني في الأوسط (2/ 322 ، رقم 104) .

(2) أخرجه مالك (1/ 202 ، رقم 474) ، وأحمد (2/ 30 ، رقم 4845) ، والبخاري (4/ 1920 ، رقم 4743) ، ومسلم (1/ 543 ، رقم 789) ، والنسائي (2/ 154 ، رقم 942) ، وابن حبان (3/ 41 ، رقم 764) .

(3) أخرجه أبو داود (1/ 126 ، رقم 461) ، والترمذي (5/ 178 ، رقم 2916) وقال : غريب ثم قال : وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه واستغربه . وابن خزيمة (2/ 271 ، رقم 1297) ، والبيهقي (2/ 440 ، رقم 4110) ، والطبراني في الأوسط (6/ 308 ، رقم 6489) ، وفي الصغير (1/ 330 ، رقم 547) .

(4) أبو داود (1476) ، وأخرجه أيضا أحمد (5/ 285 ، رقم 22516) ، وعبد بن حميد (ص 12 ، رقم 306) ، والدارمي (2/ 529 ، رقم 3340) والطبراني (6/ 23 ، رقم 5391) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 336 ، رقم 1969) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب»⁽¹⁾ ثم قرأ : ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ . وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن؟! .

وقال أبو عبد الله الجيلي : كنت أمشي يوما مع أستاذي ، فرأيت شابا حدثا جميلا ، فقلت : يا أستاذي ، تري يعذب الله هذه الصورة؟ قال : فنظر إلي وقال : ستري غيِّها . قال : فنسيت القرآن بعد ذلك بعشرين سنة⁽²⁾ .



(1) شعب الإيمان 476/4 عن الضحاك .

(2) صيد الخاطر 26 .

الفصل الثالث

ينبغي لقارئ القرآن إذا شرع في القراءة أن يكون شأنه الخشوع وتدبر القرآن ؛ قال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾⁽¹⁾. وقال تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾⁽²⁾. فينبغي أن يستحضر في نفسه أنه يناجي الله تعالى ، ويقرأ على حال من يرى الله تعالى ؛ فإنه إن لم يكن يراه فالله يراه .

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح⁽³⁾.

قال : وقد صعق جماعة من السلف عند القراءة ، ومات جماعة منهم حال القراءة⁽⁴⁾.

قال : وروينا عن بهز بن حكيم أن زرارة بن أوفى التابعي الجليل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَمَّهُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ ، فَقَرَأَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾^(٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾⁽⁵⁾. خَرَّ مَيِّتًا ، قَالَ بِهِز : فَكُنْتُ فِيمَنْ يَحْمِلُهُ⁽⁶⁾.

قال إبراهيم : الخواص⁽⁷⁾ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : دواء القلب خمسة أشياء ؛ قراءة

(1) سورة النساء ، الآية : 82.

(2) سورة ص ، الآية : 29.

(3) التبيان في آداب حملة القرآن 83.

(4) التبيان في آداب حملة القرآن 83.

(5) سورة المدثر ، الآيتان : 8 ، 9.

(6) التبيان في آداب حملة القرآن 83.

(7) إبراهيم الخواص (291هـ/904م) هو : إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، أبو إسحاق الخواص ، صوفي كان أوحّد المشايخ في وقته . من أقران الجنيد . ولد في سر من رأى ومات في جامع الري . قال الخطيب البغدادي : له (كتب) مصنفة . والخواص : بائع الخوص . ترجمته في الأعلام 28/1.

القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين، ويستحب ترديد الآية للتدبر⁽¹⁾.

عن أبي ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : قال : قام النبي ﷺ بآية يرددها حتى أصبح ، والآية : ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾⁽²⁾. رواه النسائي وابن ماجه⁽³⁾.

وعن تميم الداري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه كرر هذه الآية حتى أصبح : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أُجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾⁽⁴⁾ الآية⁽⁵⁾.

وأما البكاء عند قراءة القرآن ؛ قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : فهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين⁽⁶⁾، قال الله تعالى : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾⁽⁷⁾.

روي عن رسول الله ﷺ : «اقرأوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»⁽⁸⁾.

وعن أبي صالح - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قدم ناس من أهل اليمن على أبي

(1) التبيان في آداب حملة القرآن 83.

(2) سورة المائدة، الآية : 118.

(3) ابن ماجه (1350)، والنسائي (1010).

(4) سورة الجاثية، الآية : 21.

(5) الطبراني في الكبير 2/ 41.

(6) التبيان 86.

(7) سورة الإسراء، الآية : 109.

(8) أخرجه محمد بن نصر في قيام الليل كما في مختصره للمقرئزي (ص 226 - 227 رقم 155)، والبخاري (ص 69/4، رقم 1235)، والدورقي في مسند سعد (1/214، رقم 129)، والقضاعي (2/208، رقم 1198)، والديلمي (1/97، رقم 314).

بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فجعلوا يقرءون القرآن فيكون ، قال أبو بكر :
هكذا كنا (1).

قال أبو حامد الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : البكاء مستحب مع القراءة ، وعندها
قال : وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد
والوعيد الشديد والوثائق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره
حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك ؛ فإنه من أعظم
المصائب (2).



(1) التبيان 87.

(2) التبيان 87، وإحياء علوم الدين 1/ 278.

الفصل الرابع

يستحب ترتيل القراءة

قال الله تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾⁽¹⁾. وعن أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ : قراءة مفسرة حرفا حرفا . رواه أبو داود والنسائي والترمذي . وقال : حسن صحيح⁽²⁾.

وعن عبد الله بن مغفل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ، فرجع في قراءته . رواه البخاري ومسلم⁽³⁾.

وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله⁽⁴⁾.

وعن مجاهد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران ، والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء ، قال : الذي قرأ البقرة وحدها أفضل⁽⁵⁾.

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رجلا قال له : إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة؟ فقال عبد الله : هذا كهذا الشعر ؛ إن قوما يقرءون القرآن لا يجاوز

(1) سورة المزمل ، الآية : 4.

(2) الترمذي (3173) ، وأبو داود (1468) ، والنسائي (1030) .

(3) البخاري (4281) ، ومسلم (1891) .

(4) التبيين 89.

(5) التبيين 89.

تراقبهم ، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فينفع (1).

ويستحب إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله ، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيد من الشر ومن العذاب ، وإذا مر بآية تنزيه لله سبحانه وتعالى نزّهه فقال : سبحانه وتعالى . ففي صحيح مسلم عن حذيفة ابن اليمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت : يركع عند المائة . ثم مضى فقلت : يصلي بها في ركعة . فمضى فقلت : يركع بها . ثم افتتح آل عمران ، ثم افتتح النساء فقرأها ، يقرأ مترسلاً ؛ إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ (2).

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : «من قرأ : ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيُّونَ﴾﴾ فقال : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (3). فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ آخر : ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾﴾ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (4). فليقل : بلى أشهد ، ومن قرأ : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (5). فليقل : آمنت بالله» (6).



(1) التبيان 89.

(2) مسلم (1850) .

(3) سورة التين ، الآية : 8 .

(4) سورة القيامة ، الآية : 40 .

(5) سورة الأعراف ، الآية : 185 .

(6) أبو داود (887) ، والترمذي (3670) .

الباب السادس

في ختم القرآن

قال رسول الله ﷺ : «من شهد خاتمة القرآن كمن شهد المغنم حين تقسم ، ومن شهد فاتحة القرآن ومات كان كمن شهد فتحا في سبيل الله»⁽¹⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : يستحب حضور مجلس ختم القرآن استحبابا مؤكدا ؛ فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ أمر الحيفض بالخروج يوم العيد يشهدان الخير ودعوة المسلمين⁽²⁾.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يجعل رجلا يراقب رجلا يقرأ القرآن ، فإذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس فيشهد ذلك⁽³⁾.

وقال قتادة : كان أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا⁽⁴⁾.

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : من ختم القرآن له دعوة مستجابة ، وكان إذا ختم القرآن جمع أهله ثم دعا ، وأمنوا على دعائه⁽⁵⁾.

وقال حميد الأعرج - رَحِمَهُ اللَّهُ - : من قرأ القرآن ثم دعا أمّن على دعائه أربعة آلاف ملك⁽⁶⁾.

(1) فضائل القرآن لابن سلام 96 ، والخطيب 9/ 307.

(2) التبيان 159.

(3) التبيان 159.

(4) التبيان 159.

(5) فضائل القرآن لابن الضريس 82 ، فضائل القرآن لابن سلام 97 ، والتبيان 159.

(6) سنن الدارمي (3545) .

وقال مجاهد: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن؛ يقولون: تنزل الرحمة⁽¹⁾.

وروى أبو داود أن عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كان يفتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس⁽²⁾.

وعن طلحة بن مصرف - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال: من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار، صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وأية ساعة كانت من الليل، صلت عليه الملائكة حتى يصبح⁽³⁾.

وروي الدارمي عن سعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن وافق ختم القرآن آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي⁽⁴⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الإحياء: الأفضل أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار، ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما، ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدها ليستقبل أول النهار وآخره⁽⁵⁾.

وقال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الإحياء أيضا: حَزَب الصحابة القرآن أحزابا⁽⁶⁾؛ فروي عن عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص، وليلة

(1) التبيان 160.

(2) التبيان 62.

(3) التبيان 63.

(4) سنن الدارمي (3483).

(5) إحياء علوم الدين 1/285.

(6) إحياء علوم الدين 1/286.

الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس⁽¹⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : قيل أحزاب القرآن سبعة ؛ فالحزب الأول ثلاث سور ، والحزب الثاني خمس سور ، والحزب الثالث سبع سور ، والرابع تسع سور ، الخامس إحدى عشرة سورة ، والسادس أربعة عشر سورة ، والسابع المفصل من قاف ، هكذا حزه الصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - وكانوا يقرءون كذلك ، وفيه خبر عن رسول الله ﷺ ، وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء ، فما سوى هذا محدث⁽²⁾.

وقال أبو الفرج بن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ - في كتاب فنون الأفنان في عيون علوم القرآن⁽³⁾ : السبع الأول قوله في النساء : ﴿صُدُّودًا﴾⁽⁴⁾ ، والثاني قوله في الأعراف : ﴿أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾⁽⁵⁾ ، والثالث قوله في إبراهيم : ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾⁽⁶⁾ ، والرابع قوله في المؤمنين : ﴿مَنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾⁽⁷⁾ ، والخامس في سبأ : ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁸⁾ ، والسادس خاتمة الفتح ، والسابع آخر القرآن .



(1) فضائل الصحابة للإمام أحمد (821) .

(2) إحياء علوم الدين 1/ 286.

(3) فنون الأفنان - مخطوط بدار الكتب المصرية - عقب مخطوط منجد المقرئين لابن الجوزي برقم ورمز (625 تفسير تيمور) .

(4) نهاية الآية 61.

(5) نهاية الآية 170.

(6) نهاية الآية 25.

(7) نهاية الآية 55.

(8) نهاية الآية 20.

الباب السابع

في الحث على قراءة سور وآيات مخصوصة

عن أبي سعيد رافع بن المعلی - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال لي رسول الله ﷺ : «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» فأخذ بيدي ، فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله ، إنك قلت : لأعلمك أعظم سورة من القرآن . قال : «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» رواه البخاري (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشياطين ينفرون من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة» رواه مسلم (2).

وعن أَبِي بِن كعب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «يا أبا المنذر ، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم» قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم . فضرب في صدري وقال : «ليهنك العلم أبا المنذر» . رواه مسلم (3).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من قرأ حم المؤمن إلى إليه المصير ، وآية الكرسي حين يصبح ، حفظ بهما حتى يمسي ، ومن قرأ بهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح» (4).

(1) البخاري (4703) .

(2) مسلم (539/1) ، رقم (780) ، وأخرجه أيضا أحمد (284/2) ، رقم (7808) ، والترمذي (5/157) ، رقم (2877) وقال : حسن صحيح .

(3) مسلم (556/1) ، رقم (810) ، وأخرجه الطيالسي (ص 74 ، رقم 550) ، وأحمد (5/141) ، رقم (21315) ، وعبد بن حميد (ص 92 ، رقم 178) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2/456) ، رقم (2387) ، وأبو داود (2/72) ، رقم (1460) ، والحاكم (3/344) ، رقم (5326) وقال : صحيح الإسناد .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ وَحْدٌ﴾⁽¹⁾ وَ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾⁽²⁾»⁽³⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُورٍ؛ فِي الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطه»⁽⁴⁾.

قال بعض الأئمة المتقدمين: هو الحي القيوم؛ لأنه في البقرة في آية الكرسي، وفي آل عمران، وفي طه في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾⁽⁵⁾.
وفي حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - المشهور في حفظ زكاة رمضان أن شيطاناً قال له: إذا أويت إلى فراشك، فاقراً آية الكرسي؛ فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان. فأخبر رسول الله ﷺ فقال: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب»⁽⁶⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفْتَاهُ مِنْ

(1) أخرجه الترمذي (5/157، رقم 2879) وقال: غريب.

(2) سورة البقرة، الآية: 163.

(3) سورة البقرة، الآية: 255.

(4) أخرجه أحمد (6/461، رقم 27652)، وابن أبي شيبة (6/47، رقم 29363)، وأبو داود (2/80، رقم 1496)، والترمذي (5/517، رقم 3478) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (2/1267، رقم 3855) والطبراني (24/174، رقم 440) والبيهقي في شعب الإيمان (2/454، رقم 2383)، وعبد بن حميد (ص 456، رقم 1578)، وابن الضريس في فضائل القرآن (9/89، رقم 182)، والدينوري في المجالسة (1/308، رقم 15).

(5) أخرجه ابن ماجه (2/1267، رقم 3856)، والحاكم (1/686، رقم 1866)، والطبراني (8/183، رقم 7758)، وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (1/308)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص 19)، والطبراني في الأوسط (8/192، رقم 8371).

(6) سورة طه، الآية: 110.

(7) أخرجه البخاري (2/812، رقم 2187).

قيام الليل» رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾. قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - قيل : معناه كفتاه من قيام الليل . وقيل : من الشيطان . وقيل : من الآفات . ويحتمل الجميع⁽²⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِي عَامٍ ، أَنْزَلَ فِيهِ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، لَا يَقْرَأَنَ فِي دَارِ ثَلَاثِ لَيَالٍ فِيَقْرِبُهَا الشَّيْطَانُ»⁽³⁾.

وقال رسول ﷺ : «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال». وفي رواية : «من آخر سورة الكهف». رواهما مسلم⁽⁴⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَنْزِلُوا النِّسَاءَ الْعَرَفَ وَلَا تَعْلَمُوهُنَ الْكِتَابَةَ ، وَعَلَمُوهُنَ الْغَزْلَ وَسُورَةَ النُّورِ»⁽⁵⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَأَ طَهُ وَيَسَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِ عَامٍ ، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ الْقُرْآنَ قَالَتْ : طُوبَى لِأُمَّةٍ يَنْزِلُ هَذَا

(1) البخاري (5009) ، ومسلم (1914) .

(2) شرح صحيح مسلم 2/ 162.

(3) أخرجه أحمد (4/ 274 ، رقم 18438) ، وأبو عبيد في فضائل القرآن (2/ 37 ، رقم 425) والدارمي (2/ 542 ، رقم 3387) ، والترمذي (5/ 159 ، رقم 288) وقال : حسن غريب . والنسائي في الكبرى (6/ 240 ، رقم 10803) ، ومحمد بن نصر في قيام الليل كما في مختصره للمقريزي (ص 259 ، رقم 172) ، وابن حبان (3/ 61 ، رقم 782) مختصراً . والحاكم (2/ 286 ، رقم 3031) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 460 ، رقم 2400) ، والطبراني في الأوسط (2/ 281 ، رقم 1988) ، والبخاري (8/ 236 ، رقم 3296) .

(4) مسلم (1/ 555 ، رقم 809) وأخرجه أيضاً أحمد (5/ 196 ، رقم 21760) وأبو داود (4/ 117 ، رقم 4323) ، والنسائي في الكبرى (6/ 236 ، رقم 10787) ، والحاكم (2/ 399 ، رقم 3391) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (3/ 249 ، رقم 5793) .

(5) أخرجه الحاكم (2/ 430 ، رقم 3494) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضاً : الطبراني في الأوسط (6/ 34 ، رقم 5713) .

عليها ، وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا»⁽¹⁾ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ، ومن قرأ يس
كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات»⁽²⁾ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «اقرأوا على موتاكم يس»⁽³⁾ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا»⁽⁴⁾ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر
له ، وهي تبارك الذي بيده الملك» . رواه الترمذي وقال : حديث حسن⁽⁵⁾ .

-
- (1) أخرجه الدارمي (2/547 ، رقم 3414) ، وابن أبي عاصم (1/269 ، رقم 607) ، وابن خزيمة في التوحيد (ص 236) ، والعقيلي (1/66 ، ترجمة 65 إبراهيم بن المهاجر بن مسمار) وقال قال البخاري : منكر الحديث . والطبراني في الأوسط (5/133 ، رقم 4876) قال الهيثمي (7/56) : فيه إبراهيم بن مهاجر بن مسمار ، وضعفه البخاري بهذا الحديث ، ووثقه ابن معين . وابن عدى (1/216 ، ترجمة 60 إبراهيم بن مهاجر بن مسمار) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2/476 ، رقم 2450) ، وابن الجوزي في الموضوعات (1/155 ، رقم 238) . وأورده ابن حبان في الضعفاء (1/108 ، ترجمة 18 إبراهيم بن مهاجر) وقال : هذا المتن موضوع . والدليمي (1/162 ، رقم 601) ، والرافعي (2/475) ، والذهبي في السير (10/691) وقال : منكر فابن مهاجر وشيخه ضعيفان .
- (2) أخرجه الدارمي (2/548 ، رقم 3416) ، والترمذي (5/162 ، رقم 2887) وقال : غريب . والبيهقي في شعب الإيمان (2/479 ، رقم 2460) ، والحكيم (3/258) ، والقضاعي (2/130 ، رقم 1035) .
- (3) أخرجه أحمد (5/26 ، رقم 20316) ، وأبو داود (3/191 ، رقم 3121) ، وابن ماجه (1/466 ، رقم 1448) ، وابن حبان (7/269 ، رقم 3002) ، والطبراني (20/219 ، رقم 510) ، والحاكم (1/753 ، رقم 2074) ، والبيهقي (3/383 ، رقم 6392) ، والطيالسي (ص 126 ، رقم 931) ، وابن أبي شبة (2/445 ، رقم 10853) ، والنسائي في الكبرى (6/265 ، رقم 10913) .
- (4) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/492 ، رقم 2500) ، وابن عساكر (33/186) .
- (5) أخرجه أحمد (2/299 ، رقم 7962) ، والترمذي (5/164 ، رقم 2891) ، والنسائي في الكبرى (6/178 ، رقم 10546) ، وابن ماجه (2/1244 ، رقم 3786) ، وابن حبان (3/67 ، رقم 787) ، وابن السني في عمل يوم وليلة (ص 253 ، رقم 688) .

وعن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿أَلَمْ تَنْزِيلٌ﴾ و﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَبْدِئُ الْمَلِكُ﴾ .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وَّكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَصْلُونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ مَاتَ شَهِيداً، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يَمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا زَلَزْتَ تَعْدِلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ»⁽²⁾.

وعن فروة بن نوفل عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي. فقال: «اقرأ قل يا أيها الكافرون؛ فإنها براءة من الشرك»⁽³⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». قالوا: كيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه أحمد (5/ 26، رقم 20321)، والترمذي (5/ 182، رقم 2922) وقال: غريب. والطبراني (20/ 229، رقم 537)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 492، رقم 2502)، والرافعي (2/ 495).

(2) أخرجه الترمذي (5/ 166، رقم 2894) وقال: غريب. والحاكم (1/ 754، رقم 2078)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 496، رقم 2514).

(3) أخرجه أحمد (5/ 456، رقم 23858)، وابن أبي شيبه (5/ 323، رقم 26528)، وأبو داود (4/ 313، رقم 5055)، والترمذي (5/ 474، رقم 3403)، والحاكم (2/ 587، رقم 3982)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وابن السني (ص 254 رقم 694). والنسائي في الكبرى (6/ 200، رقم 10637) وابن حبان (3/ 70، رقم 790)، والدارمي (2/ 551، رقم 3427)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 499، رقم 2521).

(4) أخرجه أحمد (5/ 418، رقم 23600)، والدارمي (2/ 553، رقم 3437)، وعبد بن حميد (ص 103، رقم 222)، والترمذي (5/ 167، رقم 2896) وقال: حسن. والنسائي (6/ 173، رقم 10515)، وأبو نعيم في الحلية (2/ 117) ..

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات (1).

وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد، محي عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين» (2).

وقال عقبة بن عامر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء؛ إذ غشنا ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس، ويقول: «يا عقبة، تعوذ بهما، فما تعوذ متعوذ بمثلها» (3).

وعن عبيد الله بن حبيب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ، فأدركناه فقال: «قل: ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تصبح وحين تمسي ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» (4).

(1) أخرجه النسائي في الكبرى (6/197، رقم 10624).

(2) أخرجه الترمذي (5/168، رقم 2898) وقال: غريب. وأبو يعلى (6/103، رقم 3365)، وابن عدي (2/439، ترجمة 551 حاتم بن ميمون)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/507، رقم 2547)، والخطيب (6/203).

(3) أخرجه أبو داود (2/73، رقم 1463)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/511، رقم 2563)، والطبراني (17/345، رقم 950).

(4) أخرجه ابن سعد (4/351)، وعبد بن حميد (ص 178، رقم 494)، وأبو داود (4/321، رقم 5082)، والترمذي (5/567، رقم 3575)، وقال: حسن صحيح غريب. والضياء (9/287، رقم 249).

الباب الثامن

في أشياء متفرقة

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفروط بغير النظم سُنَّة. قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»⁽¹⁾. فقليل: أراد به الاستغناء. وقيل: أراد به الترنم وتردد الألحان به، وهو أقرب عند أهل اللغة⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به». رواه البخاري ومسلم⁽³⁾. ومعنى «أذن» استمع، هو إشارة إلى الرضا والقبول.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين، وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري (6/2737، رقم 7089)، والخطيب (1/395)، والبيهقي (10/229، رقم 20835)، وابن عساكر (51/242)، وأخرجه عبد الرزاق (2/483، رقم 4170)، وابن أبي شيبه (6/119، رقم 29942)، والطيالسي (1/28، رقم 201)، وأحمد (1/179، رقم 1549)، والدارمي (1/417، رقم 1490)، وأبو داود (2/74، رقم 1469، 1470)، وابن حبان (1/326، رقم 120)، والحاكم (1/758، رقم 2091) وقال صحيح الإسناد، والضياء (3/173، رقم 971).

(2) إحياء علوم الدين 1/279.

(3) أخرجه عبد الرزاق (2/482، رقم 4167)، وأحمد (2/450، رقم 9804)، والبخاري (6/2720، رقم 7044)، ومسلم (1/545، رقم 792)، وأبو داود (2/75، رقم 1473)، والنسائي (2/180، رقم 1017)، وابن حبان (3/30، رقم 752).

(4) أخرجه محمد بن نصر في قيام الليل كما في مختصره للمقرئ (ص 219 رقم 147)، والطبراني =

وقال أبو ذر: سمعتُ رسول الله ﷺ يتخوف على أمته قوما يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل يؤمهم ليس بأفقههم ليس إلا ليغنيهم⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشي الله عز وجل»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لابن مسعود: «اقرأ علي». فقال: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟! فقال: «إني أحب أن أسمعه من غيري»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة».

وقال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر، إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من قرأ القرآن فليسأل الله به؛ فإنه سيأتي قوم يقرءون القرآن يسألون الناس به»⁽⁵⁾.

وقال إبراهيم: كانوا يكرهون أن يتلو الآية عند الشيء لغرض من أمر الدنيا. قال أبو عبيد: وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه أو يهم بالحاجة فيأتيه من غير طلب

= في الأوسط (7/ 183، رقم 7223).

(1) أخرجه الضياء (8/ 234، رقم 279).

(2) أخرجه ابن ماجه (1/ 425، رقم 1339)، وابن المبارك في الزهد (1/ 37، رقم 114).

(3) أخرجه أحمد (1/ 380، رقم 3606)، ومسلم (1/ 551، رقم 800)، وأبو داود (3/ 324، رقم

3668)، والبخاري (4/ 1927، رقم 4768) والترمذي (5/ 238، رقم 3025) والبيهقي (10/ 231، رقم

20846).

(4) إحياء علوم الدين 1/ 289.

(5) أخرجه ابن أبي شيبة (6/ 124، رقم 30002)، والطبراني (18/ 166، رقم 370)، والبيهقي في شعب

الإيمان (2/ 533، رقم 2628)، وأخرجه أحمد (4/ 439، رقم 19958).

فيقول كالمأزح : جئت على قدر يا موسى . وهذا من الاستخفاف (1).

وحكى الكواشي في تفسيره عن بعض المتجبرين تلا عليه قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ (٣٠)؟ (2) فقال : تأتي به الفئوس والمعاول . فذهب ماء عينيه وعمي (3).

وروي النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : عن أبي يحيى الساجي قال : كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين ، فأسرعنا المشي ، وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه ، فقال : ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسرونها . كالمستهزئ ، فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط (4).

وروى عن أبي داود السجستاني أنه قال : كان في أصحاب الحديث رجل خليع ، فسمع حديث النبي ﷺ : «إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» (5). فجعل في نعليه مسامير من حديد وقال : أريد أن أطأ أجنحة الملائكة فأصابته الأكلة في رجله (6).

وحكى أن بعض المبتدعين سمع قول النبي ﷺ : «إذا استيقظ أحدكم من منامه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ؛ فإنه لا يدري أين باتت يده» (7). قال

(1) فضائل القرآن لابن سلام 131.

(2) سورة الملك ، الآية : 30.

(3) تفسير الألوسي 152/21.

(4) الرحلة في طلب الحديث 9.

(5) أخرجه أحمد (5/196 ، رقم 21763) ، وأبو داود (3/317 ، رقم 3641) ، والترمذي (5/48 ، رقم

2682) ، وابن ماجه (1/81 ، رقم 223) ، وابن حبان (1/289 ، رقم 88) ، والبيهقي في شعب

الإيمان (2/262 ، رقم 1696) .

(6) فيض القدير 2/498.

(7) أخرجه ابن أبي شيبه (1/94 ، رقم 1047) .

ذلك المبتدع كالمستهزئ: أنا أدري أين باتت يدي في الفراش ، فأصبح وقد أدخل يديه في دبره إلى ذراعه (1).

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - في كتاب البستان بعد أن ذكر هذه الحكايات :
ومن هذا المعنى ما وجد في زماننا هذا وتواترت به الأخبار ، وثبت عند القضاة أن رجلا في قرية من بلاد بصري في أوائل سنة خمس وستين وستمائة كان سيء الاعتقاد في أهل الخير وله ابن يحسن الاعتقاد فيهم ، فجاء ابنه من عند شيخ له صالح ومعه سواك ، فقال له : ما أعطاك شيخك؟ مستهزئا فقال : هذا السواك فأخذه منه وأدخله في دبره احتقارا له ، فبقى مدة ثم وَلَدَ ذلك الرجل الذي أدخل السواك في دبره جروا قريب الشبه بالسמكة فقتله ومات الرجل في الحال أو بعد يومين عافانا الله من بلائه (2).



(1) فيض القدير 1/359.

(2) بستان العارفين 17.

كتاب ذكر الله عز وجل

وفيه ستة أبواب :

الباب الأول

في فضله والحث عليه

قال الله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾⁽¹⁾. قال ابن عباس : اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي⁽²⁾.

وقال سعيد بن جبير : اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي⁽³⁾. وقيل : اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء⁽⁴⁾. بيانه فلو أنه كان من المسيحين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون . وقيل : اذكروني على ظهر الأرض اذكركم في بطنها إذا نسيكم أهل الدنيا . وقيل : معناه اذكروني بخدمتي اذكركم بنعمتي ، اذكروني بالتوحيد اذكركم بالتأييد ، اذكروني بالشكر اذكركم بالمزيد ، اذكروني بالحببة اذكركم بالقربة ، اذكروني بالخوف اذكركم بالأمان ، اذكروني بالرجاء اذكركم بتحقيق الآمال .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : «يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حيث يذكرني ؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا ، وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»⁽⁵⁾.

(1) سورة البقرة ، الآية : 152 .

(2) تفسير الطبري 3 / 211 ، والبغوي 1 / 167 .

(3) تفسير الطبري 3 / 211 ، والبغوي 1 / 167 .

(4) البغوي 1 / 167 .

(5) أخرجه مسلم (4 / 2102 ، رقم 2675) .

قال الشيخ عبد العزيز الديري - رَحِمَهُ اللهُ - : معناه مَنْ جاهد نفسه قليلا في خدمتي تقربت إلى قلبه برحمته ويسرت عليه كثيرا من الطاعات بحلاوة ورغبة ، ورزقته لذة مناجاتي وحلاوة الأنس بذكري ، فيصير محمولا بعد أن كان حاملا .

وقال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (1). أي : تسكن والسكون يكون باليقين والاضطراب يكون بالشك ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين .

فإن قيل : أليس قد قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (2). فكيف يكون الوجل والطمأنينة في حالة واحدة ، قيل : الوجل عند ذكر الوعيد ، والعقاب والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب ، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه ، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وحسن ثوابه ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (3). أي : ذكر الله أفضل الطاعات ، وقيل : ذكر الله بالقلب أفضل من العبادات مع الغفلة وأكثر أجرا . قاله سلمان الفارسي وقتادة ، وقيل : معناه أن ذكر الله ومراقبته والحياء من نظره أكثر زجرا ونهيا عن المعاصي من جميع الطاعات . قاله عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ﴾ (4) أي : وسوسة من الشيطان ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أن الله ناظر إليهم ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصَرُونَ﴾ . وقال ابن عباس وأبو الدرداء ومجاهد وعكرمة : معناه أن ذكر الله

(1) سورة الرعد ، الآية : 28 .

(2) سورة الأنفال ، الآية : 2 .

(3) سورة العنكبوت ، الآية : 45 .

(4) سورة الأعراف ، الآية : 201 .

لكم أكبر من ذكركم لله (1).

وقال ابن عطاء: أي أكبر من أن تبقى معه معصية (2).

وقال الله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (3). قال ابن عباس - رضي الله عنهما - لم يقض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر فإنه لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، وأمرهم في الأحوال كلها فقال ﴿أَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (4).

وقال الله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (5). أي: بالليل والنهار، في البر والبحر، والصحة والسقم، في السر والعلانية (6). وقال مجاهد: الذكر الكثير ألا تنساه أبدا (7).

قال الشيخ عبد العزيز - رحمه الله - : المؤمن يذكر الله كثيرا؛ لأنه يسكن الله بقلبه فتسكن جوارحه إلى ذكره، فلا يبقى منه عضو إلا وهو ذاك في المعنى، فإذا امتدت يده إلى شيء ذكر الله فوقف عن السعي إلا فيما يرضي الله - عز وجل - وإذا طمحت عينه إلى شيء ذكر الله فغض بصره عن محارم الله، وكذلك سمعه ولسانه وبصره وسائر جوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى، ومراعاة أمر الله، والحياء من نظر الله، فهذا هو الذكر الكثير، والذكر القليل ذكر

(1) تفسير الطبري 34/20.

(2) البغوي 1/247.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 41.

(4) سورة آل عمران، الآية: 191، وانظر الأثر في تفسير الطبري 9/164.

(5) سورة الأحزاب، الآية: 41.

(6) تفسير الطبري 9/164.

(7) تفسير البغوي 6/360.

المنافقين ؛ يذكرون الله بألستهم رياء الناس وليس في قلوبهم من الذكر شيء ، قال الله تعالى : ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾ . والذكر المطلوب ذكر القلب ، وإنما ذكر اللسان طريق إليه ، فمن لازم ذكر الله بلسانه مخلصا لله وَصَلَتْ بركة الذكر إلى قلبه فعاش قلبه بذكر الله ، فعند ذلك يكون ذكره كثيرا .

وقال ذو النون من ذكر الله على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء ، وحفظ الله عليه وكان له عوضا من كل شيء⁽²⁾ .

ويقال : ذكر اللسان حسنات ، وذكر القلب قربات ودرجات . ويقال : الإشارة في قول الله تعالى : ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ . أي : أحبوا الله ؛ فإن في الحديث : «من أحب شيئا أكثر من ذكره»⁽³⁾ . فال محبوب لا ينسى محبوبه في بُعد ولا قرب ، ولا وصل ولا هجر .

وقال أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللَّهُ - اعلم أن ذكر الله تعالى أفضل العبادات ؛ لأن الله تعالى جعل لسائر العبادات مقدارا ، و جعل لها أوقاتا ، ولم يجعل لذكر الله مقدارا ولا وقتا ، وأمر بالكثرة من غير مقدار ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾⁽⁴⁾ . يعني : اذكروه في جميع الأحوال⁽⁵⁾ .

قال : وتفسير الذكر في الأحوال كلها أن العبد لا يخلو عن أربعة أحوال :

(1) سورة النساء ، الآية : 142 .

(2) حياة الحيوان الكبرى 156/2 .

(3) الديلمي - كما في الجامع الكبير (45315) .

(4) سورة الأحزاب ، الآية : 41 .

(5) تنبيه الغافلين 257 .

إما أن يكون في الطاعة ، أو في المعصية ، أو في النعمة ، أو في الشدة ؛ فإن كان في الطاعة ينبغي أن يذكر الله تعالى بالتوفيق ، ويسأل منه القبول ، وإن كان في المعصية ينبغي أن يدعو الله بالامتناع ويسأله التوبة ، وإن كان في النعمة يذكره بالشكر ، وإن كان في الشدة يذكره بالصبر . وقوله : ﴿ وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (1) . التسبيح الصلاة والذكر ، والبكرة ربع النهار الأول ، والأصيل الربع الأخير (2) .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «سبق المفردون» قالوا : وما المفردون يا رسول الله؟ قال : «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» . روه مسلم (3) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت» (4) .

وقال ﷺ : «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله - عز وجل - تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم - وهو أعلم - ما : يقول عبادي؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . فيقول : هل رأوني؟ فيقولون : لا والله ما رأوك . فيقول : كيف لو رأوني؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا

(1) سورة الأحزاب ، الآية : 42 .

(2) تنبيه الغافلين 258 .

(3) مسلم (4/2062 ، رقم 2676) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/411 ، رقم 9321) ، وابن حبان (3/140 ، رقم 858) ، والطبراني في الأوسط (3/155 ، رقم 2773) .

(4) أخرجه البخاري (5/2353 ، رقم 6044) ، ومسلم (1/539 ، رقم 779) ، وابن حبان (3/135 ، رقم 854) ، وأبو يعلى (13/291 ، رقم 7306) ، والرويانى (1/317 ، رقم 473) ، والبيهقي في شعب الإيمان (1/401 ، رقم 536) ، والديلمي (4/143 ، رقم 6442) .

أشد لك عبادة ، وأشد تمجيذا ، وأكثر لك تسييحا . فيقول : فماذا يسألونني؟ قال : يقولون يسألونك الجنة . قال : يقول : وهل رأوها؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها . فيقول : فكيف لو رأوها؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصا عليها ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون؟ قال : فهم يتعوذون من النار . قال : فيقول : وهل رأوها؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها . فيقول : فكيف لو رأوها . قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول : فأشهدكم أنني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة فيهم : فلان ليس منهم ؛ إنما جاء حاجة! قال : هم الجلساء لا يشقى جلسهم» . رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

وقال ﷺ : «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده» . رواه مسلم⁽²⁾.

ويروى أن في الجنة ملائكة يغرسون الأشجار للذاكرين ، فإذا وقف الذاكر وقف الملك فيقول : فتر صاحبي⁽³⁾.

وفي الحديث : يقول الله تعالى : «أنا مع عبدي ما ذكرني أو تحركت بذكرى شفتاه ، أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى ، توليت

(1) البخاري (2353/5 ، رقم 6045) ، ومسلم (2069/4 ، رقم 2689) ، وأخرجه أيضا أحمد (382/2 ، رقم 8960) ، وابن حبان (137/3 ، رقم 856) ، وأبو نعيم (117/8) ، والطبراني (ص 319 ، رقم 2434) ، والبيهقي في شعب الإيمان (399/1 ، رقم 531) .

(2) مسلم (2074/4 ، رقم 2700) ، وأخرجه أيضا الترمذي (459/5 ، رقم 3378) وقال : حسن صحيح . والطبراني (ص 296 ، رقم 2233) ، وأحمد (92/3 ، رقم 11893) ، وعبد بن حميد (ص 272 ، رقم 861) ، وأبو يعلى (444/2 ، رقم 1252) ، وابن حبان (136/3 ، رقم 855) .

(3) حلية الأولياء 276/9 .

سياسته ، وكنت جليسه وأنيسه»⁽¹⁾.

ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال : «ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين ، وذاكر الله في الغافلين كغصن أخضر في شجر يابس ، وذاكر الله في الغافلين مثل مصباح في بيت مظلم ، وذاكر الله في الغافلين يريه مقعده في الجنة وينظر الله إليه وهو حي ، وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح من الجنة وأعجم ، والفصيح بنو آدم والأعجم البهائم ، وذاكر الله في الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدا ، وذاكر الله في السوق له بكل شجرة نور يوم القيامة»⁽²⁾.

ويروى أن بيوت الذاكرين لها نور تراه الملائكة بقدر ما فيها من الذكر ، كما نرى نحن النجوم في السماء . وقال سهل بن عبد الله : إن الله تعالى يقول : عبدي ما أنصفتني ؛ أذكرك وتنساني ، وأدعوك إلي وتذهب إلى غيري ، وأذهب عنك البلايا وأنت منعكف على الخطايا ، يا ابن آدم ، ما تقول غدا إذا جئتني⁽³⁾.

وحكى ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ - عن بعض السادة أنه قال : خرجت إلى السوق ومعني جارية حبشية ، فأجلستها في مكان منه وأمرتها ألا تقوم حتى أعود إليها ، فعدت فلم أجدها ، فانصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها ، فلما رأته عرفت ذلك في وجهي وقالت : يا مولاي ، لا تعجل علي ؛ أجلسني بين قوم لا يذكرون الله فخشيت أن يخسف بهم وأنا معهم . فقلت لها : هذه أمة مرحومة وقد رفع الله الخسف عنهم إكراما لنبينا محمد ﷺ . فقالت : يا مولاي

(1) أخرجه أحمد (2/ 540 ، رقم 10989) ، وابن ماجه (2/ 1246 ، رقم 3792) ، قال البوصيري (4/ 127) : هذا إسناد حسن . والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 391 رقم 509) ، وابن حبان (3/ 97 رقم 815) ، والحاكم (1/ 673 ، رقم 1824) وقال : صحيح الإسناد .

(2) أخرجه أبو نعيم في الحلية (6/ 181) ، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 411 ، رقم 565) ، وابن عدي (5/ 91 ، ترجمة 1269 عمران بن مسلم) .

(3) الرسالة القشيرية 1/ 102 .

إن كان رفع عنها خسف المكان ، فما رفع عنها خسف القلوب والإيمان⁽¹⁾.
وقال أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللهُ - : في ذكر الله تعالى خمس فوائد ؛ أولها : رضا الله تعالى عنه ، والثاني : أنه حرز من الشيطان ، والثالث : أنه يرقق القلب ، والرابع : أنه يزيد في الحرص على الطاعات ، والخامس : أنه يمنع من المعاصي⁽²⁾.



(1) تفسير حقي 5 / 91.

(2) تنبيه الغافلين 234.

الباب الثاني

في تقسيم الذكر وبيان كيفيته

قال القاضي عياض - رَحِمَهُ اللهُ - : ذكر الله تعالى ضربان : ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وذكر القلب نوعان ؛ أحدهما : وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وأرضه ، ومنه الحديث : «خير الذكر الخفي»⁽¹⁾ . والمراد به هذا . الثاني : ذكر بالقلب عند الأمر والنهي ، فيمثل ما أمر به ، ويترك ما نُهي عنه ، ويترك ما أشكل عليه . وأما ذكر اللسان مجردا فهو أضعف الأذكار ، ولكن فيه فضل عظيم ، كما جاءت به الأحاديث . قال : وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل⁽²⁾ .

قال القاضي : والخلاف عندي إنما يتصور في مجرد ذكر القلب تسبيحا وتهليلا وشبههما ، وعليه يدل كلامهم ، لا أنهم مختلفون في الذكر الخفي الذي ذكرناه أولا ، فذلك لا يقاربه ذكر اللسان ، فكيف يفاضله ، وإنما الخلاف في ذكر القلب بالتسبيح المجرد ونحوه ، والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب ؛ فإن كان لاهيا فلا ، واحتج من رجح ذكر القلب بأن عمل السر أفضل ، ومن رجح اللسان قال : لأن العمل فيه أكثر ، فإنه زاد باستعمال اللسان ، فاقتضى زيادة أجر⁽³⁾ .

(1) أخرجه أحمد (1/ 172 ، رقم 1477) ، وعبد بن حميد (ص 76 ، رقم 137) ، وابن حبان (3/ 91 ، رقم 809) ، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 406 ، رقم 552) .

(2) شرح صحيح مسلم 9/ 56 .

(3) شرح صحيح مسلم 9/ 56 .

قال القاضي : واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب؟ فقليل : تكتبه ، ويجعل الله تعالى لهم علامة يعرفونه بها ، وقيل : لا يكتبونه ؛ لأنه لا يطلع عليه غير الله تعالى (1).

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : والصحيح أنهم يكتبونه ، وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من القلب وحده (2).

وقال النووي في كتابه الأذكار : اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها ، بل كل عامل لله بطاعة فهو ذكر لله تعالى . كذا قال سعيد بن جبير وغيره (3).

وقال عطاء : مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام ، كيف تشتري وتبيع وتصوم وتصلي وتنكح وتطلق وتحج ، وأشبه هذا (4).

ويروي عن النبي ﷺ أنه قال : «مَنْ أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلَّتْ صلاته وصيامه وتلاوته القرآن» (5).



(1) شرح صحيح مسلم 56/9.

(2) شرح صحيح مسلم 56/9.

(3) الأذكار 67.

(4) حلية الأولياء 5/7.

(5) أخرجه الطبراني (154/22 ، رقم 413) ، وابن عساكر (286/4) ، وسعيد بن منصور (630/2) ، رقم 230) والبيهقي في شعب الإيمان (1/452 ، رقم 687) .

الباب الثالث

في فضل كلمات من الأذكار

جاءت غير مقيدة بوقت

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ؛ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » . رواه البخاري (1).

وعنه ﷺ قال : « لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » . رواه مسلم (2).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، إلا رجل عمل أكثر منه » (3).

(1) البخارى (5/2352، رقم 6043) وبهذا الحديث ختم البخارى صحيحه ، ومسلم (4/2072، رقم 2694) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/232، رقم 7167) ، وابن أبى شيبه (7/167، رقم 35026) ، والترمذى (5/512، رقم 3467) ، وقال : حسن غريب صحيح . وابن ماجه (2/1251، رقم 3806) ، وابن حبان (3/112، رقم 831) .

(2) مسلم (4/2072، رقم 2695) ، وأخرجه أيضا ابن أبى شيبه (7/167، رقم 35025) ، والترمذى (5/577، رقم 3597) ، وقال : حسن صحيح . وابن حبان (3/116، رقم 834) .

(3) أخرجه مالك (1/209، رقم 488) ، وابن أبى شيبه (6/60، رقم 29476) ، وأحمد (2/302، رقم 7995) ، والبخارى (3/1198، رقم 3119) ، ومسلم (4/2071، رقم 2691) ، والترمذى =

وقال : «من قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر» . رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

وعن أبي ذر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ، إن أحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده» . رواه مسلم⁽²⁾.

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : هذا محمول على كلام الآدمي ، وإلا فالقرآن أفضل ، وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق ، فأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك فلاشتغال به أفضل⁽³⁾.

وقال صلى الله عليه وسلم : «الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السموات والأرض» . رواه مسلم⁽⁴⁾.

وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل

= (5/512 ، رقم 3468) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/1248 ، رقم 3798) ، وابن حبان (3/129 ، رقم 849) .

(1) البخاري (5/2352 ، رقم 6042) ومسلم (4/2071 ، رقم 2691) ، وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة (6/54 ، رقم 29417) ، وأحمد (2/302 ، رقم 7996) ، والترمذي (5/511 ، رقم 3466) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/1253 ، رقم 3812) ، وابن حبان (3/111 ، رقم 829) .

(2) مسلم (4/2093 ، رقم 2731) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (6/54 ، رقم 29418) .

(3) شرح صحيح مسلم 9/95 .

(4) مسلم (1/203 ، رقم 223) ، وأخرجه أيضا أحمد (5/342 ، رقم 22953) ، والترمذي (5/535 ، رقم 3517) وقال : صحيح . وأخرجه أيضًا : الدارمي (1/174 ، رقم 653) ، وأبو عوانة (1/189 ، رقم 600) ، والطبراني (3/284 ، رقم 3423) ، وابن منده (1/374 ، رقم 211) ، والبيهقي في شعب الإيمان (3/3 ، رقم 2709) .

تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزئ عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى» . رواه مسلم ⁽¹⁾ .

وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن النبي ﷺ خرج بكرة من عندها حين صلى الصبح وهي في مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى ، وهي جالسة ، فقال : «ما زلت على الحال الذي فارقتك عليها؟» قالت : نعم . فقال النبي ﷺ : «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن ؛ سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته» . رواه مسلم ⁽²⁾ .

وقال ﷺ : «من قال : سبحان الله وبحمده . غرست له نخلة في الجنة» . رواه الترمذي وقال : حديث حسن ⁽³⁾ .

وقال ﷺ : «لقيت إبراهيم ﷺ ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد ، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر» . رواه الترمذي وقال : حديث حسن ⁽⁴⁾ .

(1) أخرجه مسلم (498/1 رقم 720) والنسائي في الكبرى (326/5 رقم 9028) ، وابن خزيمة (2/228 ، رقم 1225) وأخرجه أيضاً : أحمد (5/167 ، رقم 21513) .

(2) مسلم (4/2090 ، رقم 2726) ، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (6/51 ، رقم 29395) ، وأبو داود (2/81 ، رقم 1503) ، وابن ماجه (2/1251 ، رقم 3808) ، وابن حبان (3/113 ، رقم 832) .

(3) الترمذي (5/511 ، رقم 3464) وقال : حسن صحيح غريب . وأخرجه أيضاً أبو يعلى (4/165 ، رقم 2233) ، وابن حبان (3/109 ، رقم 826) ، والحاكم (1/680 ، رقم 1847) وقال : صحيح على شرط مسلم . وأخرجه ابن أبي شيبة (6/56 ، رقم 29438) ..

(4) الترمذي (5/510 ، رقم 3462) ، وقال : حسن غريب ، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (10/173 ، رقم 10363) ، والأوسط (4/270 ، رقم 4170) والصغير (1/326 ، رقم 539) .

وعن سعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به ، فقال : «ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟» فقال : «سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك» . رواه الترمذي وقال : حديث حسن (1).

وعن أبي موسى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟» فقلت : بلى يا رسول الله . قال : «لا حول ولا قوة إلا بالله» رواه البخاري ومسلم (2).



(1) الترمذي (5/ 562، رقم 3568) وقال : حسن غريب . وأخرجه أيضا أبو داود (2/ 80، رقم 1500) ، وقد عزا المزي الحديث في تحفة الأشراف (3/ 325، رقم 3954) للنسائي في عمل اليوم والليلة ، وابن حبان (3/ 118، رقم 837) ، والحاكم (1/ 732، رقم 2009) ، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 424، رقم 602) ، والضياء (3/ 210، رقم 1011) ، والبخاري (4/ 39، رقم 1201) .

(2) البخاري (6/ 2690، رقم 6952) ، ومسلم (4/ 2076، رقم 2704) ، وأخرجه أيضا أحمد (4/ 417، رقم 19760) ، وأبو داود (2/ 87، رقم 1526) ، والنسائي في الكبرى (6/ 438، رقم 11427) ، وابن ماجه (2/ 1256، رقم 3824) .

الباب الرابع

في الأذكار المقيدة بوقت أو سبب

قال الله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (١). قال أهل اللغة : الآصال جمع الأصيل ، وهو ما بين العصر والمغرب (٢).

وعن حذيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : «باسمك اللهم أحيا وأموت» وإذا استيقظ قال : «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» رواه البخاري (٣).

وقال ﷺ : «ما من عبد يقول عند رد الله تعالى عليه روحه : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، إلا غفر الله تعالى له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر». رواه ابن السني (٤).

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أصبح : «اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا وبك نموت ، وإليك النشور». وإذا أمسى قال : «اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا ، وبك نحيا وبك نموت ، وإليك النشور». رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن (٥).

(1) سورة الأعراف ، الآية : 205.

(2) تاج العروس (أ ص ل) .

(3) البخاري (6312) .

(4) وأخرجه أيضًا : الحارث كما في بغية الباحث (2/955 ، رقم 1054) ، والخطيب (301/8) .

(5) أخرجه أبو داود (4/317 ، رقم 5068) ، والترمذي (5/466 ، رقم 3391) وقال : حسن .

وعنه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن أبا بكر الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال :
يا رسول الله ، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : قل :
«اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ،
أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه» . قال :
«قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك» . رواه أبو داود والترمذي
وقال : حديث حسن صحيح (1).

وعن أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال :
«بسم الله توكلت على الله ، اللهم أني أعوذ بك أن أضلّ أو أضلّ ، أو أزلّ أو
أُزلّ ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يُجهل علي» . رواه الترمذي وقال : حديث
حسن صحيح (2).

قال مجاهد : إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله . قال الملك : هديت .
وإذا قال : توكلت على الله . قال الملك : كُفيت . وإذا قال : لا حول ولا وقوة
إلا بالله . قال الملك : وقيت . فتتفرق عنه الشياطين ، فيقولون : لا سبيل لكم إليه
قد هُدي وكُفي ووقّي (3).

وقال ﷺ : «إذا ولج الرجل بيته فليقل : اللهم إني أسألك خير المولج ، وخير

(1) أبو داود (316/4 ، رقم 5067) ، والترمذي (467/5 ، رقم 3392) ، وقال : حسن صحيح . أخرجه
أيضاً الضياء (113/1 ، رقم 30) ، وقال : إسناده صحيح . وأحمد (9/1 ، رقم 51) ، وابن أبي شيبه
(322/5 ، رقم 26523) ، وابن حبان (242/3 ، رقم 962) ، والحاكم (694/1 ، رقم 1892) ، وقال :
صحيح الإسناد . والطبراني (ص 4 ، رقم 9) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص 412 ، رقم
1202) ، والدارمي (378/2 ، رقم 2689) .

(2) أخرجه الطبراني في الكبير (9/24 ، رقم 11) ، وفي الأوسط (34/3 ، رقم 2383) . قال الهيثمي (10/
129) : فيه أبو بكر الهذلي ، وهو ضعيف .

(3) إحياء علوم الدين 33/1 ، وابن أبي شيبه 99/7 عن ابن مسعود .

المخرج ، بسم الله ولجنا ، وبسم الله خرجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا ، ثم ليسلم على أهله . رواه أبو داود (1) .

ويروي عن بلال - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قال : كان رسول الله ﷺ إذا خرج قال : «بسم الله ، آمنت بالله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق مخرجي هذا ، فإني لم أخرجهُ أَشْرًا ولا بَطَرًا ولا رِيَاءً ولا سمعةً ، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ، أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة» (2) .

وعن أسامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه صلى ركعتي الفجر ، وأن رسول الله ﷺ صلى قريبا منه ركعتين خفيتين ثم سمعه يقول وهو جالس : «اللهم رب جبريل وإسرافيل وميكائيل ، ومحمد النبي ﷺ ، أعوذ بك من النار» . ثلاث مرات . رواه ابن السني .

وروى الشافعي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في الأم بإسناده حديثا مرسلا أن رسول الله ﷺ قال : «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش ، وإقامة الصلاة ، ونزول الغيث» (3) .

وقال ﷺ : «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر ثلاثا وثلاثين ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد

(1) أخرجه أبو داود (325/4 ، رقم 5096) ، والطبراني (296/3 ، رقم 3452) . وأخرجه أيضًا في مسند الشاميين (447/2 ، رقم 1674) .

(2) أخرجه ابن ماجه (256/1 ، رقم 778) ، وأحمد (21/3 ، رقم 11172) ، والبخاري في الجعديات (1/299 ، رقم 2031) ، وابن أبي شيبة (25/6 ، رقم 29202) .

(3) أخرجه الشافعي في الأم (253/1) ، والبيهقي في المعرفة (186/5 ، رقم 7236) .

البحر». . رواه مسلم (1).

وعن معاذ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال : «يا معاذ والله إنني لأحبك» فقال : «أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» . رواه أبو داود بإسناد صحيح (2).

وقال صلى اله عليه وسلم : «من صلى الفجر في جماعة ، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين ، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة» . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح (3).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح قال : «اللهم إني أسألك علما نافعا ، وعملا متقبلا ، ورزقا طيبا» . رواه أحمد وابن ماجه (4).

وقال علقمة بن قيس - رَحِمَهُ اللَّهُ - : بلغنا أن الأرض تعج إلى الله تعالى من نومة العالم بعد صلاة الصبح (5).

ويروى عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ إذا طلعت الشمس قال : «الحمد لله الذي جللنا اليوم عافيته ، وجاء بالشمس من مطلعها ، اللهم أصبحت أشهد لك بما شهدت به لنفسك وشهدت به ملائكتك

(1) أخرجه أحمد (2/ 371 ، رقم 8820) ، ومسلم (1/ 418 ، رقم 597) ، وابن حبان (5/ 359 ، رقم 2016) ، وأخرجه البيهقي (2/ 187 ، رقم 2848) .

(2) أخرجه أحمد (5/ 244 ، رقم 22172) ، وأبو داود (2/ 86 ، رقم 1522) ، والنسائي في الكبرى (6/ 32 ، رقم 9937) ، والحاكم (1/ 407 ، رقم 1010) وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين . والطبراني (20/ 60 ، رقم 110) وابن حبان (5/ 365 ، رقم 2021) ، وعبد بن حميد (ص 71 ، رقم 120) .

(3) أخرجه الترمذي (2/ 481 ، رقم 586) وقال : حسن غريب .

(4) أحمد (27280) ، وابن ماجه (978) .

(5) مصنف عبد الرزاق 47/ 11 ، وشعب الإيمان 255/ 10 .

وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ ،
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اكْتُبْ شَهَادَتِي بَعْدَ شَهَادَةِ مَلَائِكَتِكَ وَأُولِي
الْعِلْمِ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ وَإِلَيْكَ السَّلَامُ ، أَسْأَلُكَ يَا ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ أَنْ تَسْتَجِيبَ لَنَا دَعْوَتَنَا ، وَأَنْ تَعْطِينَا رَغْبَتَنَا ، وَأَنْ تَغْنِيَنَا عَمَّنْ أَغْنَيْتَهُ عَنَا مِنْ
خَلْقِكَ ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عَصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا
مَعِيشَتِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَنْقَلِبِي»⁽¹⁾ .

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا وَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ
ذَلِكَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .
إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»⁽²⁾ .

وقال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمَكْيَالِ الْإَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَلْيَكُنْ آخِرَ كَلَامِهِ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ : سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا
يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ⁽³⁾ .

وعن شداد بن أوس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «سَيِّدُ
الْإِسْتِغْفَارِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ
وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ
بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، إِذَا قَالَ ذَلِكَ حِينَ يَمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ
الْجَنَّةَ ، أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِذَا قَالَ حِينَ يَصْبِحُ فَمَاتَ يَوْمَهُ مِثْلُهُ» . رواه

(1) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (115/10) قال الهيثمي : فيه داود بن عبد الحميد ، وهو ضعيف .
وانظره في الأذكار 86 .

(2) أخرجه الترمذي (494/5 ، رقم 3433) وقال حسن غريب صحيح . وابن حبان (354/2 ، رقم 594) ،
والبيهقي في شعب الإيمان (435/1 ، رقم 628) .

(3) أخرجه عبد الرزاق (236/2 ، رقم 3196) .

البخاري⁽¹⁾. ومعنى : «أبوء» أقر وأعترف .

وعن أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب : «اللهم هذا إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وأصوات دعائك اغفر لي» . رواه أبو داود والترمذي⁽²⁾.

وعنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاة المغرب يدخل فيصلي ركعتين ، ثم يقول فيما يدعو : «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك» رواه ابن السني⁽³⁾.

وعن أبي بن كعب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الوتر قال : «سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات . رواه النسائي⁽⁴⁾.

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ورغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك

(1) البخاري (5/ 2323 ، رقم 5947) ، وأخرجه أيضا أحمد (4/ 124 ، رقم 17171) ، وابن أبي شيبة (6/ 56 ، رقم 29440) ، والنسائي (8/ 279 ، رقم 5522) ، وابن حبان (3/ 213 ، رقم 933) .

(2) أبو داود (1/ 146 ، رقم 530) ، والترمذي (5/ 574 ، رقم 3589) ، وقال : غريب . والطبراني (23/ 303 ، رقم 680) ، والحاكم (1/ 314 ، رقم 714) ، وقال : صحيح . والبيهقي (1/ 410 ، رقم 1792) ، عبد بن حميد (ص 445 ، رقم 1543) . وابن أبي شيبة (6/ 31 ، رقم 29250) ، والحاكم (1/ 314 ، رقم 714) وقال : صحيح ..

(3) أخرجه أيضا ابن أبي شيبة (6/ 25 ، رقم 29197) .

(4) النسائي (1700) ، وأخرجه أيضا أبو داود (2/ 65 ، رقم 1430) ، والطيالسي (1/ 74 ، رقم 546) ، وابن أبي شيبة (2/ 95 ، رقم 6888) ، وعبد الله في زوائده على المسند (5/ 123 ، رقم 21180) ، وابن الجارود (1/ 78 ، رقم 271) ، وابن حبان (6/ 202 ، رقم 2450) ، والدارقطني (2/ 31) ، والحاكم (2/ 282 ، رقم 3016) ، والضياء (3/ 421 ، رقم 1220) ..

الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول»⁽¹⁾.

وقال ﷺ : «من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، والحمد لله وسبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم قال : اللهم اغفر لي ، أودعا ، أستجيب له ، فإن توضأ قبلت صلاته» . رواه البخاري⁽²⁾ . قوله : «تعار» . هو بتشديد الراء ، معناه : استيقظ .

وعن زيد بن ثابت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : شكوت إلى رسول الله ﷺ أَرْقًا أصابني ، فقال : «قل : اللهم غارت النجوم ، وهذأت العيون ، وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ، يا حي يا قيوم ، أهدئ ليلي ، وأتم عيني» . فقلت لها فذهب الله - عز وجل - عني ما كنت أجد . رواه ابن السني⁽³⁾ .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات : «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون» . قال : وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن مَنْ عَقِلَ من بنيهِ ، ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه . رواه أبو داود والترمذي وقال :

(1) أخرجه أحمد (4/ 290 ، رقم 18584) ، والبخاري (1/ 97 ، رقم 244) ، ومسلم (4/ 2081 ، رقم 2710) ، وأبو داود (4/ 311 ، رقم 5046) ، والترمذي (5/ 468 ، رقم 3394) ، وقال : حديث حسن . والنسائي في الكبرى (6/ 195 ، رقم 10618) ، وابن خزيمة (1/ 108 ، رقم 216) . وابن ماجه (2/ 1275 ، رقم 3876) .

(2) البخاري (1/ 387 ، رقم 1103) ، وأخرجه أيضا الدارمي (2/ 377 ، رقم 2687) ، وأبو داود (4/ 314 ، رقم 5060) ، والترمذي (5/ 480 ، رقم 3414) وقال : حسن صحيح غريب . وابن ماجه (2/ 1276 ، رقم 3878) ، وابن حبان (6/ 330 ، رقم 2596) ، والنسائي في الكبرى (6/ 215 ، رقم 10697) .

(3) أخرجه أيضا ابن عساكر (57/ 231) .

حديث حسن (1).

وقال ﷺ: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنما هي من الله تعالى، فليحمد الله تعالى عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد؛ فإنها لا تضره». رواه البخاري (2).

وقال أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللهُ - : من حفظ سبع كلمات فهو عند الله شريف، وعند الملائكة شريف، وغفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر؛ أولها: أن يقول في ابتداء كل شيء: بسم الله. والثاني: أن يقول عند الفراغ من كل شيء: الحمد لله. والثالث: إذا جرى على لسانه لغو أو عمل شيئاً يقول بعده: أستغفر الله. والرابع: إذا أراد أن يقول غداً أعمل عملاً فيقول على أثره: إن شاء الله. والخامس: إذا استقبله مكروه فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والسادس: إذا أصابته مصيبة في النفس أو المال قلَّت أو كثرت فيه: إنا لله وإنا إليه راجعون. والسابع: لا يزال يجري على لسانه في آناء الليل وأطراف النهار: لا إله إلا الله محمد رسول الله (3).



(1) أبو داود (12/4)، رقم (3893) الترمذي (5/541)، رقم (3528) وقال: حسن غريب. وأخرجه أيضاً: أحمد (2/181)، رقم (6696).

(2) البخاري (6/2563)، رقم (6584)، وأخرجه أيضاً أحمد (3/8)، رقم (11069)، والترمذي (5/505)، رقم (3453)، وقال: حسن صحيح غريب. وأخرجه أيضاً: النسائي في الكبرى (6/223)، رقم (10729)، وأبو يعلى (2/513)، رقم (1363)، والحاكم (4/434)، رقم (8181) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(3) تنبيه الغافلين 189.

الباب الخامس

في فضل لا إله إلا الله

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه». رواه البخاري (1).

وروى الترمذي عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أفضل الذكر لا إله إلا الله» (2).

وقال ﷺ : «أخبرني جبريل - عليه السلام - : إن لا إله إلا الله أنس للمسلم عند موته ، وفي قبره ، وحين يخرج من قبره ، يا محمد ، لو تراهم حين يمرقون من قبورهم ، ولا في النشور كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾» (3) (4).

وقال ﷺ : «أكثرنا من قول لا إله إلا الله . قبل أن يحال بينكم وبينها ؛ فإنها كلمة التوحيد ، وهي كلمة الإخلاص ، وهي كلمة التقوى ، وهي الكلمة الطيبة ،

(1) البخاري (1/ 49 ، رقم 99) . وأخرجه أيضا : أحمد (2/ 373 ، رقم 8845) والنسائي في الكبرى (3/ 426 ، رقم 5842) .

(2) أخرجه الترمذي (5/ 462 ، رقم 3383) وقال : حسن غريب . والنسائي في الكبرى (6/ 208 ، رقم 10667) ، وابن ماجه (2/ 1249 ، رقم 3800) ، وابن حبان (3/ 126 ، رقم 846) ، والحاكم (1/ 676 ، رقم 1834) وقال : صحيح الإسناد . والديلمي (1/ 352 ، رقم 1414) .

(3) سورة فاطر ، الآية : 34 .

(4) تفسير حقي 3/ 171 .

وهي دعوة الحق ، وهي العروة الوثقى ، وهي ثمن الجنة⁽¹⁾.

وقال عطاء بن أبي رباح : سألت ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾⁽²⁾ . فقال : غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله ، شديد العقاب لمن لم يقل لا إله إلا الله . وقوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ ﴾ . مصير من قال : لا إله إلا الله إلى الجنة ، ومصير من لم يقل : لا إله إلا الله إلى النار⁽³⁾.

وقال عليه السلام : «لننوأمواتكم لا إله إلا الله ؛ فإنها تهدم ما كان قبلها من الخطايا»⁽⁴⁾.

وقال عليه السلام «حضر ملك الموت رجلا يموت ، فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول : لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص»⁽⁵⁾.

وروي عن النبي عليه السلام أنه قال : «من قرأ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾⁽⁶⁾ . ثم قال : وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لي عند الله وديعة ، ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾⁽⁷⁾ . يجاء بصاحبها يوم

(1) تفسير حقي 3 / 171.

(2) سورة غافر ، الآية : 3.

(3) تفسير البغوي 7 / 138.

(4) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين 18.

(5) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2 / 9 ، رقم 1015) ، والخطيب (9 / 124) ، والطبراني في الدعاء (1 / 433 ، رقم 1473) .

(6) سورة آل عمران ، الآية : 18.

(7) سورة آل عمران ، الآية : 19.

القيامة فيقول الله : إن لعبدي هذا عندي عهدا ، وأنا أحق من وقى بالعهد أدخلوا
عبدى الجنة⁽¹⁾.

قال سعيد بن جبير - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون
صنما ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خَرَّتْ الأصنام
سُجَّدًا حول الكعبة⁽²⁾.

قيل : في «لا إله إلا الله» خاصيتان :

إحدهما : أن جميع حروفها جوفية ليس فيها شيء من الحروف الشفهية
للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه ، وهو القلب لا من الشفتين .

الثاني : أنه ليس فيها حرف معجم ، بل جميعها مجردة من النقط ؛ إشارة
إلى التجرد من كل معبود سوى الله تعالى .

وقيل : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» . أربعة وعشرون حرفا ، وساعات
الليل كذلك ، فكأنه قيل : كل ذنب أذنبت في هذه الساعات يغفر بهذه
الحروف .

وأیضا قول : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» . سبع كلمات وللعبد سبع
أعضاء ، وللنار سبعة أبواب ، فكل كلمة من هذه السبع تغلب بابا من الأبواب
السبعة عن كل عضو من الأعضاء السبعة .

وقيل : «لا إله إلا الله» اثنا عشر حرفا ، فلا جرم وجب بها اثنا عشر فريضة ؛
سنة ظاهرة وستة باطنة ، أما الظاهرة : فالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج
والجهاد . وأما الباطنة : فالتوكل والتفويض والصبر والرضا والزهد والتوبة .

(1) تفسير القرطبي 3/4 .

(2) تفسير القرطبي 4/40 .

وقال الإمام فخر الدين الرازي - رَحِمَهُ اللهُ - في كتاب أسرار التنزيل ولطائف التأويل : تحصل للمؤمن بسبب الشهادة :

- * أبوة إبراهيم عليه السلام ؛ قال الله تعالى : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾⁽¹⁾.
- * وأمومة أزواج النبي ﷺ ؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أَهْلَهُمْ﴾⁽²⁾.
- * وإخوة المؤمنين ؛ قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽³⁾.
- * واستغفار النبي ﷺ ؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾⁽⁴⁾.
- * واستغفار الملائكة ؛ قال الله تعالى : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾⁽⁵⁾.
- * وشفاعة النبي ﷺ ؛ قال عليه السلام : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»⁽⁶⁾.

* ومشاركة الله في الاسم «المؤمن» .

حكى أنه عرض على بعض الملوك عسكره وكان يسألهم عن أسمائهم فيجيبونه ، فسأل واحدا عن اسمه فسكت ؛ لأنه كان سميّه ، فعرف ذلك فأعطاه

(1) سورة الحج ، الآية : 78.

(2) سورة الأحزاب ، الآية : 6.

(3) سورة الحجرات ، الآية : 10.

(4) سورة محمد ، الآية : 19.

(5) سورة غافر ، الآية : 7.

(6) أخرجه أحمد (3/ 213 ، رقم 13245) ، وأبو داود (4/ 236 ، رقم 4739) ، والترمذي (4/ 625) ، رقم 2435 وقال : حسن صحيح غريب ، وابن أبي عاصم (2/ 399 ، رقم : 831) ، وأبو يعلى (6/ 40 ، رقم 3284) ، وابن حبان (14/ 387 ، رقم 6468) ، والطبراني (1/ 258 ، رقم 749) ، والحاكم (1/ 139 ، رقم 228) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 287) ، رقم 310) ، والضياء (4/ 382 ، رقم 1549) .

خلعة عظيمة ، وفي الخبر : يؤتى برجل يوم القيامة اسمه محمد فيقول الله له : ما استحييت أن تعصيني وأنت سمي حبيبي ، فأنا أستحي أن أعذبك وأنت سمي حبيبي .

قال الإمام فخر الدين : فإذا كان لا يعذب سمي رسول الله ، فنرجو ألا يعذب سمي نفسه ؛ قال الإمام فخر الدين : روي أن الماء زاد ببغداد حتى أشرفت على الغرق ، فقال بعض الصالحين : رأيت في بعض تلك الليالي كأني واقف على طرف الدجلة ، وأقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم غرقت ببغداد . فجاء إنسان حسن الصورة وكنت أعلم أنه ملك ، وجاء آخر من ناحية أخرى فقال أحدهما للآخر : ما الذي أمرت به؟ فقال : أمرت بتغريق ببغداد ، ثم نهيت عنه . فقال : ولم؟ قال : رفعت ملائكة الليل البارحة أنه افتض ببغداد سبعمائة فرج حرام ، فغضب الله تعالى وأمرني بتغريقها ، ثم رفعت ملائكة النهار في صبح هذا اليوم سبعمائة أذان وإقامة ، فغفر الله تعالى لهؤلاء بهؤلاء . قال صاحب الرؤيا : فانتبهت وجئت إلى الدجلة ، فإذا الماء قد نقص .

وحكى أن امرأة جاءت إلى بعض أكابر الصوفية بقارورة من زيت وقالت : يا شيخ ، أحب أن تصلح قناديل المسجد بهذا الزيت . فقال الشيخ : أيما أحب إليك نور يصعد إلى السقف أو نور يصعد إلى العرش؟ فقالت : بل نور يصعد إلى العرش . فقال : إذا صببت هذا الدهن في القناديل صعد النور إلى السقف ، وإذا صببته في طعام الفقراء صعد النور منه إلى العرش ، ثم أصلح طعاما بذلك الدهن للفقراء ، فلما أكلوا قال : قولوا بصدق وإخلاص : لا إله إلا الله . واجعلوا ثوابها لتلك المرأة .

وحكى أنه كان في الأمم الماضية ملك متمرّد على ربه ، فغزاه المسلمون وأخذوه أسيرا فقالوا : بأي قتلة نقتله؟ فأجمع رأيهم على أن يضعوه في قمقم

ويوقدوا تحته النار ليذيقوه قوة العذاب ، ففعلوا ذلك به ، فجعل يدعو آلهته واحدا بعد واحد : يا فلان بما كنت أعبد أنقذني مما أنا فيه ، فلما رآها لا تغني عنه شيئا ، رفع رأسه إلى السماء وقال : لا إله إلا الله ودعا مخلصا فصب الله عليه ماء من السماء ، فأطفا النار وجاءت ريح فحملت القمم ، وجعلت تدور بين السماء والأرض وهو يقول : لا إله إلا الله ، وقذفته إلى قوم لا يعبدون الله وهو يقول : لا إله إلا الله . فاستخرجوه وقالوا : ويحك مالك؟! فقال : أنا ملك بني فلان ، كان من أمري وجندي كيت وكيت ، وقص عليهم القصة ، فآمنوا كلهم .

ويروى عن الله - عز وجل - أنه قال : «لا إله إلا الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي»⁽¹⁾.

وقال أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللهُ - : وفي الخبر : «مفتاح الجنة لا إله إلا الله»⁽²⁾. قال أبو الليث : ولكن المفتاح لا بد له من أسنان حتى يفتح الباب ، ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الكذب والغيبة ، وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة ، وبطن طاهر من الحرام والشبهة ، وجوارح مشغولة بالخدمة طاهرة من المعاصي⁽³⁾.



(1) أخرجه ابن عساكر (115/7) ، والقضاعي (323/2) رقم 1451 ، والدبليبي (251/5) رقم 8101 ، والرافعي (214/2) .

(2) أخرجه ابن عساكر (195/18) .

(3) تنبيه الغافلين 219.

فصل في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾⁽¹⁾

إلى قوله : ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

الكلمة الطيبة هي : لا إله إلا الله ، والشجرة الطيبة هي النخلة ؛ فإنها طيبة الثمر ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ . أي : في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ أعلاها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ . كذلك أصل هذه الكلمة راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق ، فإذا تكلم بها عرجت فلا تحجب حتى تنتهي إلى الله ؛ قال الله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾⁽²⁾.

﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا﴾ : تعطي ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ قال مجاهد وعكرمة : الحين ههنا سنة كاملة ؛ لأن النخلة تثمر كل سنة ، وقيل : ستة أشهر من وقت اطلاقها إلى صرامها ، قيل : أربعة أشهر من حين ظهورها إلى إدراكها ، وقال الربيع بن أنس : ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ أي : كل غدوة وعشية ؛ لأن ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا صيفا وشتاء ، إما تمرا ، أو رطباً ، أو بسراً ، كذلك عمل المؤمنين يصعد أول النهار وآخره ، وبركة إيمانه لا تنقطع أبدا بل تصل إليه في كل وقت⁽³⁾.

والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء ؛ عرق راسخ ، وأصل قائم ، وفرع عال ، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء ؛ تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأبدان .

(1) سورة إبراهيم ، الآية : 24 .

(2) سورة فاطر ، الآية : 10 .

(3) تفسير البغوي 4 / 347 .

قيل : والحكمة في تشبيهها بالنخلة من بين سائر الأشجار ؛ لأن النخلة أشبه الأشجار بالإنسان من حيث إنها إذا قطع رأسها ييست ، وسائر الأشجار تتشعب من جوانبها بعد قطع رؤسها ، وأنها تشبه الإنسان في أنها لا تحمل إلا بالإلقاح ، وأنها خلقت من فضلة طينة آدم - عليه السلام - فلذلك قال النبي ﷺ : «أكرموا عمتكم» . قيل : ومن عمتنا؟ قال : «النخلة»⁽¹⁾.

وقال الإمام فخر الدين الرازي - رَحِمَهُ اللهُ - في أسرار التنزيل ولطائف التأويل : لسبب تشبيه النخلة بكلمة التوحيد وجوه :

الأول : أن شجرة النخلة لا تنبت في جميع البلدان ، كذلك كلمة التوحيد لا تجري على كل لسان .

الثاني : أن شجرة النخلة أطول الأشجار ، وكذلك كلمة التوحيد أعلى الكلمات .

الثالث : أن الشجرة ثابتة في الأرض وفرعها في السماء ، كذلك أصل الكلمة الطيبة ثابت في القلب وهو المعرفة ، وفرعها في السماء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾⁽²⁾.

الرابع : أن شجرة النخل تحمل كل سنة مرتين ، كذلك الإيمان يحمل في الدنيا مرة ويثاب لأجل إيمانه أهلية الشاهدة والولاية والإمامة ، ومرة أخرى في الآخرة وهي الجنة الباقية والنعمة الدائمة .

الخامس : أن النخل وإن حصل وسط ثمرها نواة لا خير فيها ولا منفعة ، فإن قيمة تلك الثمرة لا تنقص بسبب تلك النواة ، وكذلك كلمة التوحيد وإن كان يحصل معها شيء من المعاصي لا تنقص بسبب ذلك ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

(1) أخرجه أبو يعلى (1/353 ، رقم 455) .

(2) سورة فاطر ، الآية : 10 .

أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴿١﴾.

السادس: أن النخلة أسفلها الذي يقرب من الناس كله شوك، والثمرة والمنفعة في أعلاها، كذلك كلمة التوحيد الذي أولها تكاليف شاقة هي كالشوك، وأعلاها الثمرة اللذيذة وهي المعرفة والمحبة.

قوله: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الشرك كشجرة خبيثة، وهي الحنظل، وقيل: الثوم، وقيل: الكشوث ﴿أَجْتُنَّتْ﴾ اقتلعت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي: ثبات، أي: ليس لها أصل ثابت ولا فرع صاعد إلى السماء، كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب، ولا عمل صالح ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: قبل الموت ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: في القبر؛ قال رسول الله ﷺ: «إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾» (2).

قوله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ لا يهدي المشركين إلى الجواب بالصواب في القبر، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من التوفيق والخذلان والشبث وتركه.



(1) سورة الزمر، الآية: 53.

(2) أخرجه أحمد (4/282، رقم 18505)، والبخاري (4/1735، رقم 4422)، ومسلم (4/2201، رقم 2871)، وأبو داود (4/238، رقم 4750)، والترمذي (5/295، رقم 3120) وقال: حسن صحيح. والنسائي (4/101، رقم 2057)، وابن ماجه (2/1427، رقم 4269)، وابن حبان (1/436، رقم 206).

الباب السادس

في قوله تعالى ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (1)

قوله : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . روي عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أنه قال وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده (2). وقال قتادة - رَحِمَهُ اللَّهُ - : يعني وما من شيء من الحيوانات والناميات إلا يسبح (3). قال عكرمة : الشجرة تسبح والأسطوانة تسبح (4). وقال النخعي : وإن من شيء جماد وحي إلا يسبح بحمده ، حتى صرير الباب ونقيق السقف . وقيل : تسبيحها تسبيح الناظر إليها .

وقال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في شرح مسلم (5) : ومذهب كثيرين والأكثرين من المفسرين أن معنى الآية وإن من شيء حي ، ثم قالوا : حياة كل شيء بحسبه ، فحياة الخشب ما لم يبيس ، والحجر ما لم يقطع ، وذهب المحققون من المفسرين وغيرهم إلى أنه على عمومته ، ثم اختلف هؤلاء هل يسبح حقيقة ، أم فيه دلالة على الصانع فيكون مسبحاً منزهاً بصورة حاله؟ والمحققون على أنه يسبح حقيقة ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَأَيُّ الْحَجَارَةِ لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (6).

(1) سورة الإسراء ، الآية : 44 .

(2) تفسير البغوي 5/ 96 .

(3) تفسير البغوي 5/ 96 .

(4) تفسير البغوي 5/ 96 .

(5) 1/ 473 .

(6) سورة البقرة ، الآية : 74 .

وإن كان العقل لا يحيل جعل التمييز فيها وجاء النص به ، وجب المصير إليه والله أعلم .

قال الإمام أبو محمد - رَحِمَهُ اللهُ - في معالم التنزيل : مذهب أهل السنة أن لله علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره ، فلها صلاة وتسبيح وخشية ، كما قال جل ذكره ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وقال ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾⁽¹⁾ . وقال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ الآية⁽²⁾ ، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله⁽³⁾ .

روي أن النبي ﷺ كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل : أنزل عني فإني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك . فقال له جبل حراء : إني إني يا رسول الله⁽⁴⁾ .

وعن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : ما من صباح ولا رواح إلا تنادي بقاع الأرض بعضها بعضا : يا جارة ، هل مر بك عبد فصلى لله أو ذكر الله عليك ؛ فمن قائلة لا . ومن قائلة نعم . فإذا قالت : نعم . رأت لها عليها بذلك فضلا⁽⁵⁾ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ، إلا شهد له يوم القيامة» . رواه ابن ماجه⁽⁶⁾ .

(1) سورة النور ، الآية : 41 .

(2) سورة الحج ، الآية : 18 .

(3) تفسير البغوي 1 / 111 .

(4) تفسير حقي 1 / 207 .

(5) أخرجه الطبراني في الأوسط (1 / 177 ، رقم 562) ، وأبو نعيم في الحلية (6 / 174) .

(6) ابن ماجه (1 / 239 ، رقم 723) ، وأخرجه أيضا مالك (1 / 69 ، رقم 151) ، والشافعي (1 / 33) ، وأحمد (3 / 43 ، رقم 11411) ، وعبد بن حميد (ص 306 رقم 993) ، والبخاري (1 / 221 ، رقم 584) ، =

وقال ﷺ : «ما صيد حوت في البحر ، ولا طائر يطير ، إلا بما ضيع من تسبيح الله عز وجل»⁽¹⁾.

قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾⁽²⁾. لا ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله⁽³⁾. وقد قال الله تعالى : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾. قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. لأنه ليس بلغتكم ، ويجوز أن يفهم الله تعالى بعض عبادته تسبيح الجمادات والحيوانات ؛ كداود وسليمان ومحمد - صلوات الله عليهم أجمعين - قال رسول الله ﷺ : «لما استقبلني جبريل بالرسالة ، جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله»⁽⁵⁾.

وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام⁽⁶⁾.

وقال أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أخذ النبي ﷺ كفاً من حصي فسبحن في يده حتى سمعت التسبيح ، ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ، ثم في أيدينا فما سبحن⁽⁷⁾. ومما نحن فيه حنين الجذع وغيره مما تقدم في معجزاته ﷺ ، وقال الله

=والنسائي (2/12 ، رقم 644) ، وابن حبان (4/546 ، رقم 1661) .

(1) الديلمي (6375) .

(2) سورة البقرة ، الآية : 74 .

(3) تفسير البغوي 1/112 .

(4) سورة الحشر ، الآية : 21 .

(5) دلائل النبوة (457) .

(6) أخرجه البزار (4/301 ، رقم 1478) .

(7) تاريخ دمشق 39/119 ، ومسند الشاميين 4/246 .

تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوَّي مَعْمُ﴾⁽¹⁾. أي سبّحي معه إذا سبّح ﴿وَالطَّيْرُ﴾ قيل : كان داود إذا تخلل الجبال فسبّح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبّح .

وفي كتاب الزاهر لأبي عبد الله القرطبي أن داود - عليه السلام - قال : لأسبّحن الله الليلة تسبيحا ما سبّحه به أحد من خلقه ، فنادته ضفدع من ساقية في داره : أتفخر على الله بتسبيحك ، وإن لي سبعين سنة ما جف لي لسان من ذكر الله ، وإن لي عشر ليال ما أطعمت خضراء ولا شربت ماء اشتغالا بكلمتين؟! فقال : ما هما؟ قالت : يا مسبحا بكل لسان ومذكورا في كل مكان . فقال داود في نفسه : وما عسى أن أقول أبلغ من هذا⁽²⁾.

روى البيهقي في شعبه عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال : إن نبي الله داود - عليه السلام - ظن في نفسه أن أحدا لم يمدح خالقه بأفضل مما مدحه ، فأنزل الله عليه ملكا وهو قاعد في محرابه والبركة إلى جانبه فقال : يا داود أفهم ما تصوت به الضفدع ، فأنصت إليها فإذا هي تقول : سبحانك وبحمدك منتهى علمك . فقال له الملك : كيف ترى؟ فقال : والذي جعلني نبيا ، إنني لم أمدحه بهذا⁽³⁾.

قال سفيان - رحمه الله - : يقال إنه ليس شيء أكثر ذكرا لله من الضفدع⁽⁴⁾.

وروى البيهقي عن سهل بن سعد الساعدي ، أن النبي ﷺ نهى عن قتل

(1) سورة سبأ ، الآية : 10 .

(2) تفسير حقي 4 / 246 .

(3) شعب الإيمان (4405) .

(4) غذاء الألباب 384 .

خمس : النملة والنحلة والضفدع والصرد والهدهد⁽¹⁾.

وقال الله تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾⁽²⁾. قيل : سُمي صوت الطير منطقاً ، لحصول الفهم منه ، كما يفهم من كلام الناس .

روي عن كعب الأخبار قال : صاح ورشان⁽³⁾ عند سليمان - عليه السلام - فقال : أتدرون ما يقول؟ قالوا : لا . قال : إنه يقول لِدُوا للموت وابنوا للخراب . وصاحت فاختة⁽⁴⁾ فقال : أتدرون ما تقول؟ قالوا : لا . قال : فإنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح طاووس ، فقال : أتدرون ما يقول؟ قالوا : لا قال : فإنه يقول : كما تدين تدان ، وصاح هدهد ، فقال : أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا : لا قال : فإنه يقول : من لا يرحم لا يرحم ، وصاح صرد ، فقال : أتدرون ما يقول؟ قالوا : لا قال : فإنه يقول : استغفروا الله يا مذنبين ، قال : وصاحت طوطى ، فقال : أتدرون ما تقول؟ قالوا : لا قال : فإنها تقول : كل حي ميت وكل حديد بال ، وصاح خطاف ، فقال : أتدرون ما يقول؟ قالوا : لا قال : فإنه يقول : قدموا خيراً تجدوه ، وهدرت حمامة ، فقال : أتدرون ما تقول؟ قالوا : لا قال : فإنها تقول : سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه ، وصاح قمري ، فقال : أتدرون ما يقول؟ قالوا : لا قال : فإنه يقول : سبحان ربي الأعلى ، قال : والغراب يدعو على العُشَّار ، والحِذَاءُ تقول : كل شيء هالك إلا الله ، والقطة تقول : من سكت سلم ، والبيغاء تقول : ويل لمن الدنيا همه ، والضفدع يقول : سبحان ربي

(1) البيهقي في الكبرى 317/9.

(2) سورة النمل ، الآية : 16.

(3) الورشان : طائر من الفصيلة الحمامية أكبر قليلاً من الحمامة المعروفة . الوسيط (و رش)

(4) الفاختة : ضرب من الحمام المطوق إذا مشى توسع في مشيه وباعد بين جناحيه وإبطيه وتمايل .

القدوس ، والبازي يقول : سبحان ربي وبحمده ، والصفدة تقول : سبحان المذكور بكل لسان⁽¹⁾.

وعن مكحول قال : صاح دراج عند سليمان ، فقال : هل تدرون ما يقول؟ قالوا : لا قال : فإنه يقول : الرحمن على العرش استوى⁽²⁾.

وروي أن سليمان مر على بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل بذنبه ، فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول؟ قالوا الله ونبيه أعلم . قال : يقول : أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء⁽³⁾.

وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس : إنا سائلوك عن سبعة أشياء ، فإن أخبرتنا آمنة وصدقنا ، قال : سلوا تفقهًا ولا تسألوا تعنتًا . قالوا : أخبرنا ما يقول القنبر في صفيره ، والديك في صقيقه ، والصفدع في نقيقه ، والحمار في نهيقه ، والفرس في صهيله ، وماذا يقول الزرزور والدراج؟ قال : نعم ، أما القنبر فيقول : اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد ، وأما الديك فيقول : اذكروا الله يا غافلين ، وأما الصفدع فيقول : سبحان المعبود في لجج البحار ، وأما الحمار فيقول : اللهم العن العشار ، وأما الفرس فيقول : إذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، وأما الزرزور فيقول : اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رازق ، وأما الدراج فيقول : الرحمن على العرش استوى ، قال : فأسلم اليهود وحسن إسلامهم⁽⁴⁾..

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي

(1) تفسير البغوي 9 / 148 .

(2) تفسير البغوي 9 / 148 .

(3) تفسير البغوي 9 / 148 .

(4) تفسير البغوي 9 / 148 .

قال : إذا صاح النسر قال : يا ابن آدم ، عش ما شئت آخره الموت ، وإذا صاح العقاب قال : في البعد من الناس أنس ، وإذا صاح القنبر قال : إلهي العن مبغضي آل محمد ، وإذا صاح الخطاف ، قرأ : الحمد لله رب العالمين ، ويمد الضالين كما يمد القارئ⁽¹⁾.

وذكر أبو القاسم القشيري - رَحِمَهُ اللهُ - في الرسالة في باب المحبة : إن خطافا راود خطافة على قبة سليمان وامتنعت منه ، فقال : تمتنعين على ولو شئت قلبت القبة على سليمان ، فدعاه سليمان وقال : ما حملك على هذا؟ قال : يا نبي الله العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم . فقال : صدقت⁽²⁾.

وروي البيهقي وابن عساكر بسندهما إلى أبي مالك قال : مرَّ سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة ، فقال لأصحابه : هل تدرون ما يقول؟ قالوا : وما يقول يا نبي الله؟ قال : يخطبها لنفسه ويقول : تزوجيني أسكنك أي قصور دمشق شئت . قال سليمان : إن غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها ، لكن كل خاطب كذاب⁽³⁾.

وقال الله تعالى : ﴿ حَقَّ إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ الآية⁽⁴⁾. روي عن وهب بن منبه ، عن كعب قال : كان سليمان إذا ركب الريح حمل خدَمه وحشَمه وقد اتخذ مخابز ومطابخ يحمل فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشر جزائر ، وقد اتخذ صيادين للدواب أمامه ، فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين الأرض والسماء ، فسار بهم من اصطخر إلى اليمن ،

(1) تفسير البغوي 9/ 148.

(2) الرسالة القشيرية 132.

(3) تاريخ دمشق 22/ 232.

(4) سورة النمل ، الآية : 18.

فسلك مدينة رسول الله ﷺ ، فقال سليمان : هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان ، طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ، ورأى حول البيت أصناما تُعبد من دون الله ، فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت ، فأوحى الله إلى البيت : ما ييكيك؟ قال : يارب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي والأصنام تعبد حولي من دونك ، فأوحى الله إليه : لا تبك فإني سوف أملؤك وجوها سُجَّداً ، وأنزل فيك قرآنا جديداً ، وأبعث منك آخر الزمان أحب أنبيائي إلي ، وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني ، وأفرض على عبادي فريضة يدفون إليك دفيف النسور إلى أوكارها ، ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها ، والحمامة إلى بيضها ، وأطهرك من الأوثان وعبدة الشيطان ، ثم مرَّ سليمان حتى مر بوادي الدير من الطائف ، فأتى على وادي النمل . هكذا قال كعب أنه واد بالطائف (1).

وقال مقاتل من أرض الشام قيل : كان لا يتكلم خلق إلا حملت الريح ذلك فألقته في مسامع سليمان ، فسمع سليمان قول النملة ، قال مقاتل : سمعه من ثلاثة أميال .

فإن قيل : كيف يتصور الحطم من سليمان وجوده وكانت الريح تحمله وجنوده على بساط بين السماء والأرض؟

قيل : كانت جنوده ركبانا وفيهم مشاة على الأرض ، تطوى لهم ، وقيل : يحتمل أن يكون قبل تسخير الله الريح لسليمان ، قال أهل التفسير : علمت النملة أن سليمان نبي الله ليس فيه جور وظلم ، فقالت : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . وروي أن سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم (2).

(1) تفسير البغوي 6/150.

(2) تفسير البغوي 6/150.

وروى الدارقطني والحاكم عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : «لا تقتلوا النملة ؛ فإن سليمان - عليه السلام - خرج ذات يوم يستسقي ، فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها تقول : أنا خلق من خلقك لا غنا لنا عن فضلك ، اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين ، واسقنا مطرا تنبت لنا به شجرا ، وأطعمنا ثمرا . فقال سليمان لقومه : ارجعوا فقد كفيتم وسقيتم بغيركم»⁽¹⁾.



(1) تفسير البغوي 6 / 150.

فصل

قال الإمام فخر الدين الرازي - رَحِمَهُ اللهُ - في أسرار التنزيل ولطائف التأويل : هل يجوز أن تكون الطيور والبهاائم عارفة بربها أم لا؟ أكثر أرباب الآثار والأخبار جوّزوا ذلك ، واحتجوا بأن كون هذه الطيور عارفة بربها مشغلة بتسبيحه أمر جائز في العقول ، والنصوص وردت بوقوعها ، فوجب الاعتراف بذلك ، أما الجواز العقلي فدل عليه وجهان : أحدهما : الإجمال ، والثاني : التفصيل ؛ أما الإجمال ، فهو أن حصول الفهم والعلم في ذوات هذه الحيوانات من جملة الممكنات ، والله تعالى قادر على كل الممكنات ، وأما التفصيل فإننا نشاهد من هذه الحيوانات أفعالا لا تصدر إلا من أفاضل العقلاء ، وذلك يدل على كونها عاقلة ، ومتى كان الأمر كذلك ثبت جواز كونها عارفة بربها ، وسنبين ما ذكرنا بوجوه :

الأول : أن الفأرة تدخل دَنَبَهَا في قارورة الدهن إن كان رأسها ضيقا ، ولا تدخل رأسها ، ويحصل مقصودها بهذا الطريق ، وهذا يدل على عقلها .

الثاني : أن النحل تبني بيوتها من أشكال موصوفة بصفيتين ؛ أحدهما : ألا تكون زواياه ضيقة حتى لا يبقى الموضع الضيق معطلا ، والثاني : أن تكون تلك البيوت مشكلة بشكل متى انضم بعضها إلى بعض امتلات القرصة منها ، ولا يبقى منها شيء ضائعا ، ثم إنه تعالى أعطاها من الذكاء ما قدرت عليه على بناء تلك البيوت المسدسة من غير نظير ولا آلة ولا شكل ، وإن البشر لا يقدرّون على بناء البيوت المسدسة إلا عند الاستعانة بالآلة الكثيرة .

الثالث : أن النحل تسعى في تحصيل الذخيرة ، وذلك لعلمها بأنها قد تحتاج في الأزمنة المستقبلية إلى الغذاء ، ولا تكون قادرة على تحصيله في تلك الأوقات ،

فوجب السعي في تحصيله في ذلك الوقت التي حصلت فيه القدرة على الإحضار .

الرابع : أن العنكبوت تبني بيوتها على وجه عجيب ، وهل نسجها الشبكة التي تصيد بها إلا بعد أن تفكرت كيف يمكنها اصطياد الذباب؟ فهذه أفعال فكرية ليست بأولى من أفعال الفكرة الإنسانية ، فوجب الإقرار بثبوت العقل لها .

الخامس : أن الجمل والحمار إذا ذهبا طريقا في ليلة ظلماء ، ففي المرة الثانية يقدر على السلوك بتلك الطريق من غير إرشاد مرشد ، وأيضا فالإنسان لا يمكنه المشي من بلد إلى بلد مشيا سويا من غير غلط ولا خطأ ، والكراكي تذهب من طرف أطراف العالم إلى طرف آخر لطلب الهواء الموافق من غير أن تضل البتة .

السادس : أن الدب إذا أراد أن يفترس الثور لا يمكنه أن يقتله ظاهرا ، فيقال : إنه يستلقي في ممر ذلك ، فإذا قرب الثور منه وأراد أن ينطحه جعل قرنيه فيما بين ذراعيه ، ولا يزال ينهش ما بين ذراعيه حتى يشخه ، وأيضا إنه يأخذ العصا ويضرب الإنسان حتى يتوهم أنه مات ويتركه وربما عاد يشمه ويتجسس نفسه ، ويصعد الشجر أخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه ، ثم ينفخ فيه ، ويبدد قشره ويأكل لبه .

السابع : قالوا : من خواص الفرس أن كل واحد منها تعرف صوت الفرس الذي قابله ، والتماسيح تفتح أفواهها لطائر كالعقعق حتى ينظف ما بين أسنانها ، وفي رأس الطائر شيء كالشوك ، فإذا همّ التمساح بالتقام ذلك الطائر تأذى من الشوكة ، فيفتح فاه فيخرج الطائر .

الثامن : أن القنافذ قد تحس بريح الشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل إلى أحجرتها ، يقال : إنه كان رجل في القسطنطينية يُنذر بالريح قبل هبوبها ، وينفع الناس بإنذاره ، وكان السبب فيه قنفذا في داره يفعل ذلك الفعل .

التاسع : إن الخطاف صانع حسن في العش من الطين ، فإذا أعوزه ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين ، وإذا فرغ بالغ في التعهد للفراخ ، ويأخذ ذرقها بمنقاره ويرميها عن العش ، ثم يعلم فراخه إلقاء الذرق .

العاشر : إن النعامة إذا اجتمع من بيضها عشرون أو ثلاثون قسمها ثلاثة أثلاث ؛ ثلثا تدفنه في التراب ، وثلثا تتركه في الشمس ، وثلثا تحفظه ، فإذا خرج فراخها كسرت ما كان في الشمس وتركت لفراخها ما كان من الرطوبة التي أذابتها الشمس ورفعته ، فإذا اشتدت الفراخ وقويت أخرجت المدفون وفتحت لها ثقباً ، وقد اجتمع فيها النمل والذباب والديدان والحشرات ، ثم تطعم لفراخها ، فإذا تناولت ذلك قويت على المرعي واللعب ، تفكر أيها الغافل ، أي امرأة تهتدي لتربية أولادها إلى هذه الحيلة .

واعلم أن الاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب **طبائع الحيوانات** ، ولولا كونها عاقلة لما صح منها شيء من ذلك ، وإذا ثبت كونها مهتدية عارفة بهذه الدقائق ، فأبي بعد في كونها عارفة بربها مسبحة لملكها ، والنصوص الدالة على حصول هذه المعرفة كثيرة :

منها قوله تعالى حكاية عن سليمان : ﴿عَلَّمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾⁽¹⁾ . وقوله تعالى : ﴿لَا تُعَذِّبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾⁽²⁾ . إلخ ، وهذا التهديد والوعيد لا يحسن إلا مع الفاهم العاقل ، وقوله تعالى حكاية عن الهدهد : ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحُطْ بِهِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾⁽³⁾ . وهذا الترتيب في الكلام لا يتأتى إلا من العاقل الذي

(1) سورة النمل ، الآية : 16 .

(2) سورة النمل ، الآية : 21 .

(3) سورة النمل ، الآيات : 22 - 24 .

يكون في غاية الذكاء ، وذلك ؛ لأن أشد الأشياء أخذًا بالقلوب النساء ، ولهذا السبب بدأ تعالى بذكر النساء في قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾ ⁽¹⁾ . ولما لم يلتفت سليمان إلى ذكر المرأة ، ثني الهدهد بذكر المنازل ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فلما لم يلتفت أيضا سليمان ثلث بذكر الحياة والملك العظيم ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ فلما لم يلتفت إلى شيء من ذلك من أمور الدنيا رَّبَّع الهدهد بالدين فقال : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . ومعلوم أن مثل هذا الترتيب لا يحصل إلا مع الذكاء .

ومنها قوله تعالى : ﴿ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ ⁽²⁾ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ يَجِبَالُ أَوَّي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴾ ⁽³⁾ . والتكليف لا يتوجه إلا على العاقل .

ومنها قصة هابيل ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا ﴾ ⁽⁴⁾ إلخ ، فثبت بما ذكرناه من التجارب إمكان كونها عارفة بربها ، وبهذه النصوص كونها عارفة عاقلة ، فوجب الاعتراف بذلك . ثم ذكر الإمام فخر الدين حجة القول الثاني والجواب عن ذلك ، وفيما ذكرناه كفاية .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن رسول الله ﷺ قال : «إِذَا سَمِعْتُمْ نَهَاقَ الْحَمِيرِ فَتَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا» ⁽⁵⁾ .

(1) سورة آل عمران ، الآية : 14 .

(2) سورة النور ، الآية : 41 .

(3) سورة سبأ ، الآية : 10 .

(4) سورة المائدة ، الآية : 31 .

(5) البخاري (3/ 1202 ، رقم 3127) ، ومسلم (4/ 2092 ، رقم 2729) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/ 306 ، رقم 8050) ، وأبو داود (4/ 327 ، رقم 5102) ، والترمذي (5/ 508 ، رقم 3459) وقال : حسن صحيح .

وقال عليه السلام : « لا تسبوا الديك ؛ فإنه يوقظ للصلاة »⁽¹⁾.



(1) أخرجه أبو داود (4/ 327، رقم 5101) ، والطبراني (5/ 240، رقم 5210) ، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 299، رقم 5173) .

كتاب الدعاء

وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول

في الحث عليه وبيان فضله وقول العلماء فيه

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾⁽¹⁾ الآية . روي أن قوما لما نزل قوله تعالى : ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾⁽²⁾ . قالوا : يا رسول الله ، في أي وقت ندعوه؟ وقال قوم : أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزله الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾⁽³⁾ . إذا سألك عبادي عن ذاتي ، فأنا الموجود من غير مودجود ، لا يدركني كيف ، ولا يحيط بي أين ، ولا يصفني واصف ، ولا يلحقني وهم ، وإن سألك عن صفاتي فالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والإرادة والكلام⁽⁴⁾ ، صفاته قديمة لا تدركه الأفهام ، وإن سألك عن أفعالي ، فكل يوم أنا في شأن ، أقرب وأبعد ، وأشقي وأسعد ، وأحيي وأميت ، وأغفر لمن شئت ، وأعطى وأمنع ، وأخفض وأرفع ، وإن سألك عن الدلالة عني فالدلالة عجيب تديرني ومحكم آياتي وبديع تقديري في مخلقاتي ، وإن سألك عن قربى منهم فإنني قريب بالقدرة والنصرة والرحمة والنعمة والعلم والحلم ، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ إن دعاني لضر كشفت ، وإن دعاني لحاجة قضيت ، وإن دعاني لعب أصلحت ، وإن دعاني لذنب صفحت وغفرت ، وإن دعاني لتوبة قبلت ، وإن دعاني لنقص كملت ، وإن أطاعوني أحسنت إليهم ،

(1) سورة البقرة ، الآية : 186 .

(2) سورة غافر ، الآية : 60 .

(3) تفسير الطبري 3/ 380 .

(4) هو شرح على المذهب الأشعري الذي يثبت الصفات السبع .

وإن عصوني سترت ، وإن أدبروا أناديهم ، وإن أقبلوا أدنيتهم ، وإن سألوني أعطيتهم . هذا جميعه من كلام الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ .

سؤال : إن قيل : ما وجه قوله تعالى : ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ وقوله تعالى : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ . وقد يُدعى كثيرا فلا يجيب؟! قيل : معنى الدعاء ههنا الطاعة ، ومعنى الإجابة الثواب ، وقيل : المعنى أنه يجيب دعاءه ؛ فإن قدر له ما سأل أعطاه ، وإن لم يقدر له ادخر له الثواب في الآخرة أو كف عنه سواء ، والدليل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : «ما على الأرض من رجل مسلم يدعوا الله عز وجل بدعوة إلا آتاه إياه ، أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : «ما من عبد مسلم يدعو بدعاء إلا أستجيب له ، فإما أن يعجل له في الدنيا ، وإما أن يؤخر له في الآخرة ، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»⁽²⁾.

وقال يزيد الرقاشي - رَحِمَهُ اللهُ - : إذا كان يوم القيامة عرض الله تعالى لعبده كل دعوة دعا بها في الدنيا ولم يكن استجاب له ، فيقول : عبي ، دعوتني يوم كذا فأمسكت عليك دعوتك ، فهذا الثواب مكان هذا الدعاء ، ولا يزال العبد يعطى من الثواب حتى يتمنى أنه لم يكن استجاب الله عز وجل دعوته قط .

وقيل : إن للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب الإجابة ، فمن استكملها كان من أهل الإجابة ، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء ، فلا يستحق

(1) عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (23475) .

(2) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (باب 153 ، رقم 3957) وقال : غريب .

الجواب ؛ قال الإمام العارف الشيخ عبد القادر الجيلي - رَحِمَهُ اللهُ - في كتاب الغنية الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا يحده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة ، والساعد قوي والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدو ، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير ؛ فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح والداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء ، أو كان ثمَّ مانع من الإجابة لم يحصل الأثر⁽¹⁾.

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد أصاب بني إسرائيل بلاء فخرجوا مخرجاً ، فأوحى الله - عز وجل - إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة ، وترفعون إلي أكفا قد سفكتم بها الدماء ، وملأتم بها بيوتكم من الحرام ، الآن اشتد غضبي عليكم ، ولن تردادوا مني إلا بعدا⁽²⁾.

وأوحى الله إلى داود عليه السلام قل للظلمة : لا يدعوني فإني أوجبت على نفسي أني أجيب لمن دعاني ، وإذا أجبت الظالمين لعنتهم .

وقال الله تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾⁽³⁾ . تذلل واستكانة ﴿وُخْفِيَّةً﴾ أي : سرا ؛ قال الحسن : بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ ، وإن الله ذكر عبدا صالحا رضي فعله فقال : ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾⁽⁴⁾ ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾ قيل : المعتدين في الدعاء ، قال أبو مجاز :

(1) الغنية لطالبي طريق الحق 156.

(2) الزهد (13) .

(3) سورة الأعراف ، الآية : 55.

(4) سورة مريم ، الآية : 3.

هم الذين يسألون منازل الأنبياء - عليهم السلام - وقيل: أراد به الاعتداء بالجهر⁽¹⁾.

قال ابن جريج: من الاعتداء بالجهر رفع الصوت بالدعاء، وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال لما غزا رسول الله ﷺ خيبر، أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ: «أربعوا على أنفسكم؛ إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً»⁽²⁾.

وقال عطية: هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل، فيقولون: اللهم اخزهم، اللهم العنهم⁽³⁾.

قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾⁽⁴⁾. أي: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله. وقال عطية: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم⁽⁵⁾.

فعلى هذا معنى قوله ﴿إِصْلَاحُهَا﴾ أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب، ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: خوفاً منه ومن عذابه، وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(1) تفسير البغوي 3/237.

(2) أخرجه البخاري (3/1091، رقم 2830)، ومسلم (4/2076، رقم 2704)، وأبو داود (2/87، رقم 1526)، وأحمد (4/394، رقم 19538)، والنسائي في الكبرى (4/398، رقم 7679)، وأبو يعلى (13/231، رقم 7252)، وابن أبي عاصم (1/274، رقم 618).

(3) تفسير البغوي 3/237.

(4) سورة الأعراف، الآية: 56.

(5) تفسير البغوي 3/237.

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (1). قيل : معناه ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم ، وتستغفروني فأغفر لكم (2). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : «ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء» (3). و«أشرف العبادة الدعاء» (4). و«من لا يسأل الله يغضب عليه» (5).

وقال ﷺ : «اسألوا الله من فضله ؛ فإن الله يحب أن يسئل» (6). وفي حديث مسلم عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ كان يقول : «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال : الملك الموكل به آمين ولك بمثله» (7). وقال ﷺ : «أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب» (8).

(1) سورة الفرقان ، الآية : 77.

(2) تفسير البغوي 9/ 100.

(3) أخرجه أحمد (2/ 362، رقم 8733) ، والبخاري في الأدب المفرد (1/ 249، رقم 712) ، والترمذي (5/ 455، رقم 3370) ، وقال : حسن غريب . وابن حبان (3/ 151، رقم 870) ، وابن ماجه (2/ 1258، رقم 3829) ، والحاكم (1/ 666، رقم 801) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 38، رقم 1106) .

(4) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (1/ 249، رقم 713) .

(5) أخرجه الترمذي (5/ 456، رقم 3373) .

(6) أخرجه الترمذي (5/ 565، رقم 3571) ، والطبراني (10/ 101، رقم 10088) . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الأوسط (5/ 230، رقم 5169) ، وابن عدي (2/ 248، ترجمة 422 حماد بن واقد الصفار) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 43، رقم 1124) .

(7) أخرجه مسلم (4/ 2094، رقم 2732) ، وأبو داود (2/ 89، رقم 1534) ، والبيهقي (3/ 353، رقم 6224) .

(8) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (1/ 218، رقم 623) ، وأبو داود (2/ 89، رقم 1535) ، والطبراني (13/ 33، رقم 74) ، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص 255، رقم 783) .

وقال ﷺ: «من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه»⁽¹⁾.

قال عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : استأذنت النبي ﷺ في العمرة، فأذن وقال: «لا تنسنا يا أخي من دعائك». فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا⁽²⁾.

قال الخطابي: اختلف مذاهب الناس في الدعاء؛ فقال قوم: لا معنى للدعاء ولا طائل له الآن؛ لأن الأقدار سابقة والأفضية متقدمة، والدعاء لا يزيد فيها، وتركه لا ينقص شيئا منها، فلا فائدة في الدعاء والمسألة، وقد قال النبي ﷺ: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق الخلق بكذا وكذا عاما»⁽³⁾. وروي عنه أنه قال: «جف القلم بما هو كائن»⁽⁴⁾. وروي: «أربع قد فرغ منها: العمر والرزق والخلق والخلق»⁽⁵⁾. أو كما قال.

وقالت طائفة أخرى: الدعاء واجب وهو يدفع البلاء ويرد القضاء، واحتجوا بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يرد القضاء إلا الدعاء»⁽⁶⁾. وبما روي أن الدعاء والقضاء يلتقيان فيعتلجان ما بين السماء والأرض⁽⁷⁾.

(1) أخرجه أبو داود (1674)، والنسائي (2579).

(2) أخرجه أبو داود (80/2)، وابن سعد (273/3)، وابن عدي (227/5)، ترجمة 1381 عاصم بن عبيد الله بن عاصم، والبيهقي (251/5)، رقم 10095، والضياء (294/1)، رقم 184.

(3) أخرجه أحمد (169/2)، رقم 6579، والترمذي (458/4)، رقم 2156، وقال: حسن صحيح غريب. والبخاري (426/6)، رقم 2456، وعبد بن حميد (ص 136، رقم 343)، والرافعي (448/3).

(4) أخرجه الطبراني (123/11)، رقم 11243، وأحمد (307/1)، رقم 2804، والضياء (23/10)، رقم 13.

(5) أخرجه ابن عساکر (198/43).

(6) أخرجه الترمذي (448/4)، رقم 2139، وقال: حسن غريب. والطبراني (251/6)، رقم 6128، والبخاري (502/6)، رقم 2540..

(7) أخرجه الحاكم (669/1) رقم 1813 وقال: صحيح الإسناد. والخطيب (453/8)، والطبراني في الأوسط (66/3)، رقم 2498.

وقال آخرون : الدعاء واجب إلا أنه لا يستجاب منه إلا ما وافق القضاء ؛ قال الخطابي : هذا المذهب هو الصحيح ، وهو قول أهل السنة والجماعة ، وفيه الجمع بين الأخبار المروية على اختلافها ، والتوفيق بينها . قال : فأما من ذهب إلى إبطال الدعاء فمذهبه فاسد ، وذلك أن الله تعالى أمر بالدعاء وحض عليه ، فقال : ﴿ اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ 》⁽¹⁾ . وقال : ﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً 》⁽²⁾ . وقال : ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ 》⁽³⁾ . في أي ذوات عدد من القرآن ، فمن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن ورده ، ولا خفاء في فساد قوله وسقوط مذهبه . وقال الإمام أبو القاسم القشيري⁽⁴⁾ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : اختلف الناس في أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا ؛ فمنهم من قال : الدعاء عبادة ، لقوله ﷺ : « الدعاء هو العبادة »⁽⁵⁾ . ولأن الدعاء إظهار للافتقار إلى الله تعالى .

وقالت طائفة : السكوت والجمود تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق به القدر أولى ؛ قال القشيري : والأولى أن يقال : الأوقات مختلفة ؛ ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب ، وإنما يعرف ذلك بالوقت ، فإذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى به ، وإذا وجد إشارة إلى السكوت

(1) سورة غافر ، الآية : 60 .

(2) سورة الأعراف ، الآية : 55 .

(3) سورة الفرقان ، الآية : 77 .

(4) الرسالة القشيرية 119 .

(5) أخرجه أحمد (4/ 271 ، رقم 18415) ، وابن أبي شيبة (6/ 21 ، رقم 29167) ، والبخارى فى الأدب المفرد (1/ 249 ، رقم 714) ، وأبو داود (2/ 76 ، رقم 1479) ، والترمذى (5/ 211 ، رقم 2969) وقال : حسن صحيح . والنسائى فى الكبرى (6/ 450 ، رقم 11464) ، وابن ماجه (2/ 1258 ، رقم 3828) ، وابن حبان (3/ 172 ، رقم 890) ، والحاكم (1/ 667 ، رقم 1802) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى فى شعب الإيمان (2/ 37 ، رقم 1105م) . والطبرانى فى الصغير (2/ 208 ، رقم 1041) ، والقضاعي (1/ 51 ، رقم 29) .

فالسكوت أتم . قال : ويصح أن يقال : ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله سبحانه وتعالى فيه حق ، فالدعاء أولى لكونه عبادة ، وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم . قال : ومن شرائط الدعاء أن يكون مطعمه حلالا ، وكان يحيى بن معاذ الرازي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقول : كيف أدعوك وأنا عاص ، وكيف لا أدعوك وأنت كريم ⁽¹⁾.

وقال الإمام الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : فإن قيل : فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له؟ فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبلاء ، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء ألا يحمل السلاح ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ ⁽²⁾ فقدر الله الأمر وقدر سببه ، وفيه من الفوائد ما ذكرناه ، وهو حضور القلب ، والافتقار ، وهما نهاية العبادة والمعرفة ⁽³⁾.



(1) الرسالة القشيرية 119.

(2) سورة النساء ، الآية : 102.

(3) إحياء علوم الدين 3 / 205.

الباب الثاني

في آداب الدعاء

قال الله تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾⁽¹⁾. الآيتين ، وقد تقدمتا بتفسيرهما ، وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ كان يعجبه أن يدعو ثانيا ويستغفر ثالثا . رواه أبو داود⁽²⁾.

وعن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه . رواه الترمذي⁽³⁾.

وروى الترمذي أيضا عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «ادعوا الله تعالى وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»⁽⁴⁾.

وفي الصحيحين عنه عن النبي ﷺ قال : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، فيقول : قد دعوت فلم يستجب لي»⁽⁵⁾.

(1) سورة الأعراف ، الآية : 55.

(2) سنن أبي داود (1526) .

(3) سنن الترمذي (3386) .

(4) أخرجه الترمذي (517/5 ، رقم 3479) وقال : حديث غريب . والحاكم (670/1 ، رقم 1817) ، وقال : مستقيم الإسناد . وتعبه الذهبي في التلخيص بأن فيه صالح المرى متروك . وأخرجه أيضًا : ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (75/4) ، والطبراني في الأوسط (211/5 ، رقم 5109) ، وابن عدي (60/4 ، ترجمة 912 صالح بن بشير أبو بشر المرى) وقال : قال البخاري : منكر الحديث ، والرافعي (329/3) .

(5) أخرجه مالك (213/1 ، رقم 497) ، وأحمد (396/2 ، رقم 9137) ، وأبو داود (78/2 ، رقم =

وقال الإمام أبو حامد الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - في الإحياء: آداب الدعاء عشرة⁽¹⁾:

الأول: أن يترصد الأزمان الشريفة؛ كيوم عرفة، وشهر رمضان، ويوم الجمعة، والثلاث الأخير من الليل، ووقت الأسحار.

الثاني: أن يغتتم الأحوال الشريفة؛ كحالة السجود، والتقاء الجيوش، ونزول الغيث، وإقامة الصلاة. وبعدها قال النووي: وحال رقة القلب.

الثالث: استقبال القبلة، ورفع اليدين ويمسح بهما وجهه في آخره.

الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر.

الخامس: لا يتكلف السجع، وقد فسر به الاعتداء في الدعاء، والأولى أن يقتصر على الدعوات المأثورة، فما كل أحد يحسن الدعاء فيخاف عليه الاعتداء، وقال بعضهم: ادع بلسان الذلة والافتقار، ولا تدع بلسان الفصاحة والانطلاق، ويقال: إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات، ويشهد له ما ذكره الله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾⁽²⁾. إلى آخرها لم يخبر سبحانه وتعالى في موضع عن أدعية عباده بأكثر من ذلك. قلل النووي: ومثله قوله سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾⁽³⁾. إلخ. قال: والمختار الذي عليه جماهير العلماء أنه لا حجر في ذلك، ولا تكره الزيادة على السبع، بل

= (1484)، والترمذي (464/5)، رقم (3387) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (2/1266)، رقم

(3853)، وابن حبان (256/3) رقم (975).

(1) انظر الأذكار 396.

(2) سورة البقرة، الآية: 286.

(3) سورة إبراهيم، الآية: 35.

يستحب الإكثار من الدعاء مطلقا .

السادس : التضرع والخشوع والرهبة ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ ⁽¹⁾ .
وقال الله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ ⁽²⁾ .

السابع : أن يجزم بالطلب ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيها ، ودلائله كثيرة مشهورة ؛ قال سفيان بن عيينة - رَحِمَهُ اللَّهُ - : لا يمنعن أحدكم الدعاء ما يعلمه من نفسه ؛ فإن الله تعالى أجاب شر المخلوقين إبليس إذ قال : ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ⁽³⁾ .

الثامن : أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا ، ولا يستبطن الإجابة .

التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله تعالى ؛ قال النووي : وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه ، ويختمه بذلك كله أيضا .

العاشر : وهو أهمها والأصل في الإجابة ، وهو التوبة ورد المظالم والإقبال على الله ، ويكره رفع بصره إلى السماء في الدعاء في الصلاة ، وأما في غيرها قال القاضي عياض - رَحِمَهُ اللَّهُ - : اختلفوا في كراهة رفع البصر إلى السماء في الدعاء في غير الصلاة ؛ فكرهه شريح وآخرون ، وجوزه الأكثرون ؛ قالوا : لأن السماء قبلة الدعاء ، كما أن الكعبة قبلة الصلاة ، فلا يكره رفع الأبصار إليها ، كما لا يكره رفع اليدين ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ ⁽⁴⁾ . قال عطاء - رَحِمَهُ اللَّهُ - : للدعاء أركان وأجنحة وأوقات وأسباب ؛

(1) سورة الأنبياء ، الآية : 90 .

(2) سورة الأعراف ، الآية : 55 .

(3) سورة الحجر ، الآية : 36 .

(4) سورة الذاريات ، الآية : 22 .

فإن وافق أركانه قوي ، وإن وافق أجنحته ارتفع ، وإن وافق أوقاته فاز ، وإن وافق أسبابه نجح ، فأركانه حضور القلب مع الله ، والخشوع لله ، والحياء من الله ، ورجاء كرم الله ، وأجنحته الصدق وأكل الحلال ، وأوقاته أوقات الخلوة والفراغ ؛ كالأسحار ، وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ ؛ فإن الدعاء لا يرد إذا كان قبله وبعده الصلاة على النبي ﷺ (1).



(1) المدخل للسنن الكبرى 2/ 225.

الباب الثالث

في نهى الإنسان عن الدعاء على نفسه وولده وماله

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية (1). قال ابن عباس : هذا في قول الرجل عند الغضب لأهله وولده : لعنكم الله ولا بارك فيكم (2).

وقال قتادة : هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله بما يكره أن يستجاب (3). معناه : لو يعجل الله للناس إجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير أي : كما يحبون استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم ، أي : لفرغ من هلاكهم ولماتوا جميعا .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «اللهم إني اتخذت عندك عهدا لن تخلفه ، إنما أنا بشر ، فأني المؤمنين أذيتهم أو شتمتهم أو جلدتهم أو لعنتهم ، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة ، تُقَرَّبَ بها يوم القيامة» (4).

وقال الله تعالى : ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ الآية (5). معناه : ويدعوا الإنسان على ماله ونفسه وولده بالشر ، فيقول عند الغضب : اللهم العنه وأهلكه . ونحوهما ﴿دُعَاءُهُ بِالْخَيْرِ﴾ كدعائه ربه أنه يهب له النعمة والعافية ، ولو

(1) سورة يونس ، الآية : 11.

(2) تفسير البغوي 4 / 123.

(3) تفسير البغوي 4 / 123.

(4) أخرجه أحمد (2/ 316 ، رقم 8184) ، والبخاري (5/ 2339 ، رقم 6000) ، ومسلم (4/ 2008 ، رقم

2601) ، وابن حبان (14/ 446 ، رقم 6516) ، والبيهقي (7/ 61 ، رقم 13158) .

(5) سورة الإسراء ، الآية : 11.

استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ، ولكن الله لا يستجيب بفضله ﴿وَكَانَ
الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه .

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تدعوا على أنفسكم ، ولا
تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله تعالى ساعة
يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم »⁽¹⁾.



(1) أخرجه مسلم (4/2304، رقم 3006) ، وأبو داود (2/88، رقم 1532) ، وابن حبان (13/52، رقم 5742) .

الباب الرابع

في دعوات مستحبة في كل وقت

غير مختصة بوقت أو حال مخصوص

في الصحيحين عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان أكثر دعاء النبي ﷺ :
«اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»⁽¹⁾.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ كان يقول : «اللهم إني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى»⁽²⁾.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال :
«تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء»⁽³⁾.

وفي سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه عن بريدة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (43/6 ، رقم 29340) ، وأحمد (107/3 ، رقم 12068) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص 253 ، رقم 727) ، ومسلم (4/2068 ، رقم 2688) ، والترمذي (5/521 ، رقم 3487) وقال : حسن صحيح غريب . والنسائي في الكبرى (6/260 ، رقم 10892) ، وأبو يعلى (6/429 ، رقم 3802) ، والبيهقي في شعب الإيمان (7/237 ، رقم 10147) ، وعبد بن حميد (ص 411 ، رقم 1399) ، وابن حبان (3/217 ، رقم 936) .

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (6/24 ، رقم 29192) ، وأحمد (1/416 ، رقم 3950) ، ومسلم (4/2087 ، رقم 2721) ، والترمذي (5/522 ، رقم 3489) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/1260 ، رقم 3832) ، والطيالسي (ص 39 ، رقم 303) ، وابن حبان (3/182 ، رقم 900) ، والديلمي (1/457 ، رقم 1856) .

(3) أخرجه البخاري (6/2440 ، رقم 6242) ، ومسلم (4/2080 ، رقم 2707) ، والحميدي (2/429 ، رقم 972) ، وأبو يعلى (12/14 ، رقم 6662) ، وابن حبان (3/294 ، رقم 1016) .

رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . فقال : «لقد سألت الله باسمه الأعظم»⁽¹⁾.

وفي سنن أبي داود والنسائي عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسا ورجل يصلي ، ثم دعا : اللهم أني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم . فقال النبي ﷺ : «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى»⁽²⁾.

وروى مسلم عن زيد بن أرقم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ كان يقول : «اللهم أني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجن والبخل والهزم ، وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها»⁽³⁾.

وفي مسلم أيضا عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ يقول : «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (7/ 233 ، رقم 35607) ، وابن ماجه (2/ 1267 ، رقم 3857) ، والحاكم (1/ 683 ، رقم 1858) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين . وابن حبان (3/ 173 ، رقم 891) .

(2) أخرجه أحمد (3/ 158 ، رقم 12632) ، والنسائي في الكبرى (1/ 386 ، رقم 1223) ، وابن حبان (3/ 175 ، رقم 893) .

(3) أخرجه ابن أبي شيبة (6/ 20 ، رقم 29149) ، وأحمد (3/ 214 ، رقم 13256) ، والبخاري (3/ 1039 ، رقم 2668) ، ومسلم (4/ 2079 ، رقم 2706) ، وأبو داود (2/ 90 ، رقم 1540) ، والترمذي (5/ 520 ، رقم 3485) وقال : حسن صحيح . والنسائي (8/ 257 ، رقم 5448) ، وابن حبان (3/ 289 ، رقم 1009) ، وأبو يعلى (5/ 402 ، رقم 3074) ..

معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر»⁽¹⁾.

وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبي اليسر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ كان يدعو : «اللهم أني أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من التردى ، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهدم ، وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا ، وأعوذ بك أن أموت لديغا»⁽²⁾.

وفي الترمذي عن أم سلمة قالت : كان أثير دعاء النبي ﷺ اللهم : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»⁽³⁾.

وفي الترمذي أيضا عن سعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له»⁽⁴⁾.

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أي الدعاء أفضل؟ فقال : «سل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة» . ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ، قال : «فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد

(1) أخرجه مسلم (4/2087 ، رقم 2720) . وأخرجه أيضًا : الديلمي (1/474 ، رقم 1934) .

(2) أخرجه أحمد (3/427 ، رقم 15562) ، وأبو داود (2/92 ، رقم 1552) ، والنسائي (8/283 ، رقم 5532) ، والطبراني (19/170 ، رقم 381) ..

(3) الترمذي (3864) .

(4) أخرجه أحمد (1/170 ، رقم 1462) ، والترمذي (5/529 ، رقم 3505) ، والنسائي في الكبرى (6/168 ، رقم 10492) ، والحاكم (1/684 ، رقم 1862) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب

الإيمان (1/432 ، رقم 620) ، والضياء (3/233 ، رقم 1041) .

أفلحت». قال الترمذي : حديث حسن (1).

وروى ابن السني عن طلق بن حبيب قال : جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال : يا أبا الدرداء ، قد احترق بيتك ! قال : ما احترق لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، اللهم أني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم» (2).

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ : «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نقمتك ، وجميع سخطك» (3).

وفي الترمذي عن أمامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً ، قلنا : يا رسول الله ، قد دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً ! فقال : «ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ يقول : اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد

(1) أخرجه الترمذي (533/5 ، رقم 3512) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (2/1265 ، رقم 3848) .

(2) أخرجه الطبراني في الدعاء (1/128 ، رقم 343) ، وابن عساكر (64/118) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (2/836 ، رقم 1400) .

(3) أخرجه مسلم (4/2097 ، رقم 2739) ، وأبو داود (2/91 ، رقم 1545) . والبخارى في الأدب المفرد (1/238 ، رقم 685) ، والنسائي في الكبرى (4/463 ، رقم 7955) ، والديلمي (1/460 ، رقم 1872) .

وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْكَ الْبَلَاحُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»⁽¹⁾.

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا : «قُولِي : اللَّهُمَّ أَنِي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَأَجَلِهِ ، مَا عَلِمْتَ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَأَجَلِهِ ، مَا عَلِمْتَ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرُبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرُبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشْدًا»⁽²⁾.

وفي مستدرک الحاكم عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ مِنْ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ : «اللَّهُمَّ أَنِي أَسْأَلُكَ مَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ ، وَالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَالْغَنِيمَةِ مِنْ كُلِّ بَرٍّ ، وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ»⁽³⁾.

وفيه عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : وَادْنُوبَاهُ . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ! فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «قُلْ : اللَّهُمَّ مَغْفِرَتَكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي ، وَرَحْمَتَكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي»⁽⁴⁾ .

وفيه عن أبي أمامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَكًا مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ : يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ لَهُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَاسْأَلْ»⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الترمذي (537/5 ، رقم 3521) .

(2) أخرجه أحمد (6/133 ، رقم 25063) ، وابن ماجه (2/1264 ، رقم 3846) قال البوصيري (4/141) : هذا إسناد فيه مقال . وابن حبان (3/150 ، رقم 869) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (6/44 ، رقم 29345) ، وأبو يعلى (7/446 ، رقم 4473) .

(3) أخرجه الحاكم (1/706 ، رقم 1925) وقال : صحيح على شرط مسلم .

(4) المستدرک (1994) . (2) أخرجه الحاكم (1/728 ، رقم 1996) .

الباب الخامس

في الأذكار والدعوات للأمور العارضات

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : «لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا أنت رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم»⁽¹⁾.

وروى ابن السني عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا راعه شيء قال : «قل هو الله ربي لا شريك له»⁽²⁾.

وروى ابن السني عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات : يقول : «أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك في قبضتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم نور صدري ، وربيع قلبي ، وجلاء حزني وذهاب همي»⁽³⁾.

وروي ابن السني أيضا عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «يا علي ، ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة - أي هلاك - قلتها؟»

(1) أخرجه أحمد (1/254 ، رقم 2297) ، والترمذي (5/495 ، رقم 3435) ، والنسائي في الكبرى (4/397 ، رقم 7675) ، وابن ماجه (2/1278 ، رقم 3883) ، وعبد بن حميد (1/220 ، رقم 658) ، وأبو يعلى (4/416 ، رقم 2541) ، والطبراني (12/158 ، رقم 12750) .

(2) عمل اليوم والليلة (334) .

(3) عمل اليوم والليلة (338) .

قلت : بلى جعلني الله فداك . قال : «إذا وقعت في ورطة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء»⁽¹⁾.

وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوما قال : «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم»⁽²⁾.

وفي كتاب ابن السني عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : قال رسول الله ﷺ : «إِذَا خِفْتَ سُلْطَانًا أَوْ غَيْرَهُ فَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَزَّ جَارَكَ وَجَل ثَنَاؤُكَ»⁽³⁾.

وفيه عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فلقي العدو فسمعتة يقول : «يا ملك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين» . فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها⁽⁴⁾.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجزن ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»⁽⁵⁾.

(1) عمل اليوم والليلة (335) .

(2) أبو داود (1539) ، والبيهقي في الكبرى 5/ 253.

(3) عمل اليوم والليلة (344) .

(4) عمل اليوم والليلة (333) .

(5) أخرجه أحمد (366/2) ، رقم (8777) ، ومسلم (4/ 2052) ، رقم (2664) ، وابن ماجه (2/ 1395) ، رقم (4168) ، والحميدي (2/ 474) ، رقم (1114) ، والنسائي في الكبرى (6/ 159) ، رقم (10457) ، وأبو=

وفي كتاب ابن السني عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال :
«اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا» (1). الحزن
بفتح الحاء المهملة وإسكان الزاي وهو غليظ الأرض وخشنها .

وفيه عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ قال : «ما يمنع أحدكم
إذا عسر عليه أمر معيشته أن يقول إذا خرج من بيته : بسم الله على نفسي ومالي
و ديني ، اللهم رضني بقضائك ، وبارك لي فيما قدر لي ، حتى لا أحب تعجيل ما
أخرت ، ولا تأخير ما عجلت» (2).

وفيه عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «ما نعم - عز
وجل - على عبد نعمة في أهل ومال وولد ، فقال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ،
فيرى فيها آفة دون الموت» (3).

وروى الترمذي عن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن مكاتبا جاءه فقال : إني
عجزت عن كتابتي فأعني . قال : ألا أعلمك كلمات أعلمنيهن رسول الله ﷺ ،
لو كان عليك مثل جبل دينا أداه الله عنك؟ قل : «اللهم اكفني بحلالك عن
حرامك واغنني بفضلك عمن سواك» (4).

وفي كتاب ابن السني عن البراء بن عازب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : أتى
رسول الله ﷺ رجل يشكو إليه الوحشة ، فقال : «أكثر من أن تقول :

=يعلى (11/124 ، رقم 6251) ، وابن حبان (13/28 ، رقم 5721) ، والحكيم (1/404) ، والديلمي
(4/187 ، رقم 580) ، والبيهقي (10/89 ، رقم 19960) .

(1) عمل اليوم والليلة (350) .

(2) عمل اليوم والليلة (349) .

(3) عمل اليوم والليلة (356) .

(4) الترمذي (5/560 ، رقم 3563) ، وأخرجه أيضا أحمد (1/153 ، رقم 1318) ، والحاكم (1/721 ، رقم
1973) ، والضياء (2/117 ، رقم 489) .

سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح ، جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت» . فقالها الرجل ، فذهبت عنه الوحشة ⁽¹⁾.

قال يوسف بن أحمد البغدادي : حججت أنا وأبو سليمان الداراني ، فبينما نحن نسير إذ سقطت الصطيحة مني ، وكان برد عظيم ، فلما افتقدت الصطيحة قلت : يا أبا سليمان ، بقينا بلا ماء! فقال : سلم وصل على محمد وقل : يا راد الضالة ، يا هادي من الضلالة ، اردد الضالة ، وإذا برجل ينادي : من ذهب له صطيحة؟ فأخذتها منه ، فقال أبو سليمان : تراه يتركنا بلا ماء ⁽²⁾؟

وقال الشيخ محيي الدين في كتاب البستان : روي في رسالة الأستاذ القشيري - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - قال : قيل : كان لجعفر الخُلدي - بضم الخاء المعجمة وإسكان اللام - فُصٌّ فوق يوم في دجلة ، وكان عنده دعاء مجرب للضالة ترد عليه ، فدعا به فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصفحها ⁽³⁾.

قال القشيري - رَحِمَهُ اللهُ - : سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : إن ذلك الدعاء (يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، اجمع علي ضالتي) ⁽⁴⁾.

قال الشيخ محيي الدين - رَحِمَهُ اللهُ - : وقد جربت هذا الدعاء فوجدته نافعا ، سببا لوجود الضالة على قرب غالبا ، وأنه لا ينخرم ، والله أعلم ⁽⁵⁾.

(1) أخرجه ابن السني (ص 239، رقم 644) ، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص 339، رقم 1046) ، وابن عساكر من طريق ابن شاهين (532/43) وقال : قال ابن شاهين : غريب حسن عالٍ . وأخرجه أيضا : الروياني (1/212، رقم 292) .

(2) تاريخ دمشق 4/453 ، والرسالة القشيرية 172.

(3) بستان العارفين 15.

(4) الرسالة القشيرية 157.

(5) بستان العارفين 15.

الباب السادس

في الرقى

في الصحيحين عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن النبي صلى الله عليه كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ثم يقول : «اللهم رب الناس ، أذهب الباس ، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما»⁽¹⁾.

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده فقال له رسول الله ﷺ : «ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثا ، وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد ما أحاذر»⁽²⁾.

وفي سنن أبي داود والترمذي بإسناد صحيح عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ قال : «من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله تعالى من ذلك المرض» . قال الترمذي : حديث حسن⁽³⁾.

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن جبريل ﷺ

(1) أخرجه مسلم (4/1722 ، رقم 2191) ، وأحمد (6/44 ، رقم 24221) ، وابن ماجه (1/517 ، رقم 1619) ، وابن سعد (2/210) .

(2) أخرجه مالك (2/942 ، رقم 1686) ، ومسلم (4/1728 ، رقم 2202) ، وأبو داود (4/11 ، رقم 3891) ، والترمذي (4/408 ، رقم 2080) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/1163 ، رقم 3522) . وأخرجه أيضًا : الطيالسي (ص 127 ، رقم 941) .

(3) أخرجه أبو داود (3/187 ، رقم 3106) ، والترمذي (4/410 ، رقم 2083) ، والحاكم (1/493 ، رقم 1268) وقال : صحيح على شرط البخارى . وأخرجه أيضًا : الضياء (10/368 ، رقم 394) .

أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، اشتكيت؟ قال : «نعم» . قال : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك . قال الترمذي : حديث حسن صحيح (1).

وفي كتاب ابن السني عن عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : مرضت فكان رسول الله ﷺ يعودني ، فعوذني يوما فقال : «باسم الله الرحمن الرحيم ، أعيدك بالله الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، من شر ما تجدد» . فلما استقل رسول الله ﷺ قائما قال : «يا عثمان ، تعوذ بها فما تعوذ متعوذ بمثلها» (2).

وفيه عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق فقال له رسول الله ﷺ : «ما قرأت في أذنه؟» قال : قرأت : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ (3). حتى فرغ من آخر السورة فقال له رسول الله ﷺ : «لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال» (4).

وفيه عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وقد خرج في أصبعي بثرة ، فقال : «هل عندك ذريرة؟» فوضعها عليها ، وقال : «قولي : اللهم مصغر الكبير ، ومكبر الصغير ، صغرا ما بي» . فطمئت البثرة (5).

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : الذريرة فتات قصب من قصب الطيب يجاء به من الهند .

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (47/5 ، رقم 23576) ، وأحمد (3/58 ، رقم 11574) ، ومسلم (4/1718 ، رقم 2186) ، والترمذي (3/303 ، رقم 972) وقال حسن صحيح . وابن ماجه (2/1164 ، رقم 3523) .

(2) عمل اليوم والليلة (552) .

(3) سورة المؤمنون ، الآية : 115 .

(4) عمل اليوم والليلة (630) .

(5) عمل اليوم والليلة (634) .

الباب السابع

في علاج المصاب بالعين

روى مسلم عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي ﷺ قال : «العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين»⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عن أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة ، فقال : «استرقوا لها ؛ فإن بها نظرة»⁽²⁾.
قال النووي : السفعة تغيير وصفرة والنظرة العين يقال صبي منظور أي أصابته العين⁽³⁾.

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان ومن عين الإنسان حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواها . قال الترمذي : حديث حسن⁽⁴⁾.

وروى البخاري عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي ﷺ كان يُعوذ الحسن والحسين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : «أعذكما بكلمات الله التامة من كل

(1) أخرجه أحمد (319/2) رقم (8228) ، والبخاري (2167/5) ، رقم (5408) ، ومسلم (4/1719) ، رقم (2187) ، وأبو داود (9/4) ، رقم (3879) ، وابن ماجه (2/1159) ، رقم (3507) ، وابن حبان (12/312) ، رقم (5503) .

(2) أخرجه البخاري (2167/5) ، رقم (5407) ، ومسلم (4/1725) ، رقم (2197) . وأخرجه أيضًا : الحاكم (4/236) ، رقم (7486) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والطبراني (23/344) ، رقم (801) ، والبيهقي (9/347) ، رقم (19369) .

(3) شرح صحيح مسلم 7/4074 .

(4) سنن الترمذي (2058) .

شيطان وهامة⁽¹⁾، ومن كل عين لامة⁽²⁾». ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق»⁽³⁾.

وفي كتاب ابن السني عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره»⁽⁴⁾.

وفيه عن عامر بن ربيعة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم ما يعجبه في نفسه وماله، فليدع بالبركة»⁽⁵⁾.

وقال السدي في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾⁽⁶⁾ أي: يصيرونك بأعينهم⁽⁷⁾. قال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية⁽⁸⁾.

وذكر القاضي حسين أن نبيا من الأنبياء استكثر قومه ذات يوم فأمات الله مائة ألف من قومه في ليلة واحدة، فلما أصبح شكا إلى الله من ذلك فقال الله تعالى: لما استكثرتهم عنتهم، هلا حصنتهم إذا استكثرتهم! فقال: يا رب، كيف أحصنهم؟ فقال الله تعالى: تقول: حصنتكم بالحي القيوم الذي لا يموت أبدا، ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(1) الهامة: بتشديد الميم واحدة الهوام وهي الحيات وكل ذى سم يقتل سمه.

(2) اللامة: العين اللامة التي تصيب بسوء.

(3) البخاري (3371).

(4) عمل اليوم والليلة (206).

(5) أخرجه ابن السني (ص 86، رقم 250)، وأبو يعلى (13/152، رقم 7195)، والطبراني (6/81، رقم 5579)، والحاكم (4/240، رقم 7499) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. والضياء (8/187، رقم 213).

(6) سورة القلم، الآية: 51.

(7) تفسير البغوي 8/202.

(8) تفسير البغوي 8/202.

وهكذا السنة في الرجل إذا رأى نفسه سليمة وأحواله مستقيمة يقول في نفسه ذلك ، وكان القاضي يحصن تلامذته بذلك .

وروى أبو داود عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : كان يؤمر العائن أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين (1) .

وروى مالك عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : رأى عامر بن ربيعة سهل بن سهل بن حنيف يغتسل ، فقال : والله ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة . قال : فلبط سهل ، فأتى رسول الله ﷺ عامر فتغيط عليه وقال : «علام يقتل أحدكم أخاه ، ألا بركت ! اغتسل له» . فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخله إزاره في قدح ، ثم صب عليه فراح مع الناس (2) .

قيل : أنه تنبعت جواهر لطيفة غير مرئية تتخلل المسام ، فيخلق الله تعالى الهلاك عندها ، وقيل : ينبغي للسلطان منع من عُرف بذلك من مخالطة النساء ، ويأمره بلزوم بيته ويرزقه مما يكفيه إن كان فقيرا ، فإن ضرره أشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس .

تم الربع الأول ، وهو ربع العبادات ، ونبدأ الآن في الربع الثاني وهو ربع العادات .

(1) الأذكار 271 .

(2) أخرجه مالك (2/938 ، رقم 1678) ، وأحمد (3/486 ، رقم 16023) قال الهيثمي (5/107) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح وفي أسانيد الطبراني ضعف . وابن حبان (13/469 ، رقم 6105) ، والحاكم (3/465 ، رقم 5742) : وقال هذه الزيادات في الحديثين جميعا مما لم يخرجاه . والطبراني (6/82 ، رقم 5580) . وأخرجه أيضاً : النسائي في الكبرى (4/380 ، رقم 7616) .

كتاب آداب الأكل والشراب والضيافة

وفيه ستة أبواب :

الباب الأول في آداب الأكل

وفيه سبعة فصول :

الفصل الأول

في الأمر بالتسمية ، وبالأكل بيمينه ، ومما يليه

عن عمرو بن أبي سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ ، فكانت يدي تطيش في الصفحة ، فقال لي رسول الله ﷺ : «سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك» . رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

وقوله : تطيش . أي : تتحرك وتمتد إلى نواحي الصفحة .

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : قال رسول الله ﷺ : «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله ، فليقل : بسم الله أوله وآخره» . رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث صحيح⁽²⁾.

وقال ﷺ : «إن الشيطان ليستحل الطعام ألا يذكر اسم الله عليه»⁽³⁾ . وذكر الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في الإحياء عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه

(1) أخرجه البخاري (2056/5 ، رقم 5061) ، ومسلم (1599/3 ، رقم 2022) ، وابن ماجه (1087/2 ، رقم 3267) . وأخرجه أيضًا : أحمد (26/4 ، رقم 16375) ، والنسائي في الكبرى (4/175 ، رقم 6759) .

(2) أخرجه أبو داود (347/3 ، رقم 3767) ، والترمذي (288/4 ، رقم 1858) ، وقال : حسن صحيح . والحاكم (121/4 ، رقم 7087) وقال : صحيح . وأخرجه أيضًا : أحمد (26335/6 ، رقم 26335) ، والنسائي في الكبرى (78/6 ، رقم 10112) .

(3) أخرجه أحمد (382/5 ، رقم 23297) ، ومسلم (1597/3 ، رقم 2017) ، وأبو داود (347/3 ، رقم 3766) ، والنسائي في الكبرى (76/6 ، رقم 10103) . وأخرجه أيضًا : البيهقي في شعب الإيمان (74/5 ، رقم 5830) .

قال : التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر ، فإذا شيطان الكافر سمين دھين كاسٍ ، وإذا شيطان المؤمن مهزول أشعث عارٍ ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن : مالك؟ قال : أنا مع هذا إذا أكل سمي فأظل جائعا ، وإن شرب سمي فأظل عطشانا ، وإذا أذهن سمي فأظل شعثا ، وإذا لبس سمي فأظل عريانا . قال شيطان الكافر : ولكنني مع رجل لا يصنع شيئا من ذلك ، فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه⁽¹⁾.

وعن عكراش بن ذؤيب قال : أتينا بجفنة كثيرة الثريد والودك ، فخبطت بيدي في نواحيها ، فقال النبي ﷺ : « كل من موضع واحد ؛ فإنه طعام واحد » . ثم أتينا بطبق فيه ألوان التمر ، فجعلت أكل من بين يدي ، وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق ، فقال : « يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون »⁽²⁾.



(1) إحياء علوم الدين 2 / 20.

(2) أخرجه الترمذي (4 / 283 ، رقم 1848) .

الفصل الثاني

في استحباب الأكل بثلاث أصابع ولعق الأصابع والقصة
وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها وغير ذلك من الآداب

عن كعب بن مالك بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع ، فإذا فرغ لعقها . رواه مسلم ⁽¹⁾ .

ونقل الغزالي عن الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - أنه قال : الأكل على أربعة أنحاء ؛ الأكل بأصبع من المقت ، وبأصبعين من الكبر ، وبثلاث أصابع من السنة ، وبأربع أو خمس من الشره ، والنوم على أربعة أنحاء ؛ النوم على القفا وهو نوم الأنبياء يتفكرون في خلق السموات والأرض ، ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ، ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لينهضهم طعامهم ، ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين ⁽²⁾ .

وعن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة ، وقال : «إنكم لا تدرّون في أي طعامكم البركة» . رواه مسلم ⁽³⁾ .

وعنه أن النبي ﷺ قال : «إذا وقعت لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فليأخذها فليَمِطْ ما كان بها من أذى ، وليأكلها ولا يدعها للشيطان ، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه ؛

(1) صحيح مسلم (5418) .

(2) إحياء علوم الدين 1/376 .

(3) أخرجه مسلم (1607/3 رقم 2034) ، وأحمد (177/3 رقم 12838) ، وعبد بن حميد (ص 400 ، رقم 1352) وأبو داود (365/3 رقم 3845) ، والترمذي (259/4 رقم 1803) وقال : حسن غريب صحيح . والنسائي في الكبرى (176/4 رقم 6765) .

فإنه لا يدري في أي طعامه البركة». رواه مسلم⁽¹⁾.

وقال رسول الله ﷺ: «من أكل في قصعة فلحسها استغفرت له القصعة إلى يوم القيامة»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من بات وفي يده غمر لم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده»⁽⁴⁾.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه أتى بقصعة من ثريد ، فقال : «كلوا من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها ؛ فإن البركة تنزل في وسطها»⁽⁵⁾.

ويروى عن النبي ﷺ إنه قال : «أبردوا الطعام»⁽⁶⁾؛ فإن الحار⁽⁷⁾ غير ذي بركة ، ولا تشموا الطعام فإن ذلك من عمل البهائم»⁽⁸⁾.

(1) مسلم (1607/3 رقم 2034) ، وأخرجه أيضا أحمد (177/3 ، رقم 12838) ، وعبد بن حميد (ص 400 ، رقم 1352) وأبو داود (365/3 ، رقم 3845) ، والترمذي (259/4 ، رقم 1803) وقال : حسن غريب صحيح . والنسائي في الكبرى (176/4 ، رقم 6765) .
(2) أخرجه أحمد (76/5 ، رقم 20743) ، وابن سعد (50/7) ، والترمذي (259/4 ، رقم 1804) وقال : غريب . وابن ماجه (1089/2 ، رقم 3271) ، وابن قانع (168/3) ، والبيهقي في شعب الإيمان (5/82 ، رقم 5860) .

(3) أخرجه أحمد (263/2 ، رقم 7559) ، وأبو داود (366/3 ، رقم 3852) ، والبيهقي (276/7 ، رقم 14383) .
(4) أخرجه ابن عساكر (249/51) .

(5) أخرجه أحمد (270/1 ، رقم 2439) ، والبيهقي (278/7 ، رقم 14390) .

(6) أبردوا بالطعام : أخرجوا أكله إلى أن يبرد فتناولوه باردا .

(7) الحار : الساخن .

(8) أخرجه الطبراني في الأوسط (209/6 ، رقم 6209) وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن يزيد البكري كما قال الهيثمي (20/5) ، والعجلوني (27/1) ، وأخرجه الحاكم (132/4 ، رقم 7125) .

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «لا تشموا الطعام كما تشم السباع ،
ولا تنفخوا الطعام والشراب ؛ فإن ذلك من سوء الأدب»⁽¹⁾.



(1) أخرجه الطبراني (285/23 ، رقم 625) ، والبيهقي في شعب الإيمان (114/5 ، رقم 6007) .

الفصل الثالث

في استحباب حمد الله تعالى إذا فرغ من الأكل

عن معاذ بن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «من أكل طعاما فقال : الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة . غفر له ما تقدم من ذنبه» . رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن (1) .

وقال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الإحياء إذا أكل حلالا قال : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتنزل البركات ، اللهم أطعنا طيب ، واستعملنا صالحا ، وإن أكل شبهة فليقل : الحمد لله على كل حال ، اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ، وقرأ بعد الطعام ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ ﴿وَلَا يَلْفُ﴾ ﴿٢﴾ ﴿فُرَيْشٌ﴾ ﴿٣﴾ (2) .



(1) أخرجه أحمد (439/3)، رقم (15670)، وأبو داود (42/4)، رقم (4023)، والترمذي (508/5)، رقم (3458) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (2/1093)، رقم (3285)، والطبراني (20/181)، رقم (389)، والحاكم (1/687)، رقم (1870) وقال : صحيح على شرط البخاري . وأخرجه أيضاً : أبو يعلى (3/62)، رقم (1488) .

(2) إحياء علوم الدين 1/314 .

الفصل الرابع

في كيفية الجلوس على الأكل

عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : رأيت رسول الله ﷺ جالسا مقعيا يأكل تمرا . رواه مسلم ⁽¹⁾ . المقعي هو الذي يلصق ألييه بالأرض وينصب ساقيه .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لا آكل متكئا » ⁽²⁾ .

وقال : « إنما أجلس كما يجلس العبد ، وآكل كما يأكل العبد » ⁽³⁾ .
وروى ابن ماجه عنه ﷺ أنه نهى أن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه ⁽⁴⁾ .

قال ابن قيم الجوزية - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وقد فسر الاتكاء بالتربع وبالاتكاء على الشيء وبالاتكاء على الجنب . قال : فالأنواع الثلاثة ؛ نوع منها يضر بالآكل ، وهو الاتكاء على الجنب ، والنوعان الآخران من جلوس الجبارة ⁽⁵⁾ .



(1) مسلم (2044) .

(2) أخرجه الترمذي (273 / 4 ، رقم 1830) وقال : حسن صحيح . وابن أبي شيبة (140 / 5 ، رقم 24521) ، والنسائي في الكبرى (171 / 4 ، رقم 6742) ، وابن حبان (44 / 12 ، رقم 5240) ، والطبراني في الأوسط (84 / 7 ، رقم 6924) ، والبيهقي (49 / 7 ، رقم 13103) .

(3) أخرجه ابن سعد (371 / 1) ، والبيهقي في شعب الإيمان (107 / 5 ، رقم 5975) ، وعبد الرزاق عن معمر في الجامع (417 / 10 ، رقم 19554) .

(4) سنن ابن ماجه (1118) .

(5) زاد المعاد 4 / 402 .

الفصل الخامس

في تحليل الأسنان من الطعام

قال ابن سيرين: كان ابن عمر يأمر بالخلال، ويقال: إذا ترك وهن الأضراس⁽¹⁾.

وفي الحديث: «حبذا المتخللون من الطعام؛ فإنه ليس شيء أشد على الملك الذي مع العبد من أن يجد من أحدكم ريح الطعام»⁽²⁾.

وقال أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : ويستحب لمن أراد أكل اللحم أن يأكل قبله لقمتين أو ثلاثاً من الخبز حتى يسد الخلل . ونقل بعضهم الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - أنه قال : ما تخلل الإنسان بخلال بين أسنانه فليقذفه ، وما أخرجه بأصبعه فليأكل⁽³⁾.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : «لا تأكلوا الفعم ولا ترموا الوعم» .



(1) ابن أبي شيبة 5/ 575.

(2) أخرجه أحمد (5/ 416، رقم 23574)، وعبد بن حميد (ص 102، رقم 217).

(3) تنبيه الغافلين 144.

الفصل السادس

من آداب هذا الباب ألا يعيب الطعام

وأن يرضى بما يحضر منه

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط ،
إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه . رواه البخاري ومسلم ⁽¹⁾.

وعن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم ، فقالوا : ما عندنا
إلا خل . فدعا به فجعل يأكل ويقول : «نعم الأدم الخل نعم الأدم الخل» . رواه
مسلم ⁽²⁾.

وقال مسلم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : ما أكل النبي ﷺ على خوان ولا في
سكرجة ، ولا خبز له مرقق . قيل لقتادة : علام كانوا يأكلون؟ قال : على السفر .
وقال سهل بن سعد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ما رأى رسول الله ﷺ النقي من
حين ابتعثه الله حتى قبضه الله .

وقال : ما رأى رسول الله ﷺ منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله .
قيل : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال : كنا نطحنه وننفخه فيطير ما
طار ، وما بقي ثريناه فأكلناه ⁽³⁾.

(1) البخاري (3563) .

(2) مسلم (3/1622 ، رقم 2052) ، وأخرجه أيضا الطيالسي (ص 244 ، رقم 1774) ، وأحمد (3/371 ،
رقم 15030) ، والدارمي (2/137 ، رقم 2048) ، والنسائي (4/160 ، رقم 6689) ، وأبو داود (3/
359 ، رقم 3820) ، والترمذي (4/278 ، رقم 1839) وقال : هذا أصح من حديث مبارك بن سعيد .
وابن ماجه (2/1102 ، رقم 3317) ..

(3) البخاري (5413) .

وقالت أم هانئ⁽¹⁾: ما أفقر بيت فيه خل من آدم .
وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : إن رسول الله ﷺ قال : «أكرموا
الخبز، ومن كرامته أن لا ينتظر به الأدم»⁽²⁾.
وعنها أنها قالت : ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى
قبض رسول الله ﷺ⁽³⁾.



(1) هي : فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية القرشية ، المشهورة بأم هانئ ، أخت أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب ، وبنت عم النبي ﷺ اختلف المؤرخون في اسمها : فاختة ، أو عاتكة ، أو
فاطمة ، والأشهر الأول . وكنت عنها زوجها هبيرة ابن أبي وهب الخزومي ، في أبيات له ، ب «هند»
وأول الأبيات :

أشأقتك «هند» أم أذاك سؤالها كذاك النوى أسبابها وانفثالها

فسمأها بعض مترجميها هنداً .

أسلمت عام الفتح بمكة ، وهرب زوجها إلى نجران ، ففرق الإسلام بينهما ، فعاشت أيما . وماتت
بعد أخيها «علي» . وروت عن النبي ﷺ 46 حديثاً .

ترجمتها في الإصابة ، باب النساء : (1102 و 1532) ، ونسب قريش 39 وانظر أعلام النساء 3/
1122 . الأعلام 5/ 126 .

(2) أخرجه ابن عساكر (106/55) ، والحاكم (136/4) ، رقم (7145) وقال : صحيح الإسناد . وأورده
القارئ في الموضوعات الكبرى (ص 65 ، رقم 325) .

(3) أخرجه الطيالسي (ص 198 ، رقم 1389) ، وأحمد (6/98 ، رقم 24709) ..

الفصل السابع

ينبغي أن لا يسرف في الأكل

قال الله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾⁽¹⁾. قال رسول الله ﷺ : «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يقيم بها صلبه ؛ فإن كان لا بد فاعلا فثلاث لطعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه»⁽²⁾.

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يتجشأ ، فقال : «أقصر من جشائك»⁽³⁾ ؛ فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أطولهم شبعاً في الدنيا»⁽⁴⁾.

وروى الحسن عن النبي ﷺ أنه قال : «أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعاً وتفكيراً ، وأبغضكم إلى الله تعالى كل نثوم أكل شروب» .

وقال أبو سليمان الدارني : من شبع دخل عليه ست آفات ؛ فقد حلاوة العبادة ، وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق ؛ لأنه إذا شبع ظن الخلق

(1) سورة الأعراف ، الآية : 31.

(2) أخرجه ابن المبارك (1/ 213 ، رقم 603) ، وأحمد (4/ 132 ، رقم 17225) ، والترمذي (4/ 590 ، رقم 2380) ، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/ 1111 ، رقم 3349) ، وابن سعد (1/ 409) ، والطبراني (20/ 272 ، رقم 644) ، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 28 ، رقم 5650) ، والحاكم (4/ 367 ، رقم 7945) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضاً : النسائي (4/ 177 ، رقم 6768) ، وابن حبان (12/ 41 ، رقم 5236) ، والقضاعي (2/ 271 ، رقم 1340) ، والدليمي (4/ 67 ، رقم 6210) .

(3) جُشَائِكَ : هو الريح الذى يخرج من المعدة عند الشبع .

(4) أخرجه الحاكم (4/ 346 ، رقم 7864) . وأخرجه أيضاً : البيهقي في شعب الإيمان (5/ 26 ، رقم 5643) ، وأبو نعيم في الحلية (7/ 256) ..

كلهم شباعا ، وثقل العبادة وزيادة الشهوات ، وإن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل⁽¹⁾.

وعن الحسن - رَحِمَهُ اللهُ - : قال : والله لقد أدركنا أقواما إن الرجل منهم ليمسي وعنده من الطعام ما لا يكفيه ولو شاء لأكله كله فيقول : والله لا أجعل هذا كله في بطني حتى أجعل بعضه لله تعالى .

وروي عن النبي ﷺ أنه نظر إلى رجل سمين البطن ، فأومأ إلى بطنه بإصبعه وقال : «لو كان هذا في غير هذا كان خيرا لك»⁽²⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : يعني : لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك كان خيرا لك . قال الغزالي : وبالجملية سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا ، وسبب حرصهم البطن والفرج ، وسبب شهوة الفرج شهوة البطن ، وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأبواب كلها ، وهي أبواب النار ، وفي حسمها فتح أبواب الجنة ؛ كما قال ﷺ «أدِيمُوا قِرْعَ بَابِ الْجَنَّةِ بِالْجُوعِ»⁽³⁾.

ونقل الشيخ شهاب الدين الأذري - رَحِمَهُ اللهُ - عن صاحب الخصال أنه قال : لا يحل له أن يأكل من ماله ، ولا من مال غيره فوق الشبع ، ولا أن يشرب . قال ابن عبد السلام : وإنما حرم لكونه مؤذيا لمزاجه وللتضييع بلا فائدة .



(1) إحياء علوم الدين 2/ 286.

(2) أخرجه الطبراني (2/ 284 ، رقم 2184) .

(3) إحياء علوم الدين 2/ 282 ، وقوت القلوب 2/ 118.

الباب الثاني

فيما كان رسول الله ﷺ يحب من الأطعمة

عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن رسول الله ﷺ كان يُحِبُّ الحلواء والعسل (1).

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ كان يعجبه الدباء (2).
وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز، والثريد من الحيس (3).
وفي الصحيحين أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه (4).

وذكر أبو عبيد عن ضباعة بنت الزبير أنها ذبحت في بيتها شاة، فأرسل إليها رسول الله ﷺ أن أطعمينا من شاتكم، فقالت للرسول: ما بقي عندنا إلا الرقبة وإنني لأستحي أن أرسل بها إلى رسول الله ﷺ فرجع الرسول فأخبره، فقال: «ارجع إليها فقل لها: أرسلني بها؛ فإنها هادية الشاة (5)، وأقرب الشاة إلى الخير، وأبعدها من الأذى» (6).

(1) شمائل الرمذي (162).

(2) شمائل الرمذي (159).

(3) أبو داود (3785).

(4) البخاري (3340)، ومسلم (501).

(5) هادية الشاة: الهادية من كل شيء أوله وما تقدّم منه. كالرقبة والكتف والذراع.

(6) أخرجه أحمد (360/6)، رقم (27076)، والطبراني (337/24)، رقم (844)، والنسائي في الكبرى (4/

154، رقم (6658)، والطبراني في الأوسط (6/145)، رقم (6040).

وفي سنن ابن ماجه عن النبي ﷺ : «سيد طعام أهل الدنيا ، وأهل الجنة اللحم» (1).

وفيه عن النبي ﷺ : «أطيب اللحم لحم الظهر» (2).

وروى أبو داود عن ابني بشر السلميين قالا : دخل علينا رسول الله ﷺ فقدمنا زبدا وتمرًا ، وكان يحب الزبد والتمر (3).

وروي أبو داود والترمذي عن النبي ﷺ أنه كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول : «يدفع حر هذا برد هذا» (4).

ويروى عنه ﷺ أنه كان يحب العنب والبطيخ .



(1) سنن ابن ماجه (3430) .

(2) أخرجه الطيالسي (286/2) ، رقم 1028 ط هجر) ، وأحمد (1/203 ، رقم 1744) ، وابن ماجه (2/1099 ، رقم 3308) ، والطبراني (13/87 ، رقم 216) ، والحاكم (4/124 ، رقم 7097) وقال : صحيح . والبيهقي في شعب الإيمان (5/89 ، رقم 5891) ، والضياء (9/195 ، رقم 178) . وأخرجه أيضاً : النسائي في الكبرى (4/154 ، رقم 6657) والبخاري (6/222 ، رقم 2261) .

(3) أبو داود (3839) .

(4) شمائل الرمزي (199) .

الباب الثالث

في ذكر شيء من الأطعمة

التي ذكر النبي ﷺ أنها يتداوى بها

في الصحيحين أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : إن أخي يشتهي بطنه ، وفي رواية : استطلق بطنه . فقال : «اسقه عسلا» . فذهب ثم رجع فقال : قد سقيته ، فلم يغن عنه شيئا ، وفي لفظ : لم يزد إلا استطلاقا . مرتين أو ثلاثا ، كل ذلك يقول له : «اسقه عسلا» . فقال له في الثالثة أو الرابعة : «صدق الله وكذب بطن أخيك»⁽¹⁾ .

وفي سنن ابن ماجه عن النبي ﷺ : «من لعق عسلا ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء»⁽²⁾ .

وفي أثر آخر : «عليكم بالشفاءين العسل والقرآن»⁽³⁾ .

قال ابن القيم فجمع بين الطب البشري والإلهي ، وبين طب الأبدان وطب الأرواح ، وبين الدواء الأرضي والدواء السماوي⁽⁴⁾ .

(h) أخرجه أحمد (92/3 ، رقم 11889) ، والبخاري (5/2152 ، رقم 5360) ومسلم (4/1736 ، رقم 2217) ، والترمذي (4/409 ، رقم 2082) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (4/370 ، رقم 7561) .

(2) أخرجه ابن ماجه (2/1142 ، رقم 3450) ، والبيهقي في شعب الإيمان (5/97 ، رقم 5930) ، والبخاري في التاريخ الكبير (6/54) ، وأبو يعلى (11/300 ، رقم 6415) ، والطبراني في الأوسط (1/130 ، رقم 408) .

(3) أخرجه ابن ماجه (2/1142 ، رقم 3452) ، والحاكم (4/222 ، رقم 7435) وقال : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي (9/344 ، رقم 19349) .

(4) زاد المعاد 4/30 .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «عليكم بهذه الحبة السوداء ؛ فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت»⁽¹⁾.

وذكر البيهقي أثرًا مرفوعًا أن نبيا من الأنبياء شكّا إلى الله سبحانه وتعالى الضعف فأمره بأكل البيض⁽²⁾.

وعن أبي الدرداء قال : أهدى للنبي ﷺ طبق من تين ، فقال : «كلوا» . أو أكل منه⁽³⁾.

وقال : لو قلت : إن فاكهة نزلت من الجنة قلت : هذه ؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم ، فكلوا منها فإنها تقطع البواسير ، وتنفع من النقرس⁽⁴⁾.

وروى الترمذي وابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال : «كلوا الزيت وادهنوه ؛ فإنه يخرج من شجرة مباركة»⁽⁵⁾.

وروى ابن ماجه عن طلحة بن عبيد الله قال : دخلت على النبي ﷺ وبيده سفرجلة ، فقال : «دونكها يا طلحة ؛ فإنها تجم الفؤاد»⁽⁶⁾. أي : تريحه .

وعن صهيب يرفعه : «عليكم بالبان البقر ؛ فإنها شفاء وسمنها دواء ولحومها داء» .

(1) أخرجه أحمد (261/2) ، رقم (7548) ، والبخاري (2154/5) ، رقم (5364) ، ومسلم (4/1735) ، رقم (2215) ، وابن ماجه (2/1141) ، رقم (3447) . وأخرجه أيضًا : الطيالسي (ص 322) ، رقم (2460) .

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (5/102) ، رقم (5950) .

(3) التذكرة للقرطبي 527 .

(4) الديلمي (4716) .

(5) أخرجه عبد بن حميد (ص 33) ، رقم (13) ، وابن ماجه (2/1103) ، رقم (3319) ، والدارقطني كما في أطراف ابن طاهر (1/96) ، رقم (77) ، والحاكم (4/135) ، رقم (7142) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي في شعب الإيمان (5/100) ، رقم (5939) ، والضياء من طريق أبي يعلى (1/174) ، رقم (82) . وأخرجه أيضًا : الترمذي في العلل الكبير (1/306) ، رقم (570) ، والبزار (1/397) ، رقم (275) .

(6) ابن ماجه (3369) .

وروى ابن ماجه عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أحداً من أهله الوعكُ أمر بالحساء من الشعير ، فصنع ثم أمرهم فحسوا منه ، ثم يقول : «إنه ليرثو فؤاد الحزين ، ويسرو عن فؤاد السقيم ، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها»⁽¹⁾ . ومعنى : يرثو : يشده ويقويه ، ويسرو : يكشف ويزيل .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «الكُمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين»⁽²⁾ .

قوله : «من المن» . أي : فإنه يجمع من غير تعب . وقوله : «وماؤها شفاء للعين» . قيل : إنه يخلط في الأدوية التي يعالج بها العين ، وقيل : إنها تشوي ويستقطر ماؤها في العين .

وروى الترمذي عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا لرسول الله ﷺ : الكُمأة جذري الأرض! فقال : «الكُمأة من المن وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم»⁽³⁾ .

قال أبو هريرة : فأخذت ثلاث كمآت أو خمسا أو سبعا ، فعصرتهن وجعلت ماءهن في قارورة ، وكحلت به جارية لي عمشاء ، فبرأت .

وفي الترمذي عن النبي ﷺ أنه كان ينعت الزيت والورس من ذات

(1) الترمذي (2039) .

(2) أخرجه أحمد (187/1 ، رقم 1625) ، والبخاري (1627/4 ، رقم 4208) ، ومسلم (1619/3 ، رقم 2049) ، والترمذي (401/4 ، رقم 2067) وقال : حسن صحيح . وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (178/1 ، رقم 227) ، والنسائي في الكبرى (156/4 ، رقم 6667) ، والبزار (82/4 ، رقم 1250) ، وأبو يعلى (254/2 ، رقم 961) ، وأبو عوانة (191/5 ، رقم 8350) ، والشاشي (233/1 ، رقم 189) .

(3) الترمذي (2210) .

الجنب (1).

وفي الغيلانيات عن عائشة قالت : قال لي رسول الله ﷺ : يا عائشة ، إذا طبختهم قدرا فأكثروا فيها من الدباء ؛ فإنها تشد قلب الحزين (2).



(1) الترمذي (407 / 4 ، رقم 2079) وقال : حسن غريب صحيح .

(2) الغيلانيات (912) .

الباب الرابع

في آداب الشرب

في الصحيحين عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثاً (1).

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : يعني يتنفس خارج الإناء (2).

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه . رواه الترمذي وقال : حسن صحيح (3).

وفي الصحيحين عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ أتى بلبن قد شيب بماء وعن يمينه أعرابي ، وعن يساره أبو بكر ، فشرب ، ثم أعطى الأعرابي وقال : «الأمين فالأمين» (4).

وعن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً . قال قتادة : قلنا لأنس : فالأكل؟ فقال : ذلك أشر أو أخبث . رواه مسلم (5).

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يشربن أحد منكم قائماً ، فمن نسي فليستقيء» . رواه مسلم (6).

(1) البخاري (5631) ، مسلم (5406) .

(2) شرح صحيح مسلم 1/ 426 .

(3) الترمذي (1888) .

(4) البخاري (5619) ، ومسلم (5408) .

(5) مسلم (5394) .

(6) أخرجه مسلم (3/ 1601 ، رقم 2026) .

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم . رواه البخاري ومسلم (1).

وفي صحيح البخاري أن عليا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - شرب قائما وقال : رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت (2).

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في شرح مسلم : الصواب في هذه الأحاديث أن النهي محمول على كراهة التنزيه ، وأما شربه ﷺ قائما فليبان الجواز ، قال : وأما قوله : «ومن نسي فليستقيء» . فمحمول على الاستحباب والندب . قال : ويستحب الاستقاء لمن شرب قائما ناسيا أو متعمدا ، وذكر الناسي في الحديث ليس المراد أن العامد يخالفه ، بل للتنبيه على غيره بطريق الأولى ؛ لأنه إذا أمر به الناسي وهو غير مخاطب ، فالعامد المخاطب المكلف أولى (3).

وفي الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : «سموا إذا أنتم شربتم ، واحمدوا إذا أنتم رفعتم» (4).

وفي مسلم عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها» (5).
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إذا أكل أحدكم فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وأطعمنا خيرا منه ، وإذا سقى لنا فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ؛ فإنه ليس شيء

(1) البخاري (1637) ، ومسلم (5399) .

(2) البخاري (5615) .

(3) شرح صحيح مسلم 393/4 .

(4) أخرجه الترمذي (302/4 ، رقم 1885) وقال : غريب . والطبراني (11/166 ، رقم 11378) ، والبيهقي

في شعب الإيمان (5/116 ، رقم 6015) .

(5) مسلم (7108) .

يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن»⁽¹⁾.

وروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «غطوا الإناء ، وأوكلوا السقاء ؛ فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء ، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء ، وسقاء ليس عليه وكاء ، إلا وقع فيه من ذلك الداء»⁽²⁾.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ، ولا تشر بواقى آنية الذهب والفضة ؛ فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»⁽³⁾.



-
- (1) أخرجه أبو داود (339/3)، رقم (3730)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/123)، رقم (6041). وأخرجه أيضاً : إسحاق بن راهويه (1/226)، رقم (29).
- (2) أخرجه أحمد (3/355)، رقم (14871)، ومسلم (3/1596)، رقم (2014). وأخرجه أيضاً : أبو عوانة (5/145)، رقم (8165)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/127)، رقم (6059).
- (3) أخرجه الطيالسي (ص 57)، رقم (429)، وأحمد (5/398)، رقم (23422)، والبخاري (5/2133)، رقم (5310)، ومسلم (3/1638)، رقم (2067)، وأبو داود (3/337)، رقم (3723)، والترمذي (4/299)، رقم (1878) وقال : حسن صحيح . والنسائي (8/198)، رقم (5301)، وابن ماجه (2/1130)، رقم (3414).

الباب الخامس في الضيافة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

في الحث عليها

في الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثا أيام ، فما بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحل له أن يثوي⁽²⁾ عنده حتى يخرج»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أما مسلم ضاف قوما ، فأصبح الضيف محروما كان حقا على كل مسلم نصره حتى يأخذ له بقراه من ماله وزرعه»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه أحمد (4/ 31، رقم 16417)، والبخاري (5/ 2240، رقم 5673)، ومسلم (1/ 69، رقم 48) وأبو داود (342، رقم 3748)، والترمذي (4/ 345، رقم 1967) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (2/ 1211، رقم 3672). وأخرجه أيضاً: أبو عوانة (1/ 42، رقم 95).

(2) يثوي: أي يقيم عنده.

(3) أخرجه مالك (2/ 929، رقم 1660)، وأحمد (6/ 385، رقم 27205)، والبخاري (5/ 2272، رقم 5784)، ومسلم (3/ 1352، رقم 48)، وأبو داود (3/ 342، رقم 3748)، والترمذي (4/ 345، رقم 1967) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (2/ 1212، رقم 3675). وأخرجه أيضاً: ابن حبان (12/ 97، رقم 5287)، والطبراني (22/ 182، رقم 475)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 75، رقم 9531).

(4) أخرجه الطيالسي (ص 156، رقم 1149)، وأحمد (4/ 131، رقم 17217)، وأبو داود (3/ 343، رقم 3751)، والحاكم (4/ 147، رقم 7179)، والبيهقي (9/ 197، رقم 18475). وأخرجه أيضاً: الدارمي (2/ 134، رقم 2037).

وعن أبي الأحوص الجشمي عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن مررت برجل فلم يقرني ولم يضيفني ، ثم مر بي بعد ذلك أقره أم أجزيه؟ قال : «بل أقره»⁽¹⁾.

وقال رسول الله ﷺ : «لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه ؛ فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ، ومن أبغض الله أبغضه الله»⁽²⁾.

وقال رسول الله ﷺ : «لا خير فيمن لا يضيف»⁽³⁾.

ومرّ رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثير ، فلم يضيفه ، ومر بإمرأة لها شويهاة فذبحت له شاة فقال رسول الله ﷺ : «انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله ، فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل»⁽⁴⁾.

وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : أنه نزل به - عليه الصلاة والسلام - ضيف فقال لفلان اليهودي : «نزل بي ضيف فأسلمني شيئا من الدقيق إلى رجب» . فقال اليهودي : والله لا أسلفته إلا برهن ، فأخبر به فقال : «والله أنني لأمين في السماء أمين في الأرض ، ولو أسلفني لأديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده»⁽⁵⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : كان إبراهيم الخليل - عليه السلام - إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغذى معه ، وكان يكنى أبا الضيفان . قال

(1) أخرجه ابن عساكر (67/54) .

(2) أخرجه ابن عساكر (126/13) .

(3) أخرجه أحمد (4/155 ، رقم 17455) ، قال الهيثمي (8/175) : رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وحديثه حسن . والبيهقي في شعب الإيمان (7/91 ، رقم 9588) . وأخرجه أيضًا : الديلمي (5/179 ، رقم 7888) .

(5) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص 115 ، رقم 328) .

(4) أخرجه البزار (9/315 ، رقم 3863) ، والطبراني (1/331 ، رقم 989) . قال الهيثمي (4/126) : فيه موسى بن عبيدة الربدى ، وهو ضعيف . وأخرجه أيضًا : الرويانى (1/462 ، رقم 695) ..

الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا ، ولا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من ثلاثة إلى عشرة إلى مائة (1).

حكاية :

ذكرها الغزالي في نصيحة الملوك قال - رَحِمَهُ اللهُ - : نزل بعبد الله بن المبارك بعض الأيام عشرة أضياف من العلماء ، ولم يكن له ما يضيفهم به ، ولم يملك سوى فرس كان يحج عليها سنة ويغزو عليه سنة ، فذبح ذلك الفرس وطبخ منه وقدمه بين يدي الأضياف ، فقالت له زوجته : ما كنت تملك سوى هذا الفرس من الدنيا ، فلم ذبحته؟! فدخل إلى بيته وأخرج من متاع بيته بقدر مهرها وطلقها من ساعته ووقته ، وقال : امرأة تبغض الأضياف لا تصلح لي . فأتاه بعد ذلك بأيام رجل وقال له : يا إمام المسلمين ، لي بنت وقد توفيت أمها وهي كل يوم تمزق دستا من الثياب حزنا وغما ، واليوم تريد أن تقصد مجلسك فقل في تسليتها شيئا ، فلعل يرق قلبها ، فلما جلس على المنبر ذكر من هذا الباب ما تسلت به الصبية عن أمها ، فلما عادت قالت : يا أبت ، قد تبت ولا أعود أسخط الله تعالى ، ولكن لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك؟ قالت : أنت تقول لي دائما : إن أبناء الدنيا يخطبونك ، وأرباب الأحوال يطلبونك ، فناشدتك الله ، لا تزوجني بغير عبد الله بن المبارك ؛ فإن كان لنا دنيا فله دين ، فزوجها أبوها بعبد الله ، وحمل إليها جهازا كثيرا ومالا كبيرا ، وانفذ برسم عبد الله بن المبارك عشرة أفراس ليجاهد عليها في سبيل الله ، فرأى عبد الله في بعض الليالي في المنام كأن قائلا يقول له : إن كنت طلقت لأجلنا امرأة عجوز فقد أعطيناك صبية بكرا ، وإن كنت ذبحت فرسا واحدا فقد أعطيناك عشرة أفراس عوضه ؛ لتعلم أن الحسنة عندنا بعشرة ، ولا يضيع لدينا أجر المحسنين ، وما عاملنا أحد فخسر (2).

(1) إحياء علوم الدين 2/ 12.

(2) التبر المسبوك في نصيحة الملوك 53.

الفصل الثاني في آداب الضيافة

وهي ثلاثة أقسام :

القسم الأول : في آداب المضيف :

منها : أن يقصد بدعوته الأتقياء والفقراء ؛ قال رسول الله ﷺ : « لا تأكل إلا طعام تقي ، ولا يأكل طعامك إلا تقي »⁽¹⁾. وقال : « شر الطعام طعام الوليمة ؛ يدعي إليها الأغنياء دون الفقراء »⁽²⁾.

ومنها : ألا يهمل أقاربه ؛ لأن ذلك يوحشهم .

ومنها : ألا يتكلف بل يقدم ما حضر ؛ قال رسول الله ﷺ : « لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله »⁽³⁾.

وقال أبو الليث : يذكر أن حكيما دعا إلى طعام فقال : أجيبك بثلاث

(1) أخرجه ابن المبارك (1/ 124 ، رقم 364) ، والطيالسي (ص 294 ، رقم 2213) ، وأحمد (3/ 38 ، رقم 11355) ، والدارمي (2/ 140 ، رقم 2057) ، وأبو داود (4/ 259 ، رقم 4832) ، والترمذي (4/ 600 ، رقم 2395) وقال : حسن . وأبو يعلى (2/ 484 ، رقم 1315) ، وابن حبان (2/ 314 ، رقم 554) ، والحاكم (4/ 143 ، رقم 7169) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 42 ، رقم 9382) .

(2) أخرجه أبو نعيم في الحلية (8/ 267) ، والبيهقي (7/ 262 ، رقم 14300) ، وابن ماجه (1/ 616 ، رقم 1913) ، وأبو داود (3/ 341 ، رقم 3742) ، والنسائي في الكبرى (4/ 141 ، رقم 6612) . وأخرجه أيضاً : الديلمي (2/ 24 ، رقم 2154) .

(3) تقدم تخريجه .

شرائط ؛ أولها : ألا تتكلف . الثاني : ألا تخون . الثالث : ألا تجور . قال : أما التكلف أن تتكلف ما ليس عندك ، وأما الخيانة أن تبخل بما عندك فلا تقربه إلى الضيف ، وأما الجور فأن تحرم عيالك وتطعم الضيف ⁽¹⁾ .

ومنها : ألا يستأذنهم في التقديم .

ومنها : الترحيب بالضيف ، وحمد الله تعالى على حصوله ضيفا عنده .

ومنها : تعجيل إحضار الطعام ؛ قال حاتم الأصم : العجلة من الشيطان إلا في خمس فإنها من سنة رسول الله ﷺ ؛ إطعام الطعام للضيف ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب ⁽²⁾ .

فلو حضر مدعوون وتأخر واحد واثنان عن الوقت الموعود ، فحق الحاضرين في التعجيل أولى ، إلا أن يكون المتأخر فقيرا ، فينكسر قلبه بذلك فلا بأس بانتظاره .

وقال أبو الليث - رَحِمَهُ اللهُ - : يقال : ثلاث يورثن السل ؛ رسول بطيء ، وسراج لا يُضيء ، وطعام ينتظر عليه مَنْ يجيء ⁽³⁾ .

ومنها : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية ؛ فإن التقليل عنها نقص في المروءة .

ومنها : أن يعزل لأهله نصيبهم .

ومنها : إذا رأى الضيف يقلل الأكل نشطه ، ولا يزيد في قوله : كل . على ثلاث مرات ؛ قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : وأما الحلف عليه بالأكل فممنوع ⁽⁴⁾ .

ومنها : أن يمد الأكل مع الضيوف ما دام يظن أن لهم حاجة إلى الأكل .

(1) تنبيه الغافلين 153 .

(2) حلية الأولياء 78 / 8 .

(3) تنبيه الغافلين 192 .

(4) إحياء علوم الدين 7 / 2 .

ومنها : أن يتبع الضيف عند خروجه إلى باب الدار .

ومنها : إذا دخل ضيف للمبيت ، فليُعرِّفه ربُّ الدار عند الدخول القبلة ، وبيتَ الماء ، وموضعَ الوضوء . وفي رحلة الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ - أنه قال : لما دخلت على مالك داره أدخلني الغلام إلى مخدع في الدار وقال لي : القبلة من هذا البيت هكذا ، وهذا إناء فيه ماء ، وهناك الخلاء من الدار . وأشار إليه . قال الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ - : هذا أدب الغلام فكيف أدب السيد . قال الشافعي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فما لبث مالك - رَحِمَهُ اللهُ - عني بعيدا حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقا فوضعه من يده وسلم علي مالك ، ثم قال للغلام : اغسل علينا . فوثب الغلام إلى الإناء وأراد أن يغسل علي فصاح مالك وقال : الغسل في أول الطعام لرب البيت ، وفي آخر الطعام للضيف . قال الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ - : فاستحسن ذلك من مالك ، وسألته شرح ذلك فقال : إنه يدعو الناس إلى كرمه ، فحكمه أن يبتدئ بالغسل ، وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل ليأكل معه . قال الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ - : فكشف مالك الطبق ، فكان في صحفتان في إحداهما لبن وفي الآخر تمر ، فسمي وسميت . قال الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ - : فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام ، وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، هذا جهد من مقل إلى فقير معدم . فقلت : لا عذر علي من أحسن ، إنما العذر على من أساء⁽¹⁾.

القسم الثاني : في آداب الضيف :

منها : ألا يخص الأغنياء بالإجابة دون الفقراء ، وألا يمتنع من الدعوة ، لكونه صائما ، بل يحضر ؛ فإن كان صومه تطوعا وعلم أن فطره يسر أخاه المسلم أفطر ، فإن كان الطعام حراما فلا يجيب ، وكذا إذا كان هناك منكر ؛ كمزمار ونحوه ،

(1) ثمرات الأوراق 86.

وألا يقصد بالإجابة نفس الأكل ، بل ينوي به الاقتداء بالسنة وإكرام أخيه المؤمن .
ومنها : أن يتواضع في مجلسه إذا حضر ، ولا يتصدر ؛ فإن عين له صاحب الدار مكانا لم يتعده .

ومنها : ألا يجلس في مقابلة حجرة النساء ، ولا ينظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام ؛ فإنه دليل على الشره .

ومنها : أن يدعو لصاحب المنزل ؛ قال أنس - رضي الله عنه - كان رسول الله ﷺ إذا أفطر عند قوم دعا لهم ، فقال : «أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة»⁽¹⁾ .

ومنها : أن يخرج طيب النفس ، وإن جرى في حقه التقصير من صاحب المنزل .

ومنها : ألا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه .

القسم الثالث في آداب الاجتماع على الأكل :

روي أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ، إنا نأكل ولا نشبع ! قال : «فلعلكم تفترقون» . قالوا : نعم . قال : «فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه»⁽²⁾ .

ومن آداب المجتمعين على الأكل : ألا يبتدئ أحد بالأكل إذا كان معه من يستحق التقديم ؛ لكبر سن أو زيادة فضل .

(1) أخرجه ابن ماجه (1/556 ، رقم 1747) ، والنسائي في الكبرى (4/202 ، رقم 6901) .
(2) أخرجه أحمد (3/501 ، رقم 16122) ، وأبو داود (3/346 ، رقم 3764) ، وابن ماجه (2/1093 ، رقم 3286) ، والطبراني (22/139 ، رقم 368) ، وابن حبان (12/27 ، رقم 5224) ، والحاكم (2/113 ، رقم 2500) ، والبيهقي في شعب الإيمان (5/75 ، رقم 5835) . قال العجلوني (1/48) : سنده حسن .

ومنها : ألا يسكتوا بل يتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها .
ومنها : أن يؤثر رفيقه وألا يحوجه أن يقول له : كل . بل ينبسط ولا يتصنع
بالانقباض .

ومنها : ألا ينظر إلى أصحابه حالة الأكل ؛ لئلا يستحيوا .
ومنها : ألا يفعل ما يستقذره من غيره



الفصل الثالث

في النهي عن التطفل

قال العلماء : لا ينبغي لأحد إذا علم أن قوما يأكلون أن يدخل عليهم ، فإن صادفهم من غير قصد نظر فإن علم أنما سألوه حياء منه فلا يأكل ، وإن علم أنهم يحبون أكله معهم جاز له أن يأكل . قال النووي في الروضة : ويحرم التطفل ⁽¹⁾.

قال أبو الليث : يقال : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم ؛ الذاهب إلى مائدة لم يدع إليها ، والمتأمر على رب البيت ، وطالب الخير من أعدائه ، وطالب الفضل من اللئيم ، والداخل بين اثنين في حديث بينهما من غير أن يُدخلاه فيه ، والمستخف بالسلطان ، والجالس مجلسا ليس له بأهل ، والمقبل بحديثه على من لا يستمع منه ⁽²⁾.

ومن دخل دار صديقه فلم يجده ، وكان عالما أنه إذا أكل من طعامه سُرّ بذلك جاز له أن يأكل .

حكى أن جماعة من الأصدقاء حضروا دار سفيان بن عيينة ، وكان غائبا والباب مغلق ففتحوا الباب ودخلوا ووضعوا السفرة وجلسوا ، ودخل سفيان عليهم ، فأخذ ييكي فقيلا له : ما ييكيك؟ فقال : ذكرتوني صحبة أقوام مضوا ، وعاملتموني معاملة الصالحين ولست منهم .



(1) روضة الطالبين 66/3.

(2) تنبيه الغافلين 254.

الباب السادس

في مستظرفات وآداب طيبة

نقل ابن القيم عن بعض الحكماء أنه قال : من أراد الصحة فليجود الغذاء ، وليأكل على نقاء ، وليشرب على ظمأ ، وليقلل من شرب الماء ، ويتمدد بعد الغذاء ، ويتمشى بعد العشاء ، ولا ينام حتى يعرض نفسه على الخلاء ، وليحذر دخول الحمام عقب الامتلاء ، ومرة في الصيف خير من عشرة في الشتاء ، وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء ، ومجامعة العجائز تهدم أعمار الأحياء ، وتسقم أبدان الأصحاء⁽¹⁾.

ويروى هذا عن علي ؛ قال ابن القيم : ولا يصح عنه ، وإنما بعضه من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب وكلام غيره⁽²⁾.

وقال الشافعي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أربعة تقوي البدن ؛ كثرة أكل اللحم ، وشم الطيب ، وكثرة الغسل من غير جماع ، ولبس الكتان ، وأربعة توهن البدن ؛ كثرة الجماع ، وكثرة الهم ، وكثرة شرب الماء على الريق ، وكثرة أكل الحامض ، وأربعة تقوي البصر ؛ الجلوس مستقبل حيال الكعبة ، والكحل عند النوم ، والنظر إلى الخضرة ، وتنظيف المجلس ، وأربعة توهن البصر ؛ النظر إلى القدر ، وإلى المصلوب ، وإلى فرج المرأة ، والقعود مستدبر الكعبة ، وأربعة تزيد في الجماع أكل العصافير ، والإطريفل والفتسق والخروب ، وأربعة تزيد في العقل ؛ ترك الفضل من الكلام ، والسواك ومجالسة الصالحين ، ومجالسة العلماء⁽³⁾.

(2) زاد المعاد 4/ 372.

(1) زاد المعاد 4/ 372.

(3) زاد المعاد 4/ 372.

وقال أفلاطون ⁽¹⁾: حَمْسٌ يُذِبْنَ الْبَدَنَ وَرُبَّمَا قَتَلْنَ قِصْرُ ذَاتِ الْيَدِ وَفِرَاقُ الْأَحِبَّةِ وَتَجَرُّعُ الْمَغَايِظِ وَرَدُّ النَّصَحِ وَضَحِكُ ذَوِي الْجَهْلِ بِالْعُقْلَاءِ ⁽²⁾.

وقال جالينوس لأصحابه: اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربع، ولا حاجة بكم إلى الطبيب؛ اجتنبوا الغبار والدخان والنتن، وعليكم بالدمسم والطيب والحلو والحمام ⁽³⁾.

ويقال: أربعة تضر بالفهم والدهن؛ إدمان أكل الحامض والفاكهة، والنوم على القفا، والهم والغم، وأربعة أشياء تزيد في الفهم؛ فراغ القلب، وقلة التملؤ من الطعام والشراب، وحسن تدبير الغذاء بالأشياء الحلوة والدسمة، وإخراج الفضلات المثقلة للبدن ⁽⁴⁾.

وقال أبو الليث السمرقندي في تفسيره: يروى عن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(1) أفلاطون بن أرسطون أحد أساطين الحكمة الخمسة من يونان كبير القدر فيهم مقبول القول بليغ في مقاصده أخذ عن فيثاغورس اليوناني وشارك سقراط في الأخذ عنه وَلَمْ يَشْتَهَرْ ذِكْرُهُ بَيْنَ عُلَمَاءِ يُونَانَ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ سِقْرَاطٍ وَكَانَ أَفْلَاطُونُ شَرِيفَ النَّسَبِ فِي بِيُوتِ يُونَانَ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ وَاحْتَوَى عَلَى جَمِيعِ فُنُونِ الطَّبِيعَةِ وَصَنَفَ كُتُبًا كَثِيرَةً مَشْهُورَةً فِي فُنُونِ الْحِكْمَةِ وَذَهَبَ فِيهَا إِلَى الرَّمْزِ وَالْإِعْلَاقِ وَاشْتَهَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ الْمُتَخَرِّجِينَ عَلَيْهِ وَسَادُوا بِانْتِسَابِهِمْ إِلَيْهِ وَكَانَ يَعْلَمُ الطَّالِبِينَ الْفَلَسَفَةَ وَهُوَ مَاشٍ وَسَمَّى النَّاسَ فَرَقَتَهُ الْمَشَائِثَ وَفُوضَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ الْمَفَاوِضَ وَالتَّعْلِيمَ وَالتَّدْرِيسَ إِلَى أَرَشْدِ أَصْحَابِهِ وَانْقَطَعَ إِلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِعْتَزَالِ وَعَاشَ ثَمَانِينَ سَنَةً وَكَانَ أَفْلَاطُونُ فِي قَدِيمٍ يَمِيلُ إِلَى الشَّعْرِ وَأَخَذَ مِنْهُ بِخَطِّ مَتَوَفَّرٍ ثُمَّ حَضَرَ مَجْلِسَ سِقْرَاطٍ فَرَأَاهُ يَذُمُّ الشَّعْرَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ هِيَ خَيَالَاتٌ تَشْعُرُ بِالْخِلَاقِ لَا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَطَلَبَ الْحَقَائِقَ أَوَّلِي فِتْرَتِهِ عِنْدَ ذَلِكَ أَفْلَاطُونُ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى قَوْلِ فِيثَاغُورَسَ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَعْقُولَةِ وَيُقَالُ أَنَّهُ عَاشَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً وَعَنْهُ أَخَذَ أَرِسْطُوطَالِيسُ وَخَلَفَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَقَالَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ أَخَذَ عَنْ سِقْرَاطٍ وَتَوَفَّى أَفْلَاطُونُ فِي السَّنَةِ الَّتِي وَلَدَ فِيهَا الْإِسْكَدَرُ .

ترجمته في أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، ص 11.

(2) زاد المعاد 4/ 372.

(3) زاد المعاد 4/ 372.

(4) زاد المعاد 4/ 372.

أنه قال : إذا كان أحدكم مريضاً فليسأل من امرأته درهمين من مهرها حتى تهب له بطيب نفسها ، فليشتر بذلك عسلاً ، فليشر به بماء المطر ، فقد اجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والماء المبارك⁽¹⁾.



(1) بحر العلوم 1/360.

خاتمة نختم بها الكتاب

قال الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ فِي الْإِحْيَاءِ⁽¹⁾: فِي الْخَبَرِ: لَا يَسْتَدِيرُ الرِّغِيفُ وَيُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى يَعْمَلَ فِيهِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُونَ صَانِعًا؛ أَوَّلَهُمْ مِيكَائِيلُ الَّذِي يَكِيلُ الْمَاءَ مِنْ خَزَائِنِ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَزْجُرُ السَّحَابَ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْأَفْلَاقُ وَمَلَكُوتُ الْهَوَاءِ وَدَوَابُّ الْأَرْضِ، وَآخِرُ ذَلِكَ الْخَبَازُ، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾⁽²⁾.



(1) إحياء علوم الدين 2/ 294.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 34.

كتاب اللباس

وفيه تسعة أبواب :

الباب الأول

فيما يستحب ويباح من اللباس

قال الله تعالى : ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْرِيْ سَوْءَ تِكُمْ وَرِيْشًا﴾⁽¹⁾.
قيل : هو المال ، يقال : تريش فلان إذا كثر ماله ، وقيل : هو الجمال ، وهو ما
يتجملون به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى﴾ قيل : هو الإيمان ، وقيل : الحياء ،
وقيل : العمل الصالح ، وقيل : السمات الحسن ، وقيل : هو الصوف والثياب التي
يلبسها أهل الورع⁽²⁾.

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «نوروا قلوبكم بلباس الصوف ؛ فإنه مذلة في
الدنيا ونور في الآخرة ، وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم»⁽³⁾.

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ قال : «ألبسوا من
ثيابكم البياض ؛ فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم». رواه أبو داود
والترمذي وقال حديث : حسن صحيح⁽⁴⁾.

وقال ﷺ : «ألبسوا البياض ؛ فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم». رواه
النسائي⁽⁵⁾.

(1) سورة الأعراف ، الآية : 26.

(2) تفسير البغوي 222/3.

(3) نزهة المجالس 255.

(4) أخرجه أحمد (1/247 ، رقم 2219) ، وأبو داود (4/8 ، رقم 3878) ، والترمذي (3/319 ، رقم 994) قال :
حسن صحيح . وابن حبان (12/242 ، رقم 5423) والبيهقي (3/245 ، رقم 5763) وأخرجه أيضًا : عبد
الرزاق (3/429 ، رقم 6200) ، والطبراني (12/64 ، رقم 12485) ، والضياء (10/201 ، رقم 206) .

(5) أخرجه النسائي (8/205 ، رقم 5322) ، والطيلالسي (ص 121 ، رقم 894) ، وأحمد (5/13 ، رقم =

وفي الصحيحين عن البراء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ مربوعاً ، وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه (1) .

وعن رفاعة التميمي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران . رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح (2) .

وعن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء . رواه مسلم (3) .

وعن أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص . رواه أبو داود وقال : حديث حسن (4) .

وعن المغيرة بن شعبه (5) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ لبس جبة رومية ضيقة الكمين (6) .

=20166)، والترمذي (117/5، رقم 2810) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/1181، رقم 3567) وابن سعد (450/1)، والطبراني (7/180، رقم 6759)، والبيهقي (3/402، رقم 6482) . وأخرجه أيضاً : عبد الرزاق (3/429، رقم 6199)، والطبراني في الأوسط (4/182، رقم 3919)، والحاكم (4/206، رقم 7379)، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(1) البخاري (3551) .

(2) الترمذي (2812) .

(3) مسلم (3375) .

(4) أبو داود (4027) .

(5) المغيرة بن شعبه بن أبي عامر بن مسعود ، أبو عيسى ، ويقال أبو عبد الله الثقفي ، كان من دهاة العرب وذوى آرائها ، أسلم عام الحندق وشهد الحديبية ، وبعثه الرسول ﷺ إلى أهل الطائف هو وأبا سفيان بن حرب فهدهما اللات ، شهد اليمامة واليرموك فأصيبت عينه يومئذٍ ، وشهد القادسية ، وولاه عمر فتوحاً كثيرة ، مات على المشهور سنة خمسين من الهجرة . ترجمته عند ابن عبد البر : الاستيعاب 4/1445، ابن الأثير : أسد الغابة 5/247، ابن حجر : الإصابة 6/697 .

(6) الترمذي (1875) .

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : كان رسول الله ﷺ إذا اعتَمَّ سدل عمامته بين كتفيه (1).

وقال ﷺ : «من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها» . رواه الترمذي (2).

وقال ﷺ : «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» . رواه الترمذي وقال : حديث حسن (3).

وعن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : «أتانا رسول الله ﷺ زائرا فرأى رجلا شعثا قد تفرق شعره ، قال : «ما كان يجد هذا ما يسكن (4) به رأسه» (5).

ورأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال : «ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه» (6).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال له : «فراش للرجل وفراش للمرأة والثالث للضيف والرابع للشيطان» (7).

(1) أبو داود (1840) .

(2) أخرجه الترمذي (4/ 650 ، رقم 2481) وقال : حسن . والطبراني (2/ 180 ، رقم 386) ، وأبو نعيم في الحلية (8/ 48) ، والحاكم (1/ 130 ، رقم 206) ، والبيهقي (3/ 272 ، رقم 5896) . وأخرجه أيضًا : أحمد (3/ 439 ، رقم 15669) ، والحرث كما بغية الباحث (2/ 604 ، رقم 567) ، وأبو يعلى (3/ 60 ، رقم 1484) ، وابن قانع (3/ 26) ..

(3) الترمذي (5/ 123 ، رقم 2819) .

(4) يُسَكَّنُ : يسرح شعر رأسه ويرجله .

(5) أخرجه أحمد (3/ 357 ، رقم 14893) ، وأبو داود (4/ 51 ، رقم 4062) ، وأبو يعلى (4/ 23 ، رقم 2026) ، وابن حبان (12/ 294 ، رقم 5483) ، والحاكم (4/ 206 ، رقم 7380) وقال : صحيح على شرط الشيخين . وأبو نعيم في الحلية (3/ 156) . قال المناوي (2/ 166) : قال العراقي : إسناده جيد ..

(5) أبو داود (4064) .

(6) أخرجه أحمد (3/ 293 ، رقم 14156) ، ومسلم (3/ 1651 ، رقم 2084) ، وأبو داود (4/ 70 ، رقم 4142) ، والنسائي (6/ 135 ، رقم 3385) ، وأبو عوانة (5/ 242 ، رقم 8558) ، وابن حبان (2/ 448 ، رقم 673) .

الباب الثاني

في صفة طول القميص والكم والإزار
وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء
وكرهاته من غير خيلاء

قال الله تعالى : ﴿وَتِبَالَكَ فَطَهَّرَ﴾⁽¹⁾. قال طاوس - رَحِمَهُ اللهُ - : والمعنى
﴿وَتِبَالَكَ فَطَهَّرَ﴾ . أي : قصر ؛ لأن تقصير الثياب طهر لها .

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت : كان كم
قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ . رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث
حسن⁽²⁾ .

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ قال : «من جر ثوبه
خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن إزاري
يسترخي إلا أني أتعاهده؟ فقال له رسول الله ﷺ : «إنك لست ممن يفعله
خيلاء»⁽³⁾ .

(1) سورة المدثر ، الآية : 4 .

(2) الترمذي (1871) .

(3) أخرجه أحمد (33/2 ، رقم 4884) ، والبخاري (3/1340 ، رقم 3465) ، ومسلم (3/1652 ، رقم 2085) ، وأبو داود (4/56 ، رقم 4085) ، والترمذي (4/223 ، رقم 1730) وقال : حسن صحيح .
والنسائي (8/206 ، رقم 5328) ، وابن ماجه (2/1181 ، رقم 3569) . وأخرجه أيضًا : عبد الرزاق
عن معمر في الجامع (11/82 ، رقم 19984) ، وإسحاق بن راهويه (1/177 ، رقم 152) ، والطبراني
في الكبير (12/301 ، رقم 13178) ، وفي الأوسط (2/130 ، رقم 1477) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار» . رواهما البخاري (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة ، من جر شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» . رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح (2) .
قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في فتاويه : ما نزل عن الكعبين من القميص والسراويل والإزار وغيرها من ملابس الرجل إن كان للخيلاء فهو حرام وإلا فمكروه ، والسنة في عذبة العمامة أن تكون بين كتفيه فإن طولها طولا فاحشا فهو كما لو نزل القميص عن الكعبين ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : الإسبال المنهي عنه يكون في القميص والعمامة .



(1) أخرجه البخاري (2182/5 ، رقم 5450) ، والنسائي (207/8 ، رقم 5330) .
(2) أخرجه هناد (432/2 ، رقم 847) ، وأبو داود (60/4 ، رقم 4094) ، والنسائي (208/8 ، رقم 5334) ، وابن ماجه (1184/2 ، رقم 3576) ، والبيهقي في شعب الإيمان (146/5 ، رقم 6131) . وأخرجه أيضاً : ابن أبي شيبة (168/5 ، رقم 24840) ، والديلمي (125/1 ، رقم 431) .

الباب الثالث

في تحريم لبس الحرير على الرجال وجوازه للنساء

عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تلبسوا الحرير ؛ فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة »⁽¹⁾.

وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما يلبس الحرير من لا خلاق له »⁽²⁾. رواهما البخاري .

وقال ﷺ : « حرم لباس الحرير والذهب لذكور أمتي وأحل لإناثهم » . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح⁽³⁾.

وعن حذيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه . رواه البخاري⁽⁴⁾.

وفي الصحيحين عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما⁽⁵⁾.

وعن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا

(1) أخرجه مسلم (3/1641، رقم 2069) .

(2) أخرجه مالك (2/917، رقم 1637) ، والطيالسي (ص 262، رقم 1937) ، وأحمد (2/24، رقم 4767) ، والبخاري (5/2194، رقم 5497) ، ومسلم (3/1639، رقم 2068) ، وأبو داود (4/46، رقم 4040) ، والنسائي (8/201، رقم 5307) ، وابن ماجه (2/1187، رقم 3591) ..

(3) أخرجه الترمذي (4/217، رقم 1720) وقال : حسن صحيح .

(4) البخاري (5837) .

(5) البخاري (5839) .

موضع أصبعين أو ثلاث أو أربع . رواه مسلم⁽¹⁾ .

وقد أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام - رَحِمَهُ اللهُ - بأنه لا بأس باستعمال العمامة التي في طرفها من الحرير قدر شبر، إلا أنه بين كل قدر أربع أصابع منها فراق قلم من كتان أو غيره .



(1) أخرجه أحمد (1/ 51، رقم 365)، ومسلم (3/ 1643، رقم 2069)، وأبو داود (4/ 47، رقم 4042)، والترمذي (4/ 217، رقم 1721) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/ 942، رقم 2820)، وأبو عوانة (5/ 232، رقم 8519)، والطحاوي (4/ 244)، وأبو يعلى (1/ 189، رقم 213)، وابن حبان (12/ 248، رقم 5433)، وأبو نعيم في الحلية (4/ 176). وأخرجه أيضًا : النسائي في الكبرى (5/ 475، رقم 9630) .

الباب الرابع

في النهي عن لبس المزعفر والمعصر

في الصحيحين عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : نهى النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل (1).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : رأى النبي ﷺ ثوبين معصفرين فقال : «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها». رواه مسلم (2).

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الروضة قال صاحب البيان : يحرم على الرجل لبس الثوب المعصر ، ونقل البيهقي وغيره عن الشافعي أنه نهى الرجل عن المزعفر وأباح المعصر قال البيهقي : والصواب إثبات نهى الرجل عن المعصر أيضا للأحاديث الصحيحة فيه . قال : وبه قطع الحلبي قال : ولو بلغت أحاديثه الشافعي لقال بها ، وقد أوصانا بالعمل بالحديث الصحيح (3).



(1) البخاري (5846) ، ومسلم (5929) .

(2) مسلم (1647/3) ، رقم (2077) ، وأخرجه أيضا أحمد (207/2) ، رقم (6931) ، والنسائي (8/203) ، رقم (5316) . وأخرجه أيضًا : الطيالسي (ص 301 ، رقم 2278) ، وأبو عوانة (5/236) ، رقم (8532) ، والحاكم (4/211) ، رقم (7398) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي (3/245) ، رقم (5765) .

(3) روضة الطالبين 215/3.

الباب الخامس

في النهي عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال

عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، وفي رواية : لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال . رواه البخاري (1).

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل . رواه أبو داود بإسناد صحيح (2).

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما ؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت (3) المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحا ليوجد من مسيرة كذا وكذا» . رواه مسلم (4).

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : معنى كاسيات أي : من نعمة الله عاريات من شكرها ، وقيل : معناه : تستر بعض بدنهن وتكشف بعضه ؛ إظهارا لجمالها ونحوه ، وقيل : تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنهن ، ومعنى مائلات قيل : عن طاعة الله ، وما يلزمهن من حفظه ، مميلات أي : يعلمن غيرهن فعلهن المذموم ،

(1) صحيح البخاري (5885) .

(2) أخرجه أبو داود (60/4) ، رقم (4098) ، والحاكم (215/4) ، رقم (7415) ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

(3) البخت : الإبل الخراسانية .

(4) مسلم (1680/3) ، رقم (2128) . وأخرجه أيضا أحمد (355/2) ، رقم (8650) ، وأبو يعلى (46/12) ، رقم (6690) ، وابن حبان (500/16) ، رقم (7461) .

وقيل مائلات يمشين متبخرات مميلات لأكتافهن ، وقيل : مائلات يمشطن المشطة الميلاء ، وهي مشطة البغايا ، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة رءوسهن كأسنمة البخت أي : يكبرنها ويعظمونها بألف عمامة أو عصابة أو نحوها⁽¹⁾.



(1) شرح صحيح مسلم 7/ 244.

الباب السادس

في النهي عن لبس ثياب الشهرة

قال رسول الله ﷺ : «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة»⁽¹⁾.

وروي عنه ﷺ أنه نهى عن الشهرتين في اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا⁽²⁾.

وقال معمر: عاتبت أبا أيوب على طول قميصه فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله، وهي الآن اليوم في تشميره⁽³⁾.

ودخل فرد على الحسن، فأخذ الحسن بكسائه فمده إليه وقال: يا فريقد، إن البر ليس في هذا الكساء، إنما البر ما قر في الصدر وصدقه العمل⁽⁴⁾.

وقال أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: ينبغي للرجل أن يكون في لباسه موافقا لأقرانه، ولا يلبس لباسا مرتفعا جدا ولا رديئا جدا؛ فإنه لو فعل ذلك ارتكب النهي وأوقع الناس في الغيبة⁽⁵⁾.

(1) أخرجه أحمد (92/2 رقم 5664) وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (62/10، رقم 5698)، والنسائي في الكبرى (460/5، رقم 9560)، وابن ماجه (1192/2، رقم 3606).

(2) أخرجه الديلمي (21/1/1) كما في الضعيفة للألباني (461/4، رقم 1999)، والمداوى للغماري (1/222)، من طريق أبي عبد الرحمن السلمى. قال المناوى (189/1): فيه أحمد بن الحسين الصفار كذبه. والحديث موضوع كما قال الحافظ أحمد الغماري في المغير (ص 11) ..

(3) التواضع والخمول (61).

(4) تفسير القرطبي 7/196.

(5) تنبيه الغافلين 209.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام - رَحِمَهُ اللهُ - : إفراط توسيع الثياب والأكمام بدعة وسرف ، وتضييع للمال ، ولا بأس بلبس شعار العلماء ليعرفوا بذلك ، فيُسألوا .

وقال ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ - في روضة المشتاق : روي عن الزهري أنه قال : دخلت على زين العابدين وعليه ثوب خز ، فقلت : يا ابن بنت رسول الله ﷺ ، الخز لباسك؟! فنظر إلي فكشف ثوبه فإذا تحته ثوب من صوف ، ثم قال : يا زهري ، لباسنا هذا لكم ، ولباسنا هذا لله عز وجل ، يا زهري ، أتدري ما قال الله عز وجل لداود عليه السلام : أنا وخلقنا في أمر عجيب ، أنا المنعم عليهم ويحمدون غيري ، وأنا الرازق لهم ويشكرون سواي ، ثم إن لله تعالى عبادا مخلصين من خلقه عبدوه بخالص من سرهم ، فأولئك الذين تمر صحائفهم مع الملائكة فارغة ، فإذا وصلت إليه ملاءها من سر ما أسروا إليه ، يا زهري الأجسام دنيوية والقلوب عرشية ، فهم مع ما حوت قلوبهم من المعرفة يعبودونه وهو مع ذلك يحميهم من معصيته كما يحمي الطبيب العليل⁽¹⁾.



(1) الطبراني 3 / 100.

الباب السابع

فيما يقول إذا لبس ثوبه أو خلعه

في كتاب ابن السني عن معاذ بن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «من لبس ثوبا فقال : الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽¹⁾.

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبا سماه باسمه ، عمامة أو قميصا أو رداء ، ثم يقول : «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»⁽²⁾. رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن .

وعن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من لبس ثوبا جديدا فقال : الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى ، وأتجمل به في حياتي ، ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به ، كان في حفظ الله تعالى وفي كنف الله عز وجل وفي سبيل الله حيا وميتا» . رواه الترمذي⁽³⁾.

وروى ابن السني عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثوبه : باسم الله الذي لا إله هو»⁽⁴⁾.

(1) عمل اليوم والليلة (270) .

(2) عمل اليوم والليلة (269) .

(3) أخرجه ابن أبي شيبة (189/5 رقم 25089) والترمذي (558/5 رقم 3560) وقال : غريب . وابن ماجه (1178/2 رقم 3557) . وأخرجه أيضًا : عبد بن حميد (ص 35 ، رقم 18) .

(4) عمل اليوم والليلة (273) .

الباب الثامن في الخاتم

عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : اتخذ النبي ﷺ خاتما من ذهب ، ثم ألقاه ، ثم أخذ خاتما من ورق نقش فيه : محمد رسول الله ، وقال : « لا ينقش أحد على نفس خاتمي هذا » . فكان إذا لبسه جعل فسه مما يلي بطن كفه ⁽¹⁾ .

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - سبب نهيه أنه ﷺ إنما اتخذ الخاتم ونقش عليه ليختم به كتبه إلى العجم وغيرهم ، فلو نقش غيره مثله لدخلت المفسدة وحصل الخلل ⁽²⁾ .

وعن ثابت بن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : كان خاتم النبي ﷺ في هذه . وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى ⁽³⁾ .

وعن ابن شهاب عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ لبس خاتما فضة في يمينه فيه فص حبشي كان يجعل فسه مما يلي كفه ⁽⁴⁾ .

وعن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نهاني رسول الله ﷺ أن أتختم في أصبعي هذا أو هذه قال : فأوما إلى الوسطى والتي تليها ⁽⁵⁾ .

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : أجمع المسلمون على أن السنة جعل خاتم الرجل

(1) مسلم (5598) .

(2) شرح صحيح مسلم 7/ 182 .

(3) مسلم (5610) .

(4) النسائي في الكبرى 5/ 450 .

(5) مسلم (2095) .

في الخنصر ، وأما المرأة فإنها تتخذ خواتم في أصابع ، قال : وأجمع الفقهاء على التختم في اليمين واليسار ، واختلفوا أيهما أفضل؟ فاستحب مالك اليسار وكره اليمين ، ولأصحاب الشافعي وجهان ؛ الصحيح أن اليمين أفضل ؛ لأنه زينة واليمين أشرف وأحق بالزينة والإكرام⁽¹⁾.

وعن بريدة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال لرجل عليه خاتم من شبه : «مالي أجد منك ريح الأصنام» . فطرحه ، ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال : «ما لي أرى عليك حلية أهل النار» . فطرحه فقال : مم أتخذة يا رسول الله؟ فقال : «من ورق ولا تتمه مثقالا»⁽²⁾.

قال الشيخ شهاب الدين الأذري - رَحِمَهُ اللَّهُ - : لم يتعرض أصحابنا لمقدار زنة المباح ، وظاهر كلامهم أن الرجوع في وزنه إلى العرف ، كما قالوا في الخلخال ونحوه : الصواب الضبط بما نص عليه الحديث ، قال : وأما خاتم الحديد فقالوا : يجوز لحديث : «التمس ولو خاتما من حديد»⁽³⁾. وهذا الحديث يشير إلى المنع أو الكراهة ، وقد قيل في جواب الأول : إنه لم يرد حقيقة الخاتم ، بل المعنى التمس ولو شيئا قليلا ، وأيضا فلا يلزم من ذلك إباحة لبسه واستعماله ، وقد ينتفع به في شيء آخر . وعن ابن الزبير أن مولاة لهم ذهبت بابنة الزبير إلى عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وفي رجلها أجراس فقطعها عمر ، وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من كل جرس شيطان»⁽⁴⁾.

(1) شرح صحيح مسلم 7/ 188.

(2) أبو داود (4225) .

(3) أخرجه أحمد (5/ 336 ، رقم 22901) ، والبخاري (5/ 1973 ، رقم 4842) ، ومسلم (2/ 1040 ، رقم 1425) ، وأبو داود (2/ 236 ، رقم 2111) وأخرجه أيضا : مالك (2/ 526 ، رقم 1096) ، والشافعي (1/ 231) ، والنسائي (6/ 123 ، رقم 3359) ، والبيهقي (7/ 236 ، رقم 14136) .

(4) أبو داود (4232) .

الباب التاسع

في ذكر أول من خاط الثياب وأول من نسجها

قال الإمام أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ في معالم التنزيل : أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام ، قال : وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط ، وكان من قبله يلبسون الجلود ، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار ، وأول من نظر في علم الحساب (1).

وذكر الثعلبي - رَحِمَهُ اللهُ - في كتاب العرائس عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال : أهبط آدم على جبل سرنديب وهو بأرض الهند ، وقيل : إنه وجد ضربانا في جسده فشكاه إلى ربه ، فنزل جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره ، وقال : إن فيها شفاء من كل داء إلا السام ، قيل : إنه أصاب جسده أذى فشكاه إلى جبريل فقال له إنك تشتكي العري ، فأنزل الله تعالى عليه ثمانية أزواج من الأنعام ، أمره أن يذبح كبشا منها ، فذبحه ، ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجته هي وآدم ، فجعل منه آدم جبة لنفسه ، وجعل لحواء درعا وخمارا ، فهي أول من غزلت ، وآدم وحواء أول من نسجا ، وأول من لبس الصوف (2).

عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ، ما تقول في حرفتي؟ قال : «وما حرفتك؟» قال : أنا حائك . قال : «حرفتك حرفة أيينا آدم» .

وكان أول من نسج ، وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام ، وإن الله -

(1) تفسير البغوي 5/ 237.

(2) عرائس المجالس 52.

عز وجل - يحب حرفتك ؛ فإن حرفتك يحتاج إليها الأحياء والأموات ، فمن قال فيكم قبيحا فأبونا آدم خصمه ، ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ، ومن لعنكم فقد لعن آدم ، ومن آذاكم فقد آذى آدم ، وإن آدم خصمه يوم القيامة ، فلا تخافوا وأبشروا ؛ فإن حرفتكم حرفة مبادلة ، ويكون آدم قائدكم إلى الجنة ، ثم إنه قال لجبريل : إني أجد بين جلدي ولحمي كدبيب النمل ! فقال له : ذلك الجوع ، ثم إنه غاب عنه ، ثم أتاه بثورين أحمرين وأمره باتخاذ آلة الحراثة ، فهو أول من حرث ، ثم أتاه بصرة من حنطة فقال : ما أصنع بها آكلها؟ قال : لا . فبذرها فنبتت من ساعتها ، فقال آدم : آكلها؟ قال : لا اصبر حتى تدرك ، فلما سنبل وأفرك قال : آكله؟ قال لا ، وعلمه الحصاد ، فلما حصد قال : آكله؟ قال لا ، وعلمه الدياسة ، فلما داسه قال : آكله؟ قال : لا ، وعلمه التنقية فلما نقاه قال : آكله؟ قال : لا ، وجاء بحجرين وعلمه الطحن ، فلما طحنه قال : آكله؟ قال لا ، وعلمه العجن ، فلما عجن قال : آكله؟ قال : لا ، وأمره أن يحفر حفيرة ، وأن يجمع الحطب فيها ، ويوقد عليها نارا ، ففعل حتى جعله خبز ملة ، فهو أول من خبز الملة ، فلما أخرج قال : آكله؟ قال : حتى يبرد ، فلما برد أكله فدمعت عيناه ، وقال : ما هذا التعب والنصب؟ قال : هذا وعد الله الذي وعدك ، وذلك قوله تعالى لآدم وحواء : ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (1). إن لك أن تأكل من كد يمينك وعرق جبينك ، أنت وذريتك ، فلما استوفى آدم من الطعام وجد تشكيا ، فذكره لجبريل فقال : هو العطش ، فغاب عنه ثم عاد ومعه المعول ، ثم قال له : احفر به الأرض ، فحفر حتى بلغ ركبتيه ، فنبع من تحت رجله ماء زلال ، فقال : اشرب فشرب ، ثم إنه وجد بعد ذلك تشكيا أشد من الأولى والثانية ، فقال : يا جبريل ، ما هذه التي أجدها؟ فقال : لا أدري

(1) سورة طه ، الآية : 117 .

فبعث الله تعالى له ملكا ففتق قُبْله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج ، فلما خرج منه ما آذاه وجد ريحه فبكى على ذلك سبعين سنة ⁽¹⁾.



(1) عرائس المجالس 52.

كتاب النكاح

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول

في الترغيب فيه وعنه وذكر فوائده وآفاته

وفيه ثلاثة فصول :



الفصل الأول

في الترغيب فيه

قال الله تعالى : ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾⁽¹⁾. أي : ما حل لكم ﴿مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾. أي : بين الأربع ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي : فانكحوا واحدة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني : السراري ؛ لأنه لا يلزم فيهن الحقوق ما يلزم في الحرائر ﴿ذَلِكَ أَذْنَى﴾ أقرب ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ تجوروا ولا تميلوا ، وقيل : لا تضلوا ، وقيل : تجاوزوا ما فرض الله عليكم ، وأصل العول المجاوزة ، ومنه عول الفرائض .

وقال الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : ألا تكثر عيالكُم ، وقال الله تعالى : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾⁽²⁾ جمع أيم ، وهو من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ . قيل : الغنى ههنا القناعة ، وقيل : اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة ؛ قال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : عجب لمن يبتغي الغنى بغير النكاح ، والله - عز وجل - يقول : إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قال : «يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء»⁽³⁾ . والوجاء قطع الشهوة ،

(1) سورة النساء ، الآية : 3 .

(2) سورة النور ، الآية : 32 .

(3) أخرجه أحمد (1/ 378 ، رقم 3592) ، والبخاري (5/ 1950 ، رقم 4778) ، ومسلم (2/ 1018 ، رقم =

والباءة بالمد القدرة على المؤن ، وبالقصر الوطاء .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة» . رواه مسلم⁽¹⁾.

وقال ﷺ : «من أحب فطرني فليستن بسنتي ، ومن سنتي النكاح»⁽²⁾.

وقال رسول الله ﷺ : «من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله» .

وروى ابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال : «من أراد أن يلقي الله طاهرا مطهرا فليتزوج من الحرائر»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ثلاثة حق على الله عونهم ؛ المكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح يريد العفاف ، والمجاهد في سبيل الله»⁽⁴⁾.

وقال رسول الله ﷺ : «من ترك التزويج مخافة العيلة»⁽⁵⁾، فليس منا»⁽⁶⁾.

= (1400) ، وأبو داود (2/ 219 ، رقم 2046) ، والترمذي (3/ 392 ، رقم 1081) ، والنسائي (4/ 170 ، رقم 2242) ، وابن ماجه (1/ 592 ، رقم 1845) ، وابن حبان (9/ 335 ، رقم 4026) .

(1) مسلم (2/ 1090 ، رقم 1467) ، وأخرجه أيضا أحمد (2/ 168 ، رقم 6567) ، وهناد في الزهد (1/ 295 ، رقم 519) ، والنسائي (6/ 69 ، رقم 3232) ، وعبد بن حميد (ص 133 ، رقم 327) ، والقضاعي (2/ 236 ، رقم 1264) ، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 150 ، رقم 4619) .

(2) البيهقي ، وابن عدي عن أبي هريرة .

(3) ابن ماجه (1935) .

(4) أخرجه أحمد (2/ 437 ، رقم 9629) ، والترمذي (4/ 184 ، رقم 1655) ، وقال : حسن . والنسائي (6/ 15 ، رقم 3120) ، وابن ماجه (2/ 841 ، رقم 2518) ، والحاكم (2/ 236 ، رقم 2859) وقال : صحيح على شرط مسلم . وابن حبان (9/ 339 ، رقم 4030) ، والبيهقي (7/ 78 ، رقم 13234) ..

(5) العيلة : الفقر والحاجة .

(6) الديلمي عن أبي سعيد .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من تزوج فقد أحرز شطر دينه ، فليترك الله في الشطر الثاني»⁽¹⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : فكأن المفسد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه ، وقد كفى بالتزويج أحدهما⁽²⁾.

وقال عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور⁽³⁾.

وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزبا⁽⁴⁾.

وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل في الطاعون ، وكان هو أيضا مطعوناً فقال : زوجوني فإنني أكره أن ألقى الله تعالى عزبا .

وقال بشر بن الحارث : فضل عليّ أحمد بن حنبل بثلاث ؛ يطلب الحلال لنفسه ولغيره ، وأنا أطلبه لنفسه فقط ، ولا تساعه في النكاح وضيقه عنه ، ولأنه نصب إماماً للعامة .

ويقال : إن أحمد تزج في اليوم الثاني من وفاة أم ولده .

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم : طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة ، فقال : لروعة منك بسبب العيال أفضل مما أنا فيه ، فقال فما الذي يمنعك من النكاح؟ قال : مالي حاجة في امرأة ، وما أريد أن أغر امرأة بنفسه .

(1) أخرجه الحاكم (2/175 ، رقم 2681) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (4/383 ، رقم 5487) ، والطبراني في الأوسط (1/294 ، رقم 972) .

(2) إحياء علوم الدين 3/214 .

(3) أخرجه عبد الرزاق (6/170 ، رقم 10384) ، وابن أبي شيبة (3/453 ، رقم 15910) ، وأبو نعيم في الحلية (4/6) .

(4) أخرجه سعيد بن منصور (1/164 ، رقم 493) .

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ وقد قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب .

قال أبو حامد - رَحِمَهُ اللهُ - يقال : إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا المتأهلين ، فقالوا : إن يحيى - عليه السلام - تزوج ولم يجمع؟ قيل : إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة . وقيل : لغض البصر ، وأما عيسى فسينكح إذا نزل إلى الأرض ويولد له (1) .



(1) إحياء علوم الدين 3/ 214.

الفصل الثاني

في الترغيب عنه

قال رسول الله صلى الله وسلم : «خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد»⁽¹⁾.

وقال رسول الله ﷺ : «يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه ، وولده يعيرونه بالفقر ، ويكلفونه ما لا يطيق ، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك»⁽²⁾.

قال الإمام أبو حامد - رَحِمَهُ اللهُ - وفي الخبر : قلة العيال أحد اليسارين وكثرته أحد الفقيرين⁽³⁾.

وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح ، فقال : الصبر عنهن خير من الصبر عليهن ، والصبر عليهن خير من الصبر على النار .

وقال أيضا : الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل .

وقال أيضا : ما رايت أحدا تزوج من أصحابنا فثبت على مرتبته الأولى .

وقال الحسن - رَحِمَهُ اللهُ - : إذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال .

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 292، رقم 10350)، والخطيب (6/ 197)، وابن عساكر (18/ 211)، والديلمي (2/ 170، رقم 2852)، والحديث موضوع كما قال الحافظ أحمد الغماري في المغير (ص 44) .

(2) أخرجه أبو نعيم في الحلية (2/ 118)، والبيهقي في الزهد الكبير (2/ 183، رقم 439)، والرافعي (2/ 21)، والحرث في بغية الباحث (2/ 773، رقم 774)، والديلمي (5/ 447، رقم 8697) .

(3) إحياء علوم الدين 3/ 214.

قال ابن أبي الحواري : تناظر جماعة في هذا الحديث ، فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه ألا يكون له ، بل أن يكون له ولا يغسلونه ، وهو إشارة إلى قول أبي سليمان الداراني : ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليكم مشئوم .



الفصل الثالث

في فوائد النكاح وآفاته

ذكر الإمام أبو حامد الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - له خمس فوائد وثلاث آفات ؛
أما فوائده :

فالأولى : الولد وفيه أربع فوائد ؛ **الأولى** موافقة محبة الله في السعي في
تحصيل الولد لبقاء جنس الإنسان . **الثانية :** طلب محبة رسول الله ﷺ في تكثير
من به مباهاته ؛ قال رسول الله ﷺ : «تناكحوا تكثروا فإنني أباهي بكم الأمم حتى
بالسقط»⁽¹⁾ . **الثالثة :** طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده . **الرابعة :** طلب
الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله ، وفي الخبر : أن الأطفال يجتمعون في
موقف القيامة عند عرض الخلائف للحساب فيقال للملائكة : اذهبوا بهؤلاء إلى
الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم : مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا
حساب عليكم ، فيقولون : فأين آباؤنا وأمهاتنا؟ فتقول الحزنة : إن آباءكم
وأمهاتكم ليسوا مثلكم ؛ إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها
ويطالبون بها . قال : فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة
فيقول الله - عز وجل - وهو أعلم بهم : ما هذه الضجة؟ فيقولون : ياربنا أطفال
المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا . فيقول الله : تخللوا الجمع فخذوا
بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث
أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم» . قيل : يارسول الله ، واثنان؟ قال :

(1) أخرجه الطبراني (416/19 ، رقم 1004) .

«واثنان»⁽¹⁾.

وحكي أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأباه برهة من دهره ، فانتبه من نومه ذات يوم فقال : زوجوني زوجوني . فزوجوه ، فسئل عن ذلك فقال : لعل الله أن يرزقني ولدا فيقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة . ثم قال : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت ، وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي ، وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب ، فنحن كذلك وإذا وُلِدان يتخللون الجمع ، عليهم مناديل من نور ، وبأيديهم أبريق من فضة ، وأكواب من ذهب ، وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس ، فمددت يدي إلى أحدهم فقلت : اسقني فقد أجهدني العطش . فقال : ليس لك فينا ولد ، إنما نسقي آباءنا . فقلت : فمن أنتم؟ قالوا : نحن من مات من أطفال المسلمين

الفائدة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ، ودفع غوائل الشهوات وغيض البصر وحفظ الفرج ، وإليه الإشارة بقوله ﷺ : «من نكح فقد حصن شطر دينه فليتيق الله في الشطر الآخر»⁽²⁾.

وقال قتادة في معنى قوله تعالى : ﴿وَلَا تُحْمَلْنَ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾⁽³⁾ . هو الغلظة .

وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالَا في قوله تعالى : ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁽⁴⁾ . أي : لا يصبر عن النساء .

(1) أخرجه البخارى (1/ 421 ، رقم 1191) ، والنسائي (4/ 24 ، رقم 1873) ، والبيهقي (4/ 67 ، رقم 6931) .

(2) تقدم تخريجه .

(3) سورة البقرة ، الآية : 286 .

(4) سورة النساء ، الآية : 28 .

وقال فياض بن نجيح : إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ، وبعضهم يقول : ذهب ثلث دينه .

قال أبو حامد - رَحِمَهُ اللهُ - في نوادر التفسير عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۖ﴾ . أي قيام الذكر⁽¹⁾.

وكان الجنيد - رَحِمَهُ اللهُ - يقول : أحتاج إلى النكاح كما أحتاج إلى القنوت . قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : فالزوجة على التحقيق قوت ، وسبب لطهارة القلب ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ كل من وقع بصره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله ؛ لأنه يدفع الوسواس عن النفس⁽²⁾.

وروى جابر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب وقضى حاجته ، وخرج وقال : «إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها»⁽³⁾.

الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة لراحة القلب وتقوية له على العبادة ؛ فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور ؛ لأنه على خلاف طبعها ، فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وتأبت ، وإذا روحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت . قال علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : روحوا القلوب ؛ فإنها إذا أكرهت عميت وفي الخبر : «على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ؛ ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيه لمطعمه ومشربه ؛ فإن هذه الساعة عون على تلك الساعات»⁽⁴⁾.

(1) إحياء علوم الدين 1/ 383.

(2) إحياء علوم الدين 1/ 384.

(3) أخرجه الترمذي (3/ 464 ، رقم 1158) وقال : صحيح حسن غريب . وابن حبان (12/ 384 ، رقم 5572) .

(4) أخرجه ابن حبان (2/ 76 ، رقم 361) ، وأبو نعيم في الحلية (1/ 166) .

الفائدة الرابعة : تفرغ القلب عن تدبير المنزل والتكلف بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأواني وتهئية أسباب المعيشة ؛ فإن الإنسان لو تكفل بهذه الأشغال لضاعت أكثر أوقاته ، ولم يتفرغ للعلم والعمل ، فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق ؛ قال أبو سليمان الداراني - رَحِمَهُ اللهُ - :
الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة ، وإنما تفرغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا .

وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا ءَانِكَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾⁽¹⁾ . قال : المرأة الصالحة .

وقال عليه الصلاة والسلام : «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة ، وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته»⁽²⁾ .

وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو : أتعلمون عملا هو أفضل مما نحن فيه؟ قالوا : لا . قال : رجل متعفف ذو عيلة ، قام من الليل فنظر إلى صبيانه متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيه .

وقال عليه الصلاة والسلام : «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغترب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين»⁽³⁾ .

وفي حديث آخر : «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال»⁽⁴⁾ .

وقال بعض السلف : من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة بطلب المعيشة ،

(1) سورة البقرة ، الآية : 201 .

(2) أخرجه أحمد (4/ 120 ، رقم 17123) ، والبخاري (5/ 2047 ، رقم 5036) ، ومسلم (2/ 695 ، رقم 1002) ، والنسائي في الكبرى (2/ 36 ، رقم 2325) ، وابن حبان (10/ 50 ، رقم 4239) .

(3) أخرجه أبو يعلى (2/ 276 ، رقم 990) ، والخطيب (11/ 259) ، وابن عساكر (4/ 56) .

(4) أخرجه ابن ماجه (2/ 1380 ، رقم 4121) .

وفي أخبار الأنبياء أن قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم ، فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته فتستطيل عليه وهو ساكت ، فتعجبوا من ذلك فقال : لا تعجبوا فإني سألت الله وقلت : ما كنت معاقبا لي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا . فقال : إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها ، فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها .

وأما آفاته فثلاث :

الأولى : وهي أقواها العجز عن طلب الحلال ؛ فإن ذلك يصعب ، وربما امتدت يد المتزوج إلى ما ليس له ، وفي الخبر : إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهن ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، حتى يستغرق بتلك المطالبة كل أعماله فلا تبقى له حسنة ، فتنادي الملائكة هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا ، وارتهن اليوم بأعماله .
ويقال : إن أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده ، فيوقفونه بين يدي الله - عز وجل - ويقولون : ياربنا ، خذنا بحقنا منه ، فإنه ما علمنا ما نجهل ، وكان يطعمنا الحرام ، ونحن لا نعلم . فيقتص لهم .

الآفة الثانية : القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن ، وفي هذا خطر ؛ لأنه راع ومسئول عن رعيته . وقال - عليه الصلاة والسلام - : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول »⁽¹⁾.

وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق ، لا تقبل له صلاة ولا صيام

(1) أخرجه أحمد (2/160 ، رقم 6495) ، وأبو داود (2/132 ، رقم 1692) ، والحاكم (1/575) ، رقم 1515 ، والبيهقي (7/467 ، رقم 15472) . وأخرجه أيضًا : الطيالسي (ص 301 ، رقم 2281) ، والبزار (6/392 ، رقم 2415) ، وابن حبان (10/51 ، رقم 4240) ، والنسائي في الكبرى (5/374 ، رقم 9177) .

حتى يرجع إليهم ، ومن يقصر على القيام بحقهن وهو حاضر فهو بمنزلة الهارب .
ورؤي سفيان على باب السلطان فقيل : ما هذا موقفك ! فقال : وهل رأيت
ذا عيال أفلح ؟!

وحكى أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللهُ - عن الحسن أنه قال : جهد البلاء
أربعة ؛ كثرة العيال ، وقلة المال ، وجار السوء ، وزوجة تخونك ⁽¹⁾.

الآفة الثالثة : أن يكون الأهل والولد يشغلونه عن الله - عز وجل - فينقضي
ليله ونهاره بالتمتع بذلك ، ولا يتفرغ القلب للفكر في الآخرة ، والعمل لها ؛ قال
إبراهيم بن أدهم - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - : من تعود أفخاذ النساء لم يجئ منه شيء .
قال أبو حامد - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - : فهذه مجامع الآفات والفوائد ، فالحكم
على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة قصور عن الإحاطة بمجامع
هذه الأمور ، بل ينبغي أن ينظر ؛ فمن وجدت في حقه الفوائد واجتمعت عليه
الآفات فالعزوبة له أفضل ، وإن تقابلت الفوائد والآفات على ما هو الغالب فليزن
الأمرين بميزان القسط ، فإذا غلب على ظنه رجحان أحدهما حكم بموجب
الراجح .



(1) تنبيه الغافلين 304.

الباب الثاني
في بيان ما يحصل به طيب العشرة بين الزوجين

وفيه فصلان :

الفصل الأول

في الخصال التي تعتبر في المرأة

عن أبي هريرة - رَضِيَ الله عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : «تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فافظف بذات الدين تربت يداك»⁽¹⁾. وعن جابر - رَضِيَ الله عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال له وقد تزوج ثيبا : «هلا جارية تلاعبها وتلاعبك»⁽²⁾. رواهما البخاري ومسلم ، وفي رواية لمسلم : «فها بكرا تلاعبها» . وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم» . رواه ابن ماجه⁽³⁾ ، وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «تنكح المرأة على إحدى خصال ثلاث ؛ تنكح على جمالها وتنكح على دينها وتنكح على خلقها ، فعليك بذات الدين تربت يداك»⁽⁴⁾. وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «خير النساء من تسر إذا نظر ، وتطيع إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ومالها»⁽⁵⁾. وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أعظم النساء بركة

(1) أخرجه البخاري (5/ 1958 ، رقم 4802) ، ومسلم (2/ 1086 ، رقم 1466) ، وأبو داود (2/ 219 ، رقم 2047) ، والبيهقي (7/ 79 ، رقم 13244) ، وابن ماجه (1/ 597 ، رقم 1858) ، وابن حبان (9/ 344 ، رقم 4036) .

(2) أخرجه الطيالسي (ص 237 ، رقم 1706) ، وأحمد (3/ 308 ، رقم 14345) ، والبخاري (5/ 2009 ، رقم 4949) ، ومسلم (2/ 1087 ، رقم 715) ، وأبو داود (2/ 220 ، رقم 2048) ، والنسائي (6/ 61 ، رقم 3219) ، وابن ماجه (1/ 598 ، رقم 1860) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (3/ 413 ، رقم 1898) ، وابن حبان (14/ 447 ، رقم 6517) .

(3) أخرجه ابن ماجه (1/ 633 ، رقم 1968) . وأخرجه أيضا الحاكم (2/ 176 ، رقم 2687) ، والبيهقي (7/ 133 ، رقم 13536) ، والدارقطني (3/ 299) .

(4) أخرجه أحمد (3/ 80 ، رقم 11782) ، والحاكم (2/ 174 ، رقم 2680) وقال : صحيح الإسناد .

(5) أخرجه أحمد (2/ 251 ، رقم 7415) ، والنسائي (6/ 68 ، رقم 3231) ، والحاكم (2/ 175 ، رقم 2682) وقال : صحيح على شرط مسلم .

أيسرهن صداقا»⁽¹⁾. وقال عروة - رَضِيَ الله عَنْهُ - : وأنا أقول من عندي : أول شئهما أن يكثر صداقها⁽²⁾.

روى هذه الأحاديث الثلاثة الحاكم .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «تزوجوا الولود الودود فإنني مكاثر بكم» . رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم⁽³⁾ ، ويروى عنه ﷺ أنه قال : «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها ، وأنتق أرحاما ، وأغر غرة وأرضى باليسير»⁽⁴⁾ . قال الماوردي - رَحِمَهُ الله - : «أنتق أرحاما» أي : أكثر أولادا ، وفي قوله : «وأغر غرة» روايتان : «غرة» بالكسر ، أي : أبعد من معرفة الشر ، وأقل فطنة له ، والثانية بالضم ، وفيه تأويلان ، أحدهما أنه أراد غرة البياض ، والثاني أنه أراد حسن الخلق والمعاشرة⁽⁵⁾ . ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : «لا تنكحوا القرابة القريبة ؛ فإن الولد يخلق ضاويا»⁽⁶⁾ . أي نحيفا ؛ وذلك لضعف الشهوة ؛ قال ابن الملقن : وأورد القاضي

(1) أخرجه الحاكم (2/ 194 ، رقم 2732) وقال : صحيح على شرط مسلم .

(2) أخرجه الحاكم (2/ 479 ، والبيهقي في السنن الكبرى 7/ 235 ، والطبراني في الأوسط (3750) .

(3) أخرجه أبو داود (2/ 220 ، رقم 2050) ، والنسائي في الكبرى (3/ 271 ، رقم 5342) ، وابن حبان (9/ 363 ، رقم 4056) ، والحاكم (2/ 176 ، رقم 2685) .

(4) أخرجه ابن ماجه (1/ 598 ، رقم 1861) ، والطبراني (17/ 140 ، رقم 350) ، والبيهقي (7/ 81 ، رقم 13251) . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الأوسط (1/ 144 ، رقم 455) ، وابن قانع (2/ 288) .

(5) قال ابن الاثير في النهاية : يحتمل أن يكون من غرة البياض وصفاء اللون ، ويحتمل أن يكون من حسن الخلق والعشرة 3/ 570 .

(6) ورد في التلخيص الحبير : حديث لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا هذا الحديث تبع في إirاده إمام الحرمين هو والقاضي الحسين وقال بن الصلاح لم أجد له أصلا معتمدا انتهى وقد وقع في غريب الحديث لابن قتيبة قال جاء في الحديث اغربوا لا تضربوا وفسره فقال هو من الضاوي وهو النحيف الجسم يقال أضوت المرأة إذا أتت بولد ضاو والمراد أنكحوا في الغبراء ولا تنكحوا في القرية وروى بن يونس في تاريخ الغبراء في ترجمة الشافعي عن شيخ له عن المزني عن الشافعي قال أيما أهل بيت لم تخرج نساؤهم إلى رجال غيرهم كان في أولادهم حرق وروى إبراهيم الحربي في =

والموردي حديثاً أنه عليه السلام قال لزيد بن حارثة : «لا تتزوج خمسا ؛ شهيرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا ؛ فالأولى الزرقاء البذية ، والثانية الطويلة المهزولة ، والثالثة العجوز المدبرة ، والرابعة القصيرة الذميمة ، والخامسة ذات الولد من غيرك»⁽¹⁾.

وذكر الإمام أبو حامد - رَحِمَهُ الله - في الإحياء عن بعض العرب أنه قال : لا تنكحوا من النساء ستا ؛ لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ، ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة⁽²⁾.

قال أبو حامد الغزالي⁽³⁾ : أما الأنانة : التي تكثر الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة ، فنكاح المراضة أو المتمازضة لا خير فيه ، والمنانة : التي تمن على زوجها فتقول : فعلت لأجلك كذا وكذا ، والحنانة : التي تحن إلى زوج آخر أو إلى ولدها من زوج آخر ، وهذا أيضا مما يجب اجتنابه ، والحداقة : التي ترمي إلى كل شيء يبصرها فتشتيه وتكلف الزوج شراءه ، والبراقة : تحتل معنيين ، أحدهما : أن تكون طول نهارها في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالتصنع ، والثاني : أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء ، وهذه لغة يمانية ، يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده ، والشداقة : المتشقة الكثيرة الكلام ، ومنه قوله عليه السلام : «إن الله يغيض الثرثارين المتشدين»⁽⁴⁾.

= غريب الحديث عن عبد الله بن المؤمل عن أبي مليكة قال قال عمر لآل السائب قد أضوأتم

فأنكحوا في النوابع قال الحربي يعني تزوجوا الغرائب

(1) أخرجه الديلمي (404/5)، رقم 8561 .

(2) إحياء علوم الدين 1/ 391.

(3) السابق : نفس الموضع .

(4) رواه الترمذي (2150) وحسنه من حديث جابر بلفظ : «وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم =

ويحكى أن السائح الأزدي لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزويج ونهاه عن التبتل، ثم قال لا تنكح أربعا، المختلعة والمبارية والعاهرة والناشرة⁽¹⁾. قال الإمام أبو حامد - رَحِمَهُ اللهُ -: أما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب، والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا، والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخذن وهي التي قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُتَّخَذَنَّ أَخْدَانٌ﴾⁽²⁾. والناشرة التي تعلقو على زوجها في الفعال والمقال، من النشز وهو العالي من الأرض، روى الترمذي والنسائي عن المغيرة بن شعبة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»⁽³⁾. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إن في أعين الأنصار شيئا، فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن»⁽⁴⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - في الإحياء: قيل: كان في أعينهن عمش، وقيل صغر⁽⁵⁾.

قال الغزالي: وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم إلا بعد النظر احترازا من الغرر⁽⁶⁾.

قال الأعمش: كل تزويج يقع على غير نظر فأخره هم وغم⁽⁷⁾.

= القيامة الثرثارون والمتفهبون» ولأبي داود والترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو «إن الله ييغض البليغ من الرجال الذي يتخال بلسانه تخلل الباقرة بلسانها».

(1) إحياء علوم الدين 2/ 292.

(2) سورة النساء، الآية: 25.

(3) أخرجه ابن ماجه (1/ 599، رقم 1865).

(4) مسلم (2/ 1040، رقم 1424).

(5) إحياء علوم الدين 2/ 293.

(6) إحياء علوم الدين 2/ 293.

(7) إحياء علوم الدين 2/ 293.

قال الغزالي في الحديث : من ينكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها⁽¹⁾.

وقال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالة الصداق ، وتسويق الزفاف ، وفوت الخدمة ، وكثرة النفقة ، وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها ، والفقيرة بخلاف ذلك⁽²⁾.

وقال علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : شر خصال الرجال خير خصال النساء ؛ البخل والزهو والجبن ؛ فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها ، وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم أحدا بكلام لين ، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم خيفة من زوجها⁽³⁾.

وقال بعض الحكماء : ينبغي للمتزوج أن تكون الزوجة دونه بأربعة أشياء : السن والطول والمال والحسب ، وإلا استحققرته وتهاونت به ، وأن تكون فوقه بأربعة أشياء : الجمال والأدب والخلق والورع⁽⁴⁾.



(1) إحياء علوم الدين 2 / 290.

(2) إحياء علوم الدين 4 / 164.

(3) إحياء علوم الدين 2 / 290.

(4) إحياء علوم الدين 2 / 290.

الفصل الثاني

قال الإمام أبو حامد الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : يجب على الولي أن يراعي خصال الزوج وينظر لكريمته⁽¹⁾ فلا يزوجه ممن ساء خَلْقُهُ أو خُلُقُهُ ، أو ضعف دينه ، أو قصر عن القيام بحقوقها ، وكان لا يكافئها في نسبها . قال عليه الصلاة والسلام : «النكاح رق ، فليُنظر أحدكم أين يضع كَرِمَتَهُ»⁽²⁾.

فلاحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة ، والنكاح لا مخلص لها منه ، والزوج قادر على الطلاق ، ومهما زَوَّج ابنته فاسقا أو مبتدعا فقد جنى على دينه ، وتعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار⁽³⁾.

قال رجل للحسن : قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجه؟ قال : ممن

(1) كَرِمَتُهُ : من له الولاية عليها .

(2) أخرجه البيهقي في الكبرى 82/7 ، وسعيد بن منصور في سننه 163/1 (591) . قال الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (83/5) : موضوع رواه ابن عدي (2/89) ، وابن حبان في المجروحين (238/1) عن الحسن بن محمد البلخي : حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك مرفوعا . وقال ابن عدي : هذا الحديث منكر مسندا ، وإنما يروى عن الشعبي قوله ، والحسن بن محمد ليس بمعروف ، منكر الحديث عن الثقات . وقال ابن حبان : يروي الموضوعات ، لا يجوز الرواية عنه . ثم غفل فأورده في الثقات (168/8) ! وقال أبو سعيد النقاش : حدث عن حميد عن أنس أحاديث موضوعة . والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات (260/2) ، وأقره السيوطي في اللآلي المصنوعة (90/2 - طبع الأدبية) من رواية ابن حبان (يعني في الضعفاء) ، وقال : قال ابن حبان : الحسن يروي الموضوعات ، وإنما هذا من كلام الشعبي ، ورفع باطل . قلت : وكذا قال الذهبي . قلت : وتبعهما ابن عراق ، فأورده في الفصل الأول من تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (200/2) . ومن الغرائب قول صاحب مختصر المشكاة (1098) : رواه ابن حبان بإسناد صحيح ! ولا أدري من الذي سبقه إلى هذا الخطأ الفاحش ، ثم قلده !

(3) إحياء علوم الدين 300/2 .

يتقي الله ؛ فإنه إن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها⁽¹⁾ .
وقال عليه الصلاة والسلام : «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»⁽²⁾ .
وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة على درهمين ، ثم حملها إليه ليلا
وأدخلها هو من الباب ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام يسلم عليها .
وحكى الإمام أبو حامد - رَحِمَهُ الله - عن أبي وداعة قال : كنت أجالس
سعيد بن المسيب ففقدني أياما ، فلما جئته قال أين كنت؟ قلتُ توفيت أهلي
فاشتغلت بها . فقال : ألا أخبرتنا فشهدناها . قال : ثم أردت أن أقوم فقال : هل
استحدثت امرأة؟ فقلت : يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو
ثلاثة؟ فقال : أنا . فقلت : وتفعل؟ قال نعم؟ ثم حمد وصلى على النبي ﷺ
وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة ، قال : فقمتم وما أدري ما أصنع من الفرح ،
فصرت إلى منزل فجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين ، فصليت المغرب
وانصرفت إلى منزلي وأسرجت السراج ، وكنت وحدي صائما ، فقدمت عشائي
لأفطر وكان خبزاً وزيتاً ، فإذا بابي يقرع فقلت من هذا؟ قال : سعيد . قال
ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإنه لم ير أربعين سنة
إلا بين بيته والمسجد ، فقمتم فخرجت فإذا سعيد بن المسيب ، فظننت أنه بدا له
فقلت : يا أبا محمد ألا أرسلت إلي فأتيك . قال : لا ، أنت أحق أن تؤتى . قلت :
فما تأمر؟ قال : إنك كنت رجلاً عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك ،
وهذه امرأتك . فإذا هي قائمة خلفه في طوله ، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورد
الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ، ثم تقدمت إلى القصعة
التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ، ثم صعدت إلى

(1) أحجه ابن أبي الدنيا في العيال (125) ، وانظره في العقد الفريد 4/ 370 ، والمستطرف 2/ 274 .

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (8450) ، وأبو نعيم في الحلية 4/ 314 .

السطح فرميت الجيران فجاءوني ، فقالوا : ما شأنك؟ قلت : ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم ، وقد جاء بها الليلة على غفلة . فقالوا : سعيد زوجك؟ فقلت : نعم . قالوا : وهي في الدار؟ قلت : نعم . فنزلوا إليها ، وبلغ أُمي فجاءت ، وقالت : وجهي من وجهك إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام . قال : فما قمت ثلاثا ، ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس ، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج . قال : فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه ، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقة فسلمت عليه ، فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق أهل المجلس ، فقال : ما حال ذلك الإنسان؟ فقلت بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو . قال : إن رابك شيء فالعصا . فانصرفت إلى منزلي فوجه إلي بعشرين ألف درهم . قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه ، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد ، وصب عليه جرة ماء ، وألبسه صوفا⁽¹⁾ .

وحكى أبو حامد - رَحِمَهُ الله تعالى - في نصيحة الملوك أنه كان بمدينة مرو رجل يقال له : نوح ابن مريم ، وكان رئيس مرو وقاضيتها ، وكان له نعمة كثيرة وحال موفورة ، وكانت له بنت ذات حسن وجمالها وبهاء وكمال ، خطبها منه جماعة من أكابر الرؤساء وذوي النعمة وأكثروا فلم ينعم بها لأحد منهم ، وتخير في أمرها ولم يدر لأيهم يزوجه ، وقال : إن زوجتها بفلان أسخطت فلانا . وكان له غلام هندي دُيِّنَ تقي اسمه مبارك ، وكان له كرم عامر غامر الأشجار والفاكهة والثمار ، فقال للغلام : أريد أن تمضي وتحفظ الكرم .

(1) إحياء علوم الدين 2/ 304.

فمضى وأقام في الكرم شهرين ، فجاءه سيده بعض الأيام إلى الكرم فقال له :
يا مبارك ناولني عنقود عنب . فناوله عنقودا فوجده حامضا ، فقال له سيده :
أعطني غير هذا . فناوله عنقودا حامضا ، فقال سيده : ما السبب في ألا تناولني
من هذا الكرم الكبير إلا الحامض؟ فقال : لأنني لا أعلم الحامض من الحلو . فقال
سيده سبحان الله لك مدة شهرين مقيما في الكرم ولا تعرف الحلو من الحامض!
فقال : وحقك أيها السيد إنني ما ذقته ولا أعلم أحامض هو أم حلو؟ فقال لِمَ لَمْ
تأكل منه؟ فقال : لأنك أمرتني بحفظه ولم تأمرني بأكله ، فما كنت أخونك .
فتعجب القاضي منه وقال : حفظ الله عليك أمانتك .

وعلم القاضي أن الغلام غزير العقل ، فقال له القاضي : أيها الغلام ، قد وقع
لي فيك رغبة وينبغي أن تفعل ما أمرك . فقال الغلام : أنا طائع لله ولك .

فقال القاضي : اعلم أن لي بنتا جميلة وقد خطبها كثير من الأكابر
والمتقدمين ، ولم أعلم لمن أزوجها ، فأشر علي بما ترى . فقال الغلام : اعلم أن
الكفار في زمن الجاهلية كانوا يريدون الأصل والحسب والنسب ، واليهود
والنصارى يطلبون الحسن والجمال ، وفي عهد رسول الله ﷺ كان الناس يطلبون
الدين والتقى ، وفي زماننا هذا يطلبون المال ، فاختر الآن من هذه الأشياء الأربعة
ما تريد .

فقال له القاضي : يا غلام ، فقد اخترت الدين والتقى وأريد أن أزوجك
بابنتي ؛ لأنني قد وجدت فيك الدين والصلاح ، وجرت منك التقى والأمانة .

فقال الغلام : أيها السيد ، أنا عبد رقيق هندي ، وابتعنتي بمالك ، كيف
تزوجني بابنتك؟ وكيف تختارني لابنتك وترضاني؟

فقال له القاضي ، قم بنا إلى البيت لندير هذا الأمر ، فلما صار إلى المنزل قال
القاضي لزوجته : اعلمي أن هذا الغلام الهندي دِين تقي ، وقد رغبت في صلاحه

وأريد أن أزوجه بابنتي ، فما تقولين؟ قالت : الأمر إليك ، ولكن أمضي وأعلم الصبية وأعيد عليك جوابها . فجاءت الأم إلى الصبية فأدت إليها رسالة أبيها فقالت مهما أمرتاني به فعلته وما أخرج عن حكم الله وحكمكما ، ولا أعقكما بالمخالفة لأمركما .

فزوج القاضي ابنته بمبارك وأعطاهما مالا عظيما ، وأولدها مبارك ولدا فسماه عبد الله ، وهو معروف في جميع العالم عبد الله بن المبارك صاحب العلم والزهد ورواية الحديث ، وما دامت الدنيا فالحديث عنه يروى⁽¹⁾.



(1) التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، ص 52.

الباب الثالث في آداب المعاشرة

وفيه فصلان :

الفصل الأول

في آداب الزوج مع زوجته

قال الله تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾⁽¹⁾. وقال الله تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾⁽²⁾. قال علي - رضي الله عنه - : هو المرأة تكون معه إلى جنبه .

وقال تعالى : ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ . أي لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب ، ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدل ﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾ إلى التي تحبونها ﴿كُلَّ الْمِيلِ﴾ في القسمة والنفقة ، أي لا تتبعوا أهواءكم أفعالكم ، ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ ، أي فتدعوا الأخرى لا أيما ولا ذات بعل .

روي عن النبي ﷺ أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : «اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»⁽³⁾.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «من كانت له امرأتان فمال إلى إحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل»⁽⁴⁾. ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّكَ

(1) سورة النساء ، الآية : 19 .

(2) سورة النساء ، الآية : 36 .

(3) أخرجه النسائي (3953) .

(4) أخرجه أبو داود (242/2) ، رقم (2133) ، والنسائي (63/7) ، رقم (3942) ، وابن ماجه (633/1) ، رقم

(1969) .

اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا» (1).

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «استوصوا بالنساء ؛ فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء» (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «استوصوا بالنساء خيرا ؛ فإنما هن عوان عندكم ، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذنن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (3).

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : قوله ﷺ «عوان» . أي : أسيرات ، جمع عانية بالعين المهملة ، وهي الأسيرة ، والعاني الأسير ، شبه ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير ، والضرب المبرح هو الشاق الشديد ، وقوله ﷺ «فلا تبغوا عليهن سبيلا» . أي : لا تطلبوا طريقا تحتجون به عليهن وتؤذونهن به ، والله أعلم .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم» . رواه الترمذي وقال حديث صحيح (4).

ويروى عنه ﷺ أنه قال : «من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من

(1) سورة النساء ، الآية : 129 .

(2) أخرجه البخارى (3/ 1212 ، رقم 3153) ، ومسلم (2/ 1091 ، رقم 1468) .

(3) أخرجه الترمذى (5/ 273 ، رقم 3087) .

(4) أخرجه الترمذى (3/ 466 ، رقم 1162) .

الأجر مثل ما أعطى أيوب ، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطها الله مثل آسية امرأة فرعون»⁽¹⁾.

وقال عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً⁽²⁾ .

ومن آدابه :

* الاعتدال في الغيرة ، وهو ألا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن . وقد نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً⁽³⁾ .
وقال ﷺ : «أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»⁽⁴⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إني لغيور ، وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب»⁽⁵⁾⁽⁶⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، ورجلة النساء»⁽⁷⁾ .

قال أبو سعيد المتولي : الديوث هو الذي لا يمنع الناس الدخول على زوجته ، والقواد من يحمل الرجال إلى أهله ويخلي بينهم وبين الأهل .

(1) أخرجه الحارث بن أبي أسامة ، ص 316 ،

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا ، والدينوري - كما في كنز العمال (45918) .

(3) أخرجه البخاري 50/7 (5243) و(5244) ، ومسلم 55/6 (715) (183) و(184) .

(4) أخرجه البخاري (2698/6) ، رقم (6980) ، ومسلم (1136/2) ، رقم (1499) .

(5) منكوس القلب : الذي لا إحساس لديه بالكرامة .

(6) أخرجه ابن أبي شيبة 3/467 .

(7) أخرجه الحاكم (1/144) ، رقم (244) ، والبيهقي في شعب الإيمان (7/412) ، رقم (10799) .

قال الرافعي : ويشبه أن لا يختص بالأهل ، بل هو الذي يجمع بين النساء والرجال بالحرام .

وعن النبي ﷺ : «إن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها : تكلمي . قالت : سعد من دخلني . وقال الجبار جل جلاله : وعزتي وجلالي لا يسكن فيك مدمن خمر ، ولا مصرّ على الزنا ، ولا قتات ، وهو النمام ، ولا ديوث ، ولا الشرطي ، ولا الخنث ، ولا قاطع رحم ، ولا الذي يقول علي عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به» (1) .

* وما ينبغي للرجل ويتعين عليه أن يحترز من أن يخلو أحد من أقاربه بزوجه ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إياكم والدخول على النساء» . فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو؟ قال : «الحمو الموت» (2) .

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ - : هو قريب الزوج ، كأخيه وابن أخيه وعمه (3) . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي رحم» (4) ، رواهما البخاري ومسلم .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام : «أي شيء خير للمرأة؟» . قالت : ألا ترى رجلا ولا يراها رجل . فضمها إلى صدره وقال : «ذرية بعضها من بعض» . واستحسن قولها (5) .

وقال رسول الله ﷺ : «المرأة عشر عورات ، فإذا تزوجت ستر الزوج عورة

(1) رواه الشيرازي في الألقاب عن أنس - كما في كنز العمال ج 1/ 2041 .

(2) أخرجه البخاري (5/ 2005 ، رقم 4934) ، ومسلم (4/ 1711 ، رقم 2172) .

(3) شرح النووي 3/ 251 .

(4) أخرجه البخاري (3/ 1094 ، رقم 2844) ، ومسلم (2/ 978 ، رقم 1341) .

(5) أخرجه البزار (2/ 159 ، رقم 526) ، وأبو نعيم في الحلية (2/ 175) .

واحدة، وإذا ماتت ستر القبر عشر عورات»⁽¹⁾.

وقال عمر - رَضِيَ الله عَنْهُ -: أعروا النساء يلزمن⁽²⁾ الحجال⁽³⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ الله -: وإنما قال ذلك ؛ لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة⁽⁴⁾.

* قال العلماء: ينبغي أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يدري به كيف معاشرة الحائض، ويلقنها الاعتقاد الصحيح، ويزيل عن قلبها كل بدعة إن كانت، ويعلمها أحكام الصلاة والحيض والاستحاضة، فيعرفها أنها إذا انقطع دمها قبل المغرب بمقدار تكبيرة فعلها الظهر والعصر، وإذا انقطع قبل الصبح بمقدار تكبيرة فعلها المغرب والعشاء، ومن ذلك آداب الجماع؛ روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا، فقضي بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا»⁽⁵⁾.
وروي عن جعفر بن محمد في قوله تعالى: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾

(1) أخرجه الديلمي (3/ 327، رقم 4978).

(2) يلزمن الحجال: أي قعر بيوتهن.

(3) أخرجه الطبراني في الكبير (19/ 438، رقم 1063)، وفي الأوسط (3/ 256، رقم 3073). قال الهيثمي (5/ 138): فيه مجمع بن كعب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الخطيب (9/ 367)، وابن عساكر (25/ 214). وأخرجه أيضًا: أبو نعيم في معرفة الصحابة (5/ 2495، رقم 6061)، والقضاعي (1/ 400، رقم 689). وقال المناوي (1/ 560): أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: شبيب غير معروف، وقال إبراهيم: لا أصل لهذا الحديث اه. قال الحافظ ابن حجر: إن ابن عساكر خرّجه من وجه آخر في أماليه وحسنه وقال بكر بن سهل وإن ضعفه جمع لكنه لم ينفرد به كما ادعاه ابن الجوزي فالحديث إلى الحسن أقرب وأيا ما كان فلا اتجاه لحكم ابن الجوزي عليه بالوضع. والحديث موضوع كما قال الحافظ أحمد الغماري في المغير (ص 23).

(4) إحياء علوم الدين 2/ 269.

(5) أخرجه البخاري (3/ 1196، رقم 3109)، ومسلم (2/ 1058، رقم 1434).

وَالْأَوَّلِدِ⁽¹⁾، أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل، فإذا لم يقل: باسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل⁽²⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها» رواه مسلم⁽³⁾.



(1) سورة الإسراء، الآية: 64.

(2) تفسير البغوي 5/106.

(3) أخرجه مسلم (2/1060، رقم 1437).

الفصل الثاني

في آداب المرأة مع زوجها

قال الله تعالى : ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾⁽¹⁾. قال ابن عباس - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - : بما ساق فيها من المهر وأنفق عليها من المال .

وقال تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾⁽²⁾. وعن أبي هريرة - رَضِيَ الله عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأتْه فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» رواه البخاري ومسلم⁽³⁾.

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه» رواه البخاري ومسلم ، وهذا اللفظ للبخاري⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور»⁽⁵⁾ رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»⁽⁶⁾ رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

(1) سورة البقرة ، الآية : 228 .

(2) سورة النساء ، الآية : 34 .

(3) أخرجه البخاري (3/ 1182 ، رقم 3065) ، ومسلم (2/ 1060 ، رقم 1436) .

(4) أخرجه البخاري (5/ 1994 ، رقم 4899) .

(5) أخرجه الترمذي (3/ 465 ، رقم 1160) ، والنسائي في الكبرى (5/ 313 ، رقم 8971) .

(6) أخرجه الترمذي (3/ 465 ، رقم 1159) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا رَاضٍ عَنْهَا دَخَلَتْ الْجَنَّةَ»⁽¹⁾
رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجُهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ
الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِهِ قَاتِلُكَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوْشِكُ أَنْ يَفَارِقَكَ إِلَيْنَا»⁽²⁾
رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتِ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ
فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، دَخَلَتْ جَنَّةَ رَبِّهَا»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ». فقالت: لِمَ يارسول الله؟ قال: «يَكْثُرْنَ اللَّعْنَ وَيَكْفُرْنَ»⁽⁴⁾ العشير»⁽⁵⁾. يعني:
الزوج المعاشر .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لَزَوْجِهَا وَهِيَ لَا

(1) أخرجه الترمذي (466/3، رقم 1161)، وابن ماجه (595/1، رقم 1854).

(2) أخرجه الترمذي (476/3، رقم 1174)، وابن ماجه (649/1، رقم 2014).

(3) أخرجه أحمد (191/1، رقم 1661)، الطبراني في الأوسط (339/8، رقم 8805).

(4) يَكْفُرْنَ: يَجْحَدْنَ إحسان أزواجهن .

(5) أخرجه مالك (186/1، رقم 445) والبخاري (19/1، رقم 29)، ومسلم (626/2، رقم 907)،
والطيالسي (ص 112، رقم 833)، وأحمد (234/1، رقم 2086)، وهناد (171/1، رقم 246)،
ومسلم (2096/4، رقم 2737)، والترمذي (715/4، رقم 2602). وأخرجه أيضًا: البخاري في
التاريخ الكبير (181/4)، والنسائي في الكبرى (399/5، رقم 9261).

ومن حديث عمران بن حصين: أخرجه أحمد (429/4، رقم 19865)، والبخاري (1184/3)، رقم
3069، والترمذي (716/4، رقم 2603) وقال: حسن صحيح. والطبراني (111/18، رقم 210).
قال الهيثمي (261/10): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير الضحاك بن
يسار، وقد وثقه ابن حبان. وأخرجه أيضًا: البخاري في التاريخ الكبير (181/4)، والنسائي في
الكبرى (398/5، رقم 9259)، وابن حبان (493/16، رقم 7455).

تستغني عنه»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من خرجت من بيت زوجها⁽²⁾ لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة ، وخير له من عتق رقبة من ولد إسماعيل ، وإن طالب العلم والمرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب»⁽⁴⁾.

وقال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : من سعادة المرء خمسة أشياء ؛ أن تكون زوجته موافقة له ، وأولاده أبرارا ، وإخوانه أتقياء ، وجيرانه صالحين ، وأن يكون رزقه في بلده .

وروي أن رجلا خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته ألا تنزل من العلو إلى السفلى ، فمرض أبوها فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول إلى أبيها ، فقال رسول الله ﷺ : «أطيعي زوجك» . فمات ، فاستأمرت ، فقال : «أطيعي زوجك» . فدفن أبوها ، فأرسل رسول الله ﷺ إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها⁽⁵⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهما أمران⁽⁶⁾:

(1) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (309/4) ، والحاكم (207/2) ، رقم (2771) ، والبيهقي (7/294 ، رقم (14497) ، النسائي في الكبرى (5/354 ، رقم (9135) .

(2) أي بغير إذن .

(3) لم أعثر عليه .

(6) أخرجه الرافعي (255/1) .

(4) أخرجه الطبراني في الأوسط 439/16 (7863)

(5) إحياء علوم الدين 2/390 .

أحدهما : الصيانة والستر .

والآخر : ترك المطالبة بما وراء الحاجة ، والتعفف عن كسبه إذا كان حراما .
وهكذا كانت عادة النساء في السلف ، كان الرجل إذا خرج من منزله تقول
امراته وابنته : إياك وكسب الحرام ؛ فإننا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على
النار .

وهَمَّ رجل من السلف بالسفر فقال جيرانه لزوجته : لم ترضين بسفره ولم
يدع لك نفقة؟ فقالت : زوجي منذ عرفته أكلأ وما عرفته رزاقا ، يذهب الأكال
ويبقى الرزاق (1) .

وخطبت رابعة بنت إسماعيل أحمد بن أبي الحواري ، فكره ذلك لما كان فيه
من العبادة ، وقال : هلا والله ما لي هممة في النساء لشغلي بحالي . فقالت : إني
لأشغل بحالي منك وما لي شهوة ، ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فأردت
أن أنفقه على إخوانك وأعرف بك الصالحين ، فيكون ذلك طريقا إلى الله .
فقال : حتى أستاذن أستاذي . فرجع إلى أبي سليمان الداراني ، قال : وكان
ينهاني عن التزويج ، ويقول : ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير . فلما سمع
كلامها قال : تزوج بها فإنها ولية لله تعالى ، هذا كلام الصديقين . قال :
فتزوجها وكان في منزلها كَرَّ مِنْ جَصِّ ففنى من غسل أيدي المستعجلين
للخروج بعد الأكل ، فضلا عمن غسل بالأشنان (2) ، قال - رَحِمَهُ الله - :
وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطينني وتقول :
اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك . وكانت هذه تشبه في أهل الشام برابعة

(1) قوت القلوب 2/ 220 .

(2) الأشنان : شجر من الفصيلة الرمرامية ينبت في الأرض الرملية يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب
والأيدي . الوسيط (أشنان) .

العدوية في البصرة⁽¹⁾.

وروي أن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كان يَعْصُ⁽²⁾ المدينة، فسمع امرأة تقول لابنة لها صغيرة شبيبي اللبن بالماء، فقالت: يا أماه، إن أمير المؤمنين أمر مناديه فنادى: ألا يشاب اللبن بالماء، قالت: أنت بمكان لا يراك فيه عمر ولا مناديه، قالت: والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا. فزوجها عمر أحد أولاده، ومن ذريتها عمر بن عبد العزيز⁽³⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ -⁽⁴⁾: ومن آدابها ألا تتفاخر على الزوج بجمالها، ولا تزدريه لقبحه، فقد روي أن الأصمعي قال: دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهها تحت رجل من أقبح الناس وجهها، فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله؟! فقالت: يا هذا اسكت أسأت في قولك، فلعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه، أو لعلي أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي، أفلا أَرْضَى بما رَضِيَ اللهُ لي؟ فأُسَكِّتَنِي.



(1) طبقات الأولياء 38.

(2) العسس هو الطواف ليلاً.

(3) وفيات الأعيان 6/ 302.

(4) إحياء علوم الدين 1/ 408.

الباب الرابع

في التحذير من كيد النساء وفتنتهن

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»⁽³⁾. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم ما بين مائة غراب»⁽⁴⁾. يعني الأبيض البطن .

وقال عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : التجئوا إلى الله من شرار النساء ، واحذروا خيارهن .

وفي وصية لقمان لابنه : يا بُنَيَّ ، اتق المرأة السوء ؛ فإنها تشيبك قبل المشيب ،

(1) سورة يوسف ، الآية : 28 .

(2) أخرجه أحمد (5/ 210 ، رقم 21878) ، والحميدى (1/ 249 ، رقم 546) ، وابن أبي شيبة (7/ 467 ، رقم 37282) ، والبخارى (5/ 1959 ، رقم 4808) ، ومسلم (4/ 2097 ، رقم 2740) ، والترمذى (5/ 103 ، رقم 2780) وقال : حسن صحيح . والنسائى (5/ 400 ، رقم 9270) ، وابن ماجه (2/ 1325 ، رقم 3998) ، وابن حبان (13/ 308 ، رقم 5969) ، والطبرانى (1/ 169 ، رقم 415) ، وابن قانع (1/ 10) . من حديث أسامة بن زيد ، وأخرجه الترمذى (5/ 103 ، رقم 2780) وقال : حسن صحيح . من حديث أسامة وسعيد بن زيد عن عمرو بن نفيل معا

(3) أخرجه مسلم (4/ 2098 ، رقم 2742) . وأخرجه أيضاً : أحمد (3/ 22 ، رقم 11185) ، وعبد بن حميد (ص 274 ، رقم 867) ، والبيهقى (7/ 91 ، رقم 13301) .

(4) أخرجه الطبراني في الشاميين (2/ 192 ، رقم 1171) من حديث عائشة . وذكره الحكيم (1/ 276) من حديث كثير بن مرة .

واتق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير ، وكن من خيارهن على حذر .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَلَا هَلَكَ الرِّجَالُ حِينَ أَطَاعُوا النِّسَاءَ» (1) . وَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يَفْلَحُ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ» (2) .

وقال الحسن - رَحِمَهُ اللَّهُ - : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا
أكبه الله في النار (3) .

ومن كلام علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أيها الناس ، لا تطيعوا النساء على حال ،
ولا تأمنوهن على مال ، ولا تدعوهن يدبرن أمر عشير ؛ فإنهن إن تركن وما يردن
أفسدن الممالك ، وعصين المالك ، وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن ، ولا ورع
لهن عند شهواتهن ، اللذة بهن يسيرة ، والحيرة بهن كثيرة ، فأما صوالهن
ففاجرات ، وأما طولالهن فعاشرات ، وأما المعصومات فهن المعدومات ، فيهن
ثلاث خصال من يهود : يتظلمن وهن ظالمات ، ويحلفن وهن كاذبات ، ويتمنعن
وهن راغبات ، فاستعيذوا بالله من شرارهن ، وكونوا على حذر من خيارهن (4) .
وقال عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «تَعَسَّ عَبْدُ الزَّوْجَةِ» (5) .

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ - (6) : وإنما قال ذلك ؛ لأنه إذا أطاعها في هواها فهو

(1) أخرجه أحمد (45/5 ، رقم 20473) ، والحاكم (4/323 ، رقم 7789) وقال : صحيح الإسناد .
وأخرجه أيضاً : البزار (9/137 ، رقم 3692) ، والطبراني في الأوسط (1/135 ، رقم 425) ،
والديلمي (4/345 ، رقم 6997) .

(2) أخرجه البخاري (6/2600 ، رقم 6686) .

(3) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (1620) .

(4) محاضرات الأدباء 2/11 .

(5) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1529) ، وقال العراقي في تخريج الإحياء : لم أقف له على أصل .

(6) إحياء علوم الدين 1/201 .

عندها ، وقد تعس ؛ فإن الله ملكه المرأة فَمَلَّكَهَا نَفْسَهُ ، فإذا ملكها نفسه فقد عكس الأمر وأطاع الشيطان لما قال ﴿وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلَئِنْ عَزَّيْتُ خَلْقَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ . إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا .

قال الغزالي - رَحِمَهُ الله -⁽²⁾: وكانت نساء العرب يُعَلِّمْنَ بناتهن اختبار الأزواج ، كانت المرأة تقول لابنتها : اختبري زوجك قبل الإقدام والجرأة عليه ، انزعجي زج رمحه ، فإن سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه ، فإن سكت فكسري العظام بسيفه ، فإن صبر فاجعلي الإكاف على ظهره وامتنطيه فإنما هو حمارك .

(حكاية) :

قال الغزالي - رَحِمَهُ الله تعالى - في كتاب نصيحة الملوك⁽³⁾: يقال : إن خسرو كان يحب أكل السمك ، فكان يوما جالسا في المنطرة وامراته سيرين عنده ، فجاء الصياد ومعه سمكة كبيرة وأهداها لخسرو ووضعها بين يديه ، فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقالت سيرين : بئسما فعلت ، قال : ولم؟ قالت : لأنك إذا أعطيت بعد هذا لأحد من حشمك هذا القدر احتقره وقال : أعطاني عطية الصياد ، وإن أعطيته أقل منه قال : أعطاني أقل مما أعطى الصياد! فقال خسرو : لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك أن يرجعوا في هباتهم ، وقد فات هذا ، قالت سيرين : أنا أدبر هذه الحالة ، فقال وكيف ذلك؟ فقالت : تدعو الصياد وتقول له : هذه السمكة ذكر أم أنثى؟ فإن قال : ذكر . فقل : إنما أردنا أنثى ، وإن قال : أنثى . فقال : إنما أردنا ذكرا . فنودي الصياد فعاد وكان ذا ذكاء

(1) سورة النساء ، الآية : 119 .

(2) إحياء علوم الدين 1 / 201 .

(3) الثبر المسبوك في نصيحة الملوك ، ص 157 .

وفطنة ، فقال له خسرو : هذه السمكة ذكر أم أنثى؟ فقَبِلَ الصياد الأرض وقال : هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا أنثى . فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى ، فمضى الصياد إلى الخازن وقبض منه ثمانية آلاف درهم ووضعا في جراب كان معه ، وحملها على عنقه وهم بالخروج ، فوقع منه درهم واحد ، فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى إلى الدرهم وأخذه والملك وسيرين ينظران إليه ، فقالت سيرين : أيها الملك رأيت إلى خسة هذا الرجل وسفالته ، سقط منه درهم واحد فألقى على ظهره ثمانية آلاف وانحنى عليه ، فأخذه ولم يسهل عليه أن يتركه يأخذه بعض الغلمان! فجرد خسرو من ذلك وقال صدقت : يا سيرين ، ثم أمر بإعادة الصياد وقال له : ياساقت الهمة لست بإنسان ، وضعت مثل هذا المال عن عنقك لأجل درهم واحد وأسفت أن تتركه في مكانه! فقَبِلَ الصياد الأرض وقال : أطال الله بقاء الملك ؛ إنني لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي ، وإنما رفعته عن الأرض ؛ لأن على أحد وجهيه صورة الملك ، وعلى الوجه الآخر اسمه ، فخشيت أن يضع أحد قدمه بغير علم عليه ، فيكون ذلك استخفافا باسم الملك وصورته ، فأكون أنا المأخوذ بهذا الذنب . فعجب خسرو من كلامه واستحسن ما ذكره فأمر له بأربعة آلاف أخرى ، فعاد الصياد من عند الخازن باثني عشر ألف درهم ، فأمر خسرو مناديا ينادي : لا يتدبرن أحد برأي النساء ؛ فإنه من يتدبر برأيهن ويأتمر بأمرهن خسر درهمه درهمين .



فصل

في ذكر النساء وعاداتهن

من كتاب نصحية الملوك⁽¹⁾ للإمام الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - قال : اعلم أن جملة النساء على عشرة أصناف ، وصفة كل واحدة منهن تشبه صفة بعض الحيوانات :

الأولى : عاداتها كعادة الخنزير ، وهي التي لا تحسن غير الأكل ، وحشو البطن ، وكسر الآنية ، ولا تبالي أين مضت ، ولا تهتم بالدين والصلاة والصوم ، ولا تفكر في الممات والوعد والوعيد والثواب والعقاب والأمر والنهي ، بل تكون غافلة عن رضا الله وسخطه ، ولا تشتغل بحفظ الأولاد وتربيتهم وتعليمهم القرآن والعلم ، وتلبس الثياب القذرة وتظهر الرائحة الكريهة .

الثانية : عاداتها كعادة القرد ، وهي التي همتها لبس الثياب الملونة واللؤلؤ والجواهر والتحلي بالذهب والفضة ، وتفتخر على أترابها⁽²⁾ وتعظم منزلتها عند زوجها ، وربما كانت حالتها تنافي ذلك .

الثالثة : عاداتها كالكلب ، وهي التي إذا كلمها زوجها وثبت على وجهه وهرت عليه كالكلب ، ومتى أبصرت كيس زوجها ملآنا من الذهب والفضة ، وبيته مشحونا بالخير والنعمة والحنطة والفاكهة أكرمته وقالت : زوجي لك الفداء ، ولا لقاك الله مكروها ، ومتى كانت حاله بخلاف ذلك وَثَبَتْ كالكلب في وجهه وشتمته ، وتنقّصت بحسبه ونسبه وأخرجته من بيته وعيرته بالفقر .

(1) الثبر المسبوك 2/ 214.

(2) أي أقرانها .

الرابعة: عاداتها كالحية، وهي التي تلين كلامها لزوجها وتضمر له شراً، ولا ترى له خيراً، فهي كالحية لين لمسها قاتل سمها.

الخامسة: عاداتها كالبعلة إذا وقفت على الجسر، كلما ضربت لا تبرح وتكون لجوجة منفردة برأيها معجبة بنفسها.

السادسة: عاداتها كالعقرب، وهي التي تدور في بيوت الجيران بالنميمة والغمز والتسمع لأحاديثهم لتنم بها، وتوقع بينهم العداوة والخصومة، مثل العقرب أين وصلت ضربت بجمعتها، ولا تخاف أن تكون من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «الفتات لا يدخل الجنة»⁽¹⁾.

السابعة: عاداتها كالفأرة، وهي المرأة السراقة التي تحل كيس زوجها وتسرق منه وتخبأ في بيوت الجيران، وتسرق من حنطته وتعطيه القرابات.

الثامنة: عاداتها كالطير، وهي التي تدور طول نهارها ولا تستريح من دورانها، وتقول لزوجها: أين تمضي؟ ولا شك إنك ما تريدني وإنك تحب غيري ولست معي مستقيماً ولا علي مشفقاً.

التاسعة: عاداتها كالثعلب، وهي إذا خرج زوجها من البيت فتحت عليه باب الأكل ونامت وتعللت، وإذا دخل زوجها البيت فتحت عليه باب الخصومة وناقرتة وتقول تركتني بالبيت وحيدة مريضة.

(1) أخرجه الطيالسي (ص 56، رقم 421)، وأحمد (5/382، رقم 23295)، والبخاري (5/2250، رقم 5709)، ومسلم (1/101، رقم 105)، وأبو داود (4/268، رقم 4871)، والترمذي (4/375، رقم 2026) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (6/496، رقم 11614)، والطبراني (3/168، رقم 3021)، والحميدى (1/210، رقم 443)، وابن أبي شبة (5/329، رقم 26585)، والبزار (7/356، رقم 2954)، وأبو عوانة (1/39، رقم 86)، وابن حبان (13/78، رقم 5765)، والطبراني في الأوسط (4/278، رقم 4192)، والبيهقي (8/166، رقم 16449).

العاشرة: عاداتها كالغنمة، وهي المباركة الرحيمة، كالغنمة كل شيء منها منفعة، وكذلك المرأة الصالحة الكثيرة النفع، المشفقة على زوجها وقرباتها وجيرانها وأهل بيتها وأولادها، المطيعة لربها تعالى.



كتاب آداب الكسب والمعاش
وفضله وما يتعلق بذلك

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول في فضل الكسب

قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۚ﴾⁽¹⁾ . فذكر في معرض الامتنان ، وقال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾⁽²⁾ . فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها ، وقال تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ۚ﴾⁽³⁾ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه» . رواه البخاري ومسلم⁽⁴⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما أكل أحد طعاما قط خيرا له من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري⁽⁵⁾ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن ولده من كسبه»⁽⁶⁾ .

(1) سورة النبأ ، الآية : 11 .

(2) سورة الأعراف ، الآية : 10 .

(3) سورة الجمعة ، الآية : 10 .

(4) أخرجه مالك (2/ 998 ، رقم 1815) ، والبخاري (2/ 535 ، رقم 1401) ، ومسلم (2/ 721 ، رقم 1042) ، والترمذي (3/ 64 ، رقم 680) ، وقال : حسن صحيح غريب . والنسائي (5/ 96 ، رقم 2589) ، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 269 ، رقم 3508) .

(5) البخاري (2/ 730 ، رقم 1966) . وأخرجه أيضا أحمد (4/ 132 ، رقم 17229) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 84 ، رقم 1224) .

(6) أخرجه النسائي (7/ 241 ، رقم 4452) ، وابن ماجه (2/ 723 ، رقم 2137) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من طلب الدنيا حلالاً تعففاً عن المسألة ، وسعياً على عياله ، وتعطفاً على جاره ، لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «العبادة عشرة أجزاء ؛ فتسعة منها في طلب الحلال» .
روي هذا مرفوعاً وموقوفاً على الصحابة⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «طلب الحلال جهاد ، وإن الله يحب العبد المحترف»⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله ، فقال : «ما في بيتك شيء؟» . قال بلى ؛ جِلس⁽⁶⁾ نُلْبَسُ بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء . قال : «ائتني بهما» . فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال : «من يشتري هذين؟» . قال رجل : أنا آخذهما بدرهم . قال رسول الله

(1) أخرجه الترمذی (3/ 515 ، رقم 1209) .

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 298 ، رقم 10374) .

(3) أخرجه الديلمي (3/ 79 ، رقم 4222) .

(4) المحترف : أى صاحب حرفة . لسان العرب (ح ر ف) .

(5) أخرجه الطبراني (12/ 308 ، رقم 13200) ، وابن عدی (1/ 376 ، ترجمة 200 أشعث بن سعيد أبو الربيع السمان) وقال : مع ضعفه يكتب حديثه . والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 88 ، رقم 1237) وقال : تفرد به أبو الربيع عن عاصم وليس بالقويين . وأخرجه أيضاً : الطبراني في الأوسط (8/ 380 ، رقم 8934) قال الهيثمي (4/ 62) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف . وأخرجه القضاعى (2/ 148 ، رقم 1072) ، والديلمي (1/ 155 ، رقم 567) وابن الجوزى في العلل (2/ 589 ، رقم 968) وقال : لا يصح . وأورده ابن أبى حاتم في العلل (2/ 128 ، رقم 1877) وقال قال أبى : هذا حديث منكر .

(6) الجِلس : هو الكساء الذى يلي ظهر الدابة أو البعير . تاج العروس (ح ل س) .

عَلَيْهِ السَّلَامُ : «من يزيد على درهم؟» . مرتين أو ثلاثا ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه وأخذ درهمين فأعطاهما الأنصاري ، وقال : «اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فائتني به» . فشدد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده ، ثم قال : «اذهب فاحتطب وكل ، ولا أرينك خمسة عشر يوما» . ففعل ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشتري ببعضها ثوبا وبيع بعضها طعاما ، فقال له رسول الله ﷺ : «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة» . رواه أبو داود (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من أمسى كالألأ من عمل يده أمسى مغفورا له» . رواه الطبراني (2).

وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : كان آدم عليه السلام حراثا ، ونوح نجارا ، وإدريس خياطا ، وإبراهيم ولوط زراعين ، وصالح تاجرا ، وداود زرادا ، وموسى وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام رعاة (3).

ويروى أن لقمان قال لابنه : يا بني استعن بالكسب الحلال ؛ فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال ، رقة في دينه ، وضعف في عقله ، وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به .

وقيل لأحمد بن حنبل - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : ما تقول في رجل جلس في بيته أو مسجده وقال : لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد : هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي ﷺ : «إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي» (4).

(1) أبو داود (1643) . وأخرجه أيضا ابن ماجه (2282) ، والحاثر - كما في البغية 109 .

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (7/ 289 ، رقم 7520) .

(3) انظر تفسير القرطبي 321 / 11 .

(4) أخرجه أحمد (2/ 50 ، رقم 5114) .

وقال عليه الصلاة والسلام حين ذكر الطير: «تغدو خماصا وتروح بطانا»⁽¹⁾.
وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر، ويعملون في
نخلهم، والقدوة بهم.

وروى الترمذي عن عمر - رَضِيَ الله عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال: «لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»⁽²⁾.
معناه: تذهب أول النهار خماصا؛ أي ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخره
ممتلئة البطون. قال الإمام أحمد: ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن
الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد - والله أعلم - لو توكلوا
على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم، وعلموا أن الخير بيده ومن عنده، لم
ينصرفوا إلا سالمين غانمين، كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا، لكنهم يعتمدون
على قوتهم وكسبهم، وهذا خلاف التوكل.

وفي الشعب للبيهقي أن عمر - رَضِيَ الله عَنْهُ - لقي ناسا من أهل اليمن،
فقال: ما أنتم؟ قالوا متوكلون. فقال كذبتكم أنتم مُتَأَكِّلُونَ، إنما المتوكل رجل ألقى
حبه في التراب وتوكل على رب الأرباب⁽³⁾.

وقيل: إنه إذا أوصى للمتوكلين أن يكون للزرّاع.

وقال أبو سليمان الداراني: ليس العبادة⁽⁴⁾ عندنا أن تصف قدميك وغيرك
يتعب لك، ولكن ابدأ برغيفك فاحرزه ثم تعب⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الترمذي (4/573، رقم 2344).

(2) انظر السابق.

(3) ذكره الحكيم (1/405).

(4) في م: «العباد».

(5) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء 264/9.

وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن أدهم وعلى عنقه حزمة حطب ، فقال له : إلى متى هذا يا أبا إسحاق؟ إخوانك يكفونك ، فقال : دعني عن هذا يا أبا عمرو ؛ فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة . وقال شقيق بن إبراهيم في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ ⁽¹⁾ : لو أن الله تعالى رزق العباد من غير كسب لتفرغوا فتنفسوا ، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد .

وروى أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ ، عن جبريل ، عن الله عز وجل أنه قال : إن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه لا يدخله عجب فيفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك ، إني أدبر أمر عبادي لعلمي بقلوبهم إني عليم خبير ⁽²⁾ .



(1) سورة الشورى ، الآية : 27 .

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء (ص 9 ، رقم 1) ، والحكيم (232/2) ، وأبو نعيم في الحلية (8 / 318) ، وابن عساكر (95/7) .

الباب الثاني

في أنواع المكاسب وبيان الطيب والخبيث منها

روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال : «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» (1).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا ، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له صدقة» (2). وروى : «وَمَا سُْرِقَ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ» (3).

ويروى عنه ﷺ أنه قال : «خير تجاركم البز» (4) وخير صنائعكم الخرز» (5). وقال : «لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز ، ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف» (6).

وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه ، كان عند الله بمنزلة الشهداء ،

(1) سبق تخريجه .

(2) أخرجه البخاري (2/817 ، رقم 2195) ، ومسلم (3/1189 ، رقم 1553) .

(3) أخرجه مسلم (3/1188 ، رقم 1552) .

(4) البز : ضرب من الثياب .

(5) ذكره في تذكرة الموضوعات ، ص 135 ، وقال : لا أصل له سوى ما في الفردوس «لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز» إلخ. وهو للدليمي ضعيف ..

(6) انظر التعليق السابق . وقال في تخريج أحاديث الإحياء : رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والعقيلي في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

ثم قرأ عبد الله : ﴿وَأَخْرُوجُ يَصْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (1)، يعني : المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله .

وقال الغزالي - رَحِمَهُ الله - : أوصى بعض التابعين رجلا وقال : لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين ؛ بيع الطعام وبيع الأكفان ، فإنه يتمنى الغلاء وموت الناس ، والصنعتان أن يكون جزارا ، فإنها صنعة تقسي القلب ، وصواغا فإنها تزخر الدنيا بالذهب والفضة (2).

قال الغزالي - رَحِمَهُ الله - : وكره ابن سيرين الدلالة ، وكره قتادة أجرة الدلال (3)، قال : السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والإفراط في الشناء على السلعة لترويجها ، ولأن العمل فيه لا يتقدر ، فقد يقل وقد يكثر ، ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله ، بل إلى قدر قيمة الثوب ، هذا هو العادة وهو ظلم ، بل ينبغي أن ينظر إلى قدر التعب ، قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل - رَحِمَهُ الله - : ما صنعتك؟ قلت الوراق ، قال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ، ثم قال لي لا تكتب إلا مواصفة ، واستثن الحواشي وظهور الأجزاء (4).



(1) سورة المزمل ، الآية : 20 .

(2) إحياء علوم الدين 1 / 421 .

(3) من يجمع بين البيعين ومن ينادي على السلعة لتباع بالممارسة . الوسيط (د ل ل) .

(4) إحياء علوم الدين 1 / 431 .

فصل

في الاحتكار

وهو حرام في الأقوات ، وقيل : يكره ، وهو أن يشتري العام في الغلاء ويحبسه ليبيعه بأكثر ، ولا بأس بالشراء في الرخص لبيعه في الغلاء ، ولا بأس بالشراء في الغلاء لنفقة نفسه وعياله ، ثم يبيع الفاضل في الغلاء ، وكذا إمساك غلة ضيعته في الرخص لبيع في الغلاء ، والأولى بيع ما فضل عن كفايته ، وفي كراهة إمساكه وجهان ، قال رسول الله ﷺ : «بئس العبد المحتكر ، إن أرخص الله الأسعار حزن ، وإن أغلاها فرح»⁽¹⁾. وفي رواية : «إن سمع برخص ساء وإن سمع بغلاء فرح»⁽²⁾.

وروى أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللهُ - عن النبي ﷺ أنه قال : «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»⁽³⁾.

وروى أبو الليث أيضا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «الغلاء والرخص جندان من جنود الله تعالى ، اسم أحدهما الرغبة واسم الآخر الرهبة ، فإذا أراد الله تعالى أن يرخصه قذف الرهبة في قلوب الرجال فأخرجوه من أيديهم فرخص ، وإذا أراد أن يغليه قذف الرغبة في قلوب الرجال فيحبسونه في أيديهم»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الطبراني (95/20 ، رقم 186) ، والبيهقي في شعب الإيمان (7/525 ، رقم 11215) .

(2) أخرجه الطبراني في الكبير 5/15 (16612) ، ومسند الشاميين 34/2 (402)

(3) أخرجه ابن ماجه (2/728 ، رقم 2153) .

(4) أخرجه العقيلي (3/363 ، ترجمة 1399 العباس بن بكار الضبي) ، والخطيب (8/50) ، والرافعي (2/

34) ، والديلمى (3/113 ، رقم 4312) .

وقال علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : من احتكر الطعام أربعين يوما قسا قلبه . وعنه أنه أحرق طعام محتكر بالنار ، كذا نقله الغزالي عنه في الإحياء⁽¹⁾ .

وحكى الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - عن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله : بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد . فوافق بيعه في السعر ، فقال له التجار : إن آخرته جمعة ربحت أضعافه ، فأخره جمعة وربح فيه أمثاله ، وكتب إلى صاحبه بذلك ، فكتب إليه صاحب الطعام : يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا ، وإنك قد خالفت ، وما نحب أن نربح أضعافه بفساد شيء من الدين ، وقد جنيت علينا جناية ، فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله وتصدق به على فقراء البصرة ، وليتني أنجو من الاحتكار كفافا لا على ولا لي⁽²⁾ .



(1) الإحياء 1 / 213 .

(2) الإحياء 1 / 421 .

الباب الثالث

في آداب التاجر

روى الترمذي عن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . كتب له ألف ألف حسنة ، ومحى عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة»⁽¹⁾.

وعن بريدة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال : «باسم الله ، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لا تكن أول من يدخل السوق وآخر من يخرج منها ، فيها باض الشيطان وفرخ»⁽³⁾.

وكان عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقول للتجار : اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم ، وما بعده لدنياكم .

وقال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : وكان صالحو السلف يجعلون أول النهار وآخره للآخرة ، وأوسطه للتجارة ، فلم تكن تباع الهريسة والرءوس بكرة إلا

(1) أخرجه الترمذي (491/5) رقم (3428) .

(2) أخرجه الطبراني (21/2) ، رقم (1157) والحاكم 201/2 .

(3) أخرجه الطبراني (248/6) ، رقم (6118) .

للصبيان وأهل الذمة ، كأنهم كانوا في المساجد بعد⁽¹⁾ .
وفي الخبر : أن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد في أول النهار وفي آخره
وفيهما ذكر وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيئ الأعمال⁽²⁾ .
وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - أن إبليس
يقول لولده زلنبور : سر بكتابتك فأنت صاحب الأسواق ، زين الكذب والحلف
والخدعة والمكر والخيانة ، وكن مع أول داخل وآخر خارج منها .
وفي الخبر : « شر البقاع الأسواق ، وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا » .
ومن آدابه أن يتعلم أحكام البيع والشراء ، وقد ذكر الغزالي عن عمر -
رَضِيَ الله عَنْهُ - أنه كان يطوف في السوق ويضرب التجار بالدرّة ويقول : لا يبيع
في سوقنا إلا من تفقه وإلا أكل الربا شاء أو أبى⁽³⁾ .
قال عطاء في قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .
قالوا وما رياض الجنة؟ قال : « حلق الذكر »⁽⁴⁾ : الذكر هو مجالس الحلال والحرام ،
كيف تشتري ، كيف تبيع ، وتصلي وتصوم وتحج وتطلق ، وأشباه ذلك .
ومنها أن يكون سمحا في الأخذ والعطاء ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله
يحب سمح البيع ، سمح الشراء ، سمح القضاء »⁽⁵⁾ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إن أطيّب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم
يكذبوا ، وإذا أؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا وعدوا لم يخلفوا ، وإذا اشتروا لم يذموا ،

(1) إحياء علوم الدين 2/ 432 .

(2) قوت القلوب 2/ 255 .

(3) إحياء علوم الدين 2/ 433 .

(4) أخرجه أحمد (3/ 150 رقم 12545) ، والترمذى (532/5 رقم 3510) .

(5) أخرجه الترمذى (3/ 609 رقم 1319) .

وإذا باعوا لم يمدحوا ، وإذا كان عليهم لم يمتلوا ، وإذا كان لهم لم يعسروا⁽¹⁾ .

وكان علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول : معاشر التجار خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا ، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره .

وقيل لعبد الرحمن بن عوف : ما سبب يسارك؟ قال : ثلاث ؛ ما رددت ربحا قط ، ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه ، ولا بعت بنسيئة .

ومما يتأكد وجوبه عليه المحافظة على الصلاة في وقتها ، قال ابن مسعود وإبراهيم في قوله تعالى : ﴿ خَلَفَ مِنْ بَدِّهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾⁽²⁾ : أخروها عن وقتها .

قال سعيد بن المسيب : هو ألا يصلي الظهر حتى تأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس .

وقيل للحسن البصري - رَحِمَهُ اللهُ - : أصليت؟ قال : لا . قيل : إن أهل السوق قد صلوا ، قال : ومن يأخذ دينه من أهل السوق؟ إن نفقت أسواقهم أخروا الصلاة ، وإن كسدت عجلوا بها .

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَا نُفِيتُ عَنْهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾⁽³⁾ : إنهم كانوا حدادين وخرازين ، وكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشفى فسمع الأذان لم يخرج الإشفى من المغرز ولم يرفع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة⁽⁴⁾ .

وحكى أبو الليث - رَحِمَهُ اللهُ - عن بعض الحكماء أنه قال : إذا لم يكن في

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 221 ، رقم 4854) .

(2) سورة مريم ، الآية : 59 .

(3) سورة النور ، الآية : 37 .

(4) إحياء علوم الدين 1/ 432 .

التاجر ثلاث خصال افتقر في الدارين جميعا؛ أولها لسان نقي من ثلاثة: من الكذب واللغو والحلف، والثاني قلب صاف من ثلاثة: الغش والخيانة والحسد، والثالث نفس محافظة على ثلاثة: الجمعة والجماعات وطلب العلم في بعض الساعات وإيثار مرضاة الله تعالى على غيره⁽¹⁾.



(1) تنبيه الغافلين، ص 253.

الباب الرابع

في بيان الأمور التي ينبغي للتاجر أن يحترز عنها

وفيه ثمانية فصول :

الفصل الأول

في الحث على حفظ الأمانة وتجنب الخيانة

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾⁽¹⁾. وقال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁽²⁾.

قال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : الأمانة أداء الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وصدق الحديث ، وقضاء الدين ، والعدل في المكيال والميزان ، وأشد من هذا كله الودائع .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان» . رواه البخاري ومسلم⁽³⁾.

وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللا ، فقال : «ما هذا يا صاحب الطعام؟» . قال أصابته السماء يا رسول الله ، قال : «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا ليس منا»⁽⁴⁾.

وروي عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : مر رسول الله ﷺ بطعام

(1) سورة النساء ، الآية : 58 .

(2) سورة الأحزاب ، الآية : 73 .

(3) أخرجه البخاري (1/ 21 ، رقم 33) ، ومسلم (1/ 78 ، رقم 59) .

(4) أخرجه مسلم (1/ 99 ، رقم 102) .

وقد حسنه صاحبه ، فأدخل يده فيه فإذا طعام رديء ، فقال : «بع هذا على حدة ، وهذا على حدة ، فمن غشنا ليس منا» . رواه أحمد (1).

ويروى أن أبا هريرة - رَضِيَ الله عَنْهُ - رأى إنسانا يبيع لبنا ، فنظر إليه فإذا هو قد خلطه بالماء ، فقال : كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن؟ رواه البيهقي (2).

وقال رسول الله ﷺ : «لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له» (3). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن الله عز وجل يقول : أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فإذا خانه خرجت من بينهما» (4).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يختارا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما» (5).

وحكى ابن الجوزي أن لبانا كان يخلط اللبن بالماء ويبيعه ، فجاء السيل فأغرق غنمه ، فجعل يبكي ويقول : اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا .

(وحكى) أبو الليث أن رجلا مات فحفروا له قبرا ، فإذا فيه حية قد ملأت اللحد ، فحفروا ثانيا وثالثا فإذا هو كذلك ، فسألوا ابن عباس عنه ، فقال : ذلك الخيانة والغل ، انطلقوا فادفنوه في بعضها ، فوالله لو حفرتم له الأرض كلها لوجدتموها فيه . فسئلت امرأته عن عمله قالت : كان يبيع الحنطة ويخلطها بغيرها (6).

(1) أخرجه أحمد (50/2 ، رقم 5113) .

(2) شعب الإيمان (5078) .

(3) أخرجه الطبراني (10/227 ، رقم 10553)

(4) أخرجه أبو داود (3/256 ، رقم 3383) .

(5) أخرجه البخاري (2/732 ، رقم 1973) ، ومسلم (3/1164 ، رقم 1532) .

(6) تنبيه الغافلين 157.

وقال بعضهم : أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لي أن أعامل من الناس؟ فيقال : عامل من شئت ، ثم أتى على الناس زمان آخر كان يقال : عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ، ثم أتى وقت آخر فكان يقال : لا تعامل أحدا إلا فلانا وفلانا ، وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضا .
قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : فكأنه قد كان الذي خاف أن يكون ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال الغزالي أيضا : يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل باعه شيئا وقفة ، ويحاسب على كل واحد محاسبة ، على عدد من عامله (1).
وقال بعضهم : رأيت بعض التجار في النوم فقلت له : ما فعل الله بك؟ فقال نُشر علي خمسون ألف صحيفة ، فقلت : أهذه كلها ذنوب؟ فقال : هذه معاملات الناس ، عدد من عاملته في الدنيا ، لكل إنسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول المعاملات إلى آخرها .

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - : قيل إنه إذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه (2).
وقال الغزالي أيضا : وشهد عند عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - شاهد ، فقال : ائتني بمن يعرفك ، فأتاه برجل فائتي عليه خيرا ، فقال له عمر : أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ فقال لا ، فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ فقال لا ، فقال عاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل؟ فقال لا ، قال أظنك رأيته في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه . قال نعم ، قال اذهب فلست تعرفه ، فقال للرجل اذهب وائتني بمن يعرفك (3).

(1) إحياء علوم الدين 1/ 342.

(2) إحياء علوم الدين 1/ 342.

(3) إحياء علوم الدين 1/ 342.

الفصل الثاني

في النهي عن الحلف في البيع

روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «إياكم وكثرة الحلف في البيع ؛ فإنه ينفق ثم يمحق»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم : المسبل إزاره ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»⁽²⁾.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ؛ رجل على فضل ماء بفلاة يمنع ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه فأخذها وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا ؛ فإن أعطاه منها ما يريد وفى له ، وإن لم يعطه لم يف له»⁽³⁾.

وفي رواية نحوه وقال : «رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال امرئ مسلم ، ورجل منع فضل ماء ، فيقول الله عز وجل له : اليوم أمتك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يدك»⁽⁴⁾.

وفي الخبر : «ويل للتاجر من بلى والله ولا والله ، وويل للصانع من غدو بعد

(1) أخرجه مسلم (3/1228 ، رقم 1607) .

(2) أخرجه مسلم (1/102 ، رقم 106) .

(3) أخرجه مسلم (1/103 ، رقم 108) .

(4) أخرجه البخاري (2369) ، وأبو داود (3476) ، والطبراني في الكبير (452) ، والأوسط (1933) .

غدو»⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ التَّجَارَ يَحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَجَارًا إِلَّا مَنْ اتَّقَى وَبَرَّ وَصَدَقَ»⁽²⁾.



(1) قال في تخريج أحاديث الإحياء : لم أفد له على أصل ، وذكر صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير إسناد نحوه .

(2) أخرجه ابن حبان (5001) .

الفصل الثالث

في النهي عن إخفاء عيب المبيع

قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»⁽¹⁾.
وروي أن النبي ﷺ لما بايع جريراً على الإسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم، وكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها يظهر عيبها ثم خَيْرَ وقال: إن شئت فخذ وإن شئت فاترك. فقليل له: إنك إذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع! قال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم⁽²⁾.
وكان واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجلاً ناقه له بثلاثمائة درهم، وغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناق، فسعى وراءه وجعل يصيح به وقال: يا هذا اشتريته للحم أو للظهر؟ فقال: بل للظهر، فقال إن بخُفُّها نقبا قد رأيت، وإنها لا تبلغ السير. فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة: رحمك الله أفسدت علي بيعي. قال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم.
وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل لأحد يبيع بيعاً إلا بين ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينه»⁽³⁾.

وحكى الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - عن ابن سيرين أنه باع شاة فقال للمشتري: أبرأ إليك من عيب فيها؛ إنها تقلب العلف برجلها⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري (14/1، رقم 13)، ومسلم (67/1، رقم 45).

(2) أخرجه مسلم 75/1 (56)، والطبراني (ص 91، رقم 660)، والطبراني في الصغير (1/315، رقم 522) قال الهيثمي (87/1): إسناده حسن.

(3) أخرجه أحمد في المسند 199/34 (16436)، والبيهقي في شعب الإيمان 279/11 (5063).

(4) إحياء علوم الدين 2/157.

الفصل الرابع

في النهي عن دفع الدراهم والدنانير الزيوف

قال رسول الله ﷺ : «الدين النصيحة»⁽¹⁾.

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - عن بعض الغزاة في سبيل الله تعالى أنه قال : حملت على فرسي لأقتل علجا فقصر فرسي فرجعت ، ثم دنا مني العالج فحملت ثانية فقصر فرسي ، ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا أعتاد ذلك منه ، فرجعت حزينا وجلست متنكس الرأس منكسر القلب لما فاتني من العالج وما ظهر لي من خلق الفرس ، فوضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم ، فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول : بالله أردت أن تأخذ على العالج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا فلا يكون هذا أبدا ، قال : فانتبهت فرعا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم⁽²⁾.

وقال بعضهم : إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم ؛ لأن السرقة

(1) أخرجه أحمد (4/ 102، رقم 16982)، ومسلم (1/ 74، رقم 55)، وأبو داود (4/ 286، رقم 4944)، والنسائي (7/ 156، رقم 4197)، وأبو عوانة (1/ 44، رقم 101)، وابن خزيمة في السياسة كما في إتحاف المهرة للحافظ (3/ 8، رقم 2456)، وابن حبان (10/ 435، رقم 4574)، والبيهقي في الجعديات (1/ 392، رقم 2681) وابن قانع (1/ 109)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 323، رقم 5265)، وأبو نعيم في المعرفة (1/ 449، رقم 1291)، والطبراني (2/ 54، رقم 1267)، وابن عساكر (54/ 11) من حديث تميم الداري .

وأخرجه الترمذي (4/ 324، رقم 1926) وقال : حسن صحيح . والنسائي (7/ 157، رقم 4199)، والدارقطني في الأفراد كما أطرافه لابن طاهر (5/ 346، رقم 5699) . وأخرجه أيضًا : أحمد (2/ 297، رقم 7941)، والطبراني في الأوسط (4/ 122، رقم 3769) من حديث أبي هريرة .

(2) إحياء علوم الدين 1/ 422.

معصية واحدة وقد تمت وانقطعت ، وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة
أظهرها يعمل عليها مَنْ بعده ، فيكون عليه وزره بعد موته إلى أن يفنى ذلك
الدرهم⁽¹⁾.



(1) إحياء علوم الدين 1/ 422.

الفصل الخامس

في النهي عن التطفيف

قال الله تعالى : ﴿وَبِلِّ اللِّمُطَفِّينَ ۖ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) ﴿١﴾. وقال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧)﴾ . قال الحسن وقتادة والضحاك : أراد به الذي يوزن به ليتوصل به إلى الإنصاف والانتصاف .

وقوله تعالى ﴿أَلَا تَطْغَوْا﴾ . يعني : لئلا تملوا وتظلموا وتجاوزوا الحق ، ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ بِالْعَدْلِ ، وقال أبو الدرداء وعطاء : أراد أقيموا لسان الميزان بالعدل ، قال ابن عيينة : الإقامة باليد والقسط بالقلب ، قوله تعالى ﴿وَلَا تُخْسِرُوا﴾ (٢) . معناه : ولا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن (٣) .

قال نافع - رَحِمَهُ اللهُ - كان ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - يمر بالبائع فيقول : اتق الله تعالى ، أوف الكيل والوزن ؛ فإن المطففين يقفون يوم القيامة حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم (٤) .

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ قال : «يقوم الناس لرب

(١) سورة المطففين ، الآيات : ١ - ٦ .

(٢) سورة الرحمن ، الآيات : ٧ - ٩ .

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ٢٢٦/٤ .

(٤) أخرجه الترمذي ٢٧٤/٩ (٢٦٠٧) وقال : حديث حسن صحيح . وأحمد ١١٢/٢ (٥٩١٢) .

العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»⁽¹⁾.

وقال يونس بن عبيد: حضرت رجلا احتضر، فقلت له: قل: لا إله إلا الله. فامتعض، فألححت عليه، فقال: ادع الله لي، فهذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها. قلت أفما يمنعك إلا من قولها؟ فقال نعم. قلت: وما كان عملك به؟ قال: ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقا في علمي، غير أنني كنت أقيم المدة لا أفترقه ولا أحتبره.

وكان بعضهم إذا أخذ نَقَصَ نصفَ حبة، وإذا أعطى زاد نصف حبة، فكان يقول: ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السماوات والأرض، وما أخسر⁽²⁾ من باع طوبى بويل⁽³⁾.

ونظر فضيل إلى ابنه وهو يغسل ديناراً يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه، فقال: يا بني فعلك هذا أفضل من حجتين أو عشرين عمرة⁽⁴⁾.

ولما نَقَصَ قومُ شعيب الكيل والميزان أخذتهم الرجفة، قال الكلبي الزلزلة، وقال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم باباً من جهنم فأرسل عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم، ولم ينفعهم ظل ولا ماء، فكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها، فإذا دخلوها وجدوا لها حرّاً أشد من الظاهر، فخرجوا هرباً إلى البرية، فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلمت، وهي الظلة، فوجدوا لها برداً ونسيماً، فنادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساءهم وصبيانهم،

(1) أخرجه البخاري (2393/5)، رقم (6166). والترمذي (434/5)، رقم (3336) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (1430/2)، رقم (4278)، وأخرجه أيضاً: أحمد (125/2)، رقم (6075).

(2) في الأصل: «أخس»، والمثبت من الإحياء.

(3) إحياء علوم الدين 1/426.

(4) إحياء علوم الدين 1/426.

فألهبها الله عليه نارا ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المصلى ،
وصاروا رمادا⁽¹⁾.

وروي أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر ، ثم
رُفِعَ لهم جبلٌ من بعيد فأتاه رجل ، فإذا تحته أنهار وعيون ، فاجتمعوا تحته كلهم
فوقع ذلك الجبل عليهم ، فذلك عذاب يوم الظلة . فقال قتادة بعث الله شعبيا إلى
أصحاب الأيكة وأهل مدين ، فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة ، وأما أهل
مدين فأخذتهم الصيحة ، صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فاهلكوا
جميعا⁽²⁾.



(1) تفسير البغوي 1 / 258.

(2) السابق : نففس الموضع .

حكايات

ذكرها الإمام أبو حامد الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - في الإحياء

الأولى : روي عن يونس بن عبيد ، وكان خزازا ، فُطِّلَ منه خَزٌّ للشراء ، فأخرج غلامه سفت الخز ونشره ونظر إليه وقال : اللهم ارزقنا الجنة ، فقال لغلامه : رده إلى موضعه . ولم يبعه ، وخاف أن يكون ذلك تعريضا للثناء على السلعة ⁽¹⁾.

الثانية : حكى عن بعض التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس ، فجهز إليه السكر وكتب إليه غلامه : إن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة ، فاشتر السكر . فاشتره كثيرا ، فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا ، فانصرف إلى منزله ، ففكر ليلته فقال : ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين ، فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفا وقال : بارك الله لك فيها . فقال : ومن أين صارت لي؟ فقال : إني قد كتمتك حقيقة الحال ، وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت . فقال : رحمك الله قد أعلمتني الآن وقد طيبتها لك . قال : فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال : ما نصحتة فلعله استحيا مني فتركها لي ، فبكر إليه من الغد قال : عافاك الله ، خذ مالك إليك فهو أطيب لقلبي ، فأخذ منه ثلاثين ألفا ⁽²⁾.

الثالثة : يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حُلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة درهم ، وضرب ثمنها مائتا درهم ، فمَرَّ إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان ، فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة ، فعرض عليه حلة من

(1) إحياء علوم الدين 1 / 423.

(2) إحياء علوم الدين 1 / 427.

حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها ، فمشى بها وهي على يديه ، فاستقبله
يونس فعرف حله فقال : بكم اشتريت؟ فقال بأربعمائة . قال : لا تسوى أكثر من
مائتين ، فارجع حتى نردها ، فقال : هذه تسوى ببلدنا خمسمائة درهم وأنا
ارتضيها ، فقال له يونس : انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا وما فيها ،
ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه وقاتله ، فقال : أما
استحييت؟ أما اتقيت الله؟ تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين؟ فقال : والله
ما أخذه إلا ورضي به ، قال : فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك⁽¹⁾.



(1) إحياء علوم الدين 1 / 428.

الفصل السادس

في بيعات نهى عنها رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة - رَضِيَ الله عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : « لا يبيع حاضر⁽¹⁾ لباد⁽²⁾ »⁽³⁾.

وعنه أن رسول الله ﷺ نهى عن تلقي الركبان⁽⁴⁾.

وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يسم المسلم على سوم المسلم »⁽⁵⁾.

وعن ابن عمر - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ قال : « لا يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له »⁽⁶⁾. روى هذه الأحاديث البخاري ومسلم .

وعن عقبة بن عامر - رَضِيَ الله عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : « المؤمن أخو المؤمن ، فلا يحل للمؤمن أن يتاع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى

(1) الحاضر : المقيم في المدن والقرى والريف .

(2) البادي : الذي يكون في البادية ومسكنه المضارب والخيام .

(3) أخرجه البخاري (752/2) ، رقم 2033 .

(4) البخاري 758/2 ، ومسلم 1145/2 (1515) . تلقي الجلب أو البيوع أو الركبان : شراء السلع من أصحاب المبيعات قبل وصولها إلى السوق

(5) أخرجه البيهقي (345/5) ، رقم 10678 .

(6) أخرجه مالك (907/2) ، رقم 1616 ، وأحمد (287/2) ، رقم 7845 ، والبخاري (1976/5) ، رقم 4849 ، ومسلم (1985/4) ، رقم 2563 ، وأبو داود (280/4) ، رقم 4917 ، والترمذي (356/4) ، رقم 1988 وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الأوسط (222/8) ، رقم 8461 ، والبيهقي (180/7) ، رقم 13813 .

يذر» رواه مسلم⁽¹⁾.

وعن ابن عمر - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن النجش⁽²⁾، رواه البخاري ومسلم⁽³⁾.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من حبس العنب زمن القطاف حتى يبيعه من يهودي أو نصراني أو من يعلم أنه يتخذه خمرا فقد تقدم على النار على بصيرة»⁽⁴⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة». رواه الترمذي وقال حسن غريب⁽⁵⁾.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، نهى رسول الله ﷺ عن بيع العرايا⁽⁶⁾، رواه مالك⁽⁷⁾.

وفي الصحيحين⁽⁸⁾ أيضا عن أبي مسعود الأنصاري - رَضِيَ الله عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي⁽⁹⁾ وحلوان الكاهن⁽¹⁰⁾.
وقال ﷺ: «لا تشتروا السمك في الماء فإنه غرر» رواه أحمد⁽¹¹⁾.

(1) أخرجه مسلم (2/1034، رقم 1414).

(2) النجش: أن يمدح الرجل السلعة ليروجها أو يزيدها في الثمن ولا يريد شراءها ولكن ليغتر بذلك غيره.

(3) البخاري 8/81، ومسلم 86/10 (3893).

(4) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (5/17، رقم 5619).

(5) أخرجه الترمذي (4/134، رقم 1566).

(6) العرايا: واحدها عَرِيَّة وهي النخلة يهبها صاحبها لرجل محتاج ويجعل له ثمرتها عامها، فرخص لرب النخل أن يشتري من الموهوب له ثَمَرَ تلك النخلة بتمر لموضع حاجته وفقره.

(7) الموطأ (1307).

(8) البخاري (2237، 2282، 5346، 5761)، ومسلم 312/10 (4092).

(9) البغي: الزانية التي تجاهر بالزنا وتكسب منه.

(10) حلوان الكاهن: ما يُعطاه من الأجر والرَّشوة على كَهَانَتِهِ.

(11) أخرجه أحمد (1/388، رقم 3676). وأخرجه أيضا الطبراني (9/321، رقم 9607)، قال الهيثمي =

الفصل السابع

في الربا

قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ يعني يوم القيامة من قبورهم ، ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾⁽¹⁾ أي : يصصره الشيطان من الجنون .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : «اجتنبوا السبع الموبقات»⁽²⁾ ، قالوا : يا رسول الله ، وما هن؟ قال : «الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف»⁽³⁾ ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»⁽⁴⁾ .

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : لعن رسول الله ﷺ أكل الربا

= (80/4) : رواه أحمد موقوفا ومرفوعا والطبراني في الكبير كذلك ورجال الموقوف رجال الصحيح وفي رجال المرفوع شيخ أحمد بن محمد بن السماك ولم أجد من ترجمه وبقيتهم ثقات . وأبو نعيم في الحلية (214/8) وقال : غريب المتن والإسناد . والبيهقي (5/340 ، رقم 10641) ، والخطيب (5/369) وقال : روى موقوفا على ابن مسعود وهو الصحيح . وأخرجه أيضًا : الدارقطني في العلل (5/275 ، رقم 878) ، وقال : الموقوف أصح . والديلمي (5/41 ، رقم 7396) .

(1) سورة البقرة ، الآية : 275 .

(2) الموبقات : الذنوب المهلكات .

(3) «التولي يوم الزحف» : الفرار يوم الحرب مع الكفار .

(4) أخرجه البخاري (3/1017 ، رقم 2615) ، ومسلم (1/92 ، رقم 89) . وأبو داود (3/115 ، رقم 2874) ، والنسائي (6/257 ، رقم 3671) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (12/371 ، رقم 5561) ، والبيهقي (6/284 ، رقم 2447) .

وموكله (1). رواه مسلم (2)، زاد الترمذي وغيره (3): وشاهديه وكاتبه (4).
وعن القاسم بن عبد الواحد الوراق قال: رأيت عبد الله بن أبي أوفى -
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في السوق في الصيارفة، فقال: يا معشر الصيارفة أبشروا. قالوا:
بشرك الله بالجنة بم بشرتنا يا أبا محمد؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا
بالنار». رواه الطبراني بإسناد لا بأس به (5).
وقال رسول ﷺ: «أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم
نعيمها: مدمن الخمر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه». رواه
الحاكم (6).
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الربا سبعون بابا، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه،
وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم» (7).

-
- (1) موكله: معطيه لمن يأخذه وإن لم يأكل منه نظرًا إلى أن الأكل هو الأغلب أو الأعظم.
(2) مسلم (3/1218، رقم 1597).
(3) الترمذي (3/512، رقم 1206)، وقال: حسن صحيح.
(4) أخرجه النسائي (8/147، رقم 5102)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/391، رقم 5507). وأخرجه
أيضًا: الطيالسي (ص 53، رقم 401)، وأحمد (1/430، رقم 4090)، وعبد الرزاق (3/144، رقم
5100)، وابن خزيمة (4/8، رقم 2250)، وأبو يعلى (9/157، رقم 5241)، وابن حبان (8/44، رقم
3252)، والطبراني في الشاميين (2/279، رقم 1338)، والشاشي (2/280، رقم 854)، والحاكم (1/545،
رقم 1430)، وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي (9/19، رقم 17569).
(5) قال الهيثمي في المجمع 4/138: رواه الطبراني في الكبير. والقاسم قال الذهبي: أظن تفرد عنه فضيل
ابن حسين الجحدري. قلت: ولم يضعفه أحد.
(6) أخرجه الحاكم (2/43، رقم 2260)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (4/397،
رقم 5530). قال المنذري (4/3): رواه الحاكم عن إبراهيم بن خثيم بن عراك، وهو واه عن أبيه عن
جده عن أبيه.
(7) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/394، رقم 5520) وقال: غريب بهذا الإسناد وإنما يعرف
بعبد الله بن زياد عن عكرمة وعبد الله بن زياد هذا منكر الحديث. قال المنذري (3/5): رواه
البيهقي بإسناد لا بأس به.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لِيَأْتِينَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرَّبَا ،
فَإِنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ بَخَارِهِ» . ويروى : «من غباره»⁽¹⁾ .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «ليلة أسري بي سمعت في السماء السابعة
فوق رأسي رعداً وصواعق ، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات
ترى من ظاهر بطونهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء ، فقال هؤلاء أكلة الربا»⁽²⁾ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة» .
رواه ابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد⁽³⁾ .

قيل : إن الله عز وجل ما أحل الربا في شريعة قط ، قال الله تعالى :
﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾⁽⁴⁾ .

وقال عطاء الخراساني - رَحِمَهُ اللَّهُ - إذا كان خمس كان خمس ؛ إذا أكل
الربا كان الخسف والزلزلة ، وإذا جار الحكام كان قحط المطر ، وإذا ظهر الزنا كان
الموت ، وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية ، وإذا تعدى على أهل الذمة كانت
الدولة⁽⁵⁾ .



(1) أخرجه أبو داود (243/3 ، رقم 3331) ، وابن ماجه (765/2 ، رقم 2278) ، والحاكم (2/13 ، رقم 2162) وقال : صحيح . والبيهقي (5/275 ، رقم 10252) .

(2) أخرجه ابن ماجه (2/763 ، رقم 2273) ، وأحمد (2/353 ، رقم 8625) قال الهيثمي (1/66) : فيه أبو الصلت لا يعرف ولم يرو عنه غير علي بن زيد . وأخرجه أيضاً : ابن أبي شيبة (7/335 ، رقم 36574) .

(3) أخرجه ابن ماجه (2/765 ، رقم 2279) .

(4) سورة النساء ، الآية : 161 .

(5) حلية الأولياء 5/199 .

الفصل الثامن

الحث على قضاء الدين

في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «مطل الغني ظلم»⁽¹⁾.
وعن أبي هريرة - رَضِيَ الله عَنْهُ - أن رجلا تقاضى رسول الله ﷺ فاعلظ له فهم به أصحابه ، فقال : «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ، واشتروا له بعيرا وأعطوه إياه» . قالوا : لا نجد إلا أفضل من سنه ، قال : «اشتروه فأعطوه إياه ؛ فإن خيركم أحسنكم قضاء»⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه»⁽³⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين»⁽⁵⁾.
وعن أبي أمامة - رَضِيَ الله عَنْهُ - مرفوعا : «من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات ، تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ، ومن تداين بدين وليس في نفسه

(1) أخرجه البخارى (2/799، رقم 2166) ومسلم (3/1197، رقم 1564) .

(2) أخرجه البخارى (2/845، رقم 2271) .

(3) أخرجه الترمذى (3/389، رقم 1078، 1079)، وابن ماجه (2/806، رقم 2413) .

(4) أخرجه البخارى (2/841، رقم 2257) .

(5) أخرجه مسلم (3/1502، رقم 1886) . وأخرجه أيضًا : البزار (6/425، رقم 2455)، وأبو عوانة (4/

469، رقم 7368)، والطبرانى فى الأوسط (9/136، رقم 9342)، والرافعى (1/244)، والبيهقى

(9/25، رقم 17604) من حديث ابن عمرو . وأخرجه الترمذى (4/175، رقم 1640) وقال :

غريب . من حديث أنس .

وفاءه ثم مات ، اقتص الله تعالى لغريمه يوم القيامة» رواه الحاكم⁽¹⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَدْعُو صَاحِبَ الدِّينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ فِيمَ أَضَعْتَ حَقَّ النَّاسِ؟ فِيمَ أَذْهَبْتَ أَمْوَالَهُمْ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ
لَمْ أَفْسِدْهُ وَلَكِنْ أَصَبْتُ إِمَّا غَرَقًا وَإِمَّا حَرَقًا ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَحَقُّ مِنْ قَضَى
عَنْكَ الْيَوْمَ ، فَيَرْجِحُ حَسَنَاتِهِ عَلَى سَيِّئَاتِهِ ، فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ»⁽²⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ الدِّينَ يَقْتَصُّ مِنْ صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا مَاتَ ، إِلَّا
مَنْ تَدَايَنَى فِي ثَلَاثٍ خِلَالِ : الرَّجُلُ تَضَعُ قُوَّتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَسْتَدِينُ يَتَّقُوهُ بِهِ
لِعَدْوِ اللَّهِ وَعَدْوِهِ ، وَرَجُلٌ يَمُوتُ عِنْدَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ لَا يَجِدُ مَا يَكْفُنُهُ فِيهِ وَيُؤَارِيهِ إِلَّا
بِدَيْنٍ ، وَرَجُلٌ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الْعِزَّةَ فَيَنْكَحُ خَشْيَةَ عَلَى دِينِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَنْ
هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

وقال رسول الله ﷺ : «إِنَّهُ لَيَكُونُ لِلْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا دَيْنٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ يَتَعَلَّقَانِ بِهِ فَيَقُولُ : إِنِّي وَلَدُكُمَا ، فَيُودَانِ أَوْ يَتَمَنِّيَانِ لَوْ كَانَ أَكْثَرُ مِنْ
ذَلِكَ»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الدِّينُ رَايَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَذِلَّ عَبْدُهُ
ابْتَلَاهُ بِالدِّينِ وَجَعَلَهُ فِي عُنْقِهِ»⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالدِّينَ فَإِنَّهُ هُمْ بِاللَّيْلِ وَمِثْلُهُ بِالنَّهَارِ»⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الحاكم (28/2 ، رقم 2206) .

(2) أخرجه الطيالسي 173/4 (1410) ، وأبو نعيم في الحلية 4/141 .

(3) أخرجه الطبراني (219/10 ، رقم 10526) .

(4) أخرجه الحاكم (29/2 ، رقم 2210) .

(5) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (404/4 ، رقم 5554) .

باب
التحذير من أكل الحرام
والحث على الورع وتوقي الشبهات

وفيه فصلان :

الفصل الأول

في التحذير من أكل الحرام

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾⁽¹⁾ ، وقال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾⁽²⁾ . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ؛ فأنى يستجاب لذلك . رواه مسلم⁽³⁾ .

قال رسول الله ﷺ : «لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره ، إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يحق السيئ بالسيئ ، ولكن يحق السيئ بالحسن ، إن الخبيث يمحو الخبيث»⁽⁴⁾ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أو من الحرام»⁽⁵⁾ .

(1) سورة المؤمنون ، الآية : 51 .

(2) سورة البقرة ، الآية : 172 .

(3) أخرجه مسلم (703/2) ، رقم (1015) .

(4) أخرجه أحمد (387/1) ، رقم (3672) ، والحاكم (182/4) ، رقم (7301) وقال : صحيح الإسناد .

والبيهقي في شعب الإيمان (395/4) ، رقم (5524) . وقال الهيثمي (53/1) : رجال إسناده بعضهم

مستور ، وأكثرهم ثقات . وقال في (228/10) : رجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف . والعدي في

الإيمان (ص 127 ، رقم 64) .

(5) أخرجه البخاري (1954) .

وعن النبي ﷺ قال : «إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل»⁽¹⁾. فقيل : الصرف النافلة والعدل الفريضة .
وقال رسول الله ﷺ : «كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»⁽²⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من لم يسأل : من أين اكتسب المال؟ لم يبال الله من أين يدخله النار»⁽³⁾.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من أصاب مالا من مآثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفق في سبيل الله ، جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار»⁽⁴⁾.
وقال سفيان الثوري : من أنفق من الحرام في طاعة الله ، كان كمن طهر الثوب بالبول ، والثوب لا يطهره إلا الماء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال .
وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام .



(1) ذكره الغزالي في الإحياء 1/ 234.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (5/ 56)، رقم (5760) .

(3) أخرجه الديلمي عن ابن عمرو - كما في جمع الجوامع (6584) .

(4) أخرجه ابن المبارك (1/ 221)، رقم (625)، وابن عساكر (208/49) .

الفصل الثاني

في الحث على الورع وتوقي الشبهات

قال رسول الله ﷺ: «إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». رواه البخاري ومسلم (1).

وعن الحسن بن علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح (2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه» (3). وفي رواية: «زهده الله في الدنيا». وروي أن سعدا سأل رسول الله ﷺ أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة، فقال له: «أطب طعمتك تستجب دعوتك» (4).

(1) أخرجه البخارى (28/1)، رقم 52، ومسلم (3/1219، رقم 1599).

(2) أخرجه الترمذى (4/668، رقم 2518)، والنسائى (8/327، رقم 5711).

(3) أخرجه ابن عدي (307/5) ترجمة 1457 عبد الملك بن مهران) وقال: هذا متنه منكر، وعبد الملك بن مهران له غير ما ذكرت، وهو مجهول ليس بالمعروف. قال الذهبي فى ميزان الاعتدال (4/413)، ترجمة (5260): هذا باطل أيضاً.

ولفظه: «مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ».

(4) أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (10/291) قال الهيثمى: فيه من لم أعرفهم. وأخرجه=

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «خير دينكم الورع»⁽¹⁾.

وروي أن الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - شرب لبنا من كسب عبده ، ثم سأل عبده فقال : تكهنت لقوم فأعطوني . فأدخل أصبعه في فيه وجعل يقيء حتى كادت نفسه أن تخرج ، ثم قال : اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء⁽²⁾.

وفي بعض الأخبار أنه ﷺ أخبر بذلك فقال : «وما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيب» .

وكذلك شرب عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - من إبل الصدقة غلطا ، فأدخل أصبعه وقاءه .

وقال إبراهيم بن أدهم - رَحِمَهُ اللَّهُ - : لم يدرك من أدرك إلا من يعقل ما يدخل جوفه . ويقال : من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه .

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللَّهُ -⁽³⁾ : وهو تأويل قوله تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁽⁴⁾.

وقال أبو بكر الوراق : تهت في تيه بني إسرائيل خمسة عشر يوما ، فلما وافيت الطريق استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء ، فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة .

وقيل : خاطت رابعة - رحمها الله - شقا في قميصها في ضوء مشعل

=أيضًا : الطبراني في الأوسط (6/310 ، رقم 6495) .

(1) أخرجه البزار (7/371 ، رقم 2969) ، والطبراني في الأوسط (4/197 ، رقم 3960) ، والحاكم (1/171 ، رقم 317) .

(2) إحياء علوم الدين 1/437 .

(3) إحياء علوم الدين 1/437 .

(4) سورة المطففين ، الآية : 14 .

السلطان ، ففقدت قلبها زمنا حتى تذكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها .
وقيل لبشر - رَحِمَهُ الله - : من أين تأكل؟ فقال : من حيث تأكلون ، ولكن
ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك .
وقال : يد أقصر من يد ، ولقمة أصغر من لقمة .
وروي عن بعضهم أنه كان عند محتضر فمات ليلا ، فقال : أطفئوا السراج ،
فقد حدث للورثة حق في الدهن .
واشترى ابن سيرين أربعين حبا سمنا فأخرج غلامه فأرة من حب ، فسأله من
أي حب أخرجتها؟ فقال : لا أدري ، فصبها كلها .
ويحكى أن أبا حنيفة كان لا يجلس في ظل شجرة غريمه ، ويقول : في
الخبر : « كل قرض جر نفعا فهو ربا .
وقيل : إن أبا يزيد غسل ثوبا في الصحراء مع صاحب له ، فقال صاحبه :
نعلق الثوب في جدران الكرم؟ فقال : لا . فقال نغرز الوتد في الجدار؟ قال : لا
نغرضه في جدران الناس . فقال : نعلقه في الشجر؟ فقال : لا إنه يكسر الأغصان .
فقال : نبسطه على الأرض ، فقال : لا لأنه علف الدواب لا نستره عنها . فولى
ظهره إلى الشمس والثوب على ظهره حتى جف جانب ، ثم قلبه حتى جف
الجانب الآخر .
وقيل إن أبا يزيد - رَحِمَهُ الله - دخل يوما الجامع فغرز عصاه في الأرض
فسقطت ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه في الأرض ، فانحنى الشيخ
وأخذ عصاه ، فمضى أبو يزيد إلى ذلك الشيخ واستحله ، وقال : بسبب عصاي ،
حيث احتجت إلى أن تنحني .
وروي عتبة الغلام يتصبب عرقا في الشتاء ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنه
مكان عصيت فيه ربي ، فسئل عنه فقال : كشطتُ من هذا الجدار قطعة طين ،

عَسَل ضَيْفٌ لِي يَدِهِ وَلَمْ أَسْتَحِلْ صَاحِبَهُ (1).

وقال إبراهيم بن أدهم - رَحِمَهُ اللهُ - : بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس ، فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه : من ههنا؟ فقال الآخر : إبراهيم بن أدهم . قال : ذاك الذي حط الله درجة من درجاته! فقال لم؟ قال : إنه اشترى بالبصرة التمر فوقعت ثمرة على تمره من تمر البقال ، قال إبراهيم : فمضيت إلى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل ، وأوقعت ثمرة على تمره ، ورجعت إلى بيت المقدس وبت في الصخرة ، فلما كان بعض الليل إذا أنا بملكين نزلا من السماء ، فقال أحدهما لصاحبه من ههنا؟ فقال الآخر : إبراهيم بن أدهم ، فقال ذاك الذي رد إلى مكانه ورفعت درجته (2)!

وقيل : جاءت أخت بشر بن الحارث الحافي إلى أحمد بن حنبل ، وقالت : إنا نَغْزِلُ على سطوحنا ، فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا ، أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟ فقال لها أحمد : من أنت عافاك الله؟ قالت : أخت بشر الحافي ، فبكى أحمد وقال : من بيتكم يخرج الورع الصادق ، لا تغزلي في شعاعها (3).

وقال علي بن القطان (4) : مررت بالبصرة في بعض الشوارع ، فإذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون ، فقلت : أما تستحون من هؤلاء المشايخ؟ فقال صبي من بينهم : هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هييتهم (5).

وقيل : إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة فلم يصح له أن يأكل

(1) الرسالة القشيرية ، ص 52 .

(2) الرسالة القشيرية ، ص 52 .

(3) الرسالة القشيرية ، ص 53 .

(4) في الرسالة القشيرية : «العطار» .

(5) الرسالة القشيرية ، ص 53 .

من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه ، وكان إذا انقضى وقت الرطب قال : يا أهل البصرة ، هذا بطني ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم⁽¹⁾.
وكان الحارث المحاسبي إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال⁽²⁾.

وقال كهمس : أذنبت ذنبا أبكي عليه من أربعين سنة ؛ وذلك أنه زارني أخ لي فاشتريت بدائق سمكة مشوية ، فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جار لي حتى غسل يده ولم أستحله ، وكان رجل يكتب رقعة وهو في بيت بكراء ، فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت ، فخطر بباله أن البيت بالكراء ، ثم إنه خطر بباله أنه لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفًا يقول : سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من الهول عند الحساب⁽³⁾.

ورهن أحمد بن حنبل سطلا له عند بقال بمكة - حرسها الله تعالى - فلما أراد فكاهه أخرج البقال سطلين وقال : خذ أيهما لك . فقال أحمد : أشكل علي سطلاي فهو لك والدرهم لك . فقال البقال : سطلك هذا ، وأنا أردت أن أختبرك . فقال : لا آخذ . ومضى وترك السطل عنده⁽⁴⁾.

وقيل : سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة ، فصلى صلاة الظهر فرتعت في قرية سلطانية ، فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها ، وقيل : رجع أيضا من مرو إلى الشام في قلم استعاره فلم يرده إلى صاحبه ، واستأجر النخعي دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع وأخذ السوط ، فقيل له : لو حولت الدابة إلى

(1) الرسالة القشيرية ، ص 53.

(2) الرسالة القشيرية ، ص 53.

(3) الرسالة القشيرية ، ص 54.

(4) الرسالة القشيرية ، ص 54.

الموضع الذي سقط فيه السوط فأخذته؟ فقال : إنما استأجرتها لأمضي هكذا لا هكذا⁽¹⁾.

وكان الحسن بن أبي سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا ستين سنة ، فرؤي في المنام بعدما مات فقيل له : ما فعل الله بك؟ فقال خيرا إلا أنني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها⁽²⁾.



(1) الرسالة القشيرية ، ص 54.

(2) الرسالة القشيرية ، ص 54.

**كتاب الترغيب في الحكم وعنه
والتحذير من الظلم**

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول

في الترغيب فيه

في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» (1).

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال : «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وما ولوا» (2).
قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة ، أي : كانت لهم عليهم ولاية .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» (3).

قال الشيخ محيي الدين النووي - رَحِمَهُ اللهُ - (4) قال العلماء أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم فإن أصاب فله أجران أجر باجتهاد وأجر بإصابته وإن أخطأ فله أجر اجتهد ، وفي الحديث محذوف

(1) أخرجه البخارى (1/234 ، رقم 629) ، ومسلم (2/715 ، رقم 1031) .

(2) أخرجه مسلم (3/1458 ، رقم 1827) .

(3) أخرجه البخارى (6/2676 ، رقم 6919) ، ومسلم (3/1342 ، رقم 1716) .

(4) شرح صحيح مسلم 6/148 .

تقديره : إذا أراد الحكم فاجتهد . قالوا : فأما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم فإن حكم فلا أجر له بل هو آثم ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا ؛ لأن إصابته اتفاقية غير صادرة عن أصل شرعي فهو عاص في جميع أحكامه سواء وافق الصواب أم لا ، وهي مردودة كلها ولا يعذر فيها شيء من ذلك ، وقد جاء في حديث في السنن : «القضاة ثلاثة قاض في الجنة واثنان في النار ، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة وقاض عرف الحق فقضى بخلافه فهو في النار وقاض قضى عن جهل فهو في النار»⁽¹⁾.



(1) أخرجه أبو داود (3/299، رقم 3573)، والترمذي (3/613، رقم 1322)، والنسائي في الكبرى (3/461، رقم 5922)، وابن ماجه (2/776، رقم 2315).

الباب الثاني

في الترغيب عن الحكم

قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة». رواه البخاري⁽¹⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإنني أحب لك ما أحب نفسي لا تؤمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم» رواه مسلم⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ويل للآمر ويل للعرفاء ويل للأمناء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض ولم يكونوا عملوا على شيء»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ليأتين على القاضي العدل ساعة يوم القيامة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في قمرة قط»⁽⁴⁾.

قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يلي عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله يوم القيامة يداه إلى عنقه فكه عدله أو أوبقه إنهم أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة»⁽⁵⁾.

(1) أخرجه البخاري (2613/6)، رقم (6729).

(2) أخرجه مسلم (1457/3)، رقم (1826)، وأبو داود (114/3)، رقم (2868)، والنسائي (255/6)، رقم (3667).

(3) أحمد (352/2)، رقم (8612).

(4) أخرجه أحمد (75/6)، رقم (24508).

(5) أخرجه الطبراني (172/8)، رقم (7720). وأخرجه أيضاً: أحمد (267/5)، رقم (22354) قال الهيثمي (205/5): فيه يزيد بن أبي مالك، وثقه ابن حبان وغيره، وبقية رجاله ثقات.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين»⁽¹⁾.
 قال ابن الصلاح : معناه والله أعلم فقد ذبح من حيث المعنى لا من حيث الصورة ؛ وذلك أنه بين عذاب الدنيا إن رشد وعذاب الآخرة إن فسد .
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «اللهم من ولي من أمر هذه الأمة شيئاً فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه»⁽²⁾.
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة»⁽³⁾.
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة»⁽⁴⁾.
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» قالوا يا رسول الله أفلا نناذبهم قال : «لا ما أقاموا فيكم الصلاة»⁽⁵⁾.
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يا كعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي»⁽⁶⁾.
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من استعمل رجلاً من عصابة»⁽⁷⁾ وفيهم من هو أرضى

(1) أخرجه أبو داود (298/3) رقم (3571) ، والترمذى (614/3) ، رقم (1325) .

(2) أخرجه أحمد (93/6) ، رقم (24666) ، ومسلم (1458/3) ، رقم (1828) .

(3) أخرجه مسلم (126/1) ، رقم (142) .

(4) أخرجه أبو داود (135/3) ، رقم (2948) .

(5) أخرجه مسلم (1482/3) ، رقم (1855) . وأخرجه أيضاً : أحمد (24/6) ، رقم (24027) .

(6) أخرجه أحمد (321/3) ، رقم (14481) .

(7) العصابة : الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين .

لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين». صححه الحاكم⁽¹⁾.

وروى عن عبد الله بن عمر - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - قال : تضرعت إلى ربي سنة أن يريني أبي في المنام حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه ، فسألته فقال : لولا رحمة الله لهلك أبوك . إنه سألني عن عقاب بعير الصدقة ، وعن حياض الإبل ، فكيف عن الناس؟ فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه فقال : فعل هذا بالتقي الطاهر ، فكيف باین المترف عمر بن عبد العزيز؟

وقال : أسلم رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب - رَضِيَ الله عَنْهُ - وهو يطوف مع العسس فتبعته وقلت : أتأذن لي في صحبتك؟ فقال : نعم . فلما خرجنا من المدينة رأينا نارا من بعد ، فقلنا : ربما يكون مسافرا ، فقصدنا النار فرأينا امرأة أرملة ومعها ثلاثة أطفال وهم يكون وقد وضعت لهم قدرا على النار ، وهي تقول : إلهي أنصفي من عمر وخذ لي منه بالحق ، فإنه شعبان ونحن جياع ، فلما سمع عمر ذلك الكلام تقدم وسلم عليها وقال : أتأذنين لي من الدنو إليك؟ فقالت : إن دنوت بخير فباسم الله ، فتقدم عمر إليها وسألها عن حالها وحال أطفالها ، فقالت : نعم وصلت وهؤلاء الأطفال معي من مكان بعيد وأنا جائعة والأطفال جياع ، وقد بلغ مني ومنهم الجوع ومنهم الهجوع ، فقال عمر : وأي شيء في هذا القدر؟ فقالت : تركت فيها ماء أشاغلهم به ليظنوا أنه طعام فيصبروا ، قال : فعاد أمير المؤمنين عمر فقصد دكانا يباع الدقيق فيها فابتاع منه ملء جراب ومضى إلى دكان قصاب فابتاع منه دسما ، ثم وضع الجميع على كاهله ومضى حتى انتهى إلى المرأة والأطفال ، فقلت يا أمير المؤمنين ناولنيه لأحمله عنك فقال إن حملته عني فمن يحمل ذنوبي عني يوم القيامة؟ ومن يحول بيني وبين دعاء تلك

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک 4/ 104.

المرأة علي؟ وجعل يسعى وهو يبكي إلى أن وصل إلى المرأة فقالت جزاك الله عني خير الجزاء، فأخذ عمر جزءا من الدقيق وشيئا من الدسم ووضعها في القدر وجعل يوقد النار فكلما أرادت أن تخدم نفخها وكان الرماد يسقط على محاسنه ووجهه حتى انطبخت القدر، فوضع الطبخ في القصعة وقال للأطفال كلوا، فأكلت المرأة والأطفال وقال عمر أيتها المرأة لا تدعي على عمر فإنه لم يكن له منك ولا من أطفالك خبر.



الباب الثالث

في طرف مما ورد عن السلف من كراهية الولاية

روى أحمد في المسند أن عثمان قال لابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُم - : اقض بين الناس . فقال : لا أقضي بين اثنين ولا أؤم رجلين ؛ أنا سمعت النبي ﷺ يقول : «من عاذ بالله عاذ بمعاذ»⁽¹⁾ . فقال عثمان : بلى . قال : إني أعوذ بالله أن تستعملني ، فأعفاه ، وقال : لا تخبر بهذا أحدا .

وروي أن أبا ذر طُلب للقضاء فهرب ، فقيل له : لو وليت وقضيت بالحق؟ فقال : من يقع في البحر إلى كم يسبح؟

وروى القاضي أبو الطيب الطبري أن المأمون⁽²⁾ كتب إلى الشافعي يستدعيه ليؤليه القضاء في الشرق والغرب ، فأبى ودعا بالمنزني في مرض موته ونهاه عن تولي القضاء وأظهر له كتاب المأمون وقال : لم أظهره لأحد غيرك .

وروى الخطيب في تاريخ بغداد وغيره أن المنصور طلب أبا حنيفة للقضاء فأبى فحلف المنصور ليفعلن ، وحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل ، فقال له الربيع : يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت! فقال : أمير المؤمنين أقدر على كفارة يمينه مني ، فحبسه المنصور أياما ثم أحضره فقال له أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ، أنا لا أصلح للقضاء فإن كنتُ صادقا فلا أصلح ، وإن كنت كاذبا فلا أصلح للكذب ، فرده

(1) أخرجه أحمد (66/1) ، رقم (475) .

(2) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، أبو العباس ، أو أبو جعفر ، كان على مذهب الاعتزال ، وفي عهده كانت مشكلة خلق القرآن ، توفي سنة 218 هـ . ترجمته في تاريخ بغداد 283/10 ، والإنباء في تاريخ الخلفاء ص 96 . وسير أعلام النبلاء 72/10 .

إلى السجن وضربه بالسياط ، فلم يل ، فأطلقه (1).

وروي أنه مات في السجن ، ويروى أن الخليفة كتب إلى أمير البصرة أن اختر رجلين وأنفذهما إلي لَأُولَى أَحَدَهُمَا الْقَضَاء ، فوقع الاختيار على القاسم بن ربيعة الجوشني ، وإياس بن معاوية المزني ، فأحضرا فقال : إني بعثت إليكما لأُقلد أحدكما القضاء فتقدم القاسم وقال : يا أمير المؤمنين ، والله الذي لا إله إلا هو إن إياسا أصلح للقضاء ، وأنفذ فيه مني ، فإن كنت عندك صادقاً فقلده بيمني ، وإن كنت كاذباً فلا يحل أن يلي أمور المسلمين من يبارز الله بمثل هذه اليمين . فقال الخليفة لإياس : ما تقول فيما قال؟ فقال : إنك جئت بي إلى شفير جهنم ففدى نفسه بيمين حائثة يستغفر الله ويتوب إليه منها ، فقال له الخليفة : فطنت لها ، أنت لها فولاه (2).

وفي كتاب عقلاء المجانين تأليف أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري أن الخليفة كتب إلى عبد الله بن وهب في قضاء مصر فجن بنفسه ولزم بيته ، فاطلع عليه رشيد بن أبي سعد وهو يتوضأ في صحن داره فقال يا أبا محمد ألا تخرج إلى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وقد جبت نفسك ولزمت بيتك؟ فرفع إليه رأسه فقال إلى هنا انتهى عقلك ، أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء وأن القضاة يحشرون مع السلاطين . وذكر ابن حبيب عن أبي معشر أن رجلاً آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقي واحد فخرج على أن يسأل أول من يطرأ عليه فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم وسود وجهه وركب قصبة وأخذ رمحه فسلم عليه وقال مسألة فقال سل ما يعينك وإياك وما لا

(1) تاريخ بغداد 4/ 452.

(2) المستجاد من فعلات الأجواد 52.

يعنيك وأحذر رمحة هذا الفرس . قال : فقلت : مجنون والله . ثم قلت : إني رجل لقيت من النساء بلاء وآليت ألا أتزوج حتى أستشير مائة نفس وأنت تمام المائة فقال اعلم أن النساء ثلاثة واحدة لك وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك فأما التي لك فشاباة طرية لم تمس الرجال فهي لك لا عليك إن رأيت خيرا حمدت وإن رأيت شرا قالت كل الرجال على مثل ذلك وأما التي عليك لا لك فامرأة ذات ولد من غيرك فهي تسليخ الزوج وتجمع لولدها وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك إن رأيت خيرا قالت هكذا يجب وإن رأيت شرا حنت إلى زوجها الأول قال فقلت نشدتك الله ما الذي غير من أمرك ما أرى قال ألم أشرط عليك أن لا تسأل عما لا يعنيك فأقسمت عليه فقال إني رشحت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء . وذكر ابن حبيب أن المنصور دعا أبا حنيفة والثوري ومسعرا وشريكا ليوليهم القضاء فقال أبو حنيفة أنا أخمن فيكم تخميننا أما أنا فاحتال فأتخلص وأما مسعر فيتجانن فيتخلص وأما سفيان فيهرب وأما شريك فيقع فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى ومع ذلك فإني لا أصلح لهذا الأمر فإن كنت صادقا في قلبي فلست أصلح وإن كنت كاذبا فلا يجوز أن يولى كاذب دماء المسلمين وفروجهم ، وأما سفيان فأدركه شخص في طريق فذهب لحاجته وانصرف والشخص منتظر فراغه فبصر سفيان سفينة فقال للملاح : إن مكنتني من سفينتك وإلا أذبح . تأول قول النبي ﷺ : «من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين»⁽¹⁾ . فأخذه الملاح تحت المباري ، وأما مسعر فدخل على المنصور فقال القضاء يدك كيف أنت وأولادك ودوا بك فقال أخرجوه فإنه مجنون ، وأما شريك فقال له المنصور تقلد القضاء وعليك بالعصيد والنبيد الشديد حتى يرجع عقلك

(1) سبق تخريجه .

فتقلد فهجره الثوري وقال أمكنك الهرب فلم تهرب وهذا هو شريك بن عبد الله
النخعي الكوفي أحد الأعلام⁽¹⁾.



(1) عقلاء المجانين 11، 12.

الباب الرابع

في التحذير من الظلم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾⁽¹⁾. وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾⁽²⁾.

وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»⁽³⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». رواهما مسلم⁽⁴⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين»⁽⁵⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إن الله يملئ للظالم فإذا أخذه لم يفلته»⁽⁶⁾ ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة إبراهيم، الآية: 42.

(2) سورة غافر، الآية: 18.

(3) أخرجه أحمد (3/ 323، رقم 14501)، والبخاري في الأدب (1/ 170، رقم 483) ومسلم (4/ 1996، رقم 578).

(4) أخرجه أحمد (2/ 235، رقم 7203)، ومسلم (4/ 1997، رقم 2582)، والترمذي (4/ 614، رقم 2420) وقال: حسن صحيح.

(5) أخرجه البخاري (3/ 1167، رقم 3023)، ومسلم (3/ 1231، رقم 1612).

(6) أخرجه البخاري (4/ 1726، رقم 4409)، ومسلم (4/ 1997، رقم 2583).

(7) سورة هود، الآية: 102.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لمعاذ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لما بعثه إلى اليمن : «إياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» . روى هذه الثلاثة البخاري ومسلم .

وقال ﷺ : «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فحمل عليه» . رواه البخاري (1).

وقال ﷺ : «أندرون من المفلس؟» قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فئت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» . رواه مسلم (2).

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار» (3). قوله : «ألحن» . أي : أعلم .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار» . قيل : يا رسول الله ، وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال : «وإن كان قضياً من أراك» . رواه مسلم (4).

وقال ثوبان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي

(1) البخاري 9/ 111.

(2) أحمد (2/ 334 ، رقم 8395) ، ومسلم (4/ 1997 ، رقم 2581) .

(3) أخرجه البخاري (2/ 952 ، رقم 2534) ، ومسلم (3/ 1337 ، رقم 1713) .

(4) أخرجه مسلم (1/ 122 ، رقم 137) .

- والرائش ويعني بالرائش الماشي بينهما⁽¹⁾.
- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله تعالى»⁽²⁾.
- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»⁽³⁾.
- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من ولي أمور المسلمين ولم يحفظهم كحفظه أهل بيته فقد تبوأ مقعده من النار».
- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لأنتقم من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقم من رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل»⁽⁴⁾.
- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يدخل الجنة صاحب مكس»⁽⁵⁾.
- وفي الحديث في الزانية التي طهرت نفسها بالرجم: «لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له - أو قبلت منه»⁽⁶⁾.
- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده»⁽⁷⁾.

(1) أخرجه أحمد (2/387، رقم 9011)، والترمذي (3/622، رقم 1336) وقال: حسن صحيح. وابن حبان (11/467، رقم 5076)، والحاكم (4/115، رقم 7067).

(2) أخرجه الحاكم (4/100، رقم 7008).

(3) أخرجه أحمد (2/358، رقم 8677)، والبخاري (2/776، رقم 2114).

(4) أخرجه الطبراني في الأوسط (1/15، رقم 36).

(5) أخرجه أحمد (4/143، رقم 17333)، وأبو داود (3/132، رقم 2937).

(6) أخرجه مسلم (3/1323، رقم 1695).

(7) أخرجه أحمد (2/517، رقم 10719)، وأبو داود (2/89، رقم 1536)، والترمذي (5/502، رقم 3448).

قال العلماء : معنى «على» هنا اللام يعني : لولده . وذكر ابن عبد السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾⁽¹⁾ . أن النبي ﷺ قال : «اللهم لا تقبل دعاء حبيب على حبيبه» .

حكاية :

قال الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - في نصيحة الملوك يقال : إنه كان في بني إسرائيل رجل يصيد السمك ويقوت من صيده أطفاله وزوجته فكان بعض الأيام يصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها وقال أمضي بهذه السمكة إلى السوق فأبيعها وأخرج ثمنها في نفقة العيال فلقية بعض العوانية في طريقه فقال له تبيع : هذه السمكة؟ فقال في نفسه : إن قلت : لا . أهانني ، وإن قلت : نعم . أخذها بنصف ثمنها! فقال له : ما أبيعها فغضب العواني وضربه بخشبة كانت معه على صلبه ضربة فوجعته وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال إلهي خلقتني فقيرا ضعيفا وخلقته غنيا قويا اللهم فخذ بحقي منه في هذه الدنيا فإني لا أصبر إلى الآخرة ثم إن ذلك الغاصب انطلق بالسمكة إلى منزله وسلمها زوجته وأمرها بأن تشويها فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة ومد يده ليأكل منها ففتحت السمكة فاهها ونكرت أصبعه نكرة سلبت قراره وأزالت لشدة نكرتها اضطباره فشكا حاله إلى الطبيب فقال له ينبغي أن تقطع هذه الأصبع لئلا يسري الألم إلى جميع اليد فقطع أصبعه فانتقل الوجع إلى الكف وزاد الألم وارتعدت من جوفه فرائضه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد من المعصم لئلا يسري الألم إلى الساعد فقطع يده من المعصم فانتقل إلى الساعد فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع الساعد لئلا يسري الألم إلى الكتف ويوجع فخرج

(1) سورة يونس ، الآية : 11.

هاربا على وجهه داعيا إلى ربه - عز وجل - ليكشف ما قد نزل به فرأى شجرة فاتكأ إليها فأخذه النوم فرقد ، فرأى قائلا يقول له : يا مسكين إلى كم تقطع يدك عضوا بعد عضو ، امض وأرض خصمك الصياد ، فانتبه من النوم فذكر وقال : أنا أخذت السمكة غضبا وأوجعت الصياد ضربا ، وهي التي نكرتني فنهض وقصد المدينة وطلب الصياد فوجده ، فوقع على أقدامه يقبلها والتمس الإقالة من ذنبه ، وأعطاه شيئا من ماله وتاب من فعله ورضي خصمه ، ففي الحال سكن ألمه وبات تلك الليلة على فراشه وتاب وأقلع عما كان يصنع ونام على توبة خالصة ففي اليوم تداركه رحمة ربه ورد يده كما كانت بقدرته فنزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى وعزتي وجلالي وعظمتي لولا أن الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته (1).

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : «خمسة قد غضب الله عليهم وإن شاء أمضى غضبه ومصيرهم إلى النار : أمير قوم يأخذ حقه منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعونه وهو لا يسوي بين القوي والضعيف ويحكم بالميل والمحاباة ورجل لا يأمر أهله وأولاده بطاعة الله ولا يعلمهم أمور الدين ولا ييالي من أين أطعمهم ورجل استأجر أجيرا فتمم عمله ومنعه أجرته وظالم ظلم زوجته في صداقها» .

وفي الخبر : «الدواوين ثلاثة ديوان يغفر ، وديوان لا يغفر ، وديوان لا يترك ؛ فأما الديوان الذي يغفر فذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى ، وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك ، وأما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد» (2). أي : لا بد أن

(1) التبر المسبوك في نصيحة الملوك 16 - 18.

(2) أخرجه أحمد (6/240 ، رقم 26073) ، قال الهيثمي (10/348) : فيه صدقة بن موسى ، وقد ضعفه الجمهور ، وكان صدوقا ، وبقيّة رجاله ثقات . والحاكم (4/619 ، رقم 8717) وقال : صحيح =

يطالب بها .

وحكي عن أبي بكر الوراق - رَحِمَهُ الله - أنه قال : أكثر ما ينزع الإيمان من العبد إنما ينزع عند الموت . قال : فنظرنا في الذنوب فلم نجد ذنباً أسرع نزعا للإيمان من ظلم العباد .

قال سفيان الثوري - رَحِمَهُ الله - لأن تلقى الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه ، أهون عليك من أن تلقاه بذنب فيما بينك وبين العباد .

وقال ابن زيد - رَحِمَهُ الله - في قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁽¹⁾ . أي : نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه وبذله ، قال : ويدخل في الآية جميع من يظلم ؛ كالظالم يظلم الرعية ، أو التاجر يظلم الناس في تجارته ، أو السارق وغيرهم .

وقال الفضيل بن عياض - رَحِمَهُ الله - إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجباً .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «من أعان ظالماً سلطه الله عليه»⁽²⁾ . وروي عنه ﷺ أنه قال : «لا تمكروا ولا تعينوا مأكراً فإن الله تعالى يقول ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾»⁽³⁾ ، ولا تبغوا ولا تعينوا باغياً يقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾»⁽⁴⁾ .

وحكي عن رجل من أهل العلم أنه قال : كان عندنا رجل يعين الظلمة

=الإسناد . قال المناوي (552/3) : رده الذهبي بأن صدقة ضعفوه ، وابن بابنوس فيه جهالة .

وأخرجه أيضاً : البيهقي في شعب الإيمان (52/6) ، رقم (7473) .

(1) سورة الأنعام ، الآية : 129 .

(2) أخرجه ابن عساكر (4/34) .

(3) سورة فاطر ، الآية : 43 .

(4) سورة يونس ، الآية : 23 .

المكاسين ويخدمهم فمات ، فرأيته في النوم في حالة شنيعة فقلت : من أين جئت؟ قال : لا تسأل . فألححت عليه فقال : من الجحيم . فقلت كيف لقيته؟ قال : عذابا شديدا ونكالا عظيما ، فأنذر الظلمة وحذرهم عذاب الجحيم . فهذا حال أعوانهم فكيف حالهم؟

قال الحسن : من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه . وقال وهب بن منبه : إذا هم الوالي بالجور ، أو عمل به أدخل الله تعالى النقص في أهل مملكته في الزرع والضرع والثمر وكل شيء ، وإذا هم بالعدل والخير أو عمل به أدخل الله تعالى البركة في أهل مملكته . وقال الثوري - رَحِمَهُ الله - لأبي جعفر المنصور : إن صلحت صلح الناس ، وإن فسدت فسدوا .

روى الإمام أحمد بإسناده أنه وجد في بعض خزائن بني أمية صرة فيها حنطة أمثال نوى التمر مكتوب عليها : هذا كان ينبت أيام العدل .

حكايات ذكرها الإمام أبو حامد - رَحِمَهُ الله - في نصيحة الملوك :

الأولى : عن ابن عباس - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - أنه قال : كان ملك من الملوك يخرج مستخفيا ليعلم أخبار مملكته فنزل على رجل عنده بقرة تحلب حلاب ثلاثين بقرة ، فلما أصبح حدث نفسه بأخذها فلم تحلب إلا الشيء اليسير الذي لا قدر له ، فقال له الملك : ما بال حلابها ، أنقص من عادتها أرعت في غير موضعها الذي كانت فيه قال : لا ، ولكن ملكنا أظنه هم بالجور فنقص لبنها فإن الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة ، فعاهد الله تعالى الملك في نفسه ألا يأخذها ولا يظلم ، فراحت بين الظعن فحلبت مثل عادتها الأولى فتاب الملك إلى الله عز وجل .

الحكاية الثانية :

حدث عن راع كان لمحمد بن أبي عيينة قال : كنا نرعى الشياه بكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وكانت الشياه والذئاب والوحوش ترعى في موضع واحد ، فبينما نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة فأخذها فقلنا : ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك في هذه الليلة ، قال حماد : فحدثني هو وغيره أنهم ساروا أو استخبروا فوجدوه هلك في تلك الليلة .

الحكاية الثالثة :

من المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه أن امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وأن قصبة منها تعصر قدحا وكان في الحديقة أيضا رمان قد ذكر عنه أيضا أن رمانة واحدة تعصر قدحا فعزم على أخذها منها ثم أتاها وهي لا تعرفه فسألها عن ذلك فقالت نعم ثم إنها عصرت قصبة ورمانة فلم تبلغ على أخذها منها ثم أتاها وهي لا تعرفه فسألها عن ذلك فقالت نعم ثم إنها عصرت قصبة ورمانة فلم تبلغ كل واحدة نصف قدح فقال لها وأين الذي يقال فقالت هو الذي بلغك إلا أن يكون السلطان هم بأخذها أو عزم على ظلم فيها فارتفعت بركتها فتأب الملك في نفسه وأخلص لله عز وجل نيته فعصرت أخرى فجاءت ملء قدح .



فصل

فيما جاء في التشديد على قاتل النفس ظلما

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٩٣) ﴿١﴾ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» (٢) أي: المهلكات فذكر قتل النفس التي حرم الله .

وقال ﷺ وقد سئل أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك»
قال ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» . قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» (٣) .

وقال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قيل:
يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصا على قتل صاحبه» (٤) .

وقال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» (٥) .

وقال ﷺ: «لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» (٦) .

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣ .

(٢) أخرجه البخارى (١٠١٧/٣)، رقم (٢٦١٥)، ومسلم (٩٢/١)، رقم (٨٩) .

(٣) أخرجه البخارى (١٦٢٦/٤)، رقم (٤٢٠٧)، ومسلم (٩٠/١)، رقم (٨٦) .

(٤) أخرجه البخارى (٢٠/١) رقم (٣١)، ومسلم (٢٢١٤/٤) رقم (٢٨٨٨) .

(٥) أخرجه النسائي (١٢٦/٧)، رقم (٤١٢٦) .

(٦) أخرجه النسائي (٨٢/٧)، رقم (٣٩٨٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٤٤/٤)، رقم (٥٣٤١) .

وقال عليه السلام : «لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما» ⁽¹⁾ . لفظ البخاري .

وقال عليه السلام : «أول ما يقضى بين الناس في الدماء» ⁽²⁾ .

وقال عليه السلام : «أكبر الكبائر الإشراف بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين» ⁽³⁾ .

وقال عليه السلام : «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما» ⁽⁴⁾ . رواه البخاري .

وقال عليه السلام : «من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله» ⁽⁵⁾ .

وقال الشافعي - رضي الله عنه - في المختصر القتل بغير حق أكبر الكبائر بعد الكفر .



(1) أخرجه البخاري (6/2517، رقم 6469) .

(2) أخرجه النسائي (7/83، رقم 3991) .

(3) أخرجه البخاري (6/2519، رقم 6477) ، ومسلم (1/91، رقم 88) .

(4) أخرجه البخاري (3/1155، رقم 2995) .

(5) أخرجه ابن ماجه (2/874، رقم 2620) .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥
ترجمة المؤلف	٧
منهج التحقيق	٨
النسخة المعتمدة في التحقيق	٨
نماذج من المخطوط المعتمد في التحقيق	٩
النص المحقق	١٥

كِتَابُ الْعِلْمِ

الباب الأول : في فضل العلم وتعليمه وتعلمه	٢٧
الباب الثاني : في إكرام أهل العلم والنهي عن إيذائهم	٤٠
الباب الثالث : فيما جاء في موت العلماء	٤٢
الباب الرابع : ينبغي للعالم ألا يقصد بعلمه توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا	٤٤
الباب الخامس : في تحذير العلماء من الدخول على الأمراء	٤٧
الباب السادس : ينبغي للمعلم أن يرفق بالمتعلم ويبدل له النصيحة	٥٢
الباب السابع : في آداب المتعلم	٥٤
الباب الثامن : في التحذير من المسارعة إلى الفتيا	٥٦

كِتَابُ الْإِيمَانِ

باب الإيمان بالقدر	٦٣
باب الاعتصام بالكتاب والسنة	٦٦
فصل فيما جاء في النهي عن البدع غير ما تقدم من الأحاديث	٧٣
فصل في أقسام البدعة	٧٥

كتاب فضل النبي ﷺ وما خصه الله به من الكرامات

وبيان وجوب محبته وتعظيمه وذكر معجزاته

وأخلاقه وفضل الصلاة عليه

الباب الأول : في فضله وبيان ما خصه الله من الكرامات	٧٩
الباب الثاني : في وجوب محبة النبي ﷺ	١٠٠
الباب الثالث : في تعظيم أمره ووجوب توقيره	١٠٣
الباب الرابع : في معجزات نبينا محمد ﷺ	١٠٥
الباب الخامس : في جمل من أخلاق نبينا ﷺ	١٢٧
الباب السادس : في فضل الصلاة على النبي ﷺ	١٣٧
فصل في ذكر المواضع التي وردت فيها الصلاة على النبي ﷺ بخصوصها	١٤١
الموضع الأول : في الصلوات	١٤١
الموضع الثاني : بعد الأذان	١٤١
الموضع الثالث : عند دخول المسجد	١٤٢
الموضع الرابع : في أول الدعاء وآخره	١٤٢
الموضع الخامس : في كل مجلس	١٤٣
الموضع السادس : في يوم الجمعة وليلتها	١٤٣
الموضع السابع : كلما ذكر	١٤٤
الموضع الثامن : عند اللقاء والمصافحة	١٤٤
الموضع التاسع : عند الصباح والمساء	١٤٥
الموضع العاشر : عند تعسر الأمور	١٤٥
الموضع الحادي عشر : عند كتابة اسمه	١٤٥
الموضع الثاني عشر : عند طنين الأذن	١٤٦
الموضع الثالث عشر : عند خدر الرجل	١٤٦
فصل في فضيلة الصلاة على النبي ﷺ على سائر نوافل	١٤٧

- ١٤٨..... حكايات جاءت في الصلاة على النبي ﷺ
- ١٥٢..... فصل في الصلاة على الأنبياء وآلهم تبعاً لهم صلوات الله وسلامه عليهم
- فصل في الترضي والترحم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء
- ١٥٣..... والعباد وسائر الأخيار

كتاب فضل أمة محمد ﷺ

- ١٥٧..... الباب الأول : في دلائل فضل هذه الأمة
- ١٦٣..... الباب الثاني : في أن أفضل الأمة أصحاب رسول الله ﷺ
- الباب الثالث : في بيان أن أفضل الصحابة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والعشرة الأبرار
- ١٦٧.....
- ١٧٠..... الباب الرابع : في بيان أن أفضل السابقين الخلفاء الأربعة
- ١٧٢..... الباب الخامس : في بيان أن أفضل الأربعة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما
- ١٧٤..... الباب السادس : في بيان أن أفضل الأربعة أبو بكر ﷺ
- ١٨١..... الباب السابع : من فضائل عمر بن الخطاب ﷺ
- ١٨٣..... الباب الثامن : في بيان فضل عثمان بن عفان ﷺ
- ١٨٥..... الباب التاسع : في فضل علي بن أبي طالب ﷺ
- الباب العاشر : في كف اللسان عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ أو
- ١٨٨..... أحد منهم بسوء

كتاب فضل الأولياء وكرامتهم

- ١٩٧..... الباب الأول : في فضلهم
- ٢٠٥..... الباب الثاني : في إثبات كرامات الأولياء
- ٢١٦..... الباب الثالث : هل يجوز أن يعلم الولي أنه ولي أم لا؟
- ٢١٨..... الباب الرابع : في الخضر عليه السلام
- ٢٢١..... قصة أصحاب الكهف
- ٢٢٨..... قصة اسكندر ذي القرنين عليه السلام

٢٣٣..... قصة حبيب النجار رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى

كتاب الطهارة

٢٣٩..... الباب الأول : في فضل الوضوء

٢٤٣..... الباب الثاني : في آداب الوضوء الباطنة

٢٤٦..... الباب الثالث : في بيان المواضع التي يستحب فيها الوضوء

٢٥٠..... الباب الرابع : في ذم الوسواس وغير ذلك من المسائل النافعة

٢٥٣..... فصل في مسائل

٢٥٥..... الباب الخامس : في السواك وسنن الفطرة وغير ذلك

٢٥٧..... الفصل الأول : في السواك

٢٥٩..... الفصل الثاني : في سنن الفطرة

٢٦٣..... الفصل الثالث : في النهي عن نتف اللحية

٢٦٥..... الفصل الرابع : في خضاب اللحية

٢٦٧..... الفصل الخامس : في النهي عن القزع

٢٦٨..... الفصل السادس : في وصل الشعر

٢٧٠..... الفصل السابع : في الاكتحال

٢٧١..... الفصل الثامن : في التطيب

٢٧٣..... الباب السادس : في الحمام

٢٧٥..... الفصل الأول : فيما ورد فيه من الأخبار والآثار

٢٧٧..... الفصل الثاني : في واجبات دخول الحمام وسننه

٢٧٩..... الفصل الثالث : في فوائد طيبة

٢٨٠..... الفصل الرابع : في ستر العورة

كتاب الصلاة

٢٨٥..... الباب الأول : في الأذان

٢٨٧..... الفصل الأول : في فضله

٢٨٩.....	الفصل الثاني : في إجابة المؤذن
٢٩٣.....	الفصل الثالث : في مؤذني النبي ﷺ
٢٩٤.....	الباب الثاني : في الحث على المحافظة على الصلاة وبيان فضلها
٣٠٤.....	فصل في فضل السجود
٣٠٧.....	الباب الثالث : فيما جاء من التشديد على تارك الصلاة
٣١٢.....	الباب الرابع : في فضل تعجيل الصلاة أول الوقت
٣١٦.....	فصل في كراهة النوم قبل العشاء
٣١٩.....	الباب الخامس : في الحث على الخشوع في الصلاة
٣٢٣.....	الباب السادس : فيما يكره في الصلاة
٣٢٩.....	الباب السابع : في أحكام المساجد
٣٣١.....	الفصل الأول : في فضل المساجد
٣٣٦.....	الفصل الثاني : في آداب داخل المسجد
٣٣٩.....	الفصل الثالث : فيما يكره في المسجد
٣٤٤.....	الفصل الرابع : في الحث على تنظيف المساجد وتطيبها وتنويرها
٣٤٥.....	الفصل الخامس : في حضور النساء في المساجد وفضل صلاتهن في بيوتهن
٣٤٩.....	الباب الثامن : في صلاة الجماعة
٣٥١.....	الفصل الأول : في فضلها
٣٥٦.....	الفصل الثاني : في فضل الإمامة وذكر ما على الإمام من الوظائف
٣٥٩.....	الفصل الثالث : فيما على المؤمنين من الوظائف
٣٦٥.....	الباب التاسع : في صلاة الجمع
٣٦٧.....	الفصل الأول
٣٧٠.....	الفصل الثاني : في فضل يوم الجمعة
٣٧١.....	الفصل الثالث : في التغليظ على تارك صلاة الجمعة
٣٧٣.....	الفصل الرابع : في آداب يوم الجمعة وصلاتها
٣٨١.....	الباب العاشر : في النوافل من الصلاة

الباب الحادي : عشر في قيام الليل ٣٨٦

كتاب الصدقة

الباب الأول : في فضلها ٣٩٣

الباب الثاني : في الحث على أداء الزكاة ٣٩٩

الباب الثالث : في التشديد على تارك الزكاة ٤٠٢

الباب الرابع : في فوائد الصدقة ٤٠٦

الباب الخامس : في آداب معطي الصدقة وقابضها ٤١٥

الفصل الأول : في آداب المعطي ٤١٧

الفصل الثاني : في آداب القابض ٤٢٣

كتاب الصيام

الباب الأول : في فضل شهر رمضان وصيامه ٤٢٩

الباب الثاني : في الحث على أفعال الخير في شهر رمضان ٤٣٤

الباب الثالث : في أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عما لا يحل ٤٣٦

الباب الرابع : في فضل ليلة القدر وليلة النصف من شعبان وليليتي العيدين ٤٣٨

الباب الخامس : في صوم التطوع ٤٤٢

كتاب الحج

الباب الأول : في فضله وبيان تأكد وجوبه ٤٤٩

الباب الثاني : في فضل يوم عرفة ٤٥٥

الباب الثاني : في فضل المساجد الثلاثة ٤٥٧

الفصل الأول : في فضل مسجد مكة ٤٥٩

الفصل الثاني : في فضل مسجد النبي ﷺ ٤٦٤

الفصل الثالث : في فضل المسجد الأقصى ٤٦٥

الباب الرابع : في فضل ماء زمزم ٤٦٨

الباب الخامس : في زيارة قبر النبي ﷺ ٤٦٩

٤٧٠.....	خاتمة نختم بها كتاب الحج
٤٧٢.....	قصة أصحاب الفيل
٤٧٤.....	باب فضل يوم عاشوراء وصيامه

كتاب تلاوة القرآن

٤٧٩.....	الباب الأول : في فضل تلاوة القرآن وحملته
٤٨٥.....	الباب الثاني : في فضل الفاتحة وذكر أسمائها
٤٨٩.....	الباب الثالث : في فضل القرآن وتعلمه
٤٩١.....	الباب الرابع : في إكرام أهل القرآن وترجيحهم على غيرهم والنهي عن إيذائهم
٤٩٣.....	الباب الخامس : في آداب حامل القرآن
٤٩٥.....	الفصل الأول : ما ينبغي لحامل القرآن
٤٩٨.....	الفصل الثاني : في الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعرضه للنسيان
٥٠٠.....	الفصل الثالث : ما ينبغي لقارئ القرآن
٥٠٣.....	الفصل الرابع : يستحب ترتيل القراءة
٥٠٥.....	الباب السادس : في ختم القرآن
٥٠٨.....	الباب السابع : في الحث على قراءة سور وآيات مخصوصة
٥١٤.....	الباب الثامن : في أشياء متفرقة

كتاب ذكر الله عز وجل

٥٢١.....	الباب الأول : في فضله والحث عليه
٥٢٩.....	الباب الثاني : في تقسيم الذكر وبيان كيفيته
٥٣١.....	الباب الثالث : في فضل كلمات من الأذكار جاءت غير مقيدة بوقت
٥٣٥.....	الباب الرابع : في الأذكار المقيدة بوقت أو سبب
٥٤٣.....	الباب الخامس : في فضل لا إله إلا الله
٥٤٩.....	فصل في قوله تعالى : ﴿لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾
٥٥٢.....	الباب السادس : في قوله تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾

فصل هل يجوز أن تكون الطيور والبهائم عارفة بربها أم لا؟ ٥٦١

كتاب الدعاء

الباب الأول : في الحث عليه وبيان فضله وقول العلماء فيه ٥٦٩

الباب الثاني : في آداب الدعاء ٥٧٧

الباب الثالث : في نهى الإنسان عن الدعاء على نفسه وولده وماله ٥٨١

الباب الرابع : في دعوات مستحبة في كل وقت غير مختصة بوقت أو

حال مخصوص ٥٨٣

الباب الخامس : في الأذكار والدعوات للأمور العارضات ٥٨٨

الباب السادس : في الرقى ٥٩٢

الباب السابع : في علاج المصاب بالعين ٥٩٤

كتاب آداب

الأكل والشرب والضيافة

الباب الأول : في آداب الأكل ٥٩٩

الفصل الأول : في الأمر بالتسمية ، وبالأكل يمينه ، ومما يليه ٦٠١

الفصل الثاني : في استحباب الأكل بثلاث أصابع ولعق الأصابع والقصعة

وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها وغير ذلك من الآداب ٦٠٣

الفصل الثالث : في استحباب حمد الله تعالى إذا فرغ من الأكل ٦٠٦

الفصل الرابع : في كيفية الجلوس على الأكل ٦٠٧

الفصل الخامس : في تخليل الأسنان من الطعام ٦٠٨

الفصل السادس : من آداب هذا الباب ألا يعيب الطعام وأن يرضى بما يحضر منه ٦٠٩

الفصل السابع : ينبغي أن لا يسرف في الأكل ٦١١

الباب الثاني : فيما كان رسول الله ﷺ يحب من الأطعمة ٦١٣

الباب الثالث : في ذكر شيء من الأطعمة التي ذكر النبي ﷺ أنها يتداوى بها ٦١٥

الباب الرابع : في آداب الشرب ٦١٩

الباب الخامس : في الضيافة	٦٢٣
الفصل الأول : في الحث عليها	٦٢٥
الفصل الثاني : في آداب الضيافة	٦٢٨
الفصل الثالث : في النهي عن التطفل	٦٣٣
الباب السادس : في مستظرفات وآداب طيبة	٦٣٤
خاتمة نختم بها الكتاب	٦٣٧

كتاب اللباس

الباب الأول : فيما يستحب ويباح من اللباس	٦٤١
الباب الثاني : في صفة طول القميص والكم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء	٦٤٤
الباب الثالث : في تحريم لبس الحرير على الرجال وجوازه للنساء	٦٤٦
الباب الرابع : في النهي عن لبس المزعفر والمعصفر	٦٤٨
الباب الخامس : في النهي عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال	٦٤٩
الباب السادس : في النهي عن لبس ثياب الشهرة	٦٥١
الباب السابع : فيما يقول إذا لبس ثوبه أو خلعه	٦٥٣
الباب الثامن : في الخاتم	٦٥٤
الباب التاسع : في ذكر أول من خاط الثياب وأول من نسجها	٦٥٦

كتاب النكاح

الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه وذكر فوائده وآفاته	٦٦١
الفصل الأول : في الترغيب فيه	٦٦٣
الفصل الثاني : في الترغيب عنه	٦٦٧
الفصل الثالث : في فوائد النكاح وآفاته	٦٦٩
الباب الثاني : في بيان ما يحصل به طيب العشرة بين الزوجين	٦٧٥
الفصل الأول : في الحصال التي تعتبر في المرأة	٦٧٧

٦٨٢.....	الفصل الثاني : فيما يجب على الولي
٦٨٧.....	الباب الثالث : في آداب المعاشرة
٦٨٩.....	الفصل الأول : في آداب الزوج مع زوجته
٦٩٥.....	الفصل الثاني : في آداب المرأة مع زوجها
٧٠٠.....	الباب الرابع : في التحذير من كيد النساء وفتنتهن
٧٠٤.....	فصل : في ذكر النساء وعاداتهن

كتاب آداب الكسب والمعاش

وفضله وما يتعلق بذلك

٧٠٩.....	الباب الأول : في فضل الكسب
٧١٤.....	الباب الثاني : في أنواع المكاسب وبيان الطيب والخبيث منها
٧١٦.....	فصل في الاحتكار
٧١٨.....	الباب الثالث : في آداب التاجر
٧٢٣.....	الباب الرابع : في بيان الأمور التي ينبغي للتاجر أن يحترز عنها
٧٢٥.....	الفصل الأول : في الحث على حفظ الأمانة وتجنب الخيانة
٧٢٨.....	الفصل الثاني : في النهي عن الحلف في البيع
٧٣٠.....	الفصل الثالث : في النهي عن إخفاء عيب المبيع
٧٣١.....	الفصل الرابع : في النهي عن دفع الدراهم والدنانير الزیوف
٧٣٣.....	الفصل الخامس : في النهي عن التطفيف
٧٣٦.....	حكايات ذكرها الإمام أبو حامد الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - في الإحياء
٧٣٨.....	الفصل السادس : في بیاعات نهى عنها رسول الله ﷺ
٧٤٠.....	الفصل السابع : في الربا
٧٤٣.....	الفصل الثامن : الحث على قضاء الدين
٧٤٥.....	باب التحذير من أكل الحرام والحث على الورع وتوقي الشبهات
٧٤٧.....	الفصل الأول : في التحذير من أكل الحرام

الفصل الثاني : في الحث على الورع وتوقي الشبهات ٧٤٩

كتاب الترغيب في الحكم وعنه

والتحذير من الظلم

الباب الأول : في الترغيب فيه ٧٥٧

الباب الثاني : في الترغيب عن الحكم ٧٥٩

الباب الثالث : في طرف مما ورد عن السلف من كراهية الولاية ٧٦٣

الباب الرابع : في التحذير من الظلم ٧٦٧

حكايات ذكرها الإمام أبو حامد - رَحِمَهُ اللهُ - في نصيحة الملوك ٧٧٣

فصل : فيما جاء في التشديد على قاتل النفس ظلما ٧٧٥

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني

وأوله : كتاب آداب الصحبة